



كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر



ISBN: 978-9922-685-25-0

بحوث ودراسات في التاريخ الاسلامي

الدكتورة

إيمان عبد الجبار محمود التميمي

الجزء الاول

٢٠٢٣ م

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر
كلية الكوت الجامعة



٩٥٦ / ٠٧

م ٣٩٨ محمود، ايمان عبد الجبار.
بحوث ودراسات في التاريخ الاسلامي /
ايمان عبد الجبار محمود . - ط١. - بغداد :
مطبعة الرفاه، ٢٠٢٣.
٣٥٦ ص. : ٢٤ سم.
١- التاريخ الاسلامي - دراسات - أ- العنوان.

م.و.

٢٠٢٣ / ٢٩١

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٢٩١ لسنة ٢٠٢٣ م

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-685-25-0

مطبعة
الرفاه
07902823204

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

(سورة هود/ جزء من الآية ١٨)

الإهداء

إلى ...

- والدتي العزيزة رحمها الله التي كانت تحثني وتشجعني على الدراسة
وطلب العلم ... وفاء لذكرها
- من تكبد معي العناء والمشقة أثناء عملي زوجي الغالي ...
حفظه الله وأدامه ذخرا لي
- ابنائي فلذات كبدي ... فلاح، محمد، علي
- من اضاف بهجة الى حياتي حفيدي الغالي ... امير
- الى طلبة العلم ومحبيه

المحتويات

ت	البحث	الصفحة
١	الملامح الاجتماعية في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي المتوفى (٣٨٤هـ/٩٩٤م) / دراسة تاريخية	٧
٢	التجارة الداخلية والخارجية في الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦ هـ) / (٧٤٩-١٢٥٨ م)	٥٥
٣	دور الاغالبية في فتح صقلية	٨٩
٤	منهج ابن الجزري وموارده في كتاب تاريخ حوادث الزمان ووفيات الاكابر والاعيان	١٢٥
٥	قراءات في التصوف الاسلامي	١٥٩
٦	الجغرافية التاريخية للتصوف في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك البحرية (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) - (٧٨٤هـ / ١٣٨٢م)	١٩٩
٧	مواقف المتصوفة من الفقهاء في عصر سلاطين المماليك	٢٣١
٨	الملامح الاقتصادية في كتاب نزهة الانام في محاسن الشام لابي البقاء البصري المتوفى سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م)	٢٥٣
٩	مراكز الحركة الفكرية والعلمية في العراق في العصر البويهي	٢٩٣
١٠	مجالس العلم في العصر البويهي	٣١٩

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الكريم ، محمد الأمين وعلى اله الطيبين الطاهرين ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين وبعد .

لأهمية البحث التاريخي و ما يقدمه من افكار ومواضيع ربما لم يسلط عليها الضوء من قبل الباحثين ، جاء الجزء الاول من هذا الكتاب الذي احتوى على مجموعة متنوعة من البحوث والدراسات في التاريخ الاسلامي المنشورة في المجلات العلمية المحكمة ، والذي جعلني اجمع هذه البحوث في كتاب واحد هو كثرة ما يطلبوه مني ممن اعرفهم من طلبة التاريخ ، ومحبي قراءته وهذه البحوث منها ما اعدته لوحدي ، ومنها ما اعدته بالمشاركة مع احد الاساتذة في نفس التخصص والتي سوف تقدم للباحثين في مختلف التخصصات التاريخية من الطلبة ،كم من المعلومات والمصادر في المجال الذي سيبحثون ،عنه كونها خلاصة عمل وجهد طويل ومستمر ، كما ستقدم للقراء من محبي القراءة في التاريخ معلومات مختلفة عن حقبة متباينة من التاريخ الاسلامي ،فضلا عن ان هذه البحوث تنوعت بين مختلف المجالات منها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وغيرها ،كما قدم الكتاب سير لبعض المؤرخين قد يكون البعض منهم من المعروفين في هذا المجال و يشار له بالبنان ،ومنهم من هو غير معروف او لا يعرفه غير الباحث المستمر في البحث او صاحب التخصص ولكثرة البحوث المنشورة ارتأيت ان يكون الكتاب جزئين يحوي كل جزء مجموعة من البحوث ، ماهدفنا الا خدمة القارئ الكريم وازافة المعلومات له وللمكتبة التاريخية شئ يذكر .

المؤلفة

الملاح الاجتماعية في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي

المتوفى (٣٨٤هـ/٩٩٤م) // دراسة تاريخية

أ.د. داود سلمان خلف الزبيدي

د. إيمان عبد الجبار محمود التميمي

المبحث الاول: القاضي التنوخي وعصره

المبحث الثاني: كتاب الفرج بعد الشدة

المبحث الثالث: الملاح الاجتماعية في كتابه

المخلص

الف القاضي التنوخي المتوفى سنة (٣٨٤هـ / ٩٩٤م) كتابه الفرج بعد الشدة اواخر ايامه، بعد عدة محن تعرض لها، ونجاه الله تعالى منها، وقد عرض هذه المحن في كتابه اعلاه، فضلاً عن اخبار اعتمدها من المصادر، مضيفاً لها بعضاً من مشاهداته، ومسموعاته، وفي بحثنا الموسوم (الملاحم الاجتماعية في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي... دراسة تاريخية) الذي تناولنا فيه عرضاً لحياته، فضلاً عن التعريف بكتابه الفرج بعد الشدة، ثم تناولنا فيه من الجوانب الاجتماعية التي عرضها القاضي التنوخي في كتابه المذكور في سياق ذكره لقصصه التي قصها في الكتاب، كون ان كثير من معلومات الكتاب كانت عن مشاهدات وسماع له، عندما كان في البصرة، ومن بعدها في بغداد، ومعاصرته للأمراء البويهيين عامة، والسلطان عضد الدولة البويهى بصورة خاصة.

على الرغم من الكتاب كان قصاً لحوادث ووقائع ومعاناة، الا انه اشتمل على وصف دقيق لطبيعة المجتمع في العراق آنذاك مسكناً ومعيشة من طرز العيش وملابس وطبقات اجتماعية متنوعة، متعايشة حيناً، ومختلفة حيناً اخر، فضلاً عن السياسات التي كانت تؤثر على الحياة الاجتماعية كالمصادرات والاعتقالات.

المبحث الاول

القاضي التنوخي وعصره

١- اسمه ونسبه

هو ابو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن ابراهيم بن تميم التنوخي القاضي، كما ترجم له اغلب المؤرخين في المصادر التاريخية وكتب التراجم^(١)، ولا يذكر الثعالبي (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) اسمه كاملاً ويكتفي بذكر: "ابو علي المحسن بن القاضي التنوخي..."^(٢)، وينفرد الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) في العبر بتسميته: "الحسن بن علي..."^(٣)، بينما يذكر في مكان آخر انه المحسن كما تقدم،^(٣) وهو ما نرجحه لاتفاق اغلب المؤرخين على انه المحسن بن علي، ولعل ما ذكره الذهبي من انه الحسن وليس المحسن قد سقط سهواً اثناء النسخ او النقل، ومن الجدير بالذكر انه عرف بالقاضي لتعاقب بعض افراد اسرته على منصب القضاء، فيذكر بعضهم انه: "... الفرع المسند لأصله، والنائب عنه في حياته، والقائم مقامه بعد مماته"^(٤)، اما التنوخي فهو أصله الذي يعود الى قبائل تنوخ^(٥)، التي اختلف النسابون بالحديث عنها، وقد ساق بعض المؤرخين نسبه الى قبيلة قُضاعة، والى أحد ملوكها الاقدمين،^(٦) ومهما يكن من أمر فانه واسلافه يرجعون في نسبهم الى اصول عربية اصيلة.

٢- مولده ونشأته

ولد المحسن بن علي في البصرة، على ما أجمع عليه المؤرخون الذين كتبوا عنه،^(٧) ويتحدث هو عن ذكريات طفولته فيها كونه عاش بها،^(٨) وعن صباه وعلاقته مع ابيه وتعليمه له فيقول: "كنت وأنا صبي لا أقيم الرأ في كلامي، واجعلها غيناً، وكانت سني آنذاك اربع سنين، أقل او اكثر، فدخل... الى ابي، وأنا بحضرته، فتكلمت بشيء فيه راء، فلثغت فيها. فقال الرجل: يا سيدي، لم تدع ابا الحسن يتكلم هكذا؟، فقال: ما أصنع وهو ألتغ؟ فقال له: وأنا اسمع وأحصل ماجرى، وأضبطه - ان اللثغة لاتصح مع سلامة الجارحة، وانما هي عادة سوء تسبق الصبي اول ما يتكلم لجهله بتحقيق الالفاظ، وسماعه شيئاً يحتذيه، فان تُرك...، مرن عليه، فصار طبعاً...، وان أخذ بتركه

في اول نشوه...استقام لسانه وزال عنه... فتأمله، وقال...، قل يا بني: راء، واجعل لسانك في سقف حلقك. ففعلت ذلك، فلم يستو لي، فما زال ابي يرفق بي مرةً، ويخشن بي اخرى، وينقل لساني من موضع الى موضع في فمي، ويأمرني ان اقول الراء فيه...دفعات كثيرة، في زمان طويل، حتى قلت راءً صحيحة... واوصى معلمي بالزامي بذلك...حتى ذهبت عني اللثغة"^(٩)، لعل تلك القصة تبين مدى رفق والده به وجهده الذي بذله في تعليمه وصبره عليه.

اما سنة ولادته فينقسم المؤرخون الى قسمين في ذكرها، فمنهم من يذكر انها كانت سنة (٣٢٧هـ / ٩٣٨م)^(١٠)، ومنهم من يذكر انها سنة (٣٢٩هـ / ٩٤٠م)^(١١)، وينقل الذهبي ما ذكره ولده عن ابيه قوله: "...مولدي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة..."^(١٢)، بينما يرجع ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ان ما ذكره ولده عنه انه قال: مولده سنة سبع وعشرين وثلاثمائة،^(١٣) وهو ما نرجحه، بسبب اتفاق المؤرخين انه عاش سبعا وخمسين عاماً،^(١٤) وبإجماعهم على سنة وفاته يمكننا تقدير التفاوت في السنين الذي انقسم عليه المؤرخون في سنة ولادته. ومهما يكن منهما، فقد ولد المحسن في بيت فقه وعلم، فنشأ محباً للدرس منذ طفولته، فيتفق المؤرخون ان بدايته في السماع^(١٥) كانت وعمره سبع سنين، اي سنة (٣٣٣هـ / ٩٤٤م)^(١٦)، فقد كان كثير الحفظ والمذاكرة، لعل ذلك نابغاً من البيئة العلمية التي كان يعيش فيها، فذكرانه حدث عن ابيه قال: "حدثني ابي في المذاكرة، من لفظه وحفظه، ولم أكتبه عنه في الحال، وعلق بحفظي..."^(١٧)، ويتحدث التتوخي عن حياته مع والده فتره تعليمه وان والده كان يمتلك داراً يسكنون بها وقد اخرج له منه دكان فقال: "كنت بالبصرة في المكتب"^(١٨) سنة خمس وثلاثين، وانا مترعرع، افهم واحفظ ما أسمع، واضبط ما يجري... وكان مكتبي في بيت اخرجه من داره الى سكة...وجعل بينه، وبين باب داره دكاناً ممتداً فكنت ومعلمي، والصبيان، نجلس طرفي النهار على الدكان، وفي انتصافه في البيت..."^(١٩).

٣- أسرته

أ- والده

عرف العديد من افراد اسرة التتوخي بنفس الاسم، بيد ان أشهرهم كان ابيه القاضي ابي القاسم علي بن محمد بن ابي الفهم داود التتوخي، ويُجمع المؤرخون ممن كتبوا عنه، بأنه ولد سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م)^(٢٠) بانطاكية^(٢١)، لكنه يعتبر نفسه بصرياً،^(٢٢) كونه عاش بها وتفقّه على شيوخها وفي سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م)^(٢٣) رحل الى بغداد، وتفقّه على ابرز شيوخها آنذاك ومنهم ابي حنيفة النعمان،^(٢٤) (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م). وقال عنه الذهبي: "سمع في حدود الثلاثمئة، وولي قضاء الاهواز"^(٢٥)، وكان من اذكياء العالم، راوية للأشعار وعارفاً بالكلام والنجوم...^(٢٦)، وقال عنه في موضع آخر انه: "كان يحفظ للطائيين ستمئة قصيدة، ويحفظ من النحو واللغة شيئاً عظيماً..."^(٢٧)، وله ديوان شعر^(٢٨)، ولعل مما يؤكد ذلك قول المحسن التتوخي مانقله من قول والده عن نفسه "فقلت الشعر وسني دون العشرين، ثم بدأت بعمل مقصورتني التي اولها:

ولا التناهي لم اطع نَهْيُ النُهَى اي مدى يطلب من جاز المدى.^(٢٩)

ويذكر التتوخي الابن ان والده اخذ الاجازات^(٣٠) برواية الشعر عن الشعراء،^(٣١) وهو مايؤكدّه الخطيب البغدادي: من ان والد المحسن التتوخي قال لابنه: "حَفَظَنِي ابي، وحفظت بعده، من شعر ابي تمام^(٣٢)، والبحتري^(٣٣)، سوى ماكنت احفظه لغيرهما من المُحدثين من الشعراء، مائتي قصيدة. قال: وكان ابي وشيوخنا بالشام، يقولون: من حفظ للطائيين اربعين قصيدة، ولم يقل الشعر، فهو حمار في..."^(٣٤). لعل ذلك يدلنا الى ان والده تضلع بالعلم واخذهُ ليس من علماء بغداد الذين تفقه على ايديهم بل من علماء الشام ايضاً.

قال ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): "كان عالماً بأصول المعتزلة^(٣٥) والنجوم^(٣٦)..."^(٣٧)، ولعل مايعزز قول ابن الاثير بولع والده بالنتجيم،

ماذكره ابن طاووس المتوفى (٦٦٤هـ / ١٢٦٦م) والذي جعله فيمن كان عالماً بالانجوم من غير الشيعة من المسلمين. (٣٨)

ينفرد الصفدي (٧٦٤هـ / ١٣٦٤م) بقوله: "كان ابو القاسم... بصيراً بعلم النجوم. قرأ على الكسائي^(٣٩) المنجم، ويقال انه كان يقوم بعشرة علوم..."^(٤٠)، ويتفق مع غيره من المؤرخين من انه كان يحفظ للطائيين سبعمائة قصيدة مقطوعة سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين... ويحفظ في النحو واللغة شيئاً كثيراً. (٤١)

ويروي التتوخي الابن قصة حفظ والده لقصيدة دعل^(٤٢) الخزاعي في مناقب اهل اليمن قال: "سمعتُ ابي... ينشد يوماً، وسنيّ اذ ذاك خمس عشرة سنة، بعض قصيدة دعل الطويلة التي يفخر فيها ياليمن ويعدد مناقبهم،.... وهي نحو ستمائة بيت، فأشبهت حفظها لما فيها من مفاخر...، فقلت: ياسيدي تخرجها اليّ حتى احفظها، فدافعني، فألححتُ عليه..، فقال: كأي بك تأخذها، فتحفظ خمسين بيتاً، او مائة، ثم ترمي بالكتاب...؟ فقلت: ادفعها اليّ. فأخرجها، وسلّمها اليّ، وقد كان كلامه أثر فيّ، فدخلت حجرة كانت برسمي من داره فخلوت فيها ولم اتشاغل يومي وليليتي بشيء غير حفظها، فلما كان في السحر، كنت قد فرغت من جميعها، واتقنتها، فخرجت اليه غدوة على رسمي فجلست بين يديه. فقال:.... كم حفظت من القصيدة ؟ فقلت: قد حفظتها بأسرها، فغضب وقدر آني قد كذبتُهُ، وقال لي: هاتها. فأخرجت الدفتر من كُمي، فأخذه، وفتحه ونظر فيه، وأنا انشدُ، الى ان مضيت في أكثر من مئة بيت. فصَفَحَ منها عدة اوراق وقال: انشد من هاهنا، فأنشدت مقدار مئة بيت أخرى، فصَفَحَ الى ان قاربَ آخرها بمئة بيت، وقال: انشدني من هاهنا، فأنشدته من مئة بيت منها الى آخرها، فهاله ما رآه من حسن حفظي، فضمني اليه وقَبَّلَ رأسي وعيني وقال: بالله يا بني لاخبر احداً بهذا اني اخاف عليك من العين." (٤٣)

من النص المتقدم يتضح عدة امور تأكيد المحسن التتوخي على مقدار حفظ والده من الشعر وسرعة بديهته في ذلك، وعلاقة الجد مع ابنه مؤرخنا، وطريقته في تحفيظه بين اللين والخشونة وتأثيره عليه ونقل ذلك التأثير لحفيده.

ويمتدحه الثعالبي بقوله كان: "من اعيان اهل العلم والادب وافراد الكرم، وحسن الشيم... كان يتقلد قضاء البصرة والاهواز بضع سنين،... وكان المهلبى^(٤٤) الوزير وغيره من وزراء العراق يميلون اليه ويتعصبون له..."^(٤٥)، ويضيف ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) أنه: "كان نديماً للوزير المهلبى، ووفد على سيف الدولة بن حمدان^(٤٦) فآكرمه واحسن اليه..."^(٤٧)، ويضيف بعضهم: انه "كان في الفقه والفرائض والشروط غاية، واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة، وكان في الهيئة قدوة..."^(٤٨)، وكان ولده يعظمه دائماً ويذكره في كتبه في اكثر من موضع، بقوله ابي رحمه الله،^(٤٩) ولا يفوتنا ان نذكر انه تقلد قضاء الكرخ، ثم رحل عنها الى قضاء واسط،^(٥٠) لعل ذلك يبين مدى مانهله من العلوم وماأخذ من المعرفة عن الاقدمين وابيه جد المحسن.

ويتفق المؤرخون انه توفي بالبصرة سنة (٣٤٢هـ / ٩٥٣م)^(٥١)، فيذكر الخطيب البغدادي: "اخبنا ابن المحسن التنوخي، قال: حدثني ابي مات جدي بالبصرة في يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين واربعين وثلاث مئة، ودفن من الغد، في تربة اشترى له..."^(٥٢).

ب - ولده

هو ابي القاسم علي بن المحسن بن علي وعرف بالتنوخي ايضاً، كان اديباً، فاضلاً، قال عنه السمعاني (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م): اخذ عن علماء كثيرون منهم سعيد الرزاز^(٥٣)، و خلقاً كثيراً من طبقتهم " وذكره ابو بكر احمد بن ثابت الخطيب، وقال: كتبت عنه، وسمعتة يقول ولدت بالبصرة في النصف من شعبان سنة سبعين وثلاثمائة، وكانت وقبلت شهادته^(٥٤) عند الحكام في حادثة، ولم تزل مقبولة الى آخر عمره، فقد كان متحفظاً في الشهادة محتاطاً صدوقاً في الحديث،... روى لنا عنه... انه كانت له عن التنوخي اجازة صحيحة..."^(٥٥)، قال الخطيب البغدادي: "كتبت عنه، وسمعتة يقول ولدت بالبصرة..."^(٥٦).

ويتفق من كتب عنه انه صحب ابا العلاء المعري^(٥٧) المتوفى (٤٤٩هـ / ١٠٠٩م)^(٥٨)، وأخذ عنه كثيراً، وكان يروي الشعر، وكان بين المعري وبين الخطيب ابوزكريا التبريزي^(٥٩) المتوفى (٥٠٢هـ / ١١٠٨م)^(٦٠) مؤانسة، ويبدو ان

تلك الصحبة مكنت ولد التنوخي من اخذ العلم عن التبريزي، فضلاً عما كان يحصله من صحبتته للمعري.

تقلد علي بن المحسن القضاء كأبيه عدة نواحي منها المدائن^(٦١)، وأعمالها ودورنجان^(٦٢) والبردان^(٦٣) وقرمسين^(٦٤) وغير ذلك، ويُجمع المؤرخون على ان ابي القاسم علي توفي سنة (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م).^(٦٥)

٤ - شيوخه

تلقى المحسن التنوخي العلم منذ صغره على يد العديد من الشيوخ، مابين القراءة^(٦٦) والسماع واخذ الاجازات، وكان اول شيوخه الذين سمع منهم، والذي قال عنه: "حدثني ابو العباس... الاثرم^(٦٧)، المقرئ البغدادي بالبصرة، سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، قال..."^(٦٨)، وقال في اكثر من موضع من كتابه انه سمع حضوراً من ابي بكر الصولي^(٦٩)، فيذكر انه: "قُرىء على ابي بكر الصولي، وانا حاضر، اسمع، بالبصرة، سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة..."^(٧٠)، ويؤكد في موضع آخر بقوله: "اخبرني ابو بكر... الصولي بالبصرة سنة... قراءةً عليه، وانا اسمع..."^(٧١) وقال عنه ابن الجوزي: "وكان سماعه صحيحاً"^(٧٢)، ويذكره انه اخذ ايضاً عن ابو علي "الحسين بن محمد بن عثمان الفسوي"^(٧٣)، قراءة عليه بالبصرة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة..."^(٧٤)، وقال انه لقي "اباعمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب"^(٧٥)

، وبالزاهد،...، وأجاز لي جميع ما يصح عندي من رواياته..."^(٧٦)، وقال الذهبي: "سمع من واهب المازني صاحب نصر...، وقال لم يكن عند واهب بن يحيى غير هذا الحديث..."^(٧٧)، ومن ابن داسة^(٧٨) البصري (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م)، الذي كان يذكره في مؤلفاته انه اخذ عنه،^(٧٩) وقال عنه في كتابه: "وحدثني عبد الله بن احمد بن داسة، المقرئ البصري، قال: سمعت أن بعض الجند..."^(٨٠). ويفهم من حديثه انه قضى السنوات الاولى من عمره بالأخذ عن الشيوخ في البصرة، وبغداد فضلاً عما كان يأخذه عن ابيه من العلم، كما اشار التنوخي في معرض حديثه الى احد الشيوخ الذي اخذ عنه الحديث والذي نقل عنه قصة النبي دانيال (ع) فذكره بقوله: "وعضدت روايتهم، اشياء رواها اصحاب الحديث منها ما حدثنياه... الزاهر مرمزي"^(٨١)..."^(٨٢)، لعل ذلك

ماذكره ابن خلكان(ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) عندما كان التتوخي متولي القضاء في تلك المناطق، وانه كان يتقلد القضاء بعسكر مكرم وأيذج^(٨٣) ورامهرمز^(٨٤). ويبدو من ذلك تنقله بين العديد من النواحي والقيام بمهمة القضاء على اكمل وجه.^(٨٥)

حياته

عاش المحسن التتوخي في العصر العباسي وتنقل بين بغداد وغيرها من المدن، للفترة مابين(٣٢٧هـ / ٩٣٨م - ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) وعاصر خمسة من خلفائهم، هم الخليفة الحادي عشر وهو المتقي لله ابراهيم بن الخليفة المقتدر (٣٢٩-٣٣٣هـ) فترة تسلط ابن رائق على امرة الجيش المعروفة بأمره الامراء، ومن بعده الخليفة المستكفي بالله، والذي كانت خلافته اربعة اشهر، والخليفة الثالث عشرالمطيع لله بن المقتدر (٣٣٤-٣٦٣هـ)، والخليفة الطائع لله (٣٦٤-٣٨٢هـ)، ثم الخليفة الخامس عشر وهو القادر بالله (٣٨٢-٣٨٤هـ) الذي انتهت حياة التتوخي في عهده.^(٨٦)

كان المحسن ملازماً لوالده ونهل من علمه في البصرة، واستمر بالدرس والأخذ عن العلماء وعن والده الذي كان يرشده ويعلمه ولنموغه ويخاف عليه من العين، فيذكر: انه لما حفظ الابيات الستمائة من قصيدة دعبل الخزاعي، اخبره والده بأن لا يخبر احداً بذلك،^(٨٧) ويبدو انه لم ينفصل عنه الا بعد توفي، فهو يتحدث عن حياته بعد وفاة والده فيقول: "... في سنة ست وخمسين وثلاثمائة، فأني كنت انقلد القضاء والوقوف بسوق الاهواز،...، وسوق رامهرمز، سهلها وجبلها، واعمال ذلك، وانا في داري بالأهواز، وأمري في ضيعتي مستقيم".^(٨٨) وهو مايفهم من كلامه من سكنه بالدار التي خصصها والده له.

مر القاضي التتوخي في حياته بعدد غير قليل من المحن، لعلها بسبب قربه من السلاطين والوزراء، نذكر اولها المحنة التي لحقت به سنة(٣٥٩هـ / ٩٥٩م) والتي صرف فيها عن

القضاء، الذي كان اول تقليده، وصودرت ضييعته من قبل الوزير ابن فسانجن^(٨٩)، فذكر: " انه اخذ ضيعتي بالاهواز،...، واخرجها عن يدي، فأصعدت الى

بغداد متظلماً... " (٩٠)، وقد شمت به اعداءؤه وتعصبوا للوزير الذي صرفه عن القضاء فانشد التتوخي قصيدة مطلعها :

لئن أشمت الاعداء صرفي ومحنتي فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجذ
مقاماً وترحالاً وقبض وبسطة كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكد (٩١)

تعرض القاضي الى محنة اخرى سنة (٣٦٥هـ / ٩٧٥م) اضطرته الى اللجوء الى البطيحة (٩٢)، ويتحدث عن نفسه في تلك المحنة فيقول: " اني كنت قد لجأت الى البطيحة، هارباً من نكبة لحقتني، واعتصمت بأمرها معين الدولة ابي الحسين عمران بن شاهين السلمي (٩٣) .. فألفت هناك جماعة من معارفي بالبصرة وواسط، خائفين على نفوسهم، قد هربوا من ابن بقية (٩٤)، الذي كان في ذلك الوقت وزيراً، ولجأوا الى البطيحة، فكنا نجتمع في المسجد،... فنتشاكى أحوالنا ونتمنى الفرج مما نحن فيه من الخوف والشدة..." ويتابع قوله: "... فما مضى...، الا أربعة اشهر، حتى فرج الله تعالى عني، وعن كثير... وردنا الى عوائدنا عنده، فله الحمد والشكر... " (٩٥).

وفي سنة (٣٧١هـ / ٩٨١م) مرالقاضي بمحنة اخرى غضب عليه فيها عضد الدولة البويه (٩٦)، قال عنها ابن الوردي: " قبض عضد الدولة على القاضي المحسن بن علي التتوخي الحنفي وكان يطلق لسانه في الشافعي... " (٩٧)، وذكرها التتوخي في كتابه عندما ارسل له ابي الفرج البغاء (٩٨) رقعة يتوجع له في محنته، فقال: " لحقتني محنة غليظة من السلطان فأرسل لي... الكاتب الشاعر... نسختها... " (٩٩).

تولييه لمنصب القضاء

تولى القاضي المحسن التتوخي القضاء بعدة نواح، فقد ذكر في كتابه حديثاً عن احد القضاة قال عنه: "كان يخلفني على العيار (١٠٠) في دار الضرب (١٠١) بسوق الاهواز في سنة ستة واربعين وثلاثمائة، وكان خازن المسجد الجامع بها... " (١٠٢) مما يفهم من كلامه ان توليته كانت وعمره عشرون عاماً، حيث قضى المدة بين (سنة ٣٣٣- ٣٤٦ / ٩٤٤-٩٥٧م) هـ في العلم والدرس، ولعل مذهبنا اليه هو ما يؤكد بقوله: انه لما

كان بالاهواز شهد عند قاضيها احمد^(١٠٣) بن سيّار (ت ٣٦٨هـ / ٩٧٨م)، ولما علم الوزير المهلبى به، قال له: " بلغني انك قد شهدت عند بن سيّار، قلت :نعم.قال ومن بن سيّار حتى تشهد عنده، وانت... ابن ابي القاسم التنوخي استاذ ابن سيّار؟ قلت:الا انّ في الشهادة عنده، مع الحداثة، جمالاً، وكانت سنّي يومئذ عشرين سنة. قال : وجب ان تجيء الى الحضرة، لأتقدم الى ابي السائب^(١٠٤)، قاضي القضاة، بتقليدك عملاً، تقبل انت فيه شهوداً، قلت مافات ذاك اذا انعم سيدنا الوزير به، وسبيلي اليه الان مع قبول الشهادة اقرب. فضحك وقال لمن كان بين يديه: انظروا الى ذكائه، كيف اغتمها فرصة، ثم قال لي :اخرج معي الى بغداد... فدعوت له، وسار من السوس الى بغداد، ووردت الى بغداد ٣٤٩هـ، فتقدم الى ابي السائب في امري بما دعاه، الى ان قلدني عملاً... " ^(١٠٥).

ويتفق ابن خلكان مع صاحب المنتظم في ان التنوخي : " اول ماتقلد القضاء من قبل ابي السائب عتبة بن عبيد الله بالقصر وبسور^(١٠٦) في سنة تسع واربعين... " ^(١٠٧)، ولعل خير دليل على مكانته وسمعته وعدله بعد توليه القضاء من قبل قاضي القضاة السائب ما ذكره ابن الجوزي عنه قائلاً : " اخبرنا التنوخي عن ابيه قال سمعته... يقول كان ببلدنا همدان رجل مستور فأحب القاضي قبول قوله فسأل عنه فزكي له سرّاً وجهرّاً فراسله في حضور المجلس ليقبل قوله وأمر بأخذ خطه في كتب ليحضر فيقيم الشهادة فيها فجلس القاضي وحضر الرجل مع الشهود فلما اراد اقامة الشهادة لم يقبله القاضي فسنل... عن سبب ذلك فقال انكشف لي انه مراء فلم يسعني قبول قوله فقيل له وكيف، قال كان يدخل الي في كل يوم فأعد خطواته من حيث تقع عيني عليه من داري الى مجلسي فلما دعوته اليوم للشهادة جاء فعددت خطاه من ذلك المكان فاذا هي زادت خطوتين او ثلاث فعلمت انه متصنع فلم اقبله " ^(١٠٨).

ويذكر هو عن نفسه انه صرف عن تقليده الاول هذا للقضاء فقال : " ثم صرفت عن تلك الولاية في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، لما وليّ الوزارة محمد بن العباس، فقصدني، وصرفني، وقبض ضيعتي، وأشخصني الى بغداد... " ^(١٠٩).

وقال ياقوت انه : "... حكى عن نفسه انه في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة كان متولي القضاء بواسط... " (١١٠)، وقال في موضع آخر من كتابه: "حضرت انا مجلس ابي العباس ابن ابي الشوارب (١١١) قاضي القضاة آنذاك، وكنت حينئذ اكتب له على الحكم والوقوف بمدينة السلام مضافاً الى ماكنت أخلفه عليه بتكريت (١١٢)، ودقوقاء (١١٣)، وخانيجار (١١٤) وقصراين هبيرة (١١٥)، وذكر في موضع آخر من كتابه انه كان يتقلد القضاء بعسكرمكرم (١١٦) في ايام المطيع لله (١١٧) وعزالدولة بن بويه (١١٨)، وذكر بعد ذلك انه كان على القضاء " (١١٩)، بجزيرة ابن عمر (١٢٠)، فيذكر انه اخذ الحديث عن الثمدي (١٢١)، ويذكره في موضع اخر من كتابه بقوله : " حدَّثنا بالموصل، في مجلس عضد الدولة، وهو يسمع... الانصاري المعروف بالثمدي، وهو يخلفني يومئذ في جملة من اعمالي على القضاء بجزيرة ابن عمر، وسنُّه اكثر من تسعين سنة، وكان عضد الدولة استدعاه منها لعلو اسناده، وعمل له مجلساً بحضرته، حدَّث فيه، واحضرني وجماعة مخصوصين من أهل العلم، حتى سَمِع منه، وسمعنا معه،..." (١٢٢). ومانستشفه انه كان مقرباً من مجلس عضد الدولة البويهى، ويبدو للظاهر للعيان ان ذلك التقريب من السلطان البويهى، لعلمه ولاشتغاله بالحديث ومنصبه في القضاء، بيد انه يرجع الى ان القاضي هومن سعى بالزواج بين ابنة السلطان والخليفة العباسي على ما ذكره الذهبي: "... تزوج الطائع لله بينت عضد الدولة، والذي خطب القاضي ابو علي المحسن بن علي التنوخي..." (١٢٣).

وفاته

اجمع المؤرخون ممن ترجموا له ان وفاته كانت في سنة (٣٨٤هـ/ ٩٩٤ م)، بعد آخر محنة امتحن بها القاضي، حين منعه عضد الدولة من مغادرة منزله وكانت سبباً في غضبه عليه انتهت بموت عضد الدولة، ويُقَصِّل تلك المحنة وسببها مسكويه فيذكر: انه لما ورد " عضد الدولة الى بغداد فحكى له ان الطائع متجافي عن ابنته... فتقل عليه ذلك فقال للتنوخي تذهب الى دار الخليفة وتقول له عن والدة الصبي انها... لاقبال مولانا عليها. فعاد التنوخي الى داره ليلبس اهبه دار الخلافة فأتفق ان التنوخي زلق عند عوده الى داره... فأنفذ الى عضد الدولة فعرفه عذره فلم يقبله وانفذ

اليه من يستعلم ماجرى فرأى غلمانه... وعاد اليه فقال: انه يتعلل وليس بعليل وشاهدته على صورة كذا والناس يغشونه ويعودونه. فأغتاظ غيضاً مجدداً حرك مافي نفسه فراسله بأن: الزم منزلك ولا تخرج عنه ولا تأذن لأحد في الدخول اليك الا نفر... واستمر السخط عليه الى حين وفاة عضد الدولة^(١٢٤). لعل ذلك المنع كان سلاح ذو حدين للقاضي من جهة اتجه نحو تأليف كتابه الذي نحن بصدده وهو كتاب الفرج بعد الشدة، ومن جهة اخرى كانت حالة قهر وكتب للقاضي ان يمنع عن الخروج، ويلزم بيته ليكون سجنه لتبدو كأنها بداية النهاية لحياته.

آثاره ومصنفاته العلمية

ترك التنوخي العديد من المؤلفات التي جَهِدَ في جمعها وعم النفع بها، فكان كتاب الفرج بعد الشدة موضوع بحثنا، وهو كتاب كبير مكون من عدة اجزاء فصلنا الحديث عنه، وله ديوان شعر قيل عنه انه اكبر من ديوان ابيه.^(١٢٥) اما كتاب نشوار المحاضرة،^(١٢٦) واخبار المذاكرة ابرزها، وهو كتاب ضخيم تكون من عدد غير قليل من المجلدات اراد به المؤلف الفوائد وعدم التكرار وان يكون لم يسبقه احد الى مثل تأليفه، فقال: "كنت اتجنب بجهدي ان اثبت فيها شيئاً قد كتب قبلي، وتتبه على الفائدة في اثباته سواي، الا الشعر فإنه غير داخل في هذا الامر، الا اني في الاول ربما كتبت شيئاً اعلم انه موجود في الدفاتر عقيب شيء يوجب ويدعو اليه، ولأجل فائدة تحببه وتحض عليه..."^(١٢٧) وذكر ان سبب تأليفه للكتاب، انه اجتمع قديماً مع مشايخ عرفوا اخبار الدول، وشاهدوا العجائب والغرائب، وكانوا يوردون كل فن من تلك الفنون، فيحفظون ذلك، فلما تباعدت السنين، ومات اكثر اولئك الشيوخ، خشي ان يضيع "فاوردت ماكتبته مما كان في حفظي سالفاً، مختلطاً بما سمعته آنفاً، من اخبار ان أجعله ابواباً مبوبة، ولا أصنفه انواعاً مرتبة، لان فيها اخباراً تصلح ان يذاكر بكل واحد منها عدة معاني واكثرها ما لو شغلت نفسي فيه،...، وكان اذا وقف قارئه على خبر من اول كل باب عَلمَ ان مثله باقيه... فقلّ لقراءة جميعه ارتياحاً ونشاطاً، وضاق فيه توسعه وانبساطه..."^(١٢٨)، وذكر انه استغرق مدة كبيرة في تأليفه قاربت العشرون عاماً، فقال: مشيراً الى ان بداية هذه الفكرة التي حثته على تأليفه كانت عندما

حضر بمجالس " مدينة السلام، سنة ستين وثلاثمائة، بعد غيبتى عنها سنين، فوجدتها... عامرة، وبمذاكراته أهلة ناضرة، ولقيت بقايا من نظراء أولئك الاشياخ، وجرت المذاكرة... " (١٢٩)، اما كتاب المستجاد من فعلات الاجواد، فهوكتاب صغير ابتدأه بالبسملة ثم بحكايات عن الائمة الاطهار وخلفاء بني امية والذي انتهى بنكت مختلفة، (١٣٠)لعلنا بذلك وقفنا على اهم مؤلفات التنوخي التي ذكرها المؤرخون.

المبحث الثاني

كتاب الفرج بعد الشدة

أولاً- التعريف بالكتاب وأهميته

تكون الكتاب موضوع البحث من خمسة اجزاء، ^(١٣١) احتوى كل جزء من الكتاب على مايقارب الاربعمائة صفحة، تضمن الجزء الاول منه كلمة المحقق، ثم كلمة المؤرخ، ثم ابواب الكتاب الاربعة عشر باباً، تقسمت على اجزاء الكتاب الخمسة، وتفاوت عدد الابواب في كل جزء منها، فالجزء الاول احتوى على الابواب الاربعة الاولى، ابتدأها المؤلف بآيات من القرآن الكريم ثم سورة الانشراح، ^(١٣٢) ثم عرض في الباب الاول قصص الانبياء مبتدأً من قصة آدم (ع)، ^(١٣٣) ومنتهياً بقصة النبي دانيال (ع)، ^(١٣٤) ثم يليها الحديث عن الشدائد التي جرت على نبينا محمد (ص)، ^(١٣٥) وينتهي هذا الباب بسورة الفيل، ^(١٣٦)، ويبدأ الباب الثاني ويتضمن ماجاء في الآثار من ذكر الفرج، وينتهي هذا الباب بما حدث بين الخليفة المنصور العباسي ^(١٣٧) (١٣٦-١٥٨ هـ / ٧٥٣-٧٧٤ م) والامام الصادق (ع) ^(١٣٨) (١٤٨ هـ / ٧٦٥ م)، ليبدأ الباب الثالث بالحديث عن بُشْرَ بفرجٍ من نطق فال، ونجا من محنة بقول دعاء او ابتهاال، وينتهي هذا الباب بدعاء للشفاء من العلل، ^(١٣٩)، وتضمن الباب الرابع والآخر في هذا الجزء على احاديث عن العصر العباسي، تتخللها قصص عن ملوك الفرس، وينتهي هذا الباب بحديث عن الخليفة المأمون ^(١٤٠) (١٩٨-٢١٨ هـ / ٨١٣-٨٢٣ م) ورضاه عن اسحق ^(١٤١) بن ابراهيم الموصللي، وبذلك ينتهي الجزء الاول من الكتاب. ^(١٤٢)

خصص الجزء الثاني للابواب الخامس ومايليها الى منتصف الباب السابع، الذي يكتمل في الجزء الثالث، تضمن الباب الخامس الحديث عن الرسول (ص)، وكيف اصدر عفوه عن قبيلة هوازن ^(١٤٣)، وأطلق اسراهم، ورد عليهم ماغنم منهم، ^(١٤٤) الى ان ينتهي هذا الباب بالحديث عن أمير ايام معاوية ^(١٤٥) (٤١-٦٠ هـ / ٦٦١-٦٧٩ م)، واطلاقه ايام الخليفة عبد الملك ^(١٤٦) (٦٥-٨٦ هـ / ٦٦٤-٧٠٥ م)، وينتهي هذا الباب، ^(١٤٧) ليبدأ السادس بالحديث عما عرض للخليفة العباسي المعتضد ^(١٤٨) (٢٧٩-

٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠١م) في ايامه للعلويين،^(١٤٩) وينتهي هذا الباب بالحديث عن درس في الايثار،^(١٥٠) وتضمن الباب السابع والاخير في هذا الجزء الحديث عن محمد بن زيد العلوي^(١٥١) المتوفى (٣٢٩هـ / ٩٤٠م)، وكيف ضرب مثلاً عالياً في النبُل،^(١٥٢) ليكتمل هذا الجزء بالحديث عن اخبار الخليفة الوليد^(١٥٣) بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٤م)، وكيف يستقبل خبر موت الخليفة هشام^(١٥٤) بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٣-٧٤٢م) في البريد.^(١٥٥)

تضمن الجزء الثالث من الكتاب، اكماً للباب السابع، ونصف الباب الثامن، الذي يبدأ بالحديث عن احد المغنين،^(١٥٦) وينتهي هذا الباب بالحديث عن الشاعر البحري وكيف يهنئ الفتح بن خاقان^(١٥٧) بنجاته من الغرق،^(١٥٨) ويبدأ الباب الثامن للكتاب بالحديث عن الخليفة الهادي^(١٥٩) (١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦م) وتحتيته الربيع^(١٦٠) عن الوزارة، لينتهي هذا الجزء من الكتاب.^(١٦١)

اما الجزء الرابع فجاء مكماً للباب الثامن، وما يليه من الابواب حتى الباب الاخير من الكتاب، وقد تضمن هذا الجزء عرض رقاع اصحاب الارباع ببغداد،^(١٦٢) لينتهي هذا الجزء بالحديث عن قساوة الحجاج^(١٦٣) وقتله لجميع الاسرى،^(١٦٤) اما الباب التاسع من هذا الجزء فخصص للحديث عن الحيوانات، وينتهي بالحديث عن نجاة الاسد وافتراس مملوكه،^(١٦٥) وجاء الباب العاشر وفيه الحديث عن الامراض ومن اشتد بلاءه بمرض ناله، وينتهي بالحديث عن مريض لسعته عقرب فتعافى،^(١٦٦) وخصص الباب العاشر للحديث عن اللصوص، وقاطعي الطريق من العيارين^(١٦٧) المشهورين ببغداد وظرفهم،^(١٦٨) وينتهي هذا الباب ويليهِ الباب الذي يبدأ بالحديث عن مؤدب الامين^(١٦٩) (١٩٣-١٩٨هـ / ٨٠٨-٨١٣م)، والمأمون^(١٧٠) (١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٢٣م)، وينتهي بالحديث عن الفضل بن الربيع^(١٧١) وما لاقاه ايام استتاره من المأمون،^(١٧٢) ويأتي الباب الثالث عشر وفيه الحديث عن كرم الخلفاء العباسيين،^(١٧٣) وينتهي بالحديث عن الشاعر جميل بثينة^(١٧٤) وبذلك ينتهي الجزء الرابع.^(١٧٥)

ويأتي الجزء الخامس والاخير من الكتاب، وقد خصص للباب الرابع عشر من ابواب الكتاب، وفيه تحدث المؤرخ عن الاشعار، والامثال، والاخبار،^(١٧٦) وضمنها

اشعار وأقوال لشعراء معروفين، وأمراء، وخلفاء، كأبي العتاهية^(١٧٨)، وابوتام، والبحتري، وكشاجم^(١٧٩)، وغيرهم من الشعراء المعروفين. ^(١٨٠)

اما خاتمة الكتاب، فيبتدأها المؤلف بقوله: " هذا آخر كتاب الفرج بعد الشدة... "^(١٨١) ثم الفهارس العامة للكتاب، ^(١٨٢) وهذه اشتملت على فهرس لاسماء الاشخاص^(١٨٣) وفهرسين آخرين احدهما جغرافي ^(١٨٤) وآخر تاريخي، ^(١٨٥) فضلاً عن فهرس لاسماء الكتب والمراجع. ^(١٨٦) وبذلك يكون قد انتهى عرضنا لموضوعات الكتاب. اما اهمية الكتاب فتأتي من صدق احداثه وسيرة مؤلفه، فقد عرف عنه انه كان صدوقاً كونه من الشهود المقربين من القضاة اول حياته، ومن ثم اشتغاله بالقضاء، ومن اهم شروطه الصدق، والعدل والامانة، كيف لا وقد توارثت عائلته تلك الصفات وعرفوا بها، فضلاً عن قربيه من اهم محدثي عصره والاخذ من علمهم وثناءهم عليه واعترافهم بسعة علمه وسمو اخلاقه.

ومن الجدير بالذكر ان كتاب التنوخي تميز بأنه شمل موضوعات عديدة كقصص الانبياء، وحوادث عن عصر الرسالة، والعهدين الاموي والعباسي وتضمن مادة غنية في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي والديني كون المؤرخ شاهد عيان عاصر الكثير من الاحداث بحكم قربيه من الوزراء والسلاطين، ولعل مامكنه من ذلك القرب مكانة والده الدينية، وذكائه وعلمه وحسن اخلاقه، وبذلك يمكننا القول عنه انه موسوعة تاريخية بأسلوب فني.

ثانياً - منهجه وموارده في الكتاب

١- منهجه

ابتدأ التنوخي كتابه بالكثير من الايات القرآنية وفوائد تلك الايات، وادعية لفك الكرب، كما نلاحظ على اسلوبه رغم انه يتحدث عن عسر وشدة، الا انه تخلل كتاباته بعض اللطائف وتطرق الى حياة العديد من الخلفاء والامراء والسلاطين والعلماء والقضاة والشعراء والاعيان المعروفين آنذاك على الرغم من ان كتابه يعد من الكتب

الادبية ولا يعد ضمن كتب التراجم، لعل ذلك ماجعل المؤرخ بدر الدين العباسي (ت ٩٦٣هـ / ١٥٦٤م) ان يضعه في كتابه ضمن المؤرخين الذين كتبوا في شواهد علم البيان. (١٨٧)
تخللت كتاباته لقصص الفرج والشدة الكثير من الابيات والاشعار والانشيد، لعل ذلك يقودنا الى انه اخذ الكثير عن شيوخ الادب الذين صحبهم وتأثرت كتاباته بهم، وبالمصادر التي اطلع عليها في الموضوع، رغم كونه عمل في الوظائف الدينية، اكثر من التدريس او الوظائف الادارية التي تسقل موهبة العاملين بها.

اتجه المؤلف في كتابه هذا نحو اتجاه قد يكون مختلفاً عن غيره من المؤرخين، فقد اتبع اسلوباً ارج من خلاله للاحداث لكن عن طريق ابتدائه بقصة عن الفرج، ثم يتابع فيه التسلسل للاحداث، فلو تتبعنا كتابه من البداية لسوف نجد انه ابتداء بالانبياء وقصصهم، ولكن على شكل شدة يمرون بها، اومحنة يمتحنون بها ويبتدأ بابي الانبياء آدم، وينتهي بخاتم النبيين محمد (ص)، ثم يتحدث عن الامويين زمن معاوية والحجاج وعبد الملك وهشام، ثم قد يترجم لبعض من الشخصيات حسب ما يراه مناسباً، ثم يتحدث عن بعض احداث العباسيين وكرم خلفاءهم وصولاً الى الفترة التي قضاها المؤرخ في زمنهم، ومعاصرته لبني بويه، وخلفائهم، وبذلك يكون قد راعى التسلسل الزمني للاحداث، بيد انه لم يستعمل السنين، او لم يؤرخ على الحوليات، واستعمل الاسلوب الوصفي الانشائي.

ولعلنا بذلك نستفهم منهجه ونستدل على مقاصده في تاليف كتابه مما ذكره التتوخي في مقدمة كتابه: " ووجدتني متى اعطيت كتابي هذا حقه من الاستقصاء، وبلغت به حدّه من الاستيفاء،... لطول ماضى من الزمان... على التقلب بين شدّة ورخاء،... وفرج وكرب،... واخبار ذلك كثيرة المقدار،...، فاقصرت على كتب احسن مارويت من الاخبار، وأصح ما بلغني... من الآثار، وألمح ما وجدت في فنونها من الاشعار. وجعلت قصدي الايجاز والاختصار، واسقاط الحشو وترك الاكثار... " (١٨٨)، ومن منهجه ايضاً استعماله للسند عند ذكره رواياته، فضلاعن اكثاره من الرواية، الاستدلال بروايات آل البيت عليهم السلام، ربما يكون السبب في ذلك كثرة مامر بهم من محن. (١٨٩)

٢ - مواردہ

استقى القاضي التنوخي مادة كتابه من عدة موارد كان ابرزها :

أ- المشاهدة

كانت مشاهداته للاحداث اولى واهم مصادره التي اعتمد عليها، وتضمنت تلك المشاهدات ماشاهده هو بنفسه، فلم يكن يقول نقلت او حدثني فلان، بل كان يكتب شاهده، او كنت حاضراً، فعندما تحدث عن مظلمة حدثت له قال: " شاهدهت... ابا الفرج محمد بن فسانجن، لماولي الوزارة، اظهر من الشرعلى الناس، والظلم لهم، بخلاف ماكان يقدرفيه، وكنت احد من ظلمه، فأنه اخذ ضيعتي بالاهواز،...، وأخرجها من يدي... " (١٩٠)، لعل ذلك يبين احدى مشاهداته والظلم الذي كان يقع على العامة من قبل اعيان الدولة من الوزراء والخلفاء والذين يتعرضون للمصادرات التي كانت سائدة آنذاك، والتي لم يكن يسلم منها احد وتعرض لها الخلفاء انفسهم احياناً.

ب- المشافهة

كانت لقاءاته مع الشيوخ اثناء رحلاته لطلب العلم بين بغداد والبصرة ومحادثاته معهم من الموارد التي أخذ عنها معلومات كتابه، فكان يستخدم اخبرني، وكلمني، وحدثني، كقوله: " حدثني عبدالله بن احمد بن داسة، المقرئ البصري، قال: سمعت ان... " (١٩١)، وقوله: " حدثنا ابو العباس محمد بن احمد المعروف بالاثرم، المقرئ الخياط البغدادى بالبصرة، قال: ... " (١٩٢)، فضلاً عما اخذه عن والده القاضي بقوله: " أخبرني القاضي ابو القاسم علي...، ابي رحمه الله تعالى، قال: ... " (١٩٣)، وقوله: " حدثني فتى من الكتاب البغدايين... كان ابوه من كتاب... يتصرف مع... احد الامراء في عسكر معز الدولة، قال: ... " (١٩٤)، لعل ذلك يبين محادثاته التي دونها وجهاً لوجه وماأخذه عن الشيوخ.

ج - النقل

لعل من ابرز مواردہ التي اعتمد عليها التنوخي هو النقل عن كتابات المؤرخين، وخاصة ممن كتبوا عن الشدة والفرج، فذكر التنوخي في مقدمة كتابه انه اطلع على ثلاثة

كتب تختص في الموضوع، اولها: كتاب صنفه ابوالحسن علي بن محمد المدائني^(١٩٥) (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، سماه "كتاب الفرج بعد الشدة والضيقة"، ثانيهما: كتاب الفه ابي بكر عبدالله المعروف بأبن ابي الدنّيا^(١٩٦) (ت ٢٨١هـ / ٨٩٧م)، سماه "كتاب الفرج بعد الشدة"^(١٩٧)، وثالثها: كتاب الفه القاضي ابو الحسين عمر بن محمد بن يوسف الازدي^(١٩٨) (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، كقوله: "ذكر القاضي ابو الحسين، في كتابه كتاب الفرج بعد الشدة البيتين المتصلين فقط...، وقال في الاخر منهما: اذا اعضلك الامر،..."^(١٩٩)، وبذلك يكون قد اعتمد على هذه الكتب، وانها كانت سبباً لتأليفه لهذا الكتاب، وانه زاد عليها غيرانه ذكر ان ما كان ينقله عنها ماهو الا للأمانة العلمية التي يجب ان يتصف بها المؤرخون وهو مايستدل من قوله: "فكان هذا من اسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على اكثر مما جمعه القوم واشرح وأكشف واوضح، وان اخالف مذهبهم، في التصنيف، واعدل عن طريقته في الجمع والتأليف، فأنتهم نسقوا ما أودعوه كتبهم جملة واحدة، وربما صادفت ملأ من سامعيها، او وافقت سامة من الناضرين فيها، فرأيت ان انواع الاخبار واجعلها ابواباً ليزداد من يقف على الكتب الاربعة، بكتابي من بينها اعجاباً، واضع مافي الكتب الثلاثة في مواضعه من ابواب هذا الكتاب، الا ما اعتقد انه لا يجب ان يدخل فيه، وان تركه وتعيده، اصوب واولى، والتشاغل بذكر غيره، مما هو داخل في المعنى، ولم يذكره القوم، اليق وأحرى، وان اعزوا ما أخرجه من الكتب الثلاثة الى مؤلفيها، تأدية للأمانة، واشتياقاً في الرواية، وتبييناً لما اتى به من الزيادة، وتنبهت على موضع الافادة"^(٢٠٠)، فضلاً عن تلك الموارد التي اعتمد عليها التتوخي من الكتب، اخذ عن مصادر اخرى ذكرها بقوله: "وما اعجب هذا الخبر، فاني قد وجدته في عدة كتب، باسانيد، وبغير اسانيد، على اختلاف الألفاظ...وانا اذكر اصحها عندي: وجدت في كتاب محمد بن جرير^(٢٠١)...، الذي سماه ((كتاب الآداب الحميدة والاخلاق النفيسة)) حدثني..."^(٢٠٢)، لعل ذلك يبين ان الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) كان احد مصادره التي نقل عنها، كما كان في اكثر مواضع النقل عن مؤلفات المؤرخين يصرح عن اسمائهم كقوله: "وجدت بخط القاضي ابي جعفر احمد بن البهلول^(٢٠٣) الانباري..."^(٢٠٤)، وقوله: "وجدت في بعض الكتب عن

ابن خردادبة^(٢٠٥)، قال...^(٢٠٦)، كما نقل الكثير عن مؤلفات شيوخه ككتاب الاوراق للصولي (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م)^(٢٠٧) وغيره، فضلاً عن الكتب والمصادر التي صرح التنوخي بالنقل عنها وعن اسماء مؤلفيها هناك مصادر استعملها التنوخي ونقل واكتفى بذكر اسماء اصحابها او اسماء الكتب فقط، لعلها كانت من الشهرة آنذاك بحيث لم يركز عليها، كما ان هناك مصادر لم يصرح عن بعضها و نقل عنها كقوله: " وجدت في بعض الكتب :ان... "، والتي استعملها اكثر من موضع من كتابه. ^(٢٠٨) وصفوة القول ان جلّ اخباره في كتابه اعتمد بها على النقل من مصادر عديدة منها من ذكر اسماءها واسماء ومؤلفيها صراحة، ومنها من لم يذكرهم واكتفى بالاشارة الى تلك الكتب ومؤلفيها.

د - المكاتبات

اعتمد مؤرخنا المحسن التنوخي على بعض المكاتبات التي كانت ترسل اليه، والى والده من الشيوخ، والتي قام بنقلها، والاعتماد عليها كمصدر من مصادره، فقال في احدى قصصه: " اخبرني ابي، قال: كتب الي...، حدثنا... قال:.... " ^(٢٠٩). لعلنا بذلك اوجزنا مصادره التي استقى منها مواضيع كتابه.

المبحث الثالث

الملاح الاجتماعية في كتابه

بما ان عنوان الكتاب هو الفرج بعد الشدة، وان القاضي التنوخي الفه بعد محنه، واثناء محنته، فان اغلب المحن التي مرّ ذكرها في الكتاب ماهي الا صور عن الحياة الاجتماعية وثقها لنا في كتابه هذا كان يهدف من ذكرها تأكيد ان الصبر هو مفتاح الفرج، وانه لا بد ان نجد ان ملاح المجتمع الاسلامي كانت واضحة عند قراءة محتويات الكتاب اذ نجد فيه، ومن خلاله وصفاً لبيوت الخلفاء والامراء والولاة والعامّة، فضلاً عن الاشارة للملابس، وطبيعة الاحتفالات بالمناسبات الدينية والاجتماعية في العصر العباسي، كما كان للسجون ذكراً مميزاً في الكتاب، اذ كان ذكرها معبراً عن المظالم التي كان يتعرض لها الخاصة والعامّة في ذلك المجتمع، فضلاً عن اشارته للطبقات الاجتماعية في العصر العباسي من خلال عرضه صوراً عن ذلك المجتمع، وذلك ماسنشير اليه بشي من الايجاز في هذا المبحث.

البيوت

تعد البيوت التي يسكنها الناس من اهم الحاجات الواجب توفرها لمعيشة الناس، وحالة تلك البيوت تعكس الحالة الاجتماعية لمالكها وساكنيها والتي قد تعكس فقرهم او مدى رقي طبقتهم او غناهم، تحدث ابو علي التنوخي عن اهم الدور في العصر العباسي وهي دار مؤنس^(٢١٠) فقد وصف موقعها وسعتها وعدد الحجرات فيها " التي تشتمل على كتابه وعَماله وحرسه وغلّمانه مع دوابهم وما يقتضي لايوائهم واطعامهم، واصبحت هذه الدار بعد مقتل مؤنس، مقراً للحكام المتسلطين، فنزلها ابن رائق^(٢١١) لما اصبح اميراً للامراء...، ونزلها من بعده بجكم^(٢١٢)...، ونزلها من بعدهما... البريدي^(٢١٣) لما استولى على بغداد... في عهد المتقي^(٢١٤)، كما نزلها توزون^(٢١٥) لما نُصب اميراً للامراء...، واقام بها من بعده سيف الدولة الحمداني...، واقام بها معز الدولة البويهري لما استولى على بغداد...، ولما تركها...، اصبحت مقراً للامراء من اولاده... " ^(٢١٦) لعله بذلك يبين اهمية تلك الدار فلاغروان نراه يُفَصّل موقعها على نهر دجلة

وامتدادها على الشاطئ ومجاورتها لدار الخلافة، وتحدث المحسن التتوخي في مكان آخر عن الدور التي شاهدها في بغداد وقال: ان بها دهليز، وهو ممر وهو الذي يصل باب الدار بوسطها، "ويسمى الان ببغداد: المجاز،...، لانه موضع الجواز الى داخل الدار... ينبغي للانسان ان يتأق في دهليزه لانه وجه الدار، ومنزل الضيف، وموقف الصديق حتى يؤذن له، وموضع المعلم،... ومنتهى حد المستأذن"، ويصف التتوخي تلك الدهاليز لبيوت الاعيان من الوزراء، والقادة، والامراء، فيقول انها: "تشمّل على حجر عدة، برسم الخدم و... والحراس...، وفيها مواضع للجلوس والطعام..." (٢١٧)، وغير ذلك، وذكرها في موضع آخر من كتابه فقال: "فلما جاء الى الباب، جلس الى ان فتح، فسابقني في الدخول،... وقالوا له... ما خبرك يا فلان؟ وصفعوه، ومازحوه، ومازحهم، و... جلس في الدهليز..." (٢١٨)، كما تكثر في مثل دور بغداد منذ القدم الروزنة (٢١٩)، فقد ذكر التتوخي مثل ذلك عندما تحدث عن خبر الخليفة المعتضد قال: "فاذا كان المغرب جاءني خادم من خدم دار... مندوب لهذا فأرمني اليه من روزنة لي، رقعة فيها خبر ذلك اليوم، ولأفتح له..." (٢٢٠) لعل ذلك يصور جوانب عديدة من بيوتات الاعيان التي تختلف عن بيوت العامة التي غالباً ماتكون بيوت بسيطة للطبقة الفقيرة، والتي لاتزيد على غرفة واحدة (٢٢١)، او قد لاتتجاوز الطابقين (٢٢٢).

يصف القاضي دارعبيد الله بن زياد "... البيضاء بالبصرة، بعد...، صوّر على بابها...، وصوّر في دهليزها اسداً، وكبشاً، وكلباً، وقال:" (٢٢٣). لعل ذلك يبين اهمية تلك الاروقة المسماة بالدهاليز.

وينقل ابو علي حديث الوزير جعفر (٢٢٤) بن شيرزاد عن بيته قوله: "كان لداري اربعة عشر باباً، الى اربعة عشر سكة، وشارعاً، وزقاقاً نافذاً، ومنها عدة ابواب لا يعرف جيرانها انها تقضي الى داري، واكثرها عليه الابواب الحديد" (٢٢٥) لعل ذلك يبين اهتمام الاعيان والاعنياء ورجال الدولة بطريقة بناء بيوتهم وكثرة غرفها واتساع وباحاتها وكثرة ابوابها ونوافذها ووجود الدهليز المفضي من باب الدار الى ساحة الوسطية وعدد حجراته ووجود الروزنة التي توضع عليها بعض التحف او الكتب او تكون اسفل شرفة او نافذة كبيرة مطلة الى احد الازقة او الدروب. ومن الجدير بالذكر ان التتوخي اشار

الى طريقة بناء تلك البيوت اما تكون متلاصقاً احدها للآخر او تبعد بمسافات حسب تخطيط تلك الدروب والازقة. (٢٢٦)

الملابس

تنوعت الملابس بين عصر وآخر كما اختلفت بين مدينة واخرى تبعاً للاشخاص الذين يلبسونها، فملابس الخلفاء تختلف عن ملابس القضاة عن ملابس غيرهم من العامة، كما تنوعت مسميات تلك الملابس، وان تشابهت في اشكالها فمنها مايغطي الرأس كالعمائم والقلائس (٢٢٧) والتي اختلفت تلك القلائس في اشكالها والوانها وحجم اكمامها فيذكر المسعودي: ان الخليفة العباسي المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م) "...احدث لبس الاكمام الواسعة، ولم يكن يُعهد ذلك، فجعل عرضها ثلاثة اشبار او نحو ذلك..." (٢٢٨)، وصغر القلائس وكانت قبله طوالاً. (٢٢٩)، منها مايغطي اجزاء من البدن واخرى للبدن كله، كما اختلفت ملابس النساء عن ملابس الرجال، ولكل ملبس وقته الخاص به، ويبدو ان تلك الملابس تميز صاحبها، فيذكر القاضي التنوخي في احدى قصصه ان احدهم سؤل عما كان يلبسه لمعرفة شخصه بقوله: "...هل هو من اهل الدرايع (٢٣٠) ام من اهل الاقبية (٢٣١)..." (٢٣٢)، فقد كان القضاة والعلماء والخطباء يرتدون الاقبية، (٢٣٣) بينما الوزراء يلبسون الدرايع، في الوقت الذي يرتدي العمال والجند ازياء خاصة بهم، (٢٣٤) فضلاً عن الأزر (٢٣٥) التي كان يرتديها العامة والخاصة، (٢٣٦) فيذكر التنوخي ان هناك شريحة اجتماعية معينة عرفت بالعيارين او الشطار تميزت عن بقية الناس في لباسهم، اذ كانوا يئنثرون بالمنزر في اوساطهم، ويتشحون بالازار. (٢٣٧) اما الجبة فهي لباس يكون اما من القطن او من الصوف وهذه يلبسها السجناء في السجون. (٢٣٨)

اما ملابس النساء شأنها شأن ملابس الرجال، فقد اختلفت في اشكالها بسبب كثرة النقوش، كما اختلفت من حيث ادواقهن واوضاعهن النفسية والمالية، (٢٣٩) منها ما اختلفت بتغطية الرأس، والتي تنوعت بين العصائب (٢٤٠) البراقع (٢٤١) والمقانع (٢٤٢)، والتي اهتمت اكثر نساء الخلفاء والاعيان بتزيينها بالجواهر وتكليلها بالذهب، (٢٤٣) ومنها من اختلفت بستر اجزاء البدن كالقمص والسرويل، ومنها من تميزت بستر البدن

كله كالجلايب (٢٤٤)، فضلاً عن الخمار، الذي لم يقتصر استعماله كلباس للرأس فقط وإنما لتغطية البدن، (٢٤٥) والبسة الاقدام كالجوارب وغيرها من انواع اللباس، وحتما ان هذه الملابس منها ما هو رخيص الثمن ومنها ما هو غالي الثمن، و كلها تميزت بالوانها البراقة وخيوطها المذهبة خاصة ملابس الجوارب والمغنيات، لما ادخله الفرس الى بغداد في عصر بني العباس من مظاهر الالبهة والترف، فذكر التتوخي في احدى قصصه ان احدهم افقر ولم يجد مايقوت به فألجأته الحاجة الى بيع مقنعة امه، وينقل التتوخي ماتحدث به ذلك الغني قوله: "كنت ببغداد، فأصابتي حاجة شديدة، وبقيت بلا...، ولا قي منزلي مأبئعه...، وماعندي طعام، ولا ما أشترى به قوت يومي... وأنا جالس على باب داري... اذ اجتاز بي صديق لي فجلس اليّ، فتحدثنا، فعرضت عليه المقام عندي... فأجابني، وقعد... وتمنيت اني خرس، فلم أجد بداً من ادخاله منزلي فأدخلته، وقمتُ الى أمي فعرفتها الخبر فأعطتني مقنعتها، وقالت بعها، وقم بأمرك اليوم، فبعته بثلاثة دراهم، واشتريتُ بها خبزاً، وسمكاً، وبقلاً، وريحاناً، وجئت به..." (٢٤٦)، ويبدو مما تقدم ان تلك الملابس ذات قيمة مالية عالية تساوي ما قد يسد به المرء قوت يومه.

الاحتفالات

تنوعت المناسبات الدينية والاجتماعية في العصر العباسي، و كان لكل من هذه المناسبات طريقة خاصة للاحتفال بها، والتي اختلفت تلك المظاهر عند الخاصة منها عن العامة، وكانت حفلات الزواج عند الناس منذ القدم من اكثر الاحتفالات شيوعاً، حيث تظهر في بعضها مظاهر الترف والبذخ للتباهي، او لادخال البهجة والسرور على المتزوجين، وتتمثل تلك المظاهر بحفلات الخلفاء والسلاطين والامراء والوزراء واعيان الدولة من كبار رجال القصر والحاشية والتجار والاعنياء من العامة وهذه المظاهر قد تكون منهجاً يتخذها العامة تقليداً لتصرفات اولئك الاعيان واسوة بهم، فيذكر المسعودي: ان "المعتز اول خليفة اظهر الركوب بحلية الذهب... فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس في فعل ذلك..." (٢٤٧)، ويصف التتوخي مقدار الالبهة والبذخ الذي حصل في حفلة ختان المعتز فقال: "صرف المتوكل في حفلة ختان ولده

المعتز ست وثمانين الف الف درهم، وَحَصَلَ في ذلك اليوم المَزِين الذي ختن المعتز، نيف وثمانون الف دينار، سوى الصياغات والخواتم والجواهر...^(٢٤٨)، لعل ذلك يقودنا الى بساطة الحياة الاجتماعية عند العامة والمبالغة بها عند الخاصة واهل الدولة والمتنفذين واهل الاموال وكيف كان يببالغ بتكريم المُزين، الذي يقوم بعملية الختان بأعطائه الاموال والذهب والجواهر وغيرها، حسب الحالة الاجتماعية لاسرة الطفل المختون.

السجون

تبين لنا احوال السجون ماكانت عليه احوال العامة والخاصة من الناس وتعرضهم للتعذيب والارهاب والسجن، فقد اختلفت اوضاع السجون من زمان الى آخر وحسب شدة الخليفة او السلطان او الوالي، وينقل التنوخي اوضاع الناس زمن بني أمية في سجون الحجاج انه "كان حبس النساء والرجال في مكان واحد، ولم يكن في حبسه سترولاضل، وربما كان الرجل يستتر بيده من الشمس فيرميه الحرس بالحجارة، وكان اكثرهم مقرئين بالسلاسل...ويطعمون الشعيرالخلوط بالرماد، وكان المسجونون...اذا قاموا قاموا معاً، واذا قعدوا قعدوا معاً..."^(٢٤٩)، ويذكر ايضاً ما نقل اليه عن ابراهيم التيمي^(٢٥٠) لما سجن في سجن الحجاج قال: "لما حبست الحبسة المشهورة، ادخلت السجن، أنزلت على اناس بقيد واحد، ومكان ضيق، لا يجد الرجل الاموضع مجلسه وفيه يأكلون، وفيه يتغوطون، وفيه يصلون..."^(٢٥١)، ومما نقله القاضي التنوخي من حديث والده عن صاحب الجيش الذي اصابته ظلامه زمن الخليفة القاهر^(٢٥٢) (٣٢٠-٣٢١ هـ/ ٩٣٢-٩٣٣ م)، ووصف احوال السجن التي لم تتغير كثيراً عن زمن بني أمية رغم طول الفسحة الزمنية بين العصرين فيقول: "قبض علي... في ايام وزارته للقاهر، وعلى ابي، فحبسنا في حجرة ضيقة، واجلسنا على التراب، وشُدد علينا، وكان يُخرجنا في كل يوم، فيطالب ابي بمال المصادرة، وأضرب انا في حضرة ابي... فلاقينا من ذلك امراً شديداً صعباً..."^(٢٥٣)

يصف قاضينا التنوخي اشكال السجون زمن الخليفة المقتدر نقلا عن احد الكتاب في مجلس الوزير وماتعرض له من اذى وتعذيب زمن وزارة ابن الفرات الثانية

(٣٠٤-٣٠٦ هـ)، التي تكون على شكل حجرات ضيقة اما متلاصقة او متباعدة قائلاً:كنت في دار ضيقة، في حر شديد فكشفت حتى صرت في الشمس، ونحيّ الحسيرمن تحتي، واغلق الابواب...، ثم قيدني بقيد ثقيل...واقفل باب الحجرة وانصرف... وعولت ماعامل به الناس من المصادرة و... وقبض الضياع...وحبسهم، وتقييدهم، والباسهم الجباب الصوف،... واقامتهم في الشموس...» (٢٥٤)

ومن النص يُفهم الاوضاع السيئة للسجون آنذاك، كما يفهم اوضاع العامة والخاصة من تعرضهم للسجن والمصادرات التي لم يسلم منها احد زمن بني بويه.

المصادر

تعد المصادر احدى الملامح السياسية لذلك العصر، بيد اننا ذكرناها هنا كي نبين اثارها الاجتماعية على الناس، فقد كان لحياة الترف التي نعم بها الخلفاء تأثير سئ على الدولة، اذ عمد بعض الخلفاء الى مصادرة اموال كبار رجال دولتهم، كالحجاب والعمال والقواد، رغبةً في ابتزاز اموالهم، فالخليفة المتوكل (٢٣٣-٢٤٧هـ / ٨٤٦-٨٦١م)، عمد الى تلك المصادرات لحاجته الى الاموال لبناء قصوره ولحياته الخاصة المترفة، فصادر اموال شخصيات كبيرة في الدولة، (٢٥٥) واكثر من ابتزاز اموال موظفيهم حتى اصبحت المصادرات سنة سيئة، لمن خلفه ومصدر يُعول عليه في اوقات الحاجة، ووصلت تلك المصادرات الى وزرائه من آل الفرات (٢٥٦)، وآل خاقان وغيرهم، كما عمد امراء بني بويه الى تلك المصادرات، (٢٥٧) التي شاعت ذلك العهد، والتي لم يسلم منها وزرائهم ايضاً الذين ضعف شأنهم وسُحبت ضياعهم، وفُرض لهم رزق ثابت، واصبح منصب الوزارة أشبه بمنصب وراثي، وانحصر في أسر معينة، (٢٥٨) فتلاشت هيبة الخلافة تلك الفترة، وزال الكثير من رسومها، فلما تولى الخليفة المقتدر (٢٥٩) (٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٧-٩٣٢م) كان عمره ثلاثة عشر عاماً، ردّ رسوم الخلافة الى ماكانت عليه واكثر من الخلع والصلوات، بيد انه ترك الامر لامه تعزل وتولي من تشاء، (٢٦٠) غير ناهض باعباء الخلافة، (٢٦١) ولعل ممايدلل على وجود تلك المصادرات زمن الخليفة المقتدر وتحكم والدته بمقاليد الامور مانقله التتوخي القاضي ماحدثه به ابن الجصاص (٢٦٢) عن الذي سمعه الاخير من ابيه وماحدث له مع الخليفة المقتدر بقوله "لما نكبني المقتدر، وأخذ مني تلك الاموال العظيمة، وسجنت، اصبحت يوماً في الحبس، وآيست ماكنت من الفرج، اتاني خادم، فقال: البشري، فقلت: مالخبر، قال قم قدأُطلقت، فقمتم معه، يريد بي بعض الطرق في دار الخلافة، يريد اخراجي الى دار السيدة لتكون هي التي تُطلقني، لانها هي التي شفعت لي..." (٢٦٣)، ويصف المحسن التتوخي في النشوار ماحلّ بها بعد ان قُتل ابنها فيقول: "ان شَغِب (٢٦٤) ام الخليفة المقتدر التي كانت بالأمس تنعمت بما لم يتنعمه احد، وأخذت من اموال الدنيا بما استفاض خبره، فلما قتل المقتدر قَبِض القاهرعليها فعذبها صنوف العذاب حتى قيل

انه علقها...، يطالبها بالاموال، وحتى علقها مُنكسّة...، فقالت له يا هذا :لو كانت معنا اموال ماجرى في امرنا من الخل مايؤدي الى جلوسك حتى تعاقبني بهذه العقوبة...^(٢٦٥)، وينقل التنوخي ماحدث به احد السجناء ومايحدث للناس اثناء المصادرات بقوله : " حبسهم، وتقييدهم والبأسهم الجباب الصوف...واقامتهم في الشمس، وافرادهم في الحبوس"^(٢٦٦).

جملة القول ان الخلافة العباسية ضعفت تلك الفترة ومرت بأزمات خانقة ناجمة عن قلة الموارد المالية، وسوء المواسم الزراعية، نتيجة انهاك الارض بكثرة الاقطاعات العسكرية، وكساد التجارة بسبب الثورات والفتن والصراعات بين افراد البيت العباسي انفسهم على السلطة، فضلاً عن تزايد نفقات البلاط والخليفة واسرته انفسهم مما ادى الى تلك المصادرات التي لم يسلم منها احد حتى القاضي نفسه، ولايفوتنا ان نذكر مامربه المحسن التنوخي والمحنة التي لحقته سنة (٣٥٩هـ / ٩٥٩م) وصرف فيها عن القضاء، الذي كان اول تقليده ومصادرة ضيعته من قبل الوزير ابن فسانجن، فذكر: " انه اخذ ضيعتي بالأهواز،...، واخرجها عن يدي،...، "، وعلى حد قوله :ذلك مما دعى باعدائه الى الشماتة به والتعصب للوزير الذي صرفه عن القضاء. ^(٢٦٧)

العيارين والشطار

احدى شرائح المجتمع التي ظهرت في القرن الثاني الهجري فترة الصراع بين الامين والمأمون وامتد اثرهم فيما بعد، واخذ يتصاعد في فترات الضعف السياسي، نتيجة لسوء الاحوال الاقتصادية وتسلب رجال الحكم والمتنفذين والفوضى السياسية بسبب التسلب الاجنبي، ^(٢٦٨)وقد تباينت اراء المؤرخون واهل الادب في تفسير ماهية هؤلاء فمنهم من نسبهم الى اللصوصية، ومنهم من ارجعهم الى الفتوة ونسب اليهم ادوار البطولة والشجاعة، فابن منظور: يرى ان العيار هو الرجل الذكي الكثير التطواف والحركة، ^(٢٦٩) بينما يفسره الفراهيدي على انه المنفلت ^(٢٧٠)، في حين جعلهم السيوطي يمثلون اللصوص. ^(٢٧١)

ويذكر المحسن التنوخي وجود مثل هذه الشريحة الاجتماعية في بغداد وينقل ماحدثه به بعض التجار البغداديين عن احد هؤلاء المشهورين المعروف " ابن حمدي،

كان يقطع الطريق قريباً من بغداد... " (٢٧٢)، وكان الوزير ابن شيرزاد (٢٧٣)، قد قرّبه منه وأصبح بمثابة الجند وكان يعطي مما يسرقه للوزير بموجب وصولات رسمية، فيذكر صاحب النجوم الزاهرة انه " كان لصاً فاتكاً، وكان ابن شيرزاد ضمنه اللصوصية ببغداد... وكان يكبس بيوت الناس بالمشعل والشمع ويأخذ الاموال... " (٢٧٤)، وقد نقل مؤرخنا ما حدث لاحد التجار البغداديين مع ابن حمدي هذا وحديث الاخير عن الوزير ابن شيرزاد، وايقاع اللوم على السلطان ووزيره بقوله: "...الله بيننا وبين هذا السلطان الذي احوجنا الى هذا، فإنه اسقط ارزاقنا، واحوجنا الى هذا الفعل، ولسنا فيما نفعله نرتكب أمراً عظيماً مما يرتكبه السلطان، وانت تعلم ان ابن شيرزاد ببغداد يُصادر الناس ويفقرهم حتى انه يأخذ الموسر المكثّر، فلا يخرج من حبسه الا وهولاً يهتدي الى شيء غير الصدقة، وكذلك يفعل البريدي بواسط والبصرة، والديلم بالأهواز... " (٢٧٥). ويؤكد السيوطي وجود ذلك العيار وشهرته " في ايام المتقي كان ابن حمدي ضمنه ابن شيرزاد لما تغلب على بغداد اللصوصية بها بخمسة وعشرين الف دينار في الشهر، فكان يكبس بيوت الناس،... ويأخذ الاموال... " (٢٧٦).

لعل ذلك الحديث بين العيار والتاجر يوضح السياسة التي اتبعها وزراء السلاطين البويهيين في بغداد وواسط والبصرة والاهواز.

ويؤكد التنوخي القاضي وجود هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق تلك الفترة وتساعد حركتهم وينقل ماحدثه به احد غلمان الوزير بن مقله (٢٧٧) في عهد الخليفة المتقي (٣٢٩-٣٣٣هـ/ ٩٤٠-٩٤٤م) الذي قال : "لما وصل المتقي لله بالرقه (٢٧٨)،...، ومعه ابن مقله وزيره، كاتبني ان اخرج اليه، ومعني جماعة...، وضم الينا فتيان خفراء، يؤدوننا الى الرقة...، فصرنا نحو منتي مقاتل، فلما كان اليوم الرابع في مسيرنا، ونحن في البر...، نزلنا نستريح ، فاذا بسواد عظيم من بعيد لا نعلم ماهو، فلم نزل نرقبه الى أن بانَ لنا، فاذا هو نحو مائة مطية...، فجمعنا أصحابنا ورجالنا وقرب القوم منا وأناخو جمالهم...، وتقدم رئيس لهم ، فقال لنا ، يا معشر المسافرين لا يسلمن أحد منكم سيفاً ، ولا يرمي بسهم، فمن فعل ذلك فهو مقتول...، واخذو جماعة ، واخذونا، وجميع ما كان معنا، فافتسموه، وتركونا مطرحين في الشمس... " (٢٧٩).

ويبدو واضحاً غرض هؤلاء اللصوص وقاطعي الطريق هو المال أو المتاع ولعل ما فعلوه في تلك القافلة لخير دليل على وجودهم ، بيد ان ما رواه ذلك الغلام خادم الوزير من انه افتدى نفسه بحيله حيث عرض على رئيسهم خاتم عقيق بفص كبير لافتداء نفسه وذلك بقوله لرئيسهم : " قد رأيت عظيم ما اخذته مني ، وانا خادم الخليفة أطال الله بقاءه ، وقد خرجت لأمر كبير من خدمته ، وقد فزت بما أخذته مني ، فما قولك في امر اخر أعظم مما اخذته... ، اسديه اليك... على أن تؤمنني نفسي ، وترد علي من ثيابي ما يسترني ، وترد علي من دوابي دابة وتسقيني ماء ، وتسيرني حتى أحصل في مأمني ، فقال ما هو ؟ فقلت تعطيني امانك وعهودك... على الوفاء ففعل ، فانفردت به وجعلت يدي مقابلته للشمس ، وأريته الخاتم ، واقمت فُصه في شعاع الشمس ، فكاد يخطف بصره ، ورأى مالم ير مثله ، وقال : استره وقل لي خبره ، فقلت هذا خاتم الخلافة ، وفصه هذا ياقوت أحمر ، وهو الذي يتداوله الخلفاء... ، ويعرف بالجل ، ولا يقوم أمر الخلفاء الا به ، وقد كان مخبوءاً ببغداد ، فأمرني الخليفة أن أحمله اليه... ، وان حصل عندك حتى تمتنع من بيعه الا بمائة الف دينار ، ولم يقدرُوا عليك ، لأعطوك اياها والراي أن تأخذه ، وتتخذ الى ناحية الشام ، وتخفي حصول الخاتم في يدك ، فاني اذا حضرت بحضرة الخليفة ، وعرفته خبره جاءتك رسلة بالרגائب ، حتى يرجع منك باي ثمن... ، فقال : اذا خذ من ثيابك ما تريد ، فأخذت... ، وأخذ الخاتم... ، وأركبني... ، ولم يزل يسير معي... ، وأنفذ معي من أصحابه الى أن أبلغني الرقة سالماً^(٢٨٠) ، وفي موضع آخر من الكتاب يحدثنا التنوخي عن لسان احد العاملين على الانهار عن احد اللصوص فيقول الاخير : " خرجت من نهر سابس^(٢٨١) الى موضع في طرف البرية... ، اريد اعمال سقي الفرات ، فبلغني ان رجلاً يقطع الطريق لوحده ، وحذرت منه ، فلما خرجت من القرية رأيت رجلاً تدل غراسته على شدته ونجدته... ، فترافقنا حتى انتهينا الى سقاية في البرية ، فخرج علينا اللص متحزماً متسلحاً فصاح بنا ، فطرح رفيقي كارة كانت على ظهره ، وبادر الى اللص... ليضربه ، ضرب بعصاه يد اللص ، فعطل اللص الضربة... ثم ضرب بسيفه رجل الرجل فأقعدهُ ، ثم وشحه بالسيف حتى قتله ، وحمل علي ليقتلني ، فقلت له : ما حاربتك ، ولا أمتنعت

عليك من اخذ ثيابي، فلأي شيء تقتلني؟ فقال: استكتف، فأستكتفت...، فحمل ثيابي وانصرف...» (٢٨٢).

لعلنا بذلك يمكننا القول أن قطاع الطرق واللصوص ما بين بغداد والبصرة وواسط والاهواز منهم من تلجأ الحاجة ان يقطع الطريق لوحده، ومنهم من يجتمع مع آخرين مكونين مجموعة من اللصوص يسرقون وينهبون من التجار والعامّة في تلك الطرق، ومن الملفت للنظر ان هؤلاء العيارين كانوا مختصين بطرق القوافل والطرق التي تبعد عن الاماكن المزدحمة بالناس كالقرى والمدن، ويبدو مما تقدم شدة الدولة في محاسبة هؤلاء لعلها لكسب العامة الى جانبهم نتيجة الاوضاع الاقتصادية المتردية آنذاك كما قدمنا من جانب، ومن جانب آخر السيطرة عليهم ومشاركتهم للعيارين الاموال والمتاع التي يستحوذون عليها من المسافرين وقاسمتهم بها، ولعل مايعزز ذلك ماتحدث به ابن حمدي العيار عن الوزير، كما ان المقدسي يشير الى ذلك بقوله: "... ان العيارين اذا تحركوا ببغداد هلكوا...". (٢٨٣)

بعد كل ماتقدم نجد ان مصنفات القاضي التنوخي بصورة عامة، وكتاب الفرج بعد الشدة خاصة بحاجة الى المزيد من الدراسة والبحث كونه يقدم لنا صورة واضحة للحياة السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمجتمع الاسلامي في العصر العباسي.

الاستنتاجات

- ١- اشتمل كتاب الفرج بعد الشدة على الكثير من الشواهد التاريخية التي توثق انماط الحياة الاجتماعية عامة وفي عصره خاصة، فقد كانت الصور التي وثقها شاهداً حياً على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية تحت ظل التسلط البويهي.
- ٢- عرض القاضي التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة للحالة الاجتماعية في العراق تحت ظل الحكم البويهي مشيراً الى طبقات المجتمع آنذاك، وطرق المعيشة.
- ٣- كان القاضي التنوخي في كتابه راصداً لطبيعة العلاقات بين شرائح المجتمع المترفة مع السلاطين والامراء، فضلاً عن حياة طبقة العامة التي كانت تعاني من ظروف معيشية قاهرة.
- ٤- اشتمل الكتاب على الكثير من الاشارات الى الجوانب الحضارية في الدولة العربية الاسلامية آنذاك.
- ٥- رصد القاضي التنوخي في الكتاب الدور والاثار الذي كانت تؤديه فئة الشطار والعيارين في المجتمع سلباً وإيجاباً.
- ٦- اشار القاضي التنوخي الى الكثير من المصادرات التي كانت تتم ضد القضاة، وكبار رجال الدولة والتجار، ولم تسلم القرى والارياف من هذه المصادرات، والتي وثقها لنا التنوخي بأسلوب القصص للعظة والعبرة.
- ٧- على الرغم من كون الكتاب يوثق مشاهدات القاضي، وما روي له في حياته، الا انه اشتمل على وصف دقيق من خلال عرض الوقائع لمستوى المعيشة وطرز الملابس واثمانها، والكثير من الممارسات الاجتماعية والاقتصادية.

- (١) الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) تاريخ مدينة السلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠١ م، ج ١٣، ص ٥٥٠؛ ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م، ج ١٤، ص ٣٧٣؛ ياقوت الحموي، ابي عبدالله شهاب الدين بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)، ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المعروف بمعجم الادباء، تح: احسان عباس (دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٣ م)، ج ٥، ص ٢٢٨٠؛ ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ٤، ص ١٥٩. ابن العماد الحنبلي، ابي الفلاح عبد الحي بن احمد الدمشقي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٩١ م، ج ٤، ص ٤٤٦.
- (١) الثعالبي، ابي منصور عبد الملك النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م)، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، تح وشرح: محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣ م، ج ٢، ص ٤٠٥.
- (٢) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)، العبر في خبر من غير، تح: ابوهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥ م، ج ٢، ص ١٦٣.
- (٣) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارناؤوط و ابراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣ م، ج ١٥، ص ٥٠٠.
- (٤) ابن ابي الوفا القرشي، محي الدين عبد القادر بن محمد بن ابي سالم (ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م)، الجواهر المضوية في طبقات الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣ م، ج ٣، ص ٤٢٢؛ ابن قطلوبغا، زين الدين قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله (ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م)، تاج التراجم في طبقات الحنفية، تح: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، بيروت، ١٩٩٢ م، ص ٣٠٠.
- (٥) حي من اليمن اختلف النسابين في اصل الكلمة منهم من ذكر انهم بنو اسد الذين يرجع نسبهم الى قضاة، ومنهم من ذكر انها قبائل تحالفت واجتمعت فتتوخت ومنهم من ذكر انهم من بني فهم، ومنهم من اطلق على الضجاعة تنوخ. انظر: السمعاني، ج ٣، ص ٩٤؛ ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)، اللباب في تهذيب الانساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠ م، ج ١، ص ٢٢٥؛ كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧ م، ج ١، ص ١٣٣.
- (٦) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ١٣، ص ٥٥٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ٣٦٦؛ ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٩٦ م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م، ج ٣، ص ٣١٠.
- (٧) ياقوت، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢٢٨٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٤، ص ١٦٢؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الناشر العربي، بيروت، ١٩٨٨ م، ج ٢٧، ص ٨٨؛ ابن العماد الحنبلي، ابي الفلاح عبد الحي بن احمد الدمشقي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٩١ م، ج ٤، ص ٤٤٦.
- (٨) كتابه، الفرج بعد الشدة، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨ م، ج ١، ص ٣٢٨.

- (٩) كتابه، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تح: عبود الشالحي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٦، ص٢٦١؛ ياقوت، معجم الادباء، ج٤، ص١٩٩٣.
- (١٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٣٧٣؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٧، ص٤٦٩؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص١٦٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٤٤٦.
- (١١) ياقوت، معجم الادباء، ج٥، ص٢٢٨٠؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٢٧، ص٨٨.
- (١٢) تاريخ الاسلام، ج٢٧، ص٨٨.
- (١٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٣٧٣.
- (١٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص١٦٠؛ الذهبي، العبر، ج٢، ص١٦٦؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٠١.
- (١٥) السماع: لغة من سمع، والسمع هو الاذن، وقيل: حس الاذن، وهو ماوقر فيها من شيء يسمعه، والسماع هو مصدر ماسمعت، وفي الاصطلاح هو ما يسمعه التلميذ من لفظ شيخه من كتاب يقرأه او من محفوظاته او ما يمليه عليه. للمزيد انظر: الفراهيدي، الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت١٧٠هـ / ٧٨٦م)، العين، تحقيق: عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ج٢، ص٢٧٥؛ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافغاني المصري (ت٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دت، مج٣، ص٢٠٩؛ الصالح، صبحي ابراهيم مصطفى، علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٨٨.
- (١٦) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص١٦٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦، ص٥٢٥؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٠١.
- (١٧) الفرج بعد الشدة، ج١، ص١٨٢.
- (١٨) المكتب: والكتاب في اللغة واحد وجمعها كتاتيب، وهي موضع تعليم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم الاولية، وتحفيظ القرآن الكريم. ابن سحنون، محمد بن عبد السلام التنوخي (ت٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، آداب المعلمين، تح: محمد العمروسي، دار الكشف، القاهرة، ١٩٥٤م، ص٦٣؛ ابن منظور، لسان العرب، مج٥، ص٣٨١٧؛ حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٤، ص٤٢٤.
- (١٩) الفرج بعد الشدة، ج٣، ص٢٦٢.
- (٢٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٩٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٣٦٦؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٩٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٢٧.
- (٢١) انطاكية: بالفتح ثم بالسكون، والياء المخففة قسبة العواصم احدى الثغور الشامية موصوفة بالنزاهة والطيب وعذوبة الهواء وكثرة الفواكه وسعة الخير. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، ابي عبد الله بن عبد الله (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج١، ص٢٦٦؛ الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (كان حياً في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، دت، ص٦٨.
- (٢٢) الفرج بعد الشدة، ج٣، ص٢٦٢.
- (٢٣) ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٢١٤.
- (٢٤) السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ / ١١٦٦م)، الانساب، مطبوعات دائرة الثقافة العثمانية، حيدر اباد الدكن، ١٩٧٧م، ج٣، ص٩٣؛ ابن الاثير، اللباب، ج١، ص٢٢٥؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٣٦٨.

(٢٥)الاهواز:احدى مدن المشرق الاسلامي وفيها عدة كور فتحت زمن خلافة عمر بن الخطاب(رض).للمزيد انظر: ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ/١١٠٠م)، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٩؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٥٠٠م)، الروض المعطار في خير الاقطار، تح: احسان عباس، دار القلم للطباعة، بيروت، ١٩٨٦م، ص٦١.

(٢٦)العبر، ج٢، ص٦٤-٦٥.

(٢٧)سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٩٩.

(٢٨)الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج١٣، ص٥٥١؛ اليافعي، عفيف الدين ابي محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٥١.

(٢٩)التنوخي، نشوار المحاضرة و اخبار المذاكرة، تح:عبد الشالجي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص١٤٠.

(٣٠)الاجازة: لغة من جاز يجيزوهي التمكين والكفاية او الاذن والسماح، وفي المصطلح: ان يمنح عالم موافقته لطالبه بتدريس علم او كتاب، او يأذن له برواية مسموعاتها ومولفاته وان لم يسمعها منها او يقرأها عليه. للمزيد انظر: الفراهيدي، العين، ج١، ص٢٣٦؛ ابن منظور، لسان العرب، مج٧، ص٥٢٩؛ الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص٩٢.

(٣١)التنوخي، ن شوار المحاضرة، ج٤، ص١١.

(٣٢)ابو تمام: اوس بن حبيب الطائي شامي الاصل كان يسقي في المسجد الجامع بمصر في حديثه جالس الابداء وتعلم منهم الى ان اجاد الشعرو ذاع صيته. للمزيد انظر: ابن المعتز، عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد (ت٢٩٦هـ/٩٠٨م)، طبقات ابن المعتز، تح: عبد الستار فراخ، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٢٨٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص٧٦.

(٣٣)البحتري: هو ابا عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى يرجع نسبه الى جده بحتري ولد بمنجج (ت٢٨٣هـ/٨٩٦م). للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٦، ص٢١؛ ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص٢٣٥.

(٣٤)التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص١٤٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج١٣، ص٥٥١.

(٣٥)المعتزلة فرقة دينية عرضت موضوعات علم الكلام في نسق مذهبي متكامل، وعرفت بالعدلية لان العدل اهم اصولهم الخمسة وعقيدتهم التوحيد والقول بالمنزلة بين المنزلتين، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقدرية لانهم يقولون بحرية ارادة الانسان، وقد نشأت هذه الفرقة بسبب الخلاف الذي دار بين أهل السنة والخوارج، حول مرتكب الكبيرة. للمزيد انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١٠٤؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج٢، ص٤.

(٣٦)هو علم يُعرف به الاستدلال الى حوادث عالم الكون والتشكيلات الفلكية واوضاع الكواكب والافلاك كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع الى غير ذلك. للمزيد انظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٤١م، ج٢، ص١٩٣٠؛ طاش كبري زادة، احمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج١، ص٣١٣.

(٣٧)الكامل، ج٧، ص٢٤٩.

(٣٨)ابن طاووس، رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحلبي (ت٦٦٤هـ/١٢٦٥م)، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، دار الذخائر، قم، ايران، ١٣٦٨هـ، ص١٥٤، ص١٥٦، ص١٥٩، ص١٦٩، ص١٩٠، ص١٩٣، ص٢١١.

- (٣٩) هو ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي المتوفى ٣٠٦ هـ احد أئمة القراءات السبعة والنحو والعربية. للمزيد انظر: ابن الانباري، ابي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) نزهة الالباء في طبقات الادباء، تح: قاسم السامرائي، ط ٣، مكتبة المنار، الاردن، ١٩٨٥ م، ص ٥٨؛ ياقوت، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٧٣٧.
- (٤٠) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك (٧٦٤ هـ / ١٣٦٤ م)، الوافي بالوفيات، تح: احمد الارناؤوط، وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢ م، ج ٢٢، ص ٣٠٣.
- (٤١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٤٩٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ٣٠٣.
- (٤٢) هو ابو علي دعلج بن علي بن رزين بن سليمان المتوفى ٢٣٦ هـ، اصله من الكوفة سافر الى مصر و دمشق وكان هجاء لم يسلم من هجائه احد، من مشاهير الشيعة كتب قصيدة في مدح اهل البيت وقصد بها الامام الرضا بخراسان فاعطاه عشرة الاف درهم وخلعة من ثيابه. للمزيد انظر: ابن المعتز، طبقات، ص ٢٦٤؛ ياقوت، معجم الادباء، ج ٣، ص ١٢٨٥.
- (٤٣) نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٠-١٤٢.
- (٤٤) المهلبى: هو الحسن بن محمد هارون بن ابراهيم وزير معز الدولة البويهى تقلبت به الاحوال حتى تولى الوزارة ببغداد وكان من رجال العز والحزم والعقل. للمزيد انظر: ابن خلكان، وفیات الاعيان، ج ٢، ص ١٢٤؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢٦٠.
- (٤٥) يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٣٩٣.
- (٤٦) هو ابي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان منحه الخليفة المتقي لقب سيف الدولة وبلغت الدولة الحمدانية في عهده اوجها حيث كان شاعراً وتقرب منه الشعراء والعلماء والكتاب. للمزيد انظر: الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ١، ص ٣٧؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ١٢٢.
- (٤٧) ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر بن علي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨ م، ج ١٥، ص ٢١٧.
- (٤٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ٣٠٣؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٢١٣؛ العباسي، بدر الدين عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد (ت ٩٦٣ هـ / ١٥٦٤ م)، معاهد التنصيص في شواهد التلخيص، (المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٢٠٧ هـ) ص ١٣٦.
- (٤٩) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٠٩؛ نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ١٢.
- (٥٠) نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ٧٥.
- (٥١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ٣٠٣. اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢٥١؛ ابن ابي الوفا، الجواهر المضوية، ج ٢، ص ٥٦٩؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ٢، ص ١٨٧.
- (٥٢) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ١٣، ص ٥٥٣.
- (٥٣) الرزاز: لم نعثر له على ترجمة فيما توفرت لدينا من المصادر.
- (٥٤) الشهادة: او الشهود موظفين لدى قاضي القضاة يعينهم في المحاكم ويعزلهم متى شاء، ومع تقدم الزمن اصبح هؤلاء على اطلاع واسع في امور القضاء. للمزيد انظر: ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣ هـ / ١٥٧٦ م)، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد احمد دهمان، مطبعة مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٤٩ م، ص ٢٢.
- (٥٥) الانساب، ج ٣، ص ٩٥.
- (٥٦) تاريخ مدينة السلام، ج ١٣، ص ٦٠٤.
- (٥٧) المعري: هو احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي عرف برهين المحبسين لانه كان ضريراً أعمى ولزم منزله في فترة من فترات حياته كان لا يأكل اللحم، حسن الشعر وافرده صنف التصانيف الكثيرة منها سقط الزند ولزوم ما لا يلزم. للمزيد انظر: ابن الانباري، نزهة الالباء، ص ٢٥٧؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٥٢.

- (٥٨) ابن الانباري، نزهة الالباء، ص ٢٥٧؛ ابن الاثير، اللباب، ج ١، ص ٢٢٥.
- (٥٩) التبريزي: هو يحيى بن علي بن محمد بن بسطام الشيباني، أحد أئمة اللغة والنحو أخذ عن المعري، درس الادب في المدرسة النظامية ببغداد. للمزيد انظر: ابن الانباري، نزهة الالباء، ص ٢٧٠؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج ٢، ص ٣٣٨.
- (٦٠) ابن الانباري، نزهة الالباء، ص ٢٧٠؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٩.
- (٦١) المدائن: وهي سبع مدن من بناء الاكاسرة على طرف دجلة، وقيل انها من بناء كسرى أنو شيروان سكنها هو وملوك ساسان من بعده الى ان ملك العرب ديار الفرس واختطت البصرة والكوفة انتقل الناس اليها. للمزيد انظر: القزويني، زكري بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٤٥٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٢٦.
- (٦٢) دورنجان: منطقة تقع بين البردان والمدائن وقريبة على النهروان. للمزيد انظر: المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٠٧.
- (٦٣) البردان: وهي منطقة ضمن اراضي قفزة تبعد عن بغداد اربع فراسخ يقع بالقرب منها دير يعرف دير بردان. للمزيد انظر: الادريسي، محمد بن عبدالله (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٣م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، دت، ج ١، ص ٤٤٧.
- (٦٤) قزميسين: بالفتح ثم بالسكون، وكسر الميم، وهي بلدة بين همدان وحلوان بالقرب من كرمينشاه. للمزيد انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٣٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٤٣٣.
- (٦٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٤، ص ١٦٢؛ ابن ابي الوفا، الجواهر المضية، ج ٢، ص ٥٨٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٤، ص ٤٤٨.
- (٦٦) القراءة: لغة من قرأ يقرأ قراءة، وقرأت الكتاب قراءة ومنه قراءة القرآن الكريم، وفي الاصطلاح: فهي ان يقرأ التلميذ على الشيخ حفظاً ومن قلبه او من كتاب ينظر فيه، أي يعرض على الشيخ قراءته، ومن قرأ القرآن عن ظهر قلب او نظريه وقرأ فهي قراءة. للمزيد انظر: الفراهيدي، العين، ج ٣، ص ٣٦٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٥٦؛ ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ص ٢١؛ الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص ٩٣.
- (٦٧) هو محمد بن احمد البغدادي (ت ٣٣٦هـ / ٩٤٧م) للمزيد انظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢٤٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٣٠٣.
- (٦٨) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٢٨.
- (٦٩) هو الاديب الاخباري صاحب التصانيف محمد بن يحيى بن عبدالله البغدادي توفي (٣٣٥هـ / ٩٤٦م). للمزيد انظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢٤٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٣٠١.
- (٧٠) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٦٨، ص ٣٨٤.
- (٧١) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٨١.
- (٧٢) المنتظم، ج ١٤، ص ٣٧٣.
- (٧٣) الفسوي: أحد شيوخ التنوخي نزيل البصرة اصله من فسا وولي القضاء بشيراز عنده أكثر مصنفات ابي يوسف القاضي (ت ٢٩٦هـ / ٩١٨م). للمزيد ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ٧، ص ٢٤.
- (٧٤) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٧١.
- (٧٥) هو ابو عمر الزاهد المعروف بسلام ثعلب وعرف ايضاً بالمطرز كان آية في الحفظ والذكاء توفي سنة (٣٤٥هـ / ٩٥٦م) له العديد من المؤلفات منها كتاب اليواقيت وكتاب النوادر وكتاب القبائل

وكتاب اسماء الشعراء وغيرها للمزيد انظر : اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢٥٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٢٢٧.

(٧٦) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٩٠.

(٧٧) تاريخ الاسلام، ج ٢٧، ص ٨٨.

(٧٨) هو ابوبكر محمد التمار البصري راوي السنن عن ابي داود. للمزيد انظر: الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٧٤ وسير اعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٥٣٨.

(٧٩) نشوار المحاضرة، ج ٣، ص ٩٩.

(٨٠) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٣٥٥.

(٨١) هو القاضي علي بن ابي الطيب الحسن بن علي بن مطرف بن تميم الجراحي عاش في الفترة (٢٩٨-٣٧٦) هـ وهو ينسب الى رامهرمز احدى قرى المشرق الاسلامي. للمزيد انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ١٣، ص ٣٢٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٤، ص ٤٠٥.

(٨٢) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٧٩.

(٨٣) ايدج وهي تقع ضمن سواد العراق بعد حدود خوزستان قرب الاهواز. للمزيد انظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٨٠.

(٨٤) رامهرمز: وهي بلاد عامرة ضمن الاهواز. للمزيد انظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٩٢.

(٨٥) وفيات الاعيان، ج ٤، ص ٣٧٣.

(٨٦) ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٦٣-٣٠١.

(٨٧) نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٠-١٤٢.

(٨٨) الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٢٦٣.

(٨٩) كان والده ابو العباس الفضل من اعيان شيراز وانضاف الى عماد الدولة بن بويه الذي قلده دواوين الزمام، ولما توفي ابو الفضل سنة ٣٤٢ هـ تقلد ولده ابو الفرج المذكور الدواوين مكانه. للمزيد انظر:

(٩٠) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٩١) الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ٥٠.

(٩٢) البطيحة: جمع بطائح، وهي الارض التي تبطحت المياه فيها، وهذه تمتد آنذاك بين واسط والبصرة، وفيها عدة قرى ومدن عامرة ويسميتها العراقيون الاهوار. للمزيد انظر: ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل نور الدين علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه (٧٣٢ هـ/١٣٣١ م)، تقويم البلدان، تح: رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨١٥ م، ص ٦٩.

(٩٣) هوامير البطائح ورأس الاسرة الشاهينية شمل سلطانه جميع نواحي البطائح، ونشبت بينه وبين الامراء البويهيين حروب انتهت بالصلح وتوليته اماره البطائح ودامت ايامه اربعين عاماً كانت فيها البطائح ملجأً للهاربين. للمزيد انظر: المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م)، تح: عفيف نايف حاطوم، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٢، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠ م، ج ٤، ص ٦٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٣٨٥.

(٩٤) هو الوزير ابو طاهر محمد بن علي بن بقية خدم معز الدولة البويهى ولما خلفه ابنه بختيار استوزره ايضاً ثم نقم عليه فأعتقله وسلمه وصادر امواله وسلمه لعضد الدولة الذي طرحه تحت ارجل الفيلة ثم صلبه. للمزيد انظر: الذهبي، العبر، ج ٢، ص ١٢٧؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٩١.

- (٩٥) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٧٤.
- (٩٦) عضد الدولة البويهى: هو فناخسروابي علي الحسن بن بويه الملقب عضد الدولة بن ركن الدولة كان اديباً فاضلاً محباً للشعر والفنون ينسب اليه بناء المارستان العضدي ببغداد. للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٤، ص ٥٠؛ الذهبي، العبر، ج ٢، ص ١٣٨.
- (٩٧) تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٩٤.
- (٩٨) الببغاء هو عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي من اهل نصيبين وقيل: لقب بالببغاء لفصاحة لسانه وقيل للثغة به. للمزيد انظر: الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ١، ص ٢٩٣؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ١٩٩.
- (٩٩) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٥٢.
- (١٠٠) العيار: من الثلاثي عير، وهي المكاييل والاوزان للمزيد انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣١٨٧؛ الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٦٧.
- (١٠١) دار الضرب: وهي المكان او الموضع التي تُضرب فيه النقود من دراهم ودينار. للمزيد انظر: البستاني، بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٥٣٢؛ الشرباصي، احمد، المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجبل، بيروت، ١٩٨١م، ص ٣٠٨.
- (١٠٢) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٠٧.
- (١٠٣) هو القاضي ابو بكر الصيمري القاضي تقلد الجانب الشرقي من بغداد، ثم تقلد قضاء الحريم بدار الخلافة، وتقلد قضاء خراسان. للمزيد انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٢٥٥؛
- (١٠٤) ابي السائب قاضي القضاة في عهد معز الدولة البويهى توفي سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) وتولى بدلا عنه ابن ابي الشوارب القاضي. للمزيد انظر: مسكويه، تجارب الامم، ج ٥، ص ٣٢٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٢٤٧.
- (١٠٥) نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ٨٠.
- (١٠٦) سورا: مدينة على نهر الفرات بالقرب من قصر هبيرة. للمزيد انظر: البكري، ابو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ١٧٦.
- (١٠٧) ابن الجوزي، ج ٤، ص ٣٧٣؛ وفيات الاعيان، ج ٤، ص ٣٧٣.
- (١٠٨) ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، الاذكياء، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٤٤.
- (١٠٩) الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٢٦٦.
- (١١٠) معجم الادباء، مج ٥، ص ٢٢٨٠.
- (١١١) هو القاضي محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك الملقب بالاحنف توفي سنة (٣٠١هـ/٣١٤م). للمزيد انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٢٣، ص ١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٨٣.
- (١١٢) تكريت: مدينة بالعراق بين دجلة والفرات، وقيل هي من كور الموصل، وهي مدينة قديمة كبيرة، جميلة الاسواق كثيرة المساجد غاصة بالاهالي. للمزيد انظر: ابن الفقيه، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني (ت ٣٢٣هـ/٨٣٧م)، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢م، ص ١٣٥؛ المقدسي البشاري، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١١٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٣٣.
- (١١٣) دقوقاء: وهي بلدة بها بساتين خصبة وتاتي اليها من جبل حميرين تبعد عن اربل مسيرة خمسة ايام. للمزيد انظر: ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٦٠.

- (١١٤) خانيجار: بلدة صغيرة مابين دقوقاء وقصر هبيرة. للمزيد انظر: المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٢٧.
- (١١٥) قصر هبيرة مدينة كبيرة جيدة الاسواق فيها جامع يأتيها الماء من الفرات. للمزيد انظر: المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١١٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٦٥.
- (١١٦) عسكرمكرم: منطقة قرى متصلة ببغداد. للمزيد انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٩؛ البكري، ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٥م، ج ٣، ص ٩٤٣.
- (١١٧) المطيع لله: هو الخليفة العباسي الفضل بن جعفر المقتدر الذي بوع بالخلافة سنة (٣٣٤هـ / ٣٦٨م) وغلب على امره بني بويه، ولم يكن في يده ل الامر ولانتهي. للمزيد انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٦٥؛ مسكويه، ابي علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ٥، ص ٤٠٥.
- (١١٨) عز الدولة البويهية: وهو ابو منصور بختيار ابن معز الدولة ولي العراق بعد وفاة ابيه واستمر في سلطانه الى ان خلعه ابن عمه عضد الدولة فكانت مدته احد عشر عاماً. للمزيد انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٢٥٦؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٢٦، ص ٣٧١.
- (١١٩) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٣٤.
- (١٢٠) جزيرة ابن عمر: بلد كبير يدور عليه الماء من ثلاثة جوانب ودجلة بينها والجبل، وهي طيبة نزهة ببناءهم حجارة. للمزيد انظر: المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٢٧؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٤٢٠.
- (١٢١) هو ابراهيم بن محمد. للمزيد انظر: الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٣٤.
- (١٢٢) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٣٤.
- (١٢٣) تاريخ الاسلام، ج ٢٦، ص ٢٧٥.
- (١٢٤) تجارب الامم، ج ٦، ص ١٨.
- (١٢٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٤، ص ١٥٩.
- (١٢٦) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٩٥٣.
- (١٢٧) نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٣.
- (١٢٨) نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٢ من مقدمة المؤلف.
- (١٢٩) نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٠.
- (١٣٠) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٦٧١.
- (١٣١) ينظر: الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٧م.
- (١٣٢) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٥٩.
- (١٣٣) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٦٥.
- (١٣٤) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٧٩.
- (١٣٥) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٨٢.
- (١٣٦) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٠٦.
- (١٣٧) هو الخليفة العباسي ابو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عباس بوع بالخلافة بعهد من اخيه، كان فحل بني العباس هيبه وشجاعة تاركاً للهو، كامل العقل قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه. للمزيد انظر: ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ١٩٠؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٢٣٤.

- (١٣٨) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٨٠.
- (١٣٩) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٣١١.
- (١٤٠) هو الخليفة العباسي ابو العباس عبدالله بن الرشيد ولد في الليلة التي مات فيها الهادي واستخلف فيها ابيه، وامه فارسية اسمها مراحل ماتت وهي تلده، برع في الفقه والعربية، ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الاوائل ومهر فيها كان معروفاً بالتشيع، تولى الخلافة بعد خلع اخيه المؤتمن من العهد وعهد بالخلافة من بعده الى الامام الرضا (ع). للمزيد انظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٥٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٧٢.
- (١٤١) اسحق الموصلي: هو اسحق بن ابراهيم الموصلي كان رأساً في صناعة الطرب والموسيقى شاعرا اخباريا عالماً ظريفاً نديماً للخلفاء اول من سمعه الخليفة المهدي اخذ الادب عن الاصمعي وغيره وبرع في علم الغناء. للمزيد انظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٨٦؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣٣٠.
- (١٤٢) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٤٠٢.
- (١٤٣) هوازن. إحدى قبائل العرب وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ويرجع نسبهم الى ذرية اسماعيل (ع) بن ابراهيم (ع) كانوا يقطنون نجد من اليمن. للمزيد انظر: كحالة، معجم قبائل العرب، ج ٣، ص ١٢٣١.
- (١٤٤) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٥.
- (١٤٥) اول خلفاء بني امية ويكنى ابا عبد الرحمن معاوية بن ابي سفيان صخر بن حرب بن امية بوبع بالخلافة يوم خلع الامام الحسن (ع). للمزيد انظر: الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣٤؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ١٥٩.
- (١٤٦) هو الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان بن الحكم بوبع بالعهد من ابيه في خلافة ابن الزبير على دمشق ثم تم له الامر على العراق وعهد من بعده لاولاده بالخلافة. للمزيد انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٢؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ١٦٧.
- (١٤٧) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٢٠٦.
- (١٤٨) هو ابي العباس احمد بن الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد سادس عشر خلفاء بني العباس بوبع بالخلافة صبيحة وفاة المعتمد، وقد ولاء العهد عنه المعتمد بعد ان خلع ابنه جعفر المفوض. للمزيد انظر: ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٣٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١٤٢.
- (١٤٩) العلويين: وهم الذين يرجع نسبهم الى الامام علي بن ابي طالب (ع) الهاشمي القرشي وابن عم الرسول محمد (ص) وصهره، ومن آل بيته. للمزيد انظر: ابن الاثير، اللباب، ج ٢، ص ٣٥٣.
- (١٥٠) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٣٣٢.
- (١٥١) هو احد العلويين من نسل الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) أمير طبرستان والديلم، واليه تنسب الطائفة الزيدية. للمزيد انظر: ابن الاثير، اللباب، ج ٢، ص ٨٦.
- (١٥٢) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٢٣٤.
- (١٥٣) هو احد خلفاء بني امية وهو ابو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان ولي بعهد من ابيه سنة ست وثمانين كان ذميماً متبختراً ناقص الادب، بنى جامع دمشق واستمر بالفتوحات الى موته. للمزيد انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ١، ص ٣٨٨.
- (١٥٤) هو الخليفة الاموي ابو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان استخلف بعهد من اخيه يزيد، وصف بالحرص والبخل، كان حازماً وصاحب سياسة حسنة. للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢٦، ص ٧٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢١٩.

- (١٥٥) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٤٠٣.
- (١٥٦) الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٥.
- (١٥٧) وزير المتوكل كان في غاية الذكاء والفتنة وحسن الادب اتخذ المتوكل اخاً له وكان يقدمه على جميع اولاده وكان له خزانة كتب لم يُرَ أعظم منها كثرة ولا حسناً، قتل مع المتوكل يوم قتل بالسيوف. للمزيد انظر: ياقوت، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢١٥٧؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٢٠.
- (١٥٨) الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٣٢٤.
- (١٥٩) هو الخليفة العباسي موسى بن محمد المهدي بن ابو جعفر المنصور واخو الرشيد امه ام ولد يقال لها الخيزران بويح بالعهد في عهد ابيه ومن بعده اخيه الرشيد. للمزيد انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٢١؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ١٩٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٠.
- (١٦٠) الربيع بن يونس كان حاجباً للخليفة المنصور ثم ولاه الوزارة ثم وزر للمهدي ثم للهادي الذي غضب عليه ونحاه عن الوزارة فمات الربيع في نفس السنة للمزيد انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٢٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ١٠، ص ١٨٦.
- (١٦١) الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٤١٥.
- (١٦٢) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٥.
- (١٦٣) الحاج بن يوسف بن ابي عقيل الثقفي ولاه الخليفة عبد الملك العراق فساء السيرة وضافت الرعية به ذرعاً. للمزيد انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٤٩؛
- (١٦٤) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ١٢٦.
- (١٦٥) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ١٩٠.
- (١٦٦) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٢٢٢.
- (١٦٧) العيارين: وهم تكتل اجتماعي ظهر في بغداد في القرن الثاني الهجري وبدا اثره واضحاً اثناء فترة الصراع بين الامين والمأمون، واخذ يتصاعد في فترات الضعف السياسي، ونتيجة لسوء الاحوال الاقتصادية وتسلب رجال الحكم والمتنفذين والفوضى السياسية بسبب التسلب الاجنبي. للمزيد انظر: فهد، بدري محمد، العامة ببغداد في القرن الرابع الهجري، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧م، صص ٢٨٦، ٢٨٩، ٣٠٢؛ دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، تعريب: محمد سليم النعيمي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م، ج ٧، ص ٣٦٠.
- (١٦٨) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٢٣٨.
- (١٦٩) الأمين: هو الخليفة العباسي محمد بن هارون الرشيد وامة زبيدة بنت جعفر حفيدة المنصور بويح بالخلافة بعهد من ابيه وعلقت بيعته على الكعبة تولى الخلافة ليلة وفاة والده الرشيد. للمزيد انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ١٣، ص ١٦؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٠٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٤.
- (١٧٠) هو الخليفة العباسي ابو العباس عبدالله بن الرشيد ولد في الليلة التي مات فيها الهادي واستخلف فيها ابيه، وامة فارسية اسمها مراحل ماتت وهي تلده، برع في الفقه والعربية، ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الاوائل ومهر فيها كان معروفاً بالتشيع، تولى الخلافة بعد خلع اخيه المؤتمن من العهد وعهد بالخلافة من بعده الى الامام الرضا (ع). للمزيد انظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٥٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٧٢.
- (١٧١) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٢٧٠.
- (١٧٢) الفضل بن الربيع بن يونس هو من اخذ البيعة للامين، وساق اليه الخلافة وارسل له الخاتم والقضيب كان من رجال الدهر رأياً وحزماً وحلماً ودهاءاً. للمزيد انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ١٤، ص ٢٩٦.

- (١٧٣) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٢٩٣.
- (١٧٤) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٣٠٩.
- (١٧٥) هو الشاعر ابو عمرو جميل بن معمر العذري اقترن اسمه بمحبوبته بثينة اختلف المؤرخون في وفاته قدم الى مصر على عبد العزيز بن مروان فأكرم. للمزيد انظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ١٨١؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٧ م، ج ١، ص ٥٥٨.
- (١٧٦) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٣٢٦.
- (١٧٧) الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ٥.
- (١٧٨) ابي العتاهية: ابي اسحق اسماعيل بن القاسم بن سويد شاعر عاش في العصر العباسي اكثر اشعاره في الزهد والمواعظ واشعاره كثيرة ومشهورة وغزله لين مشاكل لكلام النساء موافق لطباغهم. للمزيد انظر: ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٢٧؛ الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ١٩.
- (١٧٩) كشاجم: يكنى ابو الفتح و ابا نصر محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك سئل عن معنى اسمه فقال: الكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من اديب والجيم من جواد والميم من منجم. للمزيد انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٥، ص ١٤٠؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٦٠؛ الزركلي، الاعلام، ج ٨، ص ٤٣.
- (١٨٠) الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ٨٧.
- (١٨١) الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ١٠١.
- (١٨٢) الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ١٠٥.
- (١٨٣) الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ١٠٧.
- (١٨٤) الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ٢٥١.
- (١٨٥) الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ٢٦٠.
- (١٨٦) الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ٢٩٠ - ٣٠٣.
- (١٨٧) معاهد التنصيص، ص ١٣٥.
- (١٨٨) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٥٥.
- (١٨٩) ينظر: الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٤١ - ١٤٨.
- (١٩٠) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٢٣٩؛ ج ٥، ص ٥٠.
- (١٩١) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٣٥٥.
- (١٩٢) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٧.
- (١٩٣) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٣٥٥.
- (١٩٤) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٩٤.
- (١٩٥) المدائني عاش في دولة الخلفيتين المستظهر والمسترشد ومدحهما وارباب دولتهما اصله من البصرة وسكن المدائن فنسب اليها. للمزيد انظر: ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢١٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ١٠٤.
- (١٩٦) ابن ابي الدنيا: هو ابراهيم بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي صاحب التصانيف المشهور. للمزيد انظر: الذهبي، العبر، ج ١، ص ٤٠٤؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٣٤.
- (١٩٧) كتاب كبير لخصه السيوطي مع زيادات سماه الارج في الفرج. للمزيد انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٢٥٣.
- (١٩٨) الازدي: ناب عن ابيه في القضاء وعمره عشرين عاماً، وتوفي ابوه وهو على القضاء وجعل هو قاضي القضاة الى آخر عمره. للمزيد انظر: الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ١٢٢.

- (١٩٩) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٠٨.
- (٢٠٠) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٥٤.
- (٢٠١) هو الامام الكبير صاحب التفسير الكبير الجامع في تفسير القرآن والتاريخ الكبير المعروف بتاريخ الرسل والملوك للمزيد انظر: الذهبي، العبر، ج ١، ص ٤٦٠؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٤٨.
- (٢٠٢) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٩٧.
- (٢٠٣) اصله من اهل الانبار أديباً فاضلاً فقيهاً تولى القضاء في مدينة السلام ت ٣١٨ هـ حدث كثيراً وروى عنه الدارقطني وغيره. للمزيد انظر: ابن الانباري، نزهة الالباء، ص ١٨٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١٤٨؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٩٥؛ الزركلي، الاعلام، ج ١، ص ٩١.
- (٢٠٤) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٣٣٣.
- (٢٠٥) ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) المؤرخ الجغرافي صاحب كتاب المسالك والممالك. للمزيد انظر: الزركلي، الاعلام، ج ٤، ص ٣٤٣.
- (٢٠٦) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٣٥٥.
- (٢٠٧) هو العلامة الاخباري الايب صاحب التصانيف محمد بن يحيى البغدادي. للمزيد انظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٧٠؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢٤٠.
- (٢٠٨) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٣٦١، ج ٣، ص ١١٧.
- (٢٠٩) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١١٣.
- (٢١٠) لقب بالمظفر وكان اميراً شجاعاً لم يبلغ احد من الخدم منزلته وهو احد قادة الجيش في العصر العباسي استولى على الموصل في عهد الخليفة المقتدر وكتب اسمه على السكة وقتل بنو حمدان وانتصر عليهم ولما قتل المقتدر ارسل من يحمي دار الخلافة من النهب و اشار بتنصيب ابن المقتدر وحصلت وحشة بينه وبين القاهر لذلك فقبض عليه وحبسه وحرّض عليه جنده الساجية ولما حبس شغب الجند لذلك قتله القاهر وعمره نحو تسعين سنة وكان مقتله سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٦ م. للمزيد ينظر: ابن الاثير الكامل، ج ٧، ص ٧٥-٨٥؛ الذهبي، العبر، ج ٢، ص ١٠-١٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٤، ص ١١٠.
- (٢١١) ابن رائق: هو الامير ابو بكر محمد بن رائق شغل منصب امرة الامراء في عهد الراضي رفض اخراج ولايته الى بغداد الا بعد ان تكون سيطرته تامة على الجيش والاشراف على الادارة المدنية وحجر راي الخليفة واصبح دوره رمزي ولما استخلف المتقي رحل الى دمشق واخرج الاخشيذ منها واقام بها شهرا ورحل الى مصر والتقاء ابن حمدان فقله. للمزيد انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ٥٦؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢٢٠-٢٢٣.
- (٢١٢) بجكم: هو ابو الخير بجكم الامير التركي ومعنى كلمة بجكم الحصان بالعربية استدعاه الخليفة الراضي لشغل منصب امير الامراء وكان لا يفهم العربية ولا يتكلم الا بترجمان وكانت له اموال عظيمة ابتدأ عمارة البيمارستان ببغداد توفي ٣٢٩ هـ. للمزيد انظر: الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ١٣٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣١٤.
- (٢١٣) البريدي: هو ابو عبد الله احمد بن محمد كان كاتباً على البريد استوزره الخليفة الراضي برأى ابن رائق سار لمحاربة بجكم بعد ان صاهره حصلت وحشة بينهما. للمزيد انظر: الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣١٥.
- (٢١٤) المتقي هو ابراهيم بن جعفر المقتدر بن المعتضد تولى بعد وفاة اخيه الخليفة الراضي بن المقتدر. للمزيد انظر: ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٦٣؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢٣٤.

- (٢١٥) توزون: كان من خواص بجكم به علة الصرع كان جباراً فاسقاً ظالماً غدر بالخليفة المتقي وسمله ومات بعد ما غدر بالمتقي ولم يحل عليه الحول ومات بعدها. للمزيد انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٧٦؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢٣٤.
- (٢١٦) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٥٨-٥٩.
- (٢١٧) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٢٢٩.
- (٢١٨) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٨٦.
- (٢١٩) الروزنة وهي بناء شبيه بالدكة الا انه عالي قد يكون لوضع الكتب او لوضع بعض التحف للزينة او بالقرب منه شباك اشتهرت به البيوت البغدادية القديمة.
- (٢٢٠) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٩٠.
- (٢٢١) رحمة الله، مليحة، الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٠م، ص ٥٤.
- (٢٢٢) ابن الجوزي، الاذكياء، ص ٦٠.
- (٢٢٣) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ١٠١.
- (٢٢٤) كان كاتباً لابن رائق ثم وزر لبجكم ثم قبض عليه، ولما قتل الاخير وزر ابن شيرزاد لتوزون الديلمي وحكم بغداد باسمه وفي أيامه فلتت الامور في بغداد افلاتاً عجيباً. للمزيد انظر: ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ١٢٣؛ الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٤٥.
- (٢٢٥) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٣١.
- (٢٢٦) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٩.
- (٢٢٧) هي اسم واحد للباس يلف ويكور ويوضع على الرأس وهي تختلف من شخص الى آخر حسب مكانة الشخص التي يرتديها. ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٨٢؛ دوزي، معجم الملابس، ص ٨١، ص ١٦٠.
- (٢٢٨) مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٠٨، ص ٣٣٥.
- (٢٢٩) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣١٦.
- (٢٣٠) جمع دراعة وهي اللباس الذي يميز الوزراء وتكون مفتوحة من الامام الى القلب ومزودة بأزرار. للمزيد: ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٨١؛ دوزي، معجم الملابس، ص ٤٣-٤٥.
- (٢٣١) جمع قباء وهو احد الالبسة التي يلبسها خطباء المساجد والعلماء في المشرق الاسلامي وهو قميص مفتوح له اكمام واسعة. للمزيد: المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٣٢٤؛ العبيدي العبيدي، صلاح حسين، الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي الثاني، دار الرشيد للنشر والطباعة، ١٩٨٠م، ص ٦٤.
- (٢٣٢) الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٢٧٧.
- (٢٣٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١١٨.
- (٢٣٤) ابن طباطبا، محمد بن علي بن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٤م، ص ٢٦٠.
- (٢٣٥) جمع ازار وهو احد الالبسة التي تلف وتعد وسط البدن. للمزيد: ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٧٦؛ فهد، العامة ببغداد، ص ١٥٢.
- (٢٣٦) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٧؛ فهد، العامة ببغداد، ص ١٥٢.
- (٢٣٧) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ١١٢-١١٤.
- (٢٣٨) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٤٦.
- (٢٣٩) فهد، بدري محمد، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، مطبعة الارشاد، بغداد-١٩٦٧م، ص ١٦١.

(٢٤٠) إحدى البسة الرأس عند النساء وهي كل ما تعصب به المرأة رأسها وقد يطلق على عمام النساء العصائب أحياناً. للمزيد : الوشاء، أبو الطيب محمد بن اسحق بن يحيى (ت ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م)، الموشى، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٢٥٦ ؛ العبيدي، الملابس العربية، ص ١٦٩.

(٢٤١) إحدى البسة الرأس عند النساء وهو قطعة من القماش تنقب من موضع العين تبصر منه النساء. ابن سيدة، المخصص، ج ٤، ص ٣٨ ؛ العبيدي، الملابس العربية، ص ١٥٩.

(٢٤٢) جمع مقنعة وهي إحدى اللبسة عند النساء تغطي به رأسها ووجهها معاً. للمزيد: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ١٧٥ ؛ العبيدي، الملابس العربية، ص ١٧١.

(٢٤٣) الوشاء، الموشى، ص ٢٥٦ ؛ العبيدي، الملابس العربية، ص ١٦٩.

(٢٤٤) إحدى اللبسة البدن عند النساء وهو ثوب واسع تغطي به المرأة ظهرها وصدرها. ابن سيدة، المخصص، ج ٤، ص ٣٨ ؛ العبيدي، الملابس العربية، ص ١٥٩.

(٢٤٥) ابن سيدة، المخصص، ج ٤، ص ٣٨ ؛ العبيدي، الملابس العربية، ص ١٦٤.

(٢٤٦) الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٢٨٦.

(٢٤٧) مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٣٥.

(٢٤٨) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٢١٩.

(٢٤٩) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٩٢.

(٢٥٠) إبراهيم بن يزيد التيمي أحد الزهاد، حبسه الحجاج ومنع عنه الطعام، ثم أرسل عليه الكلاب لتنهشه حتى مات سنة ٩٣ هـ ثم رمى بجثته في خندق ولم يجراً أحد على دفنه. للمزيد انظر: ابن الاثير، اللباب، ج ١، ص ٢٣٣.

(٢٥١) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٢٦٠.

(٢٥٢) القاهر هو الخليفة أبو منصور محمد بن المعتضد خلف أخاه المقتدر في الخلافة فكان فتاكاً سئ السيرة فخلع. للمزيد انظر : ابن طباطبا، الفخري، ص ٢٧٦؛ الزركلي، الاعلام، ج ٦، ص ٢٠٠.

(٢٥٣) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٢٧٧.

(٢٥٤) الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ٥٠.

(٢٥٥) اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ١١٥ ؛ ابن طباطبا، الفخري، ص ٢٣٧.

(٢٥٦) هم من أجل الناس فضلاً وكرماً ووفاءً ومروءةً وكان أبو الحسن علي بن الفرات من اعظم الناس علماً وكرماً كانت أيامه مواسم للناس تولى الوزارة للمقتدر على ثلاث دفعات وكانه يقولون اذا تولى بن الفرات يغلو الشمع والكاغد والتلج لكثرة استعماله لذلك. للمزيد انظر: ابن طباطبا، الفخري، ص ٢٦٥.

(٢٥٧) ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ٧؛ رحمة الله، الحالة الاجتماعية، ص ٧٦.

(٢٥٨) مسكويه، تجارب الامم، ج ١، ص ٢-٢٠٠ ؛ بيطار، تاريخ العصر العباسي، ص ٢٤٠.

(٢٥٩) المقتدر : هو الخليفة أبو الفضل جعفر بن الخليفة احمد المعتضد بويح بالخلافة وعمره ثلاثة عشر عاماً واهه شغب هي التي تحكمت بالسلطة. للمزيد : ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٤٤-٢٥٤ ؛ ابن طباطبا، الفخري، ص ٢٦٠.

(٢٦٠) ابن طباطبا، الفخري، ص ٢٦٠.

(٢٦١) اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢٠٩.

(٢٦٢) أبو علي بن ابي عبد الله الحسين بن عبد الله الجوهري كان من اعيان مصر عظيم الغنى واسع الثروة أقام ببغداد وتوفي بها. للمزيد انظر: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٩.

(٢٦٣) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ١١٢.

(٢٦٤) شغب هي ام الخليفة المقتدر سيطرت على السلطة بعد ان تسلم ابنها مقاليد الحكم واصبحت تولي وتعزل من تشاء لم يطل عهدها قبض عليه القاهر وعذبها شتى صنوف العذاب وحبسها

- وضربها ضرباً شديداً وعلقها وصادر اموالها انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص؛ ابن
الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٥٤.
- (٢٦٥) ج ٢، ص ٧٦.
- (٢٦٦) الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٤٦.
- (٢٦٧) الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٢٣٩-٢٤٠.
- (٢٦٨) فهد، العامة ببغداد، صص ٢٨٦، ٢٨٩، ٣٠٢؛ دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج ٧، ص ٣٦٠.
- (٢٦٩) لسان العرب، مج ٤، ص ٣١٨٧.
- (٢٧٠) العين، ج ٣، ص ٢٥٣.
- (٢٧١) تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٦.
- (٢٧٢) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٢٣٨.
- (٢٧٣) هو جعفر بن شيرزاد احد الوزراء في العهد البويهى للمزيد انظر: ابن طباطبا، الفخري،
ص ٢٦٧.
- (٢٧٤) ابن تغري بردي، ج ٣، ص ٣٢٥.
- (٢٧٥) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٢٣٩.
- (٢٧٦) تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٦.
- (٢٧٧) هو ابو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب كان يتولى اعمال فارس وخراجها
استوزر لثلاثة خلفاء اولهم المقتدرومن بعده القاهر ثم الراضي وتعرض للتعذيب والمصادرة من
قبلهم وقطع الاخير يده وحبسه ثم راضاه بالمال واعاده للوزارة الى ان توفي. للمزيد انظر: ابن
خلكان، وفيات الاعيان، ج ٥، ص ١١٣-١٢٣؛ الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٢٩.
- (٢٧٨) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات وهي احدى كور الجزيرة وتقع في ديار مضر بينها وبين
مدينة حران مسيرة ثلاثة ايام في الجانب الشرقي من نهر الفرات. للمزيد انظر: المقدسي، احسن
التقاسيم، ص ٤٥، ص ١٢٨؛ البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٦٤.
- (٢٧٩) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٢٤١.
- (٢٨٠) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٢٤٣.
- (٢٨١) يقع هذا النهر بالقرب من جبل يعرف بنفس الاسم بالقرب من قصر هبيرة في العراق. للمزيد
انظر: المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٠٧.
- (٢٨٢) الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٢٤٩.
- (٢٨٣) احسن التقاسيم، ص ١١٩.

التجارة الداخلية والخارجية في الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي

(١٣٢-٦٥٦ هـ) / (٧٤٩-١٢٥٨ م)

أ.د. محمود اللهبي
د. ايمان عبد الجبار محمود

المبحث الأول: مفهوم التجارة

المبحث الثاني : طرق التجارة في العصر العباسي

المبحث الثالث : المدن التجارية وتأثيرها على التجارة الداخلية
والخارجية

المبحث الرابع : الاسواق والتعاملات التجارية فيها وتأثيرها على
التجارة الداخلية والخارجية في العصر العباسي

المقدمة :

احتلت التجارة في العصر العباسي (١٣٢ - ٦٥٦) هـ مكانة متميزة، لما ادخله التجار من انواع التجارات من بضائع و سلع، وكانت تلك التجارات التي تشبعت بها بغداد، حاضرة الخلافة العباسية، تأتيها من كل حدبٍ وصوب من بلاد العالم المجاورة، وحتى البعيدة عنها، فقد كانت بغداد محطة لنزول القوافل التجارية، ومركزاً لانطلاقها إلى الشرق والغرب، وقد شملت رعاية الخلفاء العباسيين وعنايتهم طرق التجارة واهتموا بها اهتماماً كبيراً، فأقاموا الآبار والمحاط في طريق القوافل التجارية المارة بالعاصمة بغداد، وأنشأوا المنائر في الثغور، وبنو الاساطيل لحماية السواحل من غارات اللصوص وقطاع الطرق، كما اهتموا ببناء الفنادق والخانات والقياسر، لتكون محلاً لنزول التجار وبضائعهم فيها، وكان من آثار اهتمامهم بتسهيل سبل التجارة ان ازداد نشاط تلك الحركة، وتدفقت الاموال على التجار، واصحاب رؤوس الاموال، وأرباب الاعمال، وشاعت وسائل الاتصال البري والبحري بين اجزاء الدولة الداخلية، والعالم الخارجي، فضلاً عن ازدهار النظام المصرفي، وتوسعت عمليات قبول الودائع بين التجار، وتنوع وسائل التعاملات التجارية بعد ان كانت مقايضات بسيطة، وظهرت السفاتج وتم قبول الكمبيالات، وخطابات الضمان، والحوالات، بعد ان زادت الاموال التي كانت تحمل أو يتم تحويلها بواسطة الرقاع أو الصكوك، فكانت تلك الطرق نافعة لتسهيل التبادل التجاري داخل الدولة، أو لربما خارجها، كما ويرجع الفضل في قيام الاسواق الكثيرة والمنتشرة داخل البلاد وخارجها، الموسمية منها، أو الدائمة إلى ازدياد التعامل التجاري، وفضلاً عن كثرة البضائع وتنوعها، ازدياد الطلب عليها، ليس لحاجة الناس إليها، وانما لمزيد من المباهاة والزينة، نتيجة الترف والبخ الذي اخذه الناس عن خلفائهم، فحق لنا القول ان بغداد مرت في عصرها الذهبي في عصر الخلفاء العباسيين الأوائل وخاصة المنصور (١٣٦ - ١٥٨) هـ ومن بعده الرشيد (١٧٠ - ١٩٤) هـ.

المبحث الأول

مفهوم التجارة

أ- في اللغة :

وردت عن اللغويين معانٍ كثيرة للتجارة، فذكر الفراهيدي انها : من تَجَر " والتَّجَر والتُّجَار جماعة التاجر، وقد تَجَر تِجَارَةً، وأَرْضٌ مُتَّجِرَةٌ، يُتَجَر إليها".^(١)

وقال ابن سيده إن التجارة من " تَجَر يتَجَرُ تِجَارَةً : باع واشترى... ورجلٌ تاجر، والجمع : تِجار، وتُجار، وتَجَر " ^(٢)، أما صاحب قاموس محيط المحيط فيذكر أنها :من الثلاثي تَجَر " إذا تَجَر الرجل يتجر تجراً وتجارةً كأن يبيع ويشترى... وكل رجل مشغول بالتجارة ويعقد... مقاوله ومعاملة مربوطة بصكوك... والتجارة صنعة التاجر وتطلق على البضاعة أي ما يُتاجر فيه من الامتعة.. " ^(٣).

أما صاحب اضخم المعاجم اللغوية، والذي جمع ما ذكره أكثر اللغويون لمعنى الكلمة قائلاً : " تَجَر يتَجَرُ تجراً وتجارة : باع واشترى، وكذلك إِتَجَر، وهو إِفْتَعَلَ... " ^(٤)، وقال أيضاً : " إن جمع تاجر، كشارف، وشَرْف، وبازل وبَزَل، وفي الحديث إن التاجر يُبعثون يوم القيامة فُجاراً الا من إتقى الله وبرَّ وصدَّق، وقال ابن الأثير : سماهم فُجاراً لما في البيع والتجارة من الايمان الكاذبة والغُبن والتدليس ^(٥) والربا ^(٦). الذي يتحاشاه أكثرهم أولاً يفتنون اليه، ولهذا قال في تمامه : إلا من إتقى وبرَّ وصدَّق، وقيل: أصل التاجر عندهم الخمار يخصونه به من بين التُّجار،... والتَّجَر : اسمٌ للجمع،... وأَرْضٌ مُتَّجِرَةٌ : يُتَجَر إليها.. " ^(٧).

ومما سبق اتفاق اللغويون على ان التجارة من الثلاثي تَجَر، وتعني الاتجار، وهي عملية البيع والشراء والكسب لغرض الربح وزيادة رأس المال.

ب- في الاصطلاح :

التجارة هي " عبارة عن شراء شيءٍ لِيُباع بالربح " ^(٨)، ذكر ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) : إن التجارة هي " محاولة للكسب، لتنمية المال، بشراء السلع

بالرخص، وبيعها بالغلاء، أيًا كانت السلعة، من دقيق أو زروع أو حيوان أو قماش، وذلك القدر النامي يسمى ربحاً".^(٩)

ويمكننا القول : إنها محاولة الربح عن طريق البيع والشراء، بتشغيل المتوفر من المال لدى شخص معين عن طريق شراء السلع في أوقات توفرها، ورخص أسعارها ثم بيعها بعد ذلك، بسعر يفوق سعر شرائها لينتج منها ربحاً يُستفاد منه، أي التصرف في رأس المال طلباً للربح أو هي عملية نقل البضائع والسلع والمنتجات الفائضة عن حاجة مناطق معينة إلى البلاد التي بحاجة إليها"^(١٠).

ولعل من الجدير بالذكر إن التجارة، كانت عاملاً مهماً من عوامل التقدم والازدهار الحضاري والثقافي، فضلاً عن جانبها الاقتصادي، فقد اسهمت في انتشار الاسلام والثقافة العربية في مناطق وأقاليم واسعة، كما ازدهرت في ظل العرب المسلمين، لما تمتعت به من الحماية والرعاية من قبلهم، بحيث اتاحت لجميع الاقوام، واصحاب الديانات ان ينعموا بثمراتها، ويستفيدوا من ارباحها، واحتلت مكانة رفيعة في الاسلام^(١١)، فقد اشتغل الرسول الكريم (ص) بها، وخلفاءه الثلاثة الأوائل (رض)^(١٢)، وبذلك رفعوا من شأنها بين المسلمين .

ج- المفهوم الشرعي للتجارة :

وردت آيات في الحث على التجارة، والعمل بها، والكسب الحلال، فمنها قوله تعالى : ﴿ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ، وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ^(١٣) فهناك فرقٌ كبيرٌ بين البيع والربا، فالبيع هو: ان يُقدم البائع سلعة إلى المشتري، فيستلمها منه الاخير، نظير قيمة معينة، وهذه لا تخلو من أمرين : إما ان يكون البائع قد هيا هذه السلعة للمشتري بجهدِه وبإنفاقه، أو اشتراها من غيره لبيعها، وفي كلتا الحالتين أضاف إلى رأس ماله الذي انفقهُ على السلعة في شرائها أو تهيئتها مبلغًا، فهذا هو ربحه.^(١٤)

أما أهم شروط البيع فهو الايجاب ^(١٥)، وهو الذي يدلُّ على التملك دلالة ظاهرة، بالقول، بعثُ، وشريتُ وملكتُ ^(١٦)، والشرط الثاني فهو القبول : أي الرضا بالشيء، وميل النفس إليه، وقد سُميت قبولاً لأن النفس تقبلها^(١٧).

أما الربا، فهو ان يعطي الرجل رأس ماله رجلاً آخر على ان يردّه له بزيادة معينة، ففي هذه الحالة تصبح المعاملة نظير التأجيل الذي قد تم الاتفاق عليه كشرط للمعاملة، وهو الربا : فهو مزيج من ثلاثة أجزاء : الزيادة على رأس المال، وتحديد تلك الزيادة باعتبار المدة كونها شرط المعاملة، كما ان هناك فروقاً خلقية واقتصادية بين التجارة والربا، فالأولى : يستفاد منها كل من البائع والمشتري، أما في المعاملة الربوية، فيأخذ الدائن من المدين مقداراً معلوماً من المال ينفعه أو قد لا ينفعه، والبائع مهما اسرف في ربحه فانه يناله مرة واحدة، لكن المدين له سلسلة لا تنقطع بل تستفحل مع الايام، لذلك حرّم الاسلام الربا، وأحلّ البيع والشراء ^(١٨).

كما وردت آيات أخرى تحث على التجارة والبيع والشراء قوله تعالى : ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴾ ^(١٩) و ﴿ رَجَالٌ لَا تُلِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٢٠)، لعل ذلك يدل على انشغال العرب بالجاهلية والاسلام بالعمل بالتجارة.

المبحث الثاني

طرق التجارة في العصر العباسي

قامت الدولة العباسية، وحاضرتها بغداد سنة (١٣٢ - ٦٥٦) هـ^(٢١)، وساست الرعاية سياسةً ممزوجةً بالدين^(٢٢)، ومما لا شك فيه نتيجة لتلك السياسة استقرت الاحوال العامة للبلاد، فضلاً عن اهتمام الخلفاء العباسيين باحوال البلاد الاقتصادية، والعمل على تنمية مواردها المالية، لتفويض خزائنها بالاموال التي كانت تُجبى من الضرائب^(٢٣).

شجع خلفاء بني العباس في العصر العباسي الاول التجارة^(٢٤)، فضلاً عن عنايتهم بالزراعة والصناعة وغيرها من شؤون الاقتصاد والمال^(٢٥)، تشجيعاً غير مباشر، بما ادخلوه من مظاهر الترف إلى بلاطهم، أو بتمهيد الطرق وتسهيل سبلها، وجاء تأسيس مدينة بغداد، حاضرة الخلافة التي ساعد موقعها على ان تُصبح سوقاً تجارياً من الطراز الأول، ولم تقتصر تلك العناية من قبل الخلفاء على الاهتمام بشؤون الزراعة والصناعة والتجارة، فحسب بل أهتموا بتسهيل السبل إليها، فأقاموا المحطات على طرق القوافل، وحضروا الآبار، وانشأوا المنائر في الثغور، وبنو الاساطيل، وانشأوا الموانئ، لحماية السواحل من غارات اللصوص، وجعلوها نقاطاً مهماً لانطلاق السفن منها والعودة إليها، وكان لذلك الأثر البعيد في نشاط التجارة الداخلية والخارجية^(٢٦)، وكانت التجارة الاسلامية مظهرًا من مظاهر الابهة، وهي السيدة في بلادها، وأصبحت سفن المسلمين تجوب كل البحار والبلاد، وأخذت قوافلهم وتجاراتهم المكانة الاولى في التجارة العالمية^(٢٧)، فقد اجتمعت لهم الظروف والاحوال التي شجعت على ازدهارها، فاعطوها حافزاً قوياً، وكان لموقع مدينة بغداد في قلب الدولة العباسية، وتأسيسهم لها ملائم كل الملائمة لتكون سوقاً من الدرجة الاولى في الاهمية^(٢٨)، بل كانت مدينة دولية، إكتسبت صفة عالمية، سكنها مختلف الاجناس والملل والنحل بثقافتهم وتجاراتهم وفنونهم وعلمهم، فأصبحت بغداد متميزة على غيرها في كل الفنون والعلوم

والصناعات^(٢٩)، ولعل لذلك الاثر في نشاط تجارتها الداخلية والخارجية، فقد كانت الاسكندرية وبغداد مقياساً للأسعار البضائع العالمية حينذاك، وكانت مصر من اشهر طرق التجارة بين الشرق والمغرب، والذي يقوم بهذه التجارة غالباً تجار يهود، والذين كانوا من اكبر المنافسين للتجار المسلمين من فارس والعراق، وكان لهم حي بأصبهان^(٣٠). يسمى حي اليهودية، كما كان معظم تجار تستر^(٣١) من اليهود الذين يُشرفون على تجارة اللؤلؤ^(٣٢) الذي يُستخرج من خليج فارس،^(٣٣) وكان هؤلاء التجار يسميهم المسلمون تجار البحر يتكلمون العربية والفارسية والرومية والفرنسية والصقلية، ويجلبون الجواري والغلمان والديباج وجلود الخز وغيرها، ويبدو ان رحلاتهم من منطقة يسميها العرب فرنجة، ثم تحمل هذه البضائع أو السلع على دواب إلى مدينة السويس^(٣٤)، الحالية وإلى الاسكندرية التي كانت ملتقى التجارة العالمية، ومنها إلى الفسطاط^(٣٥)، التي اشتهرت بتعدد اسواقها وقياسياتها^(٣٦)، ونشاط الفعاليات التجارية فيها^(٣٧)، كما أنشأوا الفنادق والاسواق والخانات^(٣٨)، والحمامات لتسهيل اقامة التجار الاجانب فيها فضلاً عن التجار العرب الوافدين من الولايات الاسلامية الأخرى^(٣٩).

أما الطريق الآخر الذي عُرف في هذا العصر فهو يبدأ من أوروبا إلى المشرق عن طريق انطاكية^(٤٠)، عبر البحر، ومنه ينقلون التجار اليهود البضائع براً على الدواب إلى الفرات إلى ان يبلغوا بغداد عن طريق هذا النهر وجداوله، ثم يركبون دجلة إلى الأبله^(٤١)، ثم إلى عُمان والهند والصين^(٤٢)، ولعل ما ذكره الادريسي خير دليل على ذلك بقوله :

"من عمان الطريق على الساحل إلى بلاد البحرين... قريتان بهما مغايص اللؤلؤ ويقابلهما جبل كبير غائص في البحر... فإذا وصلت المراكب الصاعدة من البصرة إلى عُمان ووصلت إلى هذا الحد أفرغت في الساحل ما فيها من الامتاع حتى تخف السفينة وتجاوز ذلك الطرف ثم... تسير إلى عمان"^(٤٣)

وهناك طريق آخر يبدأ من بلاد الروس الشمالية إلى المشرق عن طريق بحر قزوين، ثم إلى مدينة مرو^(٤٤)، وبلخ^(٤٥)، وبخارى^(٤٦)، وسمرقند^(٤٧) ببلاد ما وراء النهر، ومنها إلى الصين، ويحمل هؤلاء التجار البضائع والسلع معهم، وكان المسلمون

يعاملونهم معاملة طيبة ويأخذون منهم الجزية ^(٤٨) باعتبارهم مسيحيين، ^(٤٩) وقد لعب هؤلاء التجار الروس دور الوسيطاء التجاريين، بين الدول واتبعوا أكثر من طريق من الطرق البحرية عبر قزوين، كما اتبعوا الطريق البرية من جرجان ^(٥٠) إلى بغداد، واخذت التجارة بين تلك البلاد طرقاً ملتوية عبر شمال ايطالية من افريقية، قد تصل إلى بيزنطة، فضلاً عن الاتفاقيات المعقودة بين الاغالبية ^(٥١) وحكام صقلية ^(٥٢)، والتي تضمنت بنوداً خاصة بالتجارة، مما يُرجح وجود تجار بين كلا البلدين، ^(٥٣) الامر الذي جعل لهذه الطريق أهمية تجارية تذكر، كما دخل أهل الفلجا الاسلام في القرن الرابع الهجري، ويرجع ذلك إلى جهد السامانيين الذين عملوا إلى اقرار الأمن في خراسان، وبلاد ما وراء النهر حيث كانت القوافل تسير في امان، فضلاً عن زواج نصر ^(٥٤) بن أحمد الساماني، من ابنة ملك الصين مما كان له الأثر في رواج التجارة بين الصين وبلاد السامانيين، ^(٥٥) ومن الجدير بالذكر : فضلاً عن محور تجارة الشرق والغرب مع فروعها التي تمتد إلى خوارزم ^(٥٦)، هناك خط تجارة ثاني يسير من خراسان إلى كرمان ^(٥٧) وفارس والخليج العربي، وكان للكرمانيين سوق خاص بهم في مدينة نيسابور ^(٥٨)، مركزه كرمان أو جيرفت ^(٥٩)، وهذه السوق هي مركز للاتصال خاصة في العصر السلجوقي ^(٦٠).

وهناك طريق تجاري أخير من اوربا إلى المشرق، ويبدأ من بلاد الاندلس إلى طنجة ^(٦١)، عبر مضيق جبل طارق، ويجتاز بلاد المغرب الاقصى أفريقية - تونس الحالية - حتى يصل إلى مصر، ثم يتجه إلى بلاد الشام ماراً بالرملة ^(٦٢) ودمشق، ثم يتجه إلى العراق ماراً بالكوفة وبغداد والبصرة، ثم إلى فارس ماراً بالاهواز إلى كرمان والهند والصين، ^(٦٣) وقد كان لهذه الطرق التجارية فضلاً عن رواج التجارة فيها الفضل الكبير في انتشار الجاليات الاسلامية في البلاد الممتدة إلى الصين وغيرها. ^(٦٤)

إن من المهم ان لا يفوتنا ان نذكر جهود الخلفاء العباسيين واهتمامهم بعقد الاتفاقيات التجارية والسياسية، وارسال البحوث والسفارات إلى الدول الأجنبية، وخاصة مع الهند والصين لتأمين التبادل التجاري، فقد شهدت فترة حكم العباسيين نشاطاً ملموساً في تلك العلاقات الدبلوماسية العربية، الصينية، ففي سنة (١٣٩ هـ / ٧٥٦ م)

وصل إلى الصين سفارة عربية مكونة من خمسة وعشرون شخصاً^(٦٥) ويؤكد المسعودي : "... إن ملك الصين ارسل إلى الخليفة سفارة وصلت إلى بغداد وهي تحمل هدايا ثمينة للخليفة... " ^(٦٦)، ويبدو ان تلك السفارة كانت وفوداً تجارية، اسهمت في تحسين العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع الصين، كما اقام الخلفاء العباسيين علاقات دبلوماسية مع الهند وفرغانة ^(٦٧)، على اساس المصالح والمنافع المشتركة وبخاصة التجارة، فجاءت سفارات ووفود الجانبين لتزيد من توثيق تلك العلاقات التي ابتدأت منذ خلافة المنصور العباسي، الذي ارسل سفيراً إلى ملك فرغانة ^(٦٨)، ويبدو ان عصره كان حافلاً بالوفادات لكثرة الصوائف والشواتي، والمعروف عنها انها لاثبات وجود الدولة والعودة بالغنائم، لا للتوسع والاستقرار في المناطق المفتوحة التي تجري فيها، ومما يدل على ذلك أنه بعد الانتهاء من تلك الغزوات يتم الصلح بين الطرفين، فيذكر الطبري(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) : في حوادث سنة (١٥٥هـ / ٧٧١م) عندما انتهت الصائفة مع الروم التي غزاها يزيد بن أسيد السلمي ^(٦٩) " طلب صاحب الروم الصلح إلى المنصور على ان يؤدي إليه الجزية... " ^(٧٠)، ومما لا شك فيه ان اداء الجزية الاذعان والتبعية لنفوذ الدولة فضلاً عن ذلك الاستقرار للاحوال العامة، و يبدأ من بعدها العلاقات الدبلوماسية فيما بين الطرفين تتبعها الوفود التجارية التي تحسن حالة البلدين بعد الحرب التي مرو بها، ولا عزو ان تتطور تلك العلاقات مع الدول الخارجية في عهد خلفاء المنصور، فقد استقبل ملك الهند سفير الخليفة المهدي، واعلن السفير طاعته واحترامه للخليفة. ^(٧١)

ويبدو ان تلك العلاقات استمرت إلى عصر الرشيد فقد ارسل ملك الهند سفيراً للرشيد وبصحبه هدايا من سيوف وثياب ^(٧٢)، فقد اشتهرت شخصية الرشيد في اوربا نتيجة لعلاقاته الودية مع امبراطور الدولة الرومانية المقدسة شارلمان، والذي قامت بينهما صلات ودية، وتبادلت بينهما السفارات والهدايا، ولا شك ان المصالح السياسية كانت من وراء هذا التفاهم، والذي انعكس ايجاباً على المصالح التجارية، واقامة الوفود التجارية بين الدولتين ^(٧٣).

اما العلاقات مع الدولة البيزنطية، فقد كانت متوترة منذ قيام الدولة الاموية، والتي ابتدأها عبدالملك بن مروان (٨٥-٨٦ هـ)، بسك أول دينار عربي، وما اعقبه من اجراءات اخرى، ثم جاءت اجراءات ابنه الوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦ هـ)، ومن بعده الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١ هـ)، الذين عرفوا بتعزيزهم للرقابة التجارية، وما نجم عنها من حرية اقتصادية مماثلة من الجانب البيزنطي، ومع ان بيزنطة لا يمكنها الاستغناء عن منتجات العالم الاسلامي، ونتيجة لسك العملات العربية، جابهت الدولة الاموية ردة فعل بيزنطة تجاه الموضوع مما جعلها تفرض حصارًا اقتصاديًا على سواحل مصر والشام، غير ان هذا الحصار لم يضر الاقاليم العربية المطلة على سواحل البحر المتوسط، وكانت بيزنطة أشد تضررًا به، لانها به حكمت على نفسها بتضييق الخناق عليها، وعلى بقية السواحل الأوربية، ومما يثير الدهشة انها لا غنى لها عن ممتلكاتها في مصر والشام، فكيف لا يلحقها الضرر، حتى ان الوساطة التجارية لهذه الاقاليم العربية مع الشرق خسرتها، مع عدم وجود البدائل، ومما يجدر الاشارة إليه الى ان الوساطة التجارية في البحر المتوسط، قد تغيرت لصالح شمال افريقية وايطاليا، ولما استمد تجار شمال افريقية تجارتهم التي تاجروا بها مع ايطاليا من تجارات مصر والشام مع الشرق، ثم تنتقل هذه البضائع إلى بيزنطة، مما يعني تعدد الوسطاء، وبالتالي يؤدي إلى ارتفاع الاسعار التي تدفعها بيزنطة لجلب تلك البضائع، والذي يعود عليها بالخسارة الكبيرة، بيد ان الأمر اختلف قليلاً في العصر العباسي الاول بعض الشيء^(٧٤)، حيث بدا ان بيزنطة كانت على استعداد للتخلي عن الحصار الاقتصادي الذي مارسه من قبل، ودعت إلى توسيع العلاقات التجارية بين الدولتين وذلك خير دليل،^(٧٥) لكن في هذه الفترة انتقلت عقدة طرق النقل التجاري التي كانت مركزها الشام العاصمة إلى العراق، تبعًا لانتقال المركز السياسي لإدارة الدولة من دمشق إلى بغداد^(٧٦).

ولشهرة الخليفة الرشيد بعلاقاته مع الدول الاجنبية، فقد حوت المصادر العربية على اشارات لقيام علاقات تجارية مباشرة أو غير مباشرة مع بيزنطة، فقد اورد ابن الاثير في حوادث سنة (١٦٥ هـ / ٧٨١ م): انه في اعقاب الصلح الذي تم بين الخليفة

الرشيد وايريني على ان تقدم له الفدية، وان " تقيم له الادلاء والاسواق في الطريق ... " ^(٧٧)، لغرض تقليب المال وتصريفه لطلب النماء .

لعل ذلك مما يدل على قيام العلاقات التجارية بين الدولتين، وأشار الطبري (٣١٠ هـ / ٩٢٢م): إلى ما حصل بعد ذلك الصلح ان قدم إلى بغداد وفدًا حاملًا الجزية والهدايا إلى الخليفة ^(٧٨)، كما ويشير إلى ان الاتفاق الذي جرى بين نقفور والرشيد بعد فتح هرقله، عادت بعدها العلاقات التجارية بين البلدين إلى طبيعتها بما فيها التبادل التجاري ^(٧٩)، وثمة اشارة من الجاحظ بخصوص أهم البضائع والسلع التي كانت تستورد من الامبراطورية البيزنطية التي تنوعت بين الاواني الفضية والذهبية، والعقاقير الطبية والديباج والبرازين والجواري والاقفال المحكمة وغيرها. ^(٨٠)

يبدو مما تقدم أثر العلاقات التجارية مع البلاد الأخرى وتأثيرها على التجارة الداخلية والخارجية ومما تجدر الاشارة إليه ان العلاقات العباسية البيزنطية، كانت متدهورة على الدوام، وبين مدّ وجزرٍ، ولكنها تتراوح بين الرغبة في الحصول على الغنائم والمكاسب المادية، وبين الصراع حول الممرات والطرق التجارية بين الشرق والغرب، والتي حظيت بأهمية بالغة عند الطرفين، ^(٨١) وهذه التبادلات التجارية كانت غالبًا ما تقوم بين الطرفين فترة الهدنة، والتي غالبًا ما تُنقِض من قبل أحدهما، أثر حالة الاستقرار الامني في ذلك البلد، ^(٨٢) أو عندما يكون في حالة حرب مع طرف آخر ويريد ان يأمن أحد الجوانب العادية له، وخير دليل على ذلك ما طلبه الامبراطور تيوفيل من الخليفة المأمون من المهادنة والموادعة ليأمن جانبه عندما علم بتجهيزه لحربه لفتح عمورية، في الوقت الذي كان هو منشغلًا في حروبه مع الجبهة الشرقية والبلغار ^(٨٣).

المبحث الثالث

المدن التجارية وتأثيرها على التجارة الداخلية والخارجية

كان لبناء المدن وتمصيرها الأثر الكبير في ازدهار التجارة في العصور الإسلامية، فبعد ان عزم الخليفة المنصور على بناء مدينة بغداد حاضرة الخلافة العباسية بموقعها المعروف، والتي عرفت بمدينة السلام^(٨٤) قال الخطيب البغدادي (ت ٦٣٤ هـ / ١٧٠٢ م): " أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة...، فمثل لهم صفتها التي هي نفسه، ثم أحضر الفعلة والصُّنَّاع من التجارين والحدادين والحفارين، وغيرهم وأجرى عليهم الارزاق " ^(٨٥)، ثم استشار أهل الرأي من أهلها فقالوا : " نرى ان تنزل أربع طساسيج ^(٨٦)،... فتكون بين نخل وقرب ماء، فإن أجذب طسوج أو تأخرت عمارته كان في الآخر فرج، وأنت على الصراة ^(٨٧) تجيئك الميره في السفن الفراتية، والقوافل من مصر، والشام في البادية، وتجيئك الالات من الصين في البحر، ومن الروم والموصل في دجلة، فأنت بين انهار لا يصل إليها العدد إلا في سفينة أو على قنطرة على دجلة ^(٨٨)، ثم اختطها المنصور وجعلها مدورة ولا يُعرف في جميع اقطار الدنيا كلها مدينة مدورة غيرها ^(٨٩).

لعل ذلك مما يدل على حُسن اختيار الموقع المناسب لمدينة بغداد ليس عسكرياً فحسب بل تجارياً، فقد ذكر القزويني والحميري عنها : بأنها بُنيت على دجلة حيث " تجلب إليها الميرة والامتعة من البر والبحر، وتأتيها المادة من دجلة والفرات، وتحمل إليها طرائف الهند والصين، وتأتيها ميرة أرمينية وأذربيجان وديار بكر وربيعة...." ^(٩٠).

وكان لحفر قناة الملاحة التي تأخذ ماءها من الفرات عبر العراق، ووصلوها لحاضرة الدولة، والتي اصبحت تربط هذه الحاضرة بآسيا الصغرى وسوريا، وبلاد العرب ومصر، فكانت تأتي إليها القوافل من آسيا الصغرى مارة ببخارى وفارس، ^(٩١) فأصبحت السفن تدخل من بحر فارس وخليجه، ^(٩٢) والتي ترد من الهند والصين في دجلة من هذا

البحر ثم إلى مدينة المدائن، ويقدر جريان دجلة إلى ان يصب في البحر الفارسي ثلاثمائة فرسخ^(٩٣)، فضلاً عن وجود البطائح العامرة التي تفيض في كثير من الاوقات التي يُخشى عليها من ان تُغرق بغداد^(٩٤).

وبذلك يمكننا القول ان بغداد كانت من أهم المراكز التجارية في العالم الاسلامي، والذي زاد من أهميتها، فضلاً عن كونها حاضرة الخلافة، فهي ملتقى الكثير من الطرق التجارية^(٩٥)، لعل ذلك ما اراده الطبري بقوله : عن وجود المزايا التجارية فيها عندما تحدث عن مدينة بغداد وموقعها على شاطئ دجلة، ومرور السفن فيها من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة وتجيئها الميرة من " الروم وآمد^(٩٦)، والجزيرة والموصل... " ^(٩٧)، وقال المقدسي: واصفاً تلك السفن "... والناس ببغداد يذهبون ويجيئون ويعبرون في السفن وترى لهم جلباً وضوضاء... " ^(٩٨)، وان بها من تجارات البلدان أكثر مما في تلك البلدان التي خرجت منها تلك التجارات^(٩٩).

وما احلى وصف ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) لنهر دجلة وصفاء ماءه الصالح للملاحة بقوله: انه " كالمرآة المجلوة بين صحتين أو العقد المنتظم " ^(١٠٠)، وشبه موقعه بين الشرق والغرب وإن من يتطلع إليه كأنما يتطلع إلى مرآة صقيلة لا تصدأ.

ان ما نلمسه من حديثه فضلاً عن عدم عكره المياه وصلاحيته للملاحة، وهو ما سهّل نسيابية حركة السفن في دجلة وازدهار التجارة في بغداد، فلا عزو ان نذكر تمتع أهل بغداد من ارباب الدولة بالترف، والذي كان للعامّة فيه نصيب، الذين لم يكونوا على اتساع النعم التي عند اربابها غير انهم أخذوا يمتعون أنفسهم بالطيبات من جميع وجوهها، بعد ان تغربوا بالاسفار التي اكسبتهم التجارب، وارثهم العجائب ويرجع الفضل في ذلك إلى التجارات والمكاسب التي حصلوها إلى ان عمرت اسواقها وفاضت منها^(١٠١).

ولا يجب ان يفوتنا الحديث عن مدينة البصرة، ثغر العراق الباسم، التي تغنى بوصفها الجاحظ (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) بقوله : " الدنيا بصرة، والبصرة عين العراق، والعراق عين الدنيا " ^(١٠٢)، فبعد ان اتخذت الدولة العباسية العراق قاعدة لها، تشكل حدثاً

خطيرًا ومهمًا في النشاط التجاري مع الشرق والغرب، إذ ربطت لأول مرة مباشرة المواصلات المائية، البحر العربي عبر موانئ الخليج العربي كالأبلة وصحار^(١٠٣)، وقُدِّر للبصرة أن تغدو عبر الزمن من أبرز الموانئ العربية^(١٠٤)، ومحط رحال التجار وحركة تبادل السلع المستوردة من الهند والصين إلى مصر وأفريقية في حين كانت تلك البضائع المصدرة تنتقل من البصرة إلى سيرا^(١٠٥) ومنه تُسحب بالسفن الكبيرة إلى موانئ الهند والصين، فقد كانت البصرة مبتدأ الطرق البحرية، ويخرج منها طريقان إلى الخليج العربي أولهما : يذهب إلى الهند والصين، بينما يدور الآخر حول سواحل الجزيرة العربية إلى البحر الأحمر وإلى شرق أفريقيا، وقد أنشأ في رأس الخليج العربي، عند مصب نهر دجلة، فنار في البحر تُستدل منه السفن القادمة إلى البصرة، يُوقد فيه النار، كي تبتعد السفن عن الأماكن الضحلة في الليل.^(١٠٦)

كانت سفن العرب تقطع البحر الأبيض المتوسط من مدينة انطاكية شرقًا إلى جبل طارق في ستة وثلاثين يومًا^(١٠٧) وتعد مدينة انطاكية التي حصَّنها الخليفة المعتصم من أهم مرافق بلاد الشام التجارية، كما كانت نقطة انطلاق السفن التجارية منها إلى الشرق^(١٠٨) فضلًا عن مدينة صور^(١٠٩) الساحلية التي كانت ميناءً حربيًا أنشأت به دار للصناعة تخرج منه السفن لمحاربة البيزنطيين،^(١١٠) كما أصبحت أداة للاتصال بين الشرق والغرب، وغدت الفرما والاسكندرية من المراكز التجارية الهامة للتجارة التي تربط بينهما وتنتقل البضائع المجلوبة من أوروبا عن طريق البحر الأحمر، والتجارة الآتية من الشرق إلى أوروبا.^(١١١)

ومن الجدير بالذكر أن هذه السفن كانت ترسو في برقة^(١١٢) أول الأمر، ثم في طرابلس^(١١٣)، التي تعتبر من أهم الموانئ التي تمتد إلى المغرب الأقصى، فضلًا عن العلاقات التجارية بين بلاد الاندلس وغيرها من البلاد الشرقية، في الوقت الذي كانت فيه أبلة والقلزم وحدة من أهم الموانئ التجارية على البحر الأحمر، فلا ضرر قولنا: انهما المنفذان الرئيسيين إلى شمال البحر الأحمر، والذي تُنقل عن طريقهما البضائع من الشرق إلى الغرب وبالعكس،^(١١٤) ويرجع أهمية مدينة جدة إلى أنها محطة الحجاج المسلمين الذين كانوا يفدون إلى الديار المقدسة عن طريق الأبلة والقلزم أو عن

طريق عِذاب^(١١٥)، وكذلك عدن التي اشتهرت بالتجارة لوقوعها على مقربة من مدخل البحر الأحمر جنوبًا، حتى أن السفن التي كانت تأتي محملة بالبضائع الشرقية والغربية ترسو فيها^(١١٦)، فضلًا عن مدينة دمشق المقر القديم للخلافة السابقة، فقد كانت ملائمة كل الملائمة للتجارة، واتصال القوافل الخارجة من آسيا الصغرى، ومن بلاد الرافدين والمتجهة إلى مصر وبالعكس^(١١٧)، والتي قال عنها المقدسي: "هي دار الملك أيام بني أمية... وهو بلد قد خرقتهُ الانهار، واحرقت به الاشجار وكثرت به الثمار، مع رخص اسعاره، وتلج واضداد.."^(١١٨).

وعلى الرغم من شهرة مدينة دمشق التي ترجع إلى اعتبارها مركزًا من أهم المراكز التجارية ووقوعها على طريق قوافل الحجاج الرئيسي، فضلًا عن اجتماعهم فيها عند ذهابهم إلى مكة لأداء فريضة الحج، وعودتهم إليها بعد اداء الفريضة، فما ساعد على تدفق السلع إلى اسواقها^(١١٩)، والتي وصفها الادريسي: بأنها بلاد خصبة عيشتها أمانة وصناعاتها نافقة، ووصف "تجاراتها رابحة"، وهي اعز بلاد الدنيا^(١٢٠)، إلا ان الشريانيين الرئيسيين للتجارة العامة والشاملة داخل الدولة الخلافة العباسية كانا على الدوام النهرين الكبيرين دجلة والفرات^(١٢١)، والذي تاتيها التجارات برًا وبحرًا وبأيسر السعي، حتى تكامل بهما كل متجر من المشرق والمغرب من ارض الاسلام، وغير الاسلام^(١٢٢).

اما أهم المدن التجارية في المشرق الاسلامي، فتعتبر مدينة نيسابور من اشهر تلك المدن في العصر العباسي، لما احتوت من تجارات متنوعة أهمها الملابس والتي تضم العمائم^(١٢٣) والمقانع^(١٢٤) والثياب الكثيرة الغليظة، كما يرتفع من قوهستان^(١٢٥) ثياب تشابه الثياب النيسابورية، ويذكر ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) انه: "ليس بخراسان مدينة أدوم تجارة، وأكثر سابلة، وأعظم قافلة من نيسابور"^(١٢٦).

ولعل مما يدل على ذلك قول القزويني (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): "انها مدينة ذات فضائل حسنة وعمارة، كثيرة الخيرات والفواكة والثمرات، جامعة لأنواع المسرات، عتبة الشرق، ولم يزل القفل ينزل بها"^(١٢٧).

ويُفهم من كلام المؤرخين انها لم تكن محطة لمرور السفن التجارية فيها فحسب، بل مركزًا تجاريًا هامًا للقوافل تمر عبر ابوابها إلى العراق وبلاد السند والهند والصين، ومنها تنتقل البضائع التجارية، من منتوجات زراعية وصناعية، والذي بلغ ذروته في الكمية والنوعية والجودة، فلا غرابة ان يتم الاقبال عليها من البلاد المجاورة لها، أو حتى البعيدة عنها، فضلًا عن الاستقرار الامني في المشرق الاسلامي، وخاصة في العصر العباسي الأول، وهو مما ساعد على ازدهار التجارة فيها، وتشجع التجار على نقل البضائع من مكان إلى آخر دون خوف من اللصوص أو قطاع الطرق، لا سيما وانهم كانوا موجودين وامثالهم من العيارين والشطار في بغداد مركز الخلافة العباسية، خاصة فترة الصراع بين الامين والمأمون، هذا فضلًا عن مدن خراسان الأخرى وما وراء النهر في المشرق الاسلامي.

المبحث الرابع

الاسواق والتعاملات التجارية فيها وتأثيرها على التجارة الداخلية والخارجية في العصر العباسي

عرف العرب قديماً الاسواق، والكلمة مشتقة من سوق الناس بضائعهم اليها، ولأن التجارات تجلب اليها ^(١٢٨)، ويُعرفها ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) " ... ان الاسواق كلها تشمل على حاجات الناس، فمنها الضروري وهي الاقوات ... ومنها الحاجي والكمالي ... " ^(١٢٩).

وحقيقة الأمر ان السوق العربية مجموعة من الحوانيت والمصانع التي تتركز فيها الحياة الصناعية والتجارية، كما تعني الاسواق البسيطة التي تنتشر في القرى، وقد لعبت الاسواق دوراً كبيراً في احوال الدولة العربية الاسلامية، سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، فكانت مراكز للبيع والشراء، وعقد الصفقات، ومنها تقرر حالة البلاد الاقتصادية، كما أثرت على الحالة الاجتماعية، ففيها يلتقي المسلمون وغيرهم، ببعض فيتعارفون ويتحدثون، وفيها تختلط عناصر السكان المختلفة، من عرب وعجم، مسلمين وأهل ذمة ^(١٣٠)، ولعل من الملفت للنظر ان موقع مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية تميز بميزة اقتصادية، منذ القدم، لوقوعه في ملتقى الطرق التجارية القادمة من الشمال إلى الجنوب، كما ان طرق القوافل القادمة من الشرق والمتجهة إلى الغرب وبالعكس، جعلها ملتقى القوافل التجارية تلك، وبطبيعة الحال سوقاً للبضائع والمنتجات التي تُنتج في مختلف المناطق شمال العراق وجنوبه ^(١٣١).

عرف العرب الاسواق في الجاهلية والاسلام، والكل يعرف ما كان لسوق عكاظ من شهرة عظيمة، فقد كان مكاناً مختاراً للتجارة والأدب، لذا فقد حرص العرب بعد انتهاء الفتوحات الاسلامية على انشاء الاسواق في الامصار المفتوحة، واصبحت بجانب اغراضها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مكاناً لمفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء وغيرها ^(١٣٢).

اعتاد المسلمون ان يقيموا هذه الاسواق، وتقيم كل طائفة من التجار في قسم من اقسام هذه الاسواق، ولا يعودون إلى دورهم إلا في المساء^(١٣٣)، وهذه الاسواق تقتصر على ما يجاورها من القرى وما ينزل بمساحتها من القبائل، كسوق هَجَر واليمامة، وغيرها، ومنها ما كان عامًا تقد إليه الناس من المدن الأخرى كسوق عكاظ، ولكل مدينة بطبيعة الحال اسواق خاصة بها، وانما المقصود هنا الاسواق الموسمية التي لها ايام معينة من السنة تقوم بينها، ويؤمنها الناس، فإذا كانت على ذات موقع جغرافي، كأن تكون على ساحل البحر مثل سوق عُمان وعدن وصنعاء، كان شأنها ممتازًا لشيوع لإتجار فيها مع جيرانها، أما الاسواق المتاخمة للقبائل والقرى فمقتصرة على قبائلها وسكان المدن القريبة منها^(١٣٤)، وهذه تقام في ايام معينة من الاسبوع^(١٣٥)، الذي كان يقام في الجانب الشرقي قبل بناء مدينة بغداد في كل شهر مرة واحدة^(١٣٦)، ومن امثلتها سوق الثلاثاء كانت الحوانيت في مصر والشام وفلسطين والمغرب تمتد على طول الشوارع من الجانبين، وخصصت للتجار الغريباء فنادق اشبه بالاسواق الكبيرة^(١٣٧)، ويذكر اليعقوبي (٢٩٢هـ/١٠٠١م): ان هؤلاء التجار يضعون بضائعهم في هذه الفنادق ويقفلون غرفهم باقفال رومية، ويطلق على هذه الاسواق أو المخازن، الفنادق أو القياسر^(١٣٨)، ويبدو ان هذه الفنادق لم تكن منتشرة في الموانئ فحسب، بل في المدن^(١٣٩)، وشبهها احد المؤرخين بقوله: " وهذه القياسر كالخان العظيم تُغلق عليها ابواب حديد، وتطبق بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض " ^(١٤٠)، ومن هذه الخانات أو المخازن العظيمة ما عُرفت باسم ما يردها من الفاكهة أو الخضر كدار البطيخ في البصرة، الذي ترده جميع اضااف الفاكهة^(١٤١).

تنوعت اجناس أولئك التجار في الاسواق، وهم يطوفون بالبلاد من أهل بغداد وغيرها، يطلبون الجديد والتمين من البضائع^(١٤٢). وكان سائر التجار يفدون إلى دار السلام محملين بمختلف البضائع وسائر الاطياب والعقاقير والتوابل من الهند والصين وشواطئ افريقية، وجزائر الهند واليمن وغيرها إلى البصرة، ثم إلى بغداد^(١٤٣)، جنة الارض وغرة البلاد^(١٤٤)، ويحدثنا البلاذري (٢٧٩هـ/٨٩٢م) : عن اسواق بغداد فيقول : لما بنى الخليفة العباسي المنصور مدينة بغداد سنة (١٥٥ هـ / ٧٧١ م) كان ولي عهده

ابنه المهدي، على الرقة، وكان بين الرقة والرافقة فضاء زراعي بناه والي الجزيرة اسواقاً، ونقل اسواق الرقة إلى تلك الأرض الفضاء " فكان سوق الرقة الاعظم فيما مضى يُعرف بسوق هشام العتيق "، ولما قدم الخليفة الرشيد الرقة، استزداد في تلك الاسواق^(١٤٥).

ووضع الخليفة المنصور نظاماً معيناً لتلك الاسواق، فجعل لكل حرفة سوقاً خاصة بها، ومن هذه الاسواق سوق العطارين وسوق الحدادين وسوق النجارين، وسوق البزازين، وسوق القصابين، حيث كان النشاط التجاري الداخلي يتركز في الاسواق التي تقام في كل مدينة، وقد تتخذ احياناً تلك الاسواق اسماء السلع التي تبيعها أو المنتجات التي تنتجها، كسوق الصاغة، أو سوق السراجين، أو سوق الزجاجين^(١٤٦)، ولكل تجار وتجارة شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت وعراص^(١٤٧).

تحدث القزويني(ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) عن سوق في محله باب الطاق في الجانب الشرقي من بغداد فقال : " كان بها سوق الطير، فاعتقدوا إن من تحسر عليه شيء من الامور، فاشترى طيراً من باب الطاق، وأرسله، تستهل عليه ذلك الأمر"^(١٤٨). وذكر اليعقوبي (٢٩٢هـ/١٠٠١م) عن اسواق بغداد زمن الخليفة المهدي العباسي: انها اشتهرت بكثرة الدروب والابواب وبطرق رئيسية أربعة إلى جانب باب الكرخ التي تنحرف منها إلى اليمين حيث توجد قطيعة من الأرض يجتمع فيها تجار خراسان من البزازين^(١٤٩)، وازداد ما يُحمل من خراسان من الثياب لا يختلط بها شيء وهناك " النهر... يقال له نهر الدجاج^(١٥٠)، لأنه كان يُباع عليه الدجاج في ذلك الوقت"^(١٥١).

ان الاسواق التي اقيمت في بغداد بادئ الأمر كانت تقع على جوانب الطرق، مما ادى إلى اختلاط التجار القادمين عن البلاد الأخرى بسكان المدينة، وكان هذا موضع انتقاد أحد بطارقة الروم حينما زار بغداد في عهد المنصور، إذ عاب على المدينة سكن التجار والسوق فيها معاً، لأن كثيراً من الجواسيس يتكرونها بزي التجار ويندسون داخل المدينة فيعرفون اسرارها وينصرفون دون ان يفطن إليهم أحد، بل وربما استطاع أحدهم فتح ابواب المدينة لرفاقه ليلاً، وهذا خطر على المدينة وأهلها^(١٥٢).

لعل ذلك ما دفع الخليفة الرشيد إلى ان يطوف بالاسواق ليلاً مع وزيره جعفر البرمكي وخادمه للاستطلاع على ما لا يصل إليه من أمر السوق والعوام، ولمعرفة ما يدور بين الناس من الاحاديث والايخبار مختلفاً في زي التجار^(١٥٣).

أما اسواق البصرة فأقدمها يُعرف باسم سوق بلال، الذي لم يعد كافياً لسد حاجات الناس هناك في العصر العباسي،^(١٥٤) فأنشأ المربد^(١٥٥) وهو اقدم الاسواق المعروفة في مدينة البصرة، والذي كان يجتمع فيه العرب من الاقطار يتقاسدون الاشعار ويبيعون ويشترون فيه^(١٥٦)، والذي أحتل مكانة كبيرة بعد خمول أمر سوق عكاظ، وأصبح المربد مكاناً مرتاداً لعلوم الأدب والنحو واللغة، فضلاً عن الوان المعاش فيه والاجتماع، فقد كان في الاصل سوقاً لبيع اسواقاً فرعية، فمنها سوق الدباغين وسوق الابل، وسوق الطحانين، وسوق الوزانين، وتحول سوق الكلاء، الذي يُعد من أشهر اسواق البصرة إلى سوقاً كبيرة تضم أسواقاً فرعية متخصصة كسوق القصابين وسوق الكحالين وسوق الدقيق^(١٥٧).

ومن الجدير بالذكر ان في البصرة من النخيل ما ليس في بلد من بلاد الدنيا^(١٥٨) الذي هو من عجائبها، ويكون محبوباً في بيادر فلا يقع عليه شيء من الذباب لا في الليل ولا في النهار^(١٥٩)، ومنها تُحمل هذه التمور إلى الاطراف، فضلاً عن الحنّاء الذي اشتهرت به، كما اشتهرت بالخبز والبنفسج وماء الورد وغيرها^(١٦٠).

تُعد مدينة نيسابور من أهم مدن المشرق الاسلامي التجارية في العصر العباسي، لما حوته أسواقها من التجارات، والتي تقع خارج المدينة، وخيرة هذه الاسواق سوقان، سوق المربعة الكبير، وسوق المربعة الصغير،^(١٦١) وقد ذكرهما ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) بقوله : " خلال هذه الاسواق خانات وفنادق بما يعلم أنه يغلب على أهله من أنواع التجارة، وقلّ فندق لا يُضاهي أكابر اسواق ذوي جنسه " ^(١٦٢).

اما مدينة أصبهان فيحدثنا الرحالة ناصر خسرو (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) عن اسواقها فيقول: ان بها اسواقاً كثيرة، بيد ان الصفقات التجارية، كانت تتم بالذهب النيسابوري في تلك المناطق، لعل ذلك مما يدل على شهرة مدينة نيسابور السابقة الذكر، وانها احدى مراكز التجارة العالمية في المشرق، ومقصد التجار من كل بقاع الارض مثل

بغداد، والا لما انتشرت نقودهم في الآفاق^(١٦٣)، فضلاً عن شهرة ثيابها المعروفة بالنيسابورية^(١٦٤).

واشتهرت أيضاً مدينة بخارى في عالم التجارة، وبصورة خاصة تجارة الرقيق وفراء ثعالب، وكانت تُصدر أنواعاً من الثياب والانسجة المعروفة بالتجارية، وتُنتج مادة البُسْط، والثياب الصوفية، وأنواع من المعادن^(١٦٥).

وتحدث ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) عن تجارة كرمان فقال: "تعتبر هرموز مجمع تجارة كرمان، وهي فرضة البحر، وموضع السوق،...، وليس بها مساكن كثيرة، وانما يغلب عليها مساكن التجار،....، وفيها الكثير من النخل، كما يغلب على زروعهم الذرة... " ^(١٦٦)، وقال القزويني " هي بلاد واسعة الخيرات كثيرة الغلات من النخل والزرع والمواشي، وبها ثمرات... " يحمل إلى جميع بلاد الدنيا،... وشجر القطن بكرمان يبقى سنين حتى يصير مثل الاشجار الباسقة، و... بها معدن الزاج الذهبي الذي يحمل إلى سائر الآفاق ".

ويُفهم من كلام المؤرخين ان بكرمان الكثير من التجارات بسبب وجود المعادن والاحشاب التي تُحمل إلى جميع بلاد الدنيا، وبها من الاحشاب ما لا تحرقه النار "... يقولون أنه من الخشب الذي صُلب عليه المسيح " ^(١٦٧).

وتحدث المقدسي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) عن تجارة نرماشير فقال: " بلدة أهله عجيبة قصورها حسنة أنيقة، بها تجار كبار كثيرة المتاع والحمال منها يُصدر نفر خراسان، وإليها يُجمع متاع عُمان، وبها تجتمع تمر كرمان، وعليها طريق حاج سجستان ^(١٦٨).... " ^(١٦٩).

ما نستشفه مما سبق اهتمام العباسيين بالتجارة مع مدن المشرق الاسلامي لما حوته تلك المدن من خيرات زراعية وصناعات وتجارات يحملُ منها إلى مركز الخلافة العباسية بغداد ويصدر إلى غيرها.

تميزت العصور العباسية المتأخرة باضطراب اوضاع الدولة، وتسلبت العناصر الاجنبية، التركية منها، أو الفارسية، وتقلص رقعتها السياسية، وقلة الرقابة والسعي إلى احداث ضرائب جديدة اطلق عليها المكوس^(١٧٠)، اضافة إلى الزيادة في الضرائب

القديمة (١٧١)، ومنها الضرائب التي فرضت على البضائع المارة في النهر أو البر في أماكن معينة من الدولة، وساعد الانقسام السياسي والفوضى الداخلية عليها وتُدعى هذه الضرائب المفروضة بالمآصر (١٧٢)، وهناك المستغلات وهي الضرائب التي تفرض على الحوانيت والأسواق، كما فرضت ضرائب على ما يُباع في الأسواق من الحنطة والخضر والفواكه، فضلاً عن الضرائب المفروضة على بيع الأغنام والدواب والبقر والخيول، وعلى بيع الخمور، والمنسوجات الحريرية والقطنية أحياناً، فكانت معرّقة للصناعة والتجارة، وقد تصل في بعض الأحيان هذه الزيادة في الضرائب إلى أن تكون مصدر شغب وفتن (١٧٣).

وصفوة القول أن التجارة العليا كانت من أبواب الرزق الواسعة في هذا العصر لأصحاب المواهب التجارية ولمن يخدمهم أو يتقرب من البلاط وأهله، فظهرت في ذلك الوقت بيوتات تجارية شهيرة جمعت الأموال وتجاوزت ثروتها الملايين من الدينارين، منهم من اعتمد على حفظه في جمعها، حتى ارتقى إلى طبقة الخاصة، ومنهم من طالتهُم النكبات، ففي عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي برز من آل الجصاص ممن صودرت أموالهم من جملة المصادرات التي كانت تُطال التجار، وذوي اليسار، والمستفذين من أرباب الدولة العامة، ورغم مصادرة ستة عشرين ألف دينار من أمواله إلا أنه بقي له الشيء الكثير من الدور والقماش والضياع والأموال (١٧٤).

أما العملات التي كانت تستعمل في الأسواق، فهي الدينار من الذهب، و الدرهم من الفضة، وكان الدينار شائعاً في البلاد الغربية للدولة الإسلامية، وخاصة في البلاد التي كانت تابعة للدولة البيزنطية قبل استيلاء العرب المسلمين عليها، أما الدراهم فكان استعماله شائعاً في العراق في القرن الرابع الهجري (١٧٥)، والذي بالطبع تتغير قيمته من حين إلى آخر، ومن بلد إلى بلد وحسب الأوضاع العامة للبلاد، فيخبرنا ابن جبیر (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) : حين زيارته أسواق بغداد أنهم كانوا " يتبايعون بينهم بالذهب" (١٧٦)، ومن وسائل التعامل الأخرى هو الصك، وهو أشبه بالشيك الآن (١٧٧)، فقد ذكر الخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) : إن الصك : " كان يُجمع فيه أسماء المستحقين وعددهم وما يستحقونه من المال، ثم يوقع الخليفة، أو السلطان أو الأمير

بتوقيعه في آخر الصك باعتماد دفع هذه الارزاق أو الرواتب " (١٧٨)، وقد استعمل البحارة الحوالات المالية، فقد ذكر: ان السلطان السلجوقي ملكشاه سلم الملاحين الذين نقلوه وجيوشه على سفنهم عبر نهر جيحون قد تسلموا من وزيره نظام الملك حوالات تسلموا قيمتها النقدية من العامل السلجوقي بانطاكية (١٧٩)، كما تعامل تجار نيسابور بالسفاتج التي تُعرف اليوم بالكمبيالات وعرفوا خطابات الضمان كوسيلة من وسائل التعامل التجاري واستبدلوها بالرقاع (١٨٠)، وانها اتخذت لتحويل الديون من شخص لآخر، وتصفية الحسابات بين التجار في مختلف المدن دون الحاجة إلى نقل النقود. (١٨١)

عرفت في التعاملات التجارية القديمة طريقة المقايضة، وهي من الطرق البدائية، وكانت تتم فيها مبادلة سلعة باخرى (١٨٢)، دون وسيط وعرفت بالمقايضة الصامته، و يتم فيها استبدال سلعة مقابل سلعة أخرى، كأن تكون سلعة من حاصل معين مقابل سلعة من حاصل آخر يُزرع كل في منطقة تابعة لنفوذ إحدى تلك القبائل البدائية دون اتفاق مسبق، ومع تطور الحياة الانسانية، والطبيعة البشرية، ظهرت عملية الاتفاق على التبادل الكمي والنوعي، وكان ذلك يحدث بين زنوج شرقي افريقيا ووسطها (١٨٣)، وبين سكان المحيط الهندي مع الصين، (١٨٤) وبظهور النقود وتطورها وتعريبها في العصر الاموي زمن الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ)، فمن الطبيعي ان تتقرض كل تلك الطرق البدائية القديمة في التعاملات لتحل محلها انظمة نقدية جديدة، ولما كانت الدولة العباسية تتعامل بالدينار والدرهم معاً، وتعترف بهما رسمياً وتقبلهما في مبالغ الخراج باي من النقدين (١٨٥)، كما صنفت تلك النقود إلى جيدة وريئة، فالجيدة تضرب على عيار صحيح من ذهب أو فضة، وقد وصفها الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) بقوله: " خير الدنانير العتق الحمر المائلة إلى الخضرة " (١٨٦)، أما النقود الرديئة، فهي التي تقل قيمتها الذاتية في التعاملات التجارية ولا تقبلها الدولة في معاملاتها أو جباياتها (١٨٧)، كما كانت تُعاقب صانعيها (١٨٨)، ولعل مما يدل على استعمال الدولة العباسية للدنانير الذهبية والدراهم الفضية في تعاملاتها التجارية، ما أورده الجهشيارى (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م): عن اثنان غلات السواد زمن الخليفة هارون

الرشيد (١٧٠ - ١٩٤) هـ، والتي كانت كلها بالدنانير الذهبية والدرهم الفضية (١٨٩)، ومثلما اهتمت الدولة بطريقة التعاملات التجارية في اسواقها، وتسهيل سبل تلك الطرق لتجارية وتنويع البضائع المطلوبة من البلاد الأخرى لحاضرتها عن طريق البر والبحر، لتنشيط اسواقها، والحركة التجارية فيها (١٩٠)، اهتمت بالرقابة على الاسواق، فقد فرضت رقابة شديدة لمنع الغش والتلاعب بالاسعار، وكان المحتسب هو المسؤول عن منع هذه الامور، ومراقبة نظافة الاسواق والاشراف عليها، ومنع التجار من ان يغبنوا ضعاف الرعايا اشياءهم، ولا يُسمح للباعة ان يرفعوا اسعارهم اكثر من المقرر أو يبغسوا الناس اشياءهم (١٩١)، كما كان المحتسب يتخذ له اعاونًا يساعدونه في مراقبة الاسواق والمكايل والاوزان (١٩٢)، فضلًا عن وجود النقابات التي تقوم بمراقبة التجار لمنعهم من الغش، والتدليس في البضائع التجارية، وتحل المشاكل التي قد تحدث بين التجار خلال عمليتي البيع والشراء، وينتخب من بين التجار رئيسًا لهم، يكون من التجار البارزين، ليُصبح رئيسًا لتلك النقابة، وعادة ما يسمى هؤلاء الرؤوساء بالامناء (١٩٣)، فضلًا عن طرق التعامل التجارية الأخرى في الاسواق، وزيادة الاموال، مما دفع بعض التجار إلى العمل كصيارفة، ومما يدل على انتشار هذه المهنة يُخبرنا الرحالة ناصر خسرو: انه شاهد في أصبهان سوقًا للصرافين، يجلس فيه ما يقارب مائتا صراف (١٩٤)، فضلًا عن تأسيس بيوت الاموال، لعلها تشبه المصارف اليوم، كما ظهر نظام الائتمان المصرفي وغيره من أنظمة التعامل في التجارة الداخلية والخارجية (١٩٥)، لعل ما تقدم خير دليل على ازدهار الاسواق التي هي منافذ البيع والشراء وطريقة التعاملات التجارية (١٩٦) فيها مما ادى إلى ازدهار التجارة الداخلية والخارجية في العصر العباسي.

الخاتمة

حظيت التجارة في العصر العباسي بجانب كبير من الاهتمام في المصادر العربية، لعل ذلك يرجع إلى ازدهار الحركة التجارية في ذلك العصر، وما رافقها من تطور سريع في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ويعود رقي التجارة وازدهارها في ذلك العصر إلى عدة أمور ؛ منها موقع العراق الجغرافي، فهو نقطة اتصال بين اواسط آسيا والهند والصين من جهة وبين الجزيرة والشام ومصر وشمال افريقية والمغرب من جهة أخرى، فبعد استتاب الأمن وانتهاء الفتوحات الاسلامية، أصبحت الظروف مواتية لأن يلعب أهل بغداد دور الوسيط في التجارة بين الشرق والغرب، ومما ساعد على نمو التجارة وازدهار التشجيع المباشر، والغير مباشر للتجارة، من قبل الخلفاء لحاجتهم إليها ورجال الدولة، مما ساعد على انعاش طبقة التجار، وذوي رؤوس الاموال والمتنفذين، وتحولت بغداد إلى اكبر مركز تجاري في العالم ووردت إليه السلع لنادرة والثمينة من كل الانحاء وتزودت اسواقه بالغالي والنفيس من الشرق والغرب وأخذ التجار يؤمها من الآفاق، وعجت اسواقها بالحركة التجارية، ولم يكن ذلك غريباً على حاضرة الخلافة العباسية التي بُنيت فيه بغداد والتي اشتهرت من قبل تأسيسها بما لها من بعد تجاري، والذي كان مقصداً للتجار العرب والفرس، لما يتمتع به العراق من وفرة الحاصلات الزراعية والصناعية فمن الطبيعي اهتمام الخلافة الحاكمة بتصريف تلك المنتجات عن طريق التجارة، حيث تهيأت لبغداد الاسباب لتكون مركزاً لانطلاق القوافل التجارية، عبر الطرق البرية والبحرية إلى الهند والصين عبر الفرات وإلى الروم وارمينية عبر الموصل في دجلة، كما ادى قيام الدولة العباسية إلى انتقال طريق التجارة البحري من البحر الأحمر وصارت السفن تسلك طريق الخليج العربي ثم إلى البصرة فبغداد، ونشطت التجارة مع الهند عن طريق البحر وكانت تجلب إليها السلع والبضائع المختلفة منه، أما الطرق البرية فقد نشطت التجارة عن طريقها لسيطرة العباسيين عليها فضلاً عن ذلك قيام الاسواق لتصريف البضائع والتي اهتم ببناءها الخلفاء العباسيين، والتي

روعي - فيها ان تكون قريبة من الطرق والممرات التجارية فضلاً عن تسهيل التعاملات التجارية وغيرها مما ساعد على ازدهار التجارة الداخلية والخارجية فيها.

المصادر

- (١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)، العين، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت)، ج ١، ص ٣٨١.
- (٢) أبي الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م)، ج ١، ص ٣٥٣.
- (٣) لبستاني، بطرس، محيط المحيط، (مكتبة رياض الصلح، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م)، باب التاء، ص ٦٥.
- (٤) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافغاني (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)، لسان العرب، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون، (دار المعارف، القاهرة، د.ت)، مج ١، باب التاء، ص ٤٢٠.
- (٥) التذليل : بالتحريك هي الظلمة، والمدالسة المخادعة، وهي اخفاء عيب السلعة عند البيع، أو كتمان عيبها عن المشتري، ابن منظور، لسان العرب، مج ٢، ص ١٤٠٨.
- (٦) الربا : من ربا الشيء يربو رباءً : زاد ونمى، وأربيتُهُ نميتُهُ، ومنهُ أخذ الربا : الحرام، قال الله تعالى : ((وما أتيتُم من ربا ليربو في اموال الناس، فلا يربو عند الله))، ويعني دفع الانسان الشيء ايعوضه ما هو أكثر منه، وهو في الشرع الزيادة على أصل المال من غير عقد أو تباع و له أحكام كثيرة في الفقه. يُنظر : الأزهرى، ابي منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٣ م)، تهذيب اللغة، تحقيق : عبد الكريم العزباوي، ومحمد علي النجار، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت)، ج ٤، ص : ٢٠٤، ابن منظور، لسان العرب، مج ٣، ص ١٥٧٣.
- (٧) ابن منظور، لسان العرب، مج ١، باب التاء، ص ٤٢١.
- (٨) الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ / ١٤٢٣ م)، التعريفات، (دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م)، ص : ٣٩.
- (٩) أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) المقدمة، (دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٧ م)، ص ٣٩٩.
- (١٠) البيوزيكي، توفيق سلطان، دراسات في النظم العربية الاسلامية، (الجمهورية العراقية، جامعة الموصل، ١٩٨٨ م)، ص ٢٤٩.
- (١١) الخربوطلي، علي حسني، الحضارة العربية الاسلامية، (مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت)، ص ١٧٥.
- (١٢) ابن هشام، ابي محمد عبد الملك المعافري (ت ٢١٨ هـ / ٩٣٠ م) السيرة النبوية، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥ م، ج ١، ص ١٧٢.
- (١٣) سورة البقرة، الآية : ٢٧٥.
- (١٤) الافغاني، سعيد، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام، ط ٢، (دار الفكر، سورية، دمشق، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م)، ص ٣١.
- (١٥) الايجاب : هو قبول العقد قبلاً فهو قابل خلاف دابر. المقري، أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠ هـ / ١٣٧١ م)، المصباح المنير، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧ م)، ص ١٨٥، الرازي ؛ محمد بن عبدالقادر (ت ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م) مختار الصحاح، (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٠ م)، ص ٧٠٩.

(١٦) الشافعي، نجم الدين عبدالغفار بن عبدالكريم (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)، الحاوي الصغير، تحقيق: صالح بن محمد بن ابراهيم، (دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٠هـ)، ص ٢٥٩.

(١٧) ابن منظور، لسان العرب، مج ٥، ص ٣٥٢١؛ المقري، المصباح المنير، ص ٨٢.

(١٨) الخربوطلي، الحضارة، ص ١٧٨.

(١٩) سورة فاطر، الآية: ٣٠.

(٢٠) سورة النور، الآية: ٢٤.

(٢١) ابن الاثير، ابو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ج ٥، ص ٦٣.

(٢٢) ابن طباطبا، محمد بن علي بن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)، الفخري في الاداب السلطانية، (دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت)، ص ١٤٠.

(٢٣) حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م)، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٢٤) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٢، ص ٣١١.

(٢٥) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٢، ص ٣١١؛ هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ج ١، ص: ٤٣.

(٢٦) متز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ط ٥، تعريب: محمد عبدالهادي ابو ريده، (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت)، ج ٢، ص ٣٧١.

(٢٧) هايد، تاريخ التجارة، ج ١، ص ٤٣.

(٢٨) العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، (دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت)، ص ٦٠.

(٢٩) متز، الحضارة الاسلامية، ج ٢، ص ٣٧١.

(٣٠) أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من اعلام المدن واعيانها وحي اليهودية من الاحياء المشهورة فيها، وهي من نواحي الجبل. ياقوت الحموي، ابي عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)، مج ١، ص ٢٠٦.

(٣١) تستر: من اعظم مدن خوزستان، وهي تعريب لكلمة شوشتر وسميت بذلك لان رجلاً من بني تستر بن نوت فتحها فسميت باسمه، ومعناها النزه الطيب للمزيد، انظر: ياقوت، معجم البلدان، مج ٢، ص: ٢٩.

(٣٢) مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م)، ج ١، ص ٣٥٦؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٢٦.

(٣٣) متز، الحضارة الاسلامية، ج ٢، ص ٣٢٣.

(٣٤) السويس: تقع على ساحل البحر الاحمر من نواحي مصر، وهي ميناء أهل مصر إلى مكة والمدينة ومنه تحمل الميرة على المراكب إلى الحرمين الشريفين. للمزيد أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٦؛ القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤٢١م) صبح الاعشى في صناعة الانشاء، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ، ٢٠١٠م)، ج ٣، ص ٢٤٣.

(٣٥) الفسطاط هي مصر وسميت بذلك لأن مصر ايم بن حام بن نوح (ع) بناها لأول مرة، ولما نزلها المسلمون وافتتحها عمرو بن العاص اختطت المسلمون حول فسطاطه. للمزيد انظر: الادريسي،

- محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٣م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، (مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت)، ج ١، ص ٣٢٢.
- (٣٦) القياسر : هي السوق الكبيرة المسقفة التي تحوي على العديد من المحال التجارية. للمزيد أنظر : ابن مماتي، شرف الدين أسعد بن سعيد (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، جمع وتحقيق : عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٥٧ ؛ دهمان، محمد أحمد، معجم الالفاظ التاريخية، (دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م)، ص ٢٥٧.
- (٣٧) ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، صورة الارض، (مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٩م)، ص ١٣٨ ؛ زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، ط ٢، (منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت)، ج ٢، ص ٥٥٨.
- (٣٨) الخانات : جمع كلمة خان، والمراد بها مكان يشتمل على ساحة ورواق ومعالف للدواب وحجرات تؤجر للمسافرين من التجار لمن يريد ان ينام يربط دابته عنده، ولصاحب الخان اجرة عن كل دابة واجر عن التاجر المسافر، للمزيد أنظر : ابن عبدالحق، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٤٨٨ ؛ الخطيب، معجم الالفاظ والمصطلحات، ص ١٥٧.
- (٣٩) اليوزبكي، دراسات، ص ٢٥٤.
- (٤٠) مدينة عظيمة على ساحل بحر الشام. للمزيد يُنظر : البكري، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تحقيق : جمال طلبة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ٣٤ ؛ الحميري، محمد بن عبدالمعنع (ت ٩٠٠هـ / ١٥٠٠م)، الروض المعطار في خير الاقطار، تحقيق : احسان عباس، (دار القلم للطباعة، بيروت، ١٩٨٦م)، ص ٣٨.
- (٤١) الأبلّة : كورة بالبصرة نضرة الاشجار متدفقه الانهار، للمزيد أنظر : القزويني، آثار البلاد، ص ٢٨٦.
- (٤٢) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٢٧.
- (٤٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ١٦٢.
- (٤٤) مرو : من اشهر مدن خراسان والنسبة اليها مروزي و تعني الحجارة البيضاء التي يقترح بها للمزيد أنظر : اليعقوبي، أحمد بن اسوق بن واضح (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٢م) البلدان، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م)، ص ٩٨ ؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٢ - ١١٦.
- (٤٥) بلخ : احدى ارباع خراسان الشهيرة، فتحها عبدالرحمن بن سمرة أيام معاوية بن ابي سفيان، للمزيد أنظر : اليعقوبي، البلدان، ص : ١١٦ ؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص : ٤٧٩.
- (٤٦) بخارى : من اعظم بلاد ما وراء النهر، وهي بلد واسع فيه اخلاط من الناس من العرب والعجم افتتحها سعيد بن عثمان بن عفان أيام معاوية بن ابي سفيان. للمزيد أنظر : اليعقوبي، البلدان، ص : ١٢٣ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص : ٨٣.
- (٤٧) سمرقند : مدينة كبيرة، يقال لها بالعربية سُمران، وهي بلد مشهور ما وراء النهر انه من ابنية ذي القرنين، افتتحت عدة مرات لنعتها وشجاعة رجالها وشرة ابطالها، إلى ان افتتحها قتيبة بن مسلم الباهلي أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان. للمزيد أنظر : اليعقوبي، البلدان، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م)، ص ١٢٤ ؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٦.
- (٤٨) الجزية : من جزى يجزي، وهي ضريبة فرضها المسلمين على جميع أهل الذمة ممن في السواد وغيرهم من أهل الحيرة وسائر البلدان من اليهود والنصارى والمجوس والصائبة والسامرة، وتجب على الرجال دون النساء والصبيان بقدر محدد ووقت معلوم من السنة. للمزيد أنظر : ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م)، الخراج، (دار المعرفة الجامعية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ص ١٢٢.
- (٤٩) ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ٦٦ ؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٥٠) جرجان : مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان وان اول من احدث بناءها يزيد بن المهلب بن ابي صفرة للمزيد أنظر : ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٩ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٣٤٨.

(٥١) الاغالبية : أو بني الاغلب يرجع نسبهم إلى ابراهيم بن الاغلب بن سالم بن عقاب بن خفاجة التميمي ولاه الخليفة الرشيد ولاية افريقية سنة (١٨٤ هـ لتمدت دولتهم إلى ٢٩٦ هـ) والتي خضعت لهم فيها قبائل البربر ودانت لهم بالطاعة. ينظر : ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣١٤ - ٣١٥ ؛ المسعودي ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، ١٩٨٩ م)، ج ٣، ص ٤١٥.

(٥٢) صقلية : وهي جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى والامصار والحصون، وهي مثلثة الشكل، بها معدن الذهب والفضة والنحاس والفواكة، كثيرة المواشي والاغنام والبقر، وليس فيها سبع أو حيات أو عقارب، والكلأ فيها لا ينقطع صيفا ولا شتاء، وفيها جميع انواع الفواكه، وفي ارضها ينبت الزعفران افتتحها المسلمون ايام بني الاغلب على يد أسد بن الفرات. للمزيد أنظر : البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٧.

(٥٣) نوري، موفق سالم، العلاقات العباسية البيزنطية، مطابع دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠ م، ص ٣٦٤.

(٥٤) هو أحد ابناء أسد بن سامان الأربعة ولاه الخليفة المعتمد بالله العباسي اقليم ما وراء النهر فكان بداية لنشوء الدولة السامانية التي اتخذت مدينة بخارى عاصمة لها، وبعد وفاته تولى أخيه اسماعيل. للمزيد أنظر : ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٣٢٩، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠ م)، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٥٥) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٥٦) خوارزم : كورة على حافتي نهر جيحون واسعة العمارة كثيرة المدن ممتدة والخيرات مفيدة لأهل التجارات، للمزيد أنظر : المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٢٥.

(٥٧) كرمان : صقع كبير واقليم واسع يشمل مدن كثيرة وبلدان واسعة ويتصل بحدود خراسان وقصته السيرجان يحيط بها من جهة الغرب حدود فارس ومن الجنوب بحره ومن الشمال ارض مكران، للمزيد أنظر : ياقوت الحموي، أبو عبدالله بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)، المشترك وضعاً والمفترق صقلاً، ط ٢، (عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ م) ج ٢، ص ؛ أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)، تقويم البلدان، (مطبعة بريل، ليدن، ١٨٤٦ م)، ص ٣٣٥.

(٥٨) نيسابور : بلد واسع كثير الكور، فيها اخلاط من العرب والعجم سميت بذلك لأن سابور مر بها، للمزيد أنظر : اليعقوبي، البلدان، ص ٩٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٣١.

(٥٩) جيرفت : إحدى مدن كرمان، وهي مدينة واسعة بها خيرات كثيرة ولها نهر يتخللها شديدة الحر، للمزيد أنظر : ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٩٨.

(٦٠) العمادي، خراسان في العصر القزنوي، ص ١٤٠.

(٦١) طنجة : بلد على ساحل البحر مقابل الجزيرة الخضراء، وآثارها ظاهرة وهي مبنية بالحجارة وليس لها سور وهي على ظهر الجبل، ياقوت، معجم البلدان، مج ٤، ص ٤٣.

(٦٢) الرملة : مدينة عظيمة في فلسطين، أنظر : ياقوت، معجم البلدان، مج ٣، ص ٦٩.

(٦٣) ابن خردادبة، المسالك والممالك، ص ٦٦.

(٦٤) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٢٨.

(٦٥) اليوزيكي، دراسات، ص ٢٥٣.

- (٦٦) المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٣، ص ٩٦.
- (٦٧) فرغانة : بالفتح ثم السكون، وعين معجمه، مدينة مكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان من ناحية هيتل على يمين بلاد الترك، للمزيد أنظر : ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٥٣.
- (٦٨) اليعقوبي : أحمد بن اسحق بن واضح (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٢م)، تاريخ اليعقوبي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، ج ٢، ص ١٢٥ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ١١٩.
- (٦٩) يزيد بن أسيد السلمي : تولى ارمينية، زمن مروان بن محمد الاموي ثم زمن المنصور، وكان امير غزوة داذقشة في بحرز الخزر، دوح العدو في بلادهم، وكان شجاعاً مجاهداً، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٩، ص ٦٦٨.
- (٧٠) الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ٢، (دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ج ٧، ص ٤٧ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢٠٦.
- (٧١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٣٥.
- (٧٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٥ ؛ العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٨٩، اليوزبكي، دراسات، ص ٢٥٤.
- (٧٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣١٢ ؛ العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٩٠.
- (٧٤) نوري، العلاقات العباسية البيزنطية، ص ٣٥٨-٣٥٩.
- (٧٥) فازيليف، الكسندر، العرب والروم، تعريب : محمد عبدالهادي شعيرة، (دار الفكر العربي، بيروت، د.ت)، ص ٨٦.
- (٧٦) نوري، العلاقات العباسية البيزنطية، ص ٣٥٩.
- (٧٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢٤٨.
- (٧٨) تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٥.
- (٧٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ٥٠٠ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣٣٣.
- (٨٠) التنصير بالتجارة، ص ٢٦.
- (٨١) فوزي، العلاقات العباسية البيزنطية، ص ٢٩٤.
- (٨٢) فازيليف، العرب والروم، ص ٩٦-٩٩.
- (٨٣) فازيليف، م.ن، ص ١١٠.
- (٨٤) الزهري، ابو عبدالله محمد بن ابي بكر (كان حيًا في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، الجغرافية، تحقيق : محمد حاج صادق، (مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت)، ص ٥٣ ؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج ٢، ص ٣١١.
- (٨٥) ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٢م) تاريخ مدينة السلام، تحقيق : بشار عواد معروف، (دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م)، ج ٢، ص ٣٧٥.
- (٨٦) الطساسيج : هي النواحي أو الارباع، من الثلاثي طسح، بوزن الفروج حبتان، للمزيد أنظر : الرازي، مختار الصحاح، ص ٣٩٢ ؛ الفيروزآبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤هـ) المحيط، (دار العلم للجميع، القاهرة، د.ت)، باب الطاء، ص ١٩٧.
- (٨٧) الصراة : هو نهر يأخذ من نهر عيسى ببغداد عند بلده يقال لها المحول بينها وبين بغداد فرسخ. ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٥٣.
- (٨٨) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١١٠.

- (٨٩) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام ج ٢، ص ٣٧٥.
- (٩٠) آثار البلاد، ص ٦١٤ ؛ الروض المعطار، ص ١١٠.
- (٩١) هايد، تاريخ التجارة، ج ١، ص ٤٣.
- (٩٢) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٢٠٩.
- (٩٣) الفرسخ : كلمة فارسية معربة، وتعني المسافة المعلومة من الارض والفرسخ ثلاثة اميال. ابن منظور، لسان العرب، مج ٥، ص ٣٣٨١، شير، آدي، الالفاظ الفارسية المعربة، (مطبعة الالباء الكاثوليكيين اليسوعيين، بيروت، ١٣٢٨هـ، ١٩٠٨م، ص ١١٨.
- (٩٤) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٣هـ / ١٣٣٣م) نهاية الأرب في فنون الادب، تحقيق : مفيد قمبجة، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م)، ج ١، ص ٢٥٠.
- (٩٥) ناجي، المدن الاسلامية، ص ١٢٩.
- (٩٦) آمد : من اعظم مدن ديار بكر واكثر شهرها، مبنية من الحجارة وفي وسطها عيون وآبار. للمزيد أنظر : ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٥٦.
- (٩٧) تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦١٧.
- (٩٨) احسن التقاسيم، ص ١١٠.
- (٩٩) اليعقوبي، البلدان، ص ١٤.
- (١٠٠) أبي الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) رحلة ابن جبير (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٦٨م)، ص ١٧٣.
- (١٠١) البلدان، ص ٦٣.
- (١٠٢) التبصر بالتجارة، ص ٣.
- (١٠٣) صُحار : بضم اوله، وبالراء المهملة في آخره من بلاديني، تميم باليمامة أو ما يليها، وهي ما يلي عُمان من البر، البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق : مصطفى السقا، (عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت)، ج ٣، ص ٣٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٥٤.
- (١٠٤) نخلة، جميل المدور، حضارة الاسلام في دار السلام، ط ٢، (مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٩٠٥م)، ص ١١٤.
- (١٠٥) سيراف : مرفأ للسفن منها يتجهز التجار إلى عدن وعُمان ودُبيل إلى الصين وغيرها من النواحي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٩٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٣٣.
- (١٠٦) اليوزبكي، دراسات، ص ١٤.
- (١٠٧) البكري، المسالك والممالك، ج ١، ص ١٧٧.
- (١٠٨) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٢، ص ٢١٤.
- (١٠٩) صور : مدينة مشهورة على طرف بحر الشام، بها قنطرة عجيبة من عجائب الدنيا يُنسب إليها الدنانير السورية التي كان يتعامل بها أهل العراق والشام، للمزيد أنظر : القزويني، آثار البلاد، ص ٢١٧.
- (١١٠) هايد، تاريخ التجارة، ج ١، ص ٤٣.
- (١١١) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٢، ص ٣١٤.
- (١١٢) برقة : اسم لصقع كبير يشتمل على قرى ومدن بين الاسكندرية وافريقية واسم مدينتها إنطابلس وتفسيره الخمس مدن. للمزيد أنظر : الادريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٦٠، ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨٨.
- (١١٣) طرابلس : مدينة على شاطئ بحر الروم عامرة وكثيرة الخيرات والثمرات، وبها بئر الكنود وهي بئر زعموا ان من شرب من مائه يتحمق. للمزيد أنظر : القزويني، آثار البلاد، ص ٤٠٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٨٩.

- (١١٤) حسن، تاريخ الاسلام، ج٣، ص٣٢٩ ؛ هايد، تاريخ التجارة، ج١، ص٤٣.
- (١١٥) عيذاب : بالفتح ثم بالسكون، وذال معجمة، بليدة على ضفة بحر القلزم وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد، للمزيد أنظر : ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٧.
- (١١٦) حسن، تاريخ الاسلام، ج٣، ص٣٢٩.
- (١١٧) هايد، تاريخ التجارة، ج١، ص٤٣.
- (١١٨) أحسن التقاسيم، ص١٤٠.
- (١١٩) حسن، تاريخ الاسلام، ج٣، ص٣٣٠.
- (١٢٠) نزهة المشتاق، ج١، ص٣٦٩.
- (١٢١) هايد، تاريخ التجارة، ج١، ص٤٣.
- (١٢٢) اليعقوبي، البلدان، ص١٢.
- (١٢٣) العمائم : جمع عمامة وهي قماش يُلف عدة لفات ويكور ليوضع على الرأس بطريقة معينة ولها مدلولاتها، وقد تنوعت اشكالها واحجامها والوانها حسب لابسها، للمزيد أنظر : دوزي، رينها، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب، (مكتبة جامعة الدول، الرباط، ١٨٢٣م)، ص١٦١ ؛ العبيدي، صلاح حسين، الملابس العربية في العصر العباسي الثاني، (منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، ١٩٨٠م)، ص١١٣.
- (١٢٤) المقانع : من ملابس المرأة تغطي به وجهها، للمزيد أنظر : ابن سيده، المخصص، (المكتبة المصرية العامة، القاهرة، ١٩١٨م)، ج٤، ص٣٨ ؛ فهد، بدري محمد، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، (مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧م)، ص١٦٢.
- (١٢٥) قوهستان : احدى كوز خراسان وقصبتها قاين، وبها مدن عديدة منها تون وجنايد وطبس العناب، للمزيد أنظر : المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٥ ؛ البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٦٣.
- (١٢٦) صورة الأرض، ص٣٦٢.
- (١٢٧) آثار البلاد، ص٤٧٣.
- (١٢٨) ابن منظور، لسان العرب، مج٤، ص٢١٥٤.
- (١٢٩) المقدمة، ص٣٦٧.
- (١٣٠) الخربوطلي، الحضارة العربية الاسلامية، ص١٨٤ ؛ العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٥٨.
- (١٣١) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج٢، ص٣٧٥.
- (١٣٢) حسن، علي حسن والتوم الطالب محمد، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، (مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٦م)، ص٣٥٦-٣٥٧.
- (١٣٣) الخربوطلي، الحضارة العربية الاسلامية، ص١٨٥.
- (١٣٤) حسن، تاريخ الاسلام، ج٤، ص٤١٢.
- (١٣٥) الافغاني، سعيد، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام، (دار الفكر لطباعة، سورية، دمشق، ١٩٧٤م)، ص١٩٣.
- (١٣٦) حسن، تاريخ الاسلام، ص٤١٢.
- (١٣٧) أبو الفداء، تفويم البلدان، ص٦٨.
- (١٣٨) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨١.
- (١٣٩) حسن، تاريخ الاسلام، ج٤، ص٤١٢.
- (١٤٠) البلدان، ص٥١.
- (١٤١) حسن، تاريخ الاسلام، ج٤، ص٤١٤.
- (١٤٢) اليعقوبي، البلدان، ص٥١.

- (١٤٣) المسعودي، مروج الذهب، ج، ص ؛ زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج ٢، ص ٥٥٨.
- (١٤٤) النويري، نهاية الارب، ج ١، ص ٣٣٣.
- (١٤٥) فتوح البلدان، ص ٢٤٧.
- (١٤٦) بيطار، تاريخ العصر العباسي، ص ٣٦٨ - ٣٧١.
- (١٤٧) اليعقوبي، البلدان، ص ٥١ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١١.
- (١٤٨) آثار البلاد، ص ٣١٥.
- (١٤٩) البزازين : هم تجار يجتمعون في اسواق يُباع بها البُز، وهي الثياب القطن أو الكتان، وقد عرفت تلك الاسواق باسمهم، للمزيد انظر : البلدان، ص ٣٦.
- (١٥٠) نهر الدجاج : نهر يقع في الجانب الغربي من بغداد، وتوجد محلة ببغداد أيضًا بنفس الاسم، للمزيد النظر، ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٦٩.
- (١٥١) البلدان، ص ٣٦.
- (١٥٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦٥٣، العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٥٨.
- (١٥٣) نخلة، حضارة الاسلام في دار السلام، ص ١٢٧.
- (١٥٤) ناجي، المدن الاسلامية، ص ١٦٧.
- (١٥٥) المرید : هو كل موضع جنت فيه الابل ومنه مرید التمر، ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٨٣.
- (١٥٦) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٨٢.
- (١٥٧) الافغاني، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام، صص ٩٢، ١٧٩.
- (١٥٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١١٤.
- (١٥٩) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ١٢.
- (١٦٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١١٨.
- (١٦١) النويري، نهاية الارب، ج ١، ص ٣٣٣.
- (١٦٢) ناجي، المدن الاسلامية، ص ٤٦١.
- (١٦٣) صورة الارض، ص ٤٢٣.
- (١٦٤) سفرنامه، ص ١٥٧.
- (١٦٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٢٣ - ٣٢٥.
- (١٦٦) ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٥٣.
- (١٦٧) صورة الارض، ص ٢١١.
- (١٦٨) آثار البلاد، ص ٢٤٧.
- (١٦٩) آثار البلاد، ص ٥.
- (١٧٠) سجستان : مدينة في بلاد فارس تمر بها التجارات ولها مدن عديدة اشهرها زالت وكركوية وهيوم. للمزيد انظر : ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٢٢٥.
- (١٧١) أحسن التقاسيم، ص ٣٣٦.
- (١٧٢) المكوس : ضريبة تؤخذ من السفن الواردة في البحر إلى البصرة وقد وضعت محلات خاصة لجبايتها سميت المراصد. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٠٨.
- (١٧٣) الدوري، عبدالعزيز، النظم الاسلامية، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨ م)، ص ١٥٧.
- (١٧٤) المأصر : سلسلة أوحبل يُشد معترضًا النهر يمنع السفن من المضي دون ان تدفع الضريبة المفروضة عليها. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١١٧.
- (١٧٥) الدوري، النظم الاسلامية، ص ١٥٨.

-
- (١٧٦) زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج ٢، ص ٥٦١.
- (١٧٧) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٣١.
- (١٧٨) رحلة ابن جبير، ص ١٧٤.
- (١٧٩) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٤، ص ٤١٨.
- (١٨٠) مفاتيح العلوم، ص ١٠٩.
- (١٨١) الكاشف، سيده اسماعيل، دراسات في النقود الاسلامية، المجلة التاريخية المصرية (العدد ١٢ لسنة ١٩٦٤-١٩٦٥)، ص ١٠٦؛ آل سعد، الجغرافيا الحضارية، ص ٢٦٤.
- (١٨٢) مسكويه، تجارب الامم، ج ١، ص ٤٢.
- (١٨٣) متز، الحضارة الاسلامية، ج ٢، ص ٢٦٧.
- (١٨٤) اليوزبكي، دراسات، ص ٢٥٦.
- (١٨٥) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٦٥.
- (١٨٦) العلي، صالح أحمد، الخراج في العراق، (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٩٠م)، ص ١٥٤.
- (١٨٧) التبصر بالتجارة، ص ١١.
- (١٨٨) اليوزبكي، دراسات، ص ٢٦٠.
- (١٨٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧٥.
- (١٩٠) الوزراء والكتاب، ص ٢٨١-٢٨٨.
- (١٩١) اليوزبكي، دراسات، ص ٢٥٤.
- (١٩٢) بيطار، في التاريخ العباسي، ص ٣٧٣؛ نخلة، حضارة الاسلام في دار السلام، ص ١١٦-١١٧.
- (١٩٣) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٣٦٧ - ٣٧٠.
- (١٩٤) اليوزبكي، دراسات، ص ٢٦٤.
- (١٩٥) سفرنامه، ص ١٥٧، العمادي، خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٤٣.
- (١٩٦) اليوزبكي، دراسات، ص ٢٥٥.

دور الاغالبه في فتح صقلية

أ.م.د. علي عطية الكعبي
د. ايمان عبد الجبار محمود التميمي

المبحث الاول: موقع صقلية واهميته

المبحث الثاني: صقلية في عهد الامويين

المبحث الثالث: صقلية في عهد الاغالبه

المخلص

دولة الاغالبية دولة عربية اسلامية حكيمة الامر، رشيدة السياسة، كان منهجها في الحكم دمج العرب والبربر والانديسيين، وتحويل نشاطهم لصالح دولتهم، وقد ارتبط قيام دولة الاغالبية في افريقية عام (١٨٤هـ/٨٠٠م)، بما ساد البلاد من فوضى واضطراب أثناء حكم الخلفاء العباسيين الاوائل، والذين كان منشغلين بمشاكل المشرق التي أصبحت تهدد نفوذهم فلم يجدوا حلاً أفضل من تولية ابراهيم بن الاغلب حاكماً على افريقية، فخضعت له قبائل البربر ودانت له بالطاعة، واستقامت احوالهم به، فقد كرس جهده للتخلص من ثورات الخوارج، واستطاع ان يطرد الثائرين من القيروان، وينصرف الى الفتح والتوسعات في اوربا وتركيزه على الدول المجاورة، وان يستقل بحكمه عن الخلافة العباسية في بغداد، و يدين لهم بالتبعية بالولاء ويأخذ الشرعية منهم، كي يثبت اركان الحكم له ولأولاده من بعده ليسهموا في تثبيت كيان دولتهم وتوطيد دعائمها، فلما تم لهم ذلك، أرادوا التوسع والسيطرة على جزيرة صقلية، التي تزرخ بالخيرات الوفيرة والقريبة من مقر دولتهم والتي تسيطر على طرق تجارة البحر المتوسط والتي كانت تابعة للبيزنطيين، وطالما كان العرب يغزونهم منذ نمو تجربتهم البحرية في العهد الاموي فلما أصبح للأسطول الاسلامي قوة كبيرة وزادت أعداد السفن واصل العرب غزواتهم للجزيرة لفتحها لخيراتها الوفيرة وموقعها الاستراتيجي، ولنشر الدين الاسلامي فيها، وكان لحماس قاضي القيروان أسد ابن الفرات في ذلك الفتح اثر كبير، في عهد الامير الاغلبى زيادة الله الاول ابن الاغلب، الذي لم يستطع التقدم شرقاً أو غرباً واتبع سياسة بحرية، الا وهي الاتجاه نحو صقلية ومن ثم إيطاليا، بيد ان هذه السياسة لم تنجح بسبب الثورات والفتن المتلاحقة والتي سادت بين العرب آنذاك ضده، وقد قام بالتخطيط للفتح وقيادة الجيش والاسطول وكاد أن ينجح الفتح ويمن الله عليه بالنصر، لولا تقشي الوباء بين جنده وكان هو من هلك من ضمن الهالكين، الى ان حدث مالم يكن بالحسبان، وهو ان جاءهم مدد، من افريقية والانديلس، واحتلوا عاصمة الجزيرة وتمركزوا فيها، وكانت سبب في فتح الجزيرة كلها.

لقد كانت جزيرة صقلية محط أنظار العرب الذين طالما غزوها، وكانت غزواتها بين مد وجزر وتأثرت بالاضاع الداخلية لكل من الدولتين البيزنطية والاعلبية التابعة بالولاء لبني العباس، الى أن أتم الله فتحها سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م)، واستمرت في أيدي المسلمين الى أن سقطت بيد الفاطميين، بنشوء دولتهم ومن ثم شهدت صراعات عديدة بين الفاطميين والبيزنطيين الى أن سقطت نهائياً بيد النورمان سنة (٤٨٤هـ/١٠٩٤م).

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونشكره على نعمه الكثيرة التي انعمها علينا، ونستغفره فهو الهادي الى سواء السبيل، والصلاة والسلام على محمد النبي الامي، خير المرسلين وخاتم النبيين. وبعد

اهتمت الدولة العربية الاسلامية منذ بدء فتوحاتها وتوسعاتها بأنشاء القواعد البحرية وتنميتها وخاصة في العهد الاموي، وكان اهتمام الدولة الاموية بنمو البحرية والاسطول الاسلامي، بحكم قرب دمشق العاصمة من البحر الابيض المتوسط، فقد سعى بنو امية الى التوسعات عبر البحر واستثمروا به اهتماماً كبيراً مثلما اهتموا بالفتوحات البرية، ونشر الاسلام الى ما يجاورهم من البلاد، وكسب اراضي جديدة، وكان موضوع جزيرة صقلية^(١) من المواضيع الهامة التي اهتمت بها، لعلاقة صقلية بدول البحر المتوسط وسيطرتها على طرق التجارة التي تمر بها، لذا حاول العرب المسلمون كسب سكانها الى الاسلام لتحقيق المردود الديني الذي يعود عليهم من الجهاد، فضلا عن المردود الاقتصادي الذي كانوا يطمحون اليه للاستفادة من خيرات الجزيرة وموقعها الاستراتيجي وسط البحر المتوسط، بعد ان فتحوا جزيرة قبرص سنة (٣٤هـ/٦٥٤م)، اهتموا بالسيطرة على هذه الجزيرة لتحقيق تلك الاهداف، وقد قامت العديد من الغارات العربية عليها منذ عهد الامويين، بيد انها كانت تكتفي بالسبي والغنائم والعودة الى اماكنها، الى ان ولي أمرها الاغالبية زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م)، والذين ارتبط قيام دولتهم سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م) ارتباطاً وثيقاً، بما ساد تلك البلاد من فوضى واضطراب اثناء حكم الخلفاء العباسيين، وكانت من حنكة الرشيد ان ولاها لهم. تلك التولية التي اتاحت لهم الاحتكاك السياسي والعسكري بالبلاد المجاورة، واخذوا عنها الكثير، فأصبحت دولتهم قبلة للمشاركة والاندلسيين، وتأثروا بمختلف العلوم والفنون، وشرعوا بالبناء والاعمار، وكان التوسع لكسب اراضي جديدة من اهم اهتماماتهم، فقد شرعوا بالاهتمام بموضوع صقلية لضمها الى ممتلكاتهم للسيطرة على البحر المتوسط وتجارته، وخاضوا الحملات الكثيرة ضدها الى ان تم فتحها على يد قاضي القيروان القائد اسد بن الفرات سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م)،

الذي اثار الحماس الديني لدى المسلمين لفتحها والاستفادة من خيراتها اقتصادياً، وكسب ارض جديدة للمسلمين وبذلك تتحقق اهدافهم المنشودة بخصوص هذه الجزيرة وضلت تحت سيطرة المسلمين رغم المشاكل والفتن التي تقوم فيها بين فترة واخرى، والتي سيطر عليها حكام الاغالبية الى ان انتهت دولتهم.

المبحث الاول

موقع صقلية واهميته

تمتعت صقلية بموقع جغرافي واستراتيجي هام،^(٢) لكونها تقع في وسط البحر الشامي، وهي امتداد لشبه الجزيرة الايطالية، لا يفصلها عنها سوى مضيق ضيق، ومن الناحية الاخرى الساحل التونسي، لمساحة يسهل عبورها بحراً من الشمال الافريقي، وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية والاخرى مسيرة سبعة ايام، وفي وسطها جبل يسمى قصر يانة.^(٣)

ويذكر ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) : انها تقع شرق الاندلس، وتحاذيها من الغرب بلاد افريقية، وباجة^(٤)، وطبرقة^(٥)، الى مرسى بحر الخزر،^(٦) وقاعدتها بلرم^(٧)، والتي تقع شمال الجزيرة،^(٨) وهي مدينة مشهورة تقع على نحر البحر، وفيها الكثير من المساجد والرباطات^(٩) والحارات والمساكن والاسواق ويسكنها الكثير من التجار،^(١٠) اما معنى اسمها فهو تين وزيتون.^(١١)

تقسم صقلية جغرافيا الى ثلاثة اقاليم، اولها اقليم مازر، واقليم نوطس، واقليم دمنش، وقد كان لهذا التقسيم اهمية بالغة اثناء احتلال المسلمين للجزيرة، حيث كان الاسلام الديانة الرئيسية في الاقليم الاول، الا ان عدد المسلمون كان دون ذلك في الاقليم الثاني من الجزيرة، على عكس الاقليم الثالث الذي ظل معظم سكانه نصارى ولم يعتنقوا الاسلام.^(١٢)

تحدث المؤرخون والجغرافيون عن خيارات صقلية بعد الفتح فياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) يذكر: انها " جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى والامصار... وبها عيون وانهار جارية ونزه عجيبة"، وان فيها من الكلا الذي لا ينقطع صيفا وشتاء، وفي ارضها الزعفران، وان بها من المواشي الكثيرة، من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والحيوان الوحشي، وليس فيها سباع ولا حيات ولا عقارب، وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والكبريت والزبيق،^(١٣) ويتفق البكري مع ياقوت في انها جزيرة كثيرة الزرع وفيها انواع كثيرة من الفواكه،^(١٤) ويضيف البكري

فيقول ان بها : " مياه حامضة، وبها معدن الكبريت الاصفر... وآبار عند قلعة مينا من سرقوسة^(١٥) يخرج منها في وقت معلوم من السنة زيت النفط... " ^(١٦)، ويتفق القرويني مع الحميري بأن بها الكثير من المعادن الموصوفة بالجودة واهمها " اللادن الجيد، الذي لا يوجد في غيرها، والذي يجمع من الشجر يُحمل الى ملك القسطنطينية " لأنه يعادل العود الطيب، وسائر ما يجمع مما يسقط على الارض هو الذي يستعمله الناس. ^(١٧)

وصف الشريف الادريسي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م) جزيرة صقلية وقد احسن وصفها كونه شاهد عيان ومن المقربين من ملكها - روجار الثاني - الذي عاش في كنفه عيشة رغيدة مقرباً من بلاطه وفي كنف وريث عرشه، ^(١٨) فقال عنها : انها جزيرة كبيرة " وبلادها كثيرة ومحاسنها جمة ومناقبها ضخمة و... ولسطانها الملك المعظم رجار مائة وثلاثون بلدا بين مدينة وقلعة وغيرها من الضياع والمنازل والبقاع و... فيها قصور منيعة ومنازل شامخة شريفة وكثير من المساجد والفنادق والحمامات وحوانيت التجار الكبار و... بها الجامع الاعظم الذي... وصفته تغرب عن الاذهان لبديع ما فيه من الصنعة والغرائب المفتعلة من اصناف التصوير واجناس التزيق والكتابات " ^(١٩)، وليس يبالغ في وصفه لمياهها بقوله: " والمياه بجميع جهات مدينة صقلية مختركة وعيونها جارية متدفقة... ومبانيها ومنزهاتها تعجز الواصفين وتبهر عقول العارفين... "، ويذكر ان بها مدينة قديمة اسمها الخالصة به سكنى السلطان والخاصة في ايام المسلمين وهي باب البحر ودار الصناعة التي هي للأنشاء، ^(٢٠). ومن الواضح من حديث الادريسي وغيره من المؤرخين والجغرافيين عنها انها تتمتع بخيرات كثيرة مما جعلها محط انظار المسلمين واتجاههم لفتحها، فضلا عن موقعها المتميز وسهولة اتصالها بالمغرب وايطاليا.

ومن الجدير بالذكر على الجانب السياسي، ان الغارات العربية على صقلية كانت مرتبطة بنمو البحرية الاسلامية، وبالصرع بين العرب والروم شرق البحر المتوسط، ^(٢١)، وان الدولة العربية الاسلامية لما اتسعت في خلافة عمر كانت صقلية وجزء من جنوب ايطاليا ولايتين بيزنطيتين، وعلى الرغم من الحاح معاوية على الخليفة

عمر بركوب البحر لقربة من الروم، الا انه كان يعارض القيام بمخاطرات عسكرية بحرية خوفاً على ارواح المسلمين من مغامرات الفاتحين،^(٢٢) بل لم يكن يسمح لهم بالخروج من المدينة على حد قول ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) : فقد كان الخليفة عمر يقول للمسلمين : اخوف ما اخاف على هذه الامة انتشاركم في البلاد " فان جاء الرجل ليستأذنه في الغزو فيقول : كان لك في غزوك مع رسول الله (ص) ما يُبلغك، وخير لك من غزوك اليوم...، وكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش، ولم يكن يفعلهُ بغيرهم من اهل مكة، فلما وليَّ عثمان خلى عنهم فانتشروا في البلاد... " (٢٣)، وبذلك يعد الخليفة عثمان هو من غير هذه السياسة، وسمح في عهده لمعاوية بن ابي سفيان بركوب البحر عندما كان الاخير والياً على الشام،^(٢٤) اذ قام معاوية بجهود استثنائية لأنشاء الاسطول البحري، مما ترتب عليه غزو البحر، بعد ان كانت جميع فتوحات المسلمين برية، اصبحت برية وبحرية،^(٢٥) وقاموا بفتح عدة جزر في البحر اهمها رواد^(٢٦)، وروُدس^(٢٧)، ومن ثم جزيرة قبرص^(٢٨)، التي تم فتحها من قبل معاوية زمن الخليفة عثمان،^(٢٩) فقد ذكر الذهبي في العبر ان والي الشام : " معاوية ركب بالجيش في البحر وغزا قُبرس " (٣٠)، لعل ذلك مادعى الدكتور العدوي ان يقول : ان معاوية قد خطا خطوات ثابتة ومتتابة في سياسته البحرية تلك، مشجعا الناس على النزوح الى المناطق الساحلية، فضلا عن قيامه بتقوية الاسطول الذي قام بإنشاءه. (٣١)

ويبدو انه اراد بذلك تقوية نزعتهم الى البحر وعدم التخوف من ركوبه، بعد ان قدم لهم الاغراءات التي جعلتهم يتقبلون ذلك بأن قام بأقطاع الناس الاراضي وتوطينهم في تلك المناطق الساحلية لاستغلالها والتمتع بخيراتها، كما قام بنقل الناس من بعلبك وحمص وانطاكية بصورة خاصة الى عكا، والتي خرج منها بأول حملة عسكرية بحرية الى قبرص، وبذلك ازال هاجس الخوف من ركوب البحر الذي كان يعتري الخلافة زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وان استقرار الناس بتلك الاقطاعات من الاراضي وتمسكهم بها، ادى بمعاوية الى انشاء جيشاً كي يدافعوا عن اراضيهم تلك، فضلا عن حماية الاسطول، ومنع غارات البيزنطيين او هجماتهم المتوقعة على المدن الساحلية وبذلك تحقق هدفه من استيطان الناس هناك،^(٣٢) ان كل هذه التمهيدات والاعدادات وتقوية

الاسطول وتوطين الناس كانت سابقة لموافقة الخليفة عثمان السماح لمعاوية بركوب البحر. (٣٣)

ان تولي عثمان بن عفان (رض) الخلافة، فسح المجال امام قاربه من بني امية، الذين عمدوا الى استغلال صلة القرابة بينهم وبين الخليفة لتحقيق امانهم في السيطرة على المراكز الكبيرة في الدولة وخاصة السياسية والادارية منها، اذ كان معاوية مؤسس الدولة الاموية قد تطلع لخلافة عثمان على انها البداية لوصول بنو امية لتولي شؤون المسلمين، كما ادرك اهمية اقليم الشام، في الاحتفاظ بالخلافة للبيت الاموي بصفة دائمة، خاصة بعد ان اطلق لهم الخليفة عثمان العنان في ادارة شؤون الولايات الاسلامية وتعيينه واليا على الشام من قبله. (٣٤)

ويبدو ان معاوية اقنع الخليفة بعد ان عرض عليه تلك التمهيدات والاعدادات، اذ سرعان ما تغيرت تلك السياسة من قبل الخليفة عثمان ملدياً طلب واليه على دمشق بالقبول، بيد انه اشترط عليه ان يصحب القادة والجند نساءهم معهم، وذلك ما يفهم من كلام الطبري (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ان : "...اول من غزا في البحر معاوية بن ابي سفيان زمن عثمان بن عفان، وكان قد استأذن عمر فلم يأذن له ؛ فلما ولي عثمان لم يزل به معاوية ؛ حتى عزم على ذلك بأخره، وقال : لا تنتخب الناس، ولا تُقرع بينهم ؛ خيرهم ؛ فمن اختار الغزو طائعاً فأحمله واعنه، ففعل... " (٣٥).

من الظاهر ان الخليفة عثمان بشرطه ان يصحب القادة والجند نساءهم معهم في تلك الحملة انه اراد ان يتأكد من ثباتهم وصدق عزميتهم وهمتهم على ركوب البحر، فالعربي يموت في سبيل الذود عن اهله وعرضه وخاصة امراته، لا نها لو سبيت عار عليه والعربي لا يقبل الذل والهوان على نفسه.

ما يهمننا هنا امر صقلية، فقد اعاد الخليفة عثمان النظر في موضوع الجزيرة، وبالطبع تحت تأثير معاوية والحاحه، وما صورهُ له من قربها من شاطئ الروم وخيراتها الوفيرة، وشدة التحصينات التي قام بها وحماية المدن الساحلية التي أنشأها المسلمون على ساحل مصر والشام وحمايتها من اي خطر بيزنطي قد يلحق بها، على الرغم من كونهم يمتلكون اسطولاً بحرياً قوياً. (٣٦)

استطاع معاوية بن ابي سفيان وحده دون سائر عمال بني امية زمن الخليفة عثمان فترة الفتنة ان يدافع عن الخليفة معتمدا على جاهه في اقليم الشام، حتى انه فكر في نقل مقر الخلافة اليها، وظلت تلك الفكرة تراوده الى ان حان وقتها في وقت الفتنة، فعرضها على الخليفة نفسه وبين له "... ان اهل الشام على الطاعة... "، على حد قول الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ٣٤٧ م)، بيد انها لم تتل استحسانه، وتم رفضها من قبله،^(٣٧) ولما قتل عثمان دخل الامويون مسرح الاحداث السياسية، وعملوا على نقل الخلافة الى البيت الاموي بكل جهودهم من خلال المطالبة بدم عثمان، وبما عرف عنهم من دهائهم السياسي الذي استخدموه، والذي كان على فطرتهم، وعلى الرغم من ان المسلمين من المهاجرين والانصار بايعوا للأمام علي بن ابي طالب (ع)، الا ان معاوية استطاع اخذ البيعة له في الشام، رغم ان علي تولى الخلافة في المدينة.^(٣٨)

حملات المسلمين في البحر المتوسط

قام المسلمين بحملات عدة للسيطرة على جزر البحر المتوسط وجعله بحيرة اسلامية والاستفادة من طرق التجارة البحرية وربطها بالعالم الاسلامي، وكان اهمها :

• فتح قبرص

استغل معاوية باكورة نشاطه الحربي بمحاولة الاستيلاء على جزيرة قبرص، والتي كانت محور مكاتباته مع الخليفة عمر بن الخطاب ومن بعده عثمان، وكان يطلب من الاخير الاذن بتقليم اظافر البيزنطيين في هذا المعقل القريب من ارض المسلمين، وكانت استعداداته لغزو هذه الجزيرة تتناسب مع اهمية وضخامة الاهداف التي دعت اليها، كونها من اهم معاقل البحر المتوسط، والصراع مستمر على سيادة هذه الجزيرة، التي استمدت اهميتها من موقعها الذي يوحي للناظر انها اشبه بمدفع يدوي موجه نحو اقليم الشام واحتلالها لركن الزاوية الشمالية الشرقية من البحر المتوسط، جعلها محط انظار منها ترى آسيا الصغرى والشام، والابحار منها الى بيروت او الاسكندرية، فضلاً عن ارتباطها مع اقليم الشام بالمشاريع التجارية او الحربية، فلا ضير من قولنا انها اهم المسالك التي تعبرها القوافل التجارية المحملة

بالمنتجات الى اسواق مدن البحر المتوسط، وادراك معاوية لهذه الاهمية عند دراسته لموقعها، ولما كان البيزنطيون يتخذونها ملجأً يعتصمون به حين تدفعهم الاحداث الى الانسحاب عند الغارات على سواحل الشام، فضلاً عن كونهم يتخذونها محطةً لتموين مراكبهم في الطريق الى الشام وغيره، "وربما تجمعت فيه الجيوش من الفريقين المسلمين والروم في السفن لكل فريق مائة سفينة حربية وأكثر من ذلك، فيكون حربهم في الماء، وهذه صفة هذا البحر وما يكون فيه " (٣٩)

ونتيجة لإلحاح معاوية واصراره على غزو البحر، ان شاءت الاقدار ان تكون اول غزوة نحو هذه الجزيرة لفتحها مكلفة باستشهاد زوجة الصحابي عبادة بن الصامت^(٤٠)، الذي صحب زوجته معه، ام حرام بنت ملحان الانصارية، التي دفنت فيها واصبح قبرها مزاراً في الجزيرة، وعرف بقبر المرأة الصالحة، وكان معاوية بن ابي سفيان قد صحب زوجته معه ايضاً، بسبب شرط الخليفة عثمان عليه في ان يصحب القادة والجنود نساءهم معهم في هذه الحملة، وقد تم لهم الفتح ذلك سنة (٢٨هـ / ٦٤٨م)^(٤١).

تتحدث الروايات التاريخية عن اهم احداث هذه الحملة عند وصول الجند ونزولهم في الجزيرة، والذين ارادوا ان يتفاوضوا مع اهلها، بيد انهم رفضوا التفاوض، واعتصموا بأسوار مدينتهم، فتقدم المسلمون نحو عاصمة الجزيرة، وبها ثروات كثيرة، وبعد حصار قصير اقتحموها، واستولوا على كنوزها، واخذوا الكثير من الاسرى،^(٤٢) مما اضطر حاكم المدينة الى عقد الصلح مع المسلمين، وتدل شروط الصلح على العوامل الحقيقية الكامنة وراء هذه الحملة والهجوم على هذه الجزيرة، فقد اشترط عليهم المسلمون دفع مبلغ كبير من الجزية^(٤٣)، على نحو ما يؤدونه للدولة البيزنطية.

يذكر الطبري: "... ان صلح قبرس وقع على جزية سبعة الالاف يؤدونها الى المسلمين في كل سنة، ويؤدون الى الروم مثلها، ليس للمسلمين ان يحولوا بينهم وبين ذلك، على ان لا يغزوهم ولا يقاتلوا من وراءهم من ارادهم من خلفهم، وعليهم ان يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم اليهم؛ وعلى ان يبترق امام المسلمين عليهم منهم".^(٤٤)

لعل ذلك يعني خضوع الروم للمسلمين وان لا يساعدوا اعداءهم من البيزنطيين، وان لا يطلعوهم على اسرار المسلمين، وبالمقابل تزويد المسلمين بأخبار البيزنطيين وما جعلهم ينقضون الصلح لأكثر من مرة ويعاود المسلمون غزوهم للجزيرة فقد ذكر الذهبي في حوادث سنة (٣٣هـ / ٦٥٣م): "غز المسلمون قبرس ثانياً"^(٤٥)، بينما يرى ان الاثير ان الغزوة الثانية لها كانت سنة (٣٥هـ / ٦٥٥م).^(٤٦)

اتسمت الاغارة على جزيرة قبرص من قبل المسلمين، بطابع الغارات الصيفية والشتوية وعلى الجزر البيزنطية المماثلة، والتي كان المسلمون يخشون خطرهما، والتي ينبعث منها ضرراً يحيط بارض الاسلام، ولما تتمتع به هذه الجزيرة من موقع استراتيجي هام، ولشل حركة البيزنطيين فيها، ومن ثم اتجاه المسلمين بأنظارهم نحو جزيرة رواد القريبة منها التي تكثر فيها القرصنة، والتي ترتبط مع قبرص بممر ضيق، فضلاً عن موقعها الجغرافي في ميدان التجارة، وهو ما جعلهم ذو مقدرة اقتصادية عن طريق تلك القرصنة، كما وصمتهم بالعار والغدر وأبعدتهم عن الثقة.^(٤٧)

ومما تقدم يبدوان فتح جزيرة قبرص هي تمهيدات من قبل المسلمين وبالأخص معاوية لركوب البحر والسيطرة على جزر البحر المتوسط وجعلها تابعة للمسلمين وبالتالي الوصول الى جزيرة صقلية والحصول على خيراتها وضمها الى الاسلام.

• محاولات فتح صقلية

تأثرت صقلية بصورة غير مباشرة بالفتوحات الاسلامية منذ عهد الخليفة عمر ومن بعده الخليفة عثمان، فقد لجأ اليها بعض النازحين من طرابلس الغرب فراراً من قوات عمرو بن العاص التي احتلت المدينة، وفتحتها سنة (٢٣هـ / ٦٤٣م)،^(٤٨) فكانت الحملة الاولى على صقلية حينما ارسل لفتحها معاوية بن ابي سفيان والي الشام معاوية بن حديج^(٤٩)، في الحين الذي كانت فيه مصر تحت امرة عبد الله بن سعد بن ابي سرح^(٥٠)، اخو الخليفة عثمان بالرضاعة، فقد شكلت تلك القوتين مصدر قوة للبحرية الاسلامية ولعبت دوراً بارزاً ومميزاً من مصر والشام هجوماً ودفاعياً ضد البيزنطيين في شرق البحر المتوسط،^(٥١) ويُرجع فازيلييف؛ سبب تلك الغزوة من قبل معاوية الوالي، الى منافسته لوالي مصر سابق الذكر، والذي احرز نصراً كبيراً في فتح افريقية، ونال حظوة عند الخليفة عثمان،^(٥٢) وكان الخليفة عثمان قد عزل والي مصر السابق وفتحها عمرو بن العاص زمن الخليفة عمر وعيّن عبدالله بن ابي سرح، بعد ان كان له الاشراف على خراج مصر كلها، كما كان مدفوعاً بالعاطفة نحوه كونه اخيه بالرضاعة.^(٥٣)

كانت تلك الغزوة نائية وجريئة بالنسبة للبحرية الاسلامية التي كانت في بداية نشوئها، الا ان مراكب تلك الحملة وصلت الى صقلية، بيد انها لم تتمكن من السيطرة عليها بسبب تغلب وسائل الدفاع البيزنطية التي كانت تفوق مراكب الاسطول العربي عدةً وتطوراً،^(٥٤) ورغم انها لم تكن الحملة العسكرية الاولى للمسلمين في البحر بقيادة معاوية عندما كان والياً على الشام، فقد سبقتها معركة ذات الصواري البحرية سنة (٣٤هـ / ٦٥٤م)^(٥٥)، الا ان تلك الحملة قد فشلت ولم تحقق نجاحاً مشهوداً وعاد ابن حديج الى الشام ببعض الغنائم والاسرى،^(٥٦) وبعد مقتل الخليفة عثمان توقفت الفتوحات الاسلامية على الجزيرة ولم يقم المسلمون بمحاولات اخرى على الجزيرة الى ان استتب امر الخلافة لمعاوية.^(٥٧)

المبحث الثاني

صقلية في عهد الامويين

بعد استتباب الامر لمعاوية واصبح مؤسس الدولة الاموية بلا منازع، ارسل اول حملة بحرية عربية لغزو الجزيرة بقيادة معاوية بن حديج سنة (٤٣هـ / ٦٦٣ م)^(٥٨)، الذي كان نائبه على الشام وقائد اسطوله، لكنها لم تحرز نجاحا كما كان مخططاً له- فقد كانت صقلية تتبع اولمبيوس الوالي البيزنطي المقيم في رافينا، وتقتشى وباء الكوليرا وهلك اكثر جيش اولمبيوس وهلك هو نفسه فيه . وعاد بن حديج الى الشام ببعض الغنائم والاسرى،^(٥٩) وفي سنة (٤٧هـ / ٦٦٧ م) عزل معاوية والي مصر عبدالله بن عمرو بن العاص وعيّن عليها معاوية بن حديج، واضحى المسلمون يغزون ارض الروم صيفاً وشتاءً،^(٦٠) كما ان المسلمين استولوا في هذه السنة على قرطاجنة مما اضطر البيزنطيين الى الانسحاب الى صقلية، وحاولت بيزنطة استردادها من المسلمين متخذةً من صقلية قاعدة لها، الا ان المسلمين فوتوا عليهم هذه الفرصة، الا انهم استردوها في العام المقبل^(٦١).

اما الحملة الثانية فكانت سنة (٥١هـ / ٦٧١ م) والتي شارك فيها المعاويتين ابن ابي سفيان وابن حديج، بعد ان توطدت للأول الخلافة ومركزه في الشام واصبح مؤسس الدولة الاموية بلا منازع، واصبح الثاني واليه على مصر والشام،^(٦٢) فأرسلت هذه الحملة على صقلية بقيادة عبد الله بن قيس الانصاري^(٦٣)، من قبل الخليفة معاوية وواليه بن حديج، الذي ظفر بغنائم وفيرة من الذهب والتي حملت الى الخليفة،^(٦٤) ويذكر المؤرخون: ان عبدالله بن قيس قد استغل الفوضى التي كانت سائدة في الجانب البيزنطي التي تلت اغتيال قسطنطين الثاني امبراطور الروم في سرقوسة^(٦٥)، والذي ركز اهتمامه على الولايات القريبة من جنوب ايطاليا وصقلية، وكان يقصد من وراء هذه الخطوة الحيلولة دون تطويق العرب للبر اليوناني^(٦٦)، كما ان الامبراطور الذي تلاه من الجانب البيزنطي قسطنطين الرابع كان حديث السن وقليل التجربة وليس له خبره بأمور الحرب والبحر، وكان الامر في الشام مستتباً لمعاوية كما انه اتخذ من

دمشق مركزاً للخلافة بحكم طاعة اهلها له ولتحقيق امنيته التي كان يتطلع اليها في نقل مركز الخلافة والحكم لبني امية، ولعلمه بأخبار الجانب البيزنطي، لذا باتت الظروف مواتية له، لتجديد المسلمين حروبهم ضد بيزنطة، واستمرو مدة طويلة، كانوا لا ينسحبون خلالها الا في الشتاء، ومن ثم يعودون في الربيع، وظل الامر على ما هو عليه الى ان احس معاوية بدنو اجله، فسحب الفرق العسكرية البحرية لضمان السيطرة عليها، اذا ما حدثت فوضى داخل البيت الاموي، وشاءت الاقدار ان يصادف انسحاب الاسطول الاسلامي عاصفة شديدة دمرته، ولم تعد غير عدد قليل من السفن الى الشام.^(٦٧)

وفي سنة (٦٠هـ / ٦٧٩م) فتح المسلمون جزيرة رودس بقيادة جنادة^(٦٨) بن ابي امية، وبعد وفاة معاوية ومبايعة المسلمون لابنه يزيد الذي اخذ ابوه له العهد بالخلافة^(٦٩)، توقفت غارات المسلمين على الجزيرة لانشغال يزيد بن معاوية بأحداث المشرق الاسلامي لتثبيته امر الخلافة له وانشغاله بأمر ابن الزبير، بيد ان مدة خلافته لم تستمر طويلاً ووافته المنية بعد ثلاثة سنوات من خلافته ليخلفه ابنه معاوية من بعده، الا ان الاخير لم تدم خلافته الامدة اربعين يوماً والمكثّر من المؤرخين يقول شهرين قضاها في المرض، غير انه لم يعهد لاحداً بالخلافة من بعده،^(٧٠) ويذكر الذهبي قوله: " فلما احتضر قيل له :الا تستخلف ؟ فأبى وقال :ما أصبت من حلاوتها فَلَمْ أَتَحَمَّلْ مرارتها "^(٧١).

من الظاهر ان السنوات التي تلت وفاة معاوية بن ابي سفيان شهدت تذبذباً في الحكم والولاءات، كما شهدت الكثير من الصراعات داخل البيت الاموي، وبذلك ضعف الاهتمام بأمر صقلية وغيرها من الجزر المحيطة ببلاد المسلمين، ولكن يبدو انهم رغم ذلك كانوا يحكمون سيطرتهم عليها، فما ان دخلت سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م)، حتى جاء امر انتقال الخلافة داخل الامويون انفسهم من الاسرة السفيانية التي تنتمي الى ابو سفيان بن حرب الى الاسرة المروانية، المتمثلة ببعية مروان بن الحكم الذي وجه اهتمامه الى مصر ليرسي قواعد الدولة الاموية فيها ويستخلف عليها ابنه عبد العزيز ويعود الى الشام ويتوفى فيها.^(٧٢)

تولى عبد الملك بن مروان الخلافة سنة (٦٥ هـ / ٦٨٤ م) فهادن الروم ليأمن شرهم من جانب وليلتفت لتوطيد اركان حكمه من جهة أخرى، ^(٧٣) في حين ان صقلية التي اصبحت قاعدة عسكرية لشن هجوم على العرب في برقة ^(٧٤)، فولى حسان ^(٧٥) بن النعمان على شمال افريقية وقرطاجنة واستولى عليها، ففر من الروم والبربر لاجئون الى صقلية، مثلما فرو من طرابلس الغرب مسبقاً، فأصبحت صقلية ملاذاً للهاربين الروم يعتصمون بها من هجمات العرب، واصبحت صقلية تهدد الوجود العربي بأفريقية كونها قاعدة للهجوم العسكري على العرب وملاذ لأعدائهم، ^(٧٦) سيما وانهم استطاعوا قتل زهير ^(٧٧) بن قيس البلوي والي افريقية المرسل من قبل حسان لقتال الروم والبربر ^(٧٨).

غزا العرب الجزيرة بعد ذلك اكثر من مرة، الا ان النجاح لم يكن حليفهم، خاصة بعد ان وليّ موسى بن نصير افريقية، وتم في ولايته فتح الاندلس سنة (٩٢ هـ / ٧١٠ م) وانشغالهم بها، ^(٧٩) ولكن مع بداية القرن الثاني الهجري عاود العرب غزوهم لصقلية، وكانت اولى غزواتهم لها سنة (١٠٢ هـ / ٧٢٠ م)، بقيادة محمد بن اوس الانصاري ^(٨٠)، الذي ارسله يزيد بن ابي مسلم ^(٨١)، في حمله لقتال البربر، الا انه قُتل على ايديهم، فلم يلبث الاول الا ان عاد من غزوته التي لم تحقق نتائج تذكر سوى بعض الغنائم والسبي ^(٨٢).

في نفس السنة تولى افريقية بشر بن صفوان ^(٨٣) والي مصر، بيد انه استخلف اخاه على مصر وخرج الى افريقية للقيام بعدة اعمال من بينها تتبع المتهمين بمقتل ابن ابي يزيد وغيرها، الا ان اهم عمل قام به هو غزوه لصقلية سنة (١٠٧ هـ / ٧٢٥ م) بعد ان بلغه استشهاد واليه على الاندلس، سارهو بنفسه في البحر، وعلى الرغم من ان الحملة انتهت نهاية تعسة، نتيجة للظروف الجوية السيئة التي هلك فيها من جيشه الكثير، الا انه عاد الى القيروان بالسبي الكثير، ليموت بها بعد سنتين متأثراً بالمرض ^(٨٤).

قام الامويون بعدة حملات لغزو صقلية تلت وفاة بشر، كان اشهرها حملة المستنير بن الحجاب، والذي يسميه ابن الاثير: المستنير بن الحارث ^(٨٥)، ومهما يكن من

اسمه فالذي يهمننا هو ان هذه الحملة كانت زمن والي افريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي^(٨٦)، وان هذه الحملة قد فشلت، ولا يُعرف سبب فشلها فقد اختلف المؤرخون في ذكر اسبابه. لعله يرجع الى الظروف الجوية الصعبة، كحملة محمد بن اوس الانصاري السابقة، او لعلها لسوء تقدير زمن الغارة، والمرجح ان الاثنين معاً اجتمعا ليهيئا اسباب فشل تلك الحملة، او لعلها المغانم والسبي التي استهوته الى درجة الايغال، والاستمرار بالغزو لدرجة ان اقترب الشتاء واشتدت الامواج وساءت الظروف الجوية، الامر الذي عجل بفشل الحملة، مما جعل الوالي عبيدة يغضب عليه، ويرسل في اثره والي طرابلس ليكبله ويحمله مشدود الوثاق اليه، وقام بدوره بحبسه وتعذيبه في سجنه وحملة اسباب فشل الحملة، مما دعى الخليفة هشام بن عبد الملك ان يعزله عن ولاية افريقية^(٨٧) ويعين بدلاً عنه عبيد الله بن الحبحاب^(٨٨)، الذي ارسل بدوره القائد حبيب^(٨٩) بن عبد ابي عبيد الفهري احد احفاد عقبة بن نافع، وكان معه ابنه، لغزو صقلية، والذي انتصر على البيزنطيين انتصارات لم يشهدها المسلمين هناك، وحاصر عاصمة الجزيرة سيراكوز، واجبر اهلها على دفع الجزية،^(٩٠) لعله يعني خضوعهم التام للمسلمين.

فيذكر ابن الاثير: ان ابن الحبحاب سيرجيشاً الى صقلية " فلقيهم مراكب الروم فأقتتلوا قتالاً شديداً فأنهزمت الروم،... وسير ابن الحبحاب ايضاً جيشاً الى السوس وارض السودان فغنموا وظفروا وعادوا،... وكان له كل سنة غزاة... " ^(٩١).

ويفهم من سياق الحديث ان هدف القائد حبيب البقاء كي يستكمل فتح الجزيرة كلها، الا ان ثورة للبربر يتزعمها ميسرة^(٩٢) السقاء قد قامت، فاستدعاه الوالي عبيد الله لقمع تلك الثورة.^(٩٣)

وبذلك تكون تلك آخر الحملات التي قامت على الجزيرة في عهد الدولة الاموية، والمتتبع لتلك الحملات على صقلية، يلاحظ انها كانت مرتبطة من جهة ؛ بنمو البحرية الاسلامية منذ زمن معاوية بن ابي سفيان، واحوال المسلمين في دمشق والبر الافريقي، واحوال البيزنطيين التي كانت الجزيرة تابعة لهم من جهة اخرى، ومن الظاهر انه كلما ضُغفت احوال بيزنطة في الداخل، ازدادت هجمات المسلمين عليهم، وقويت على الجزيرة، كما ان هذه الهجمات قد تتوقف تأثراً بأحوال المسلمين، مثلما تأثرت بفتنة المشرق ومقتل الخليفة عثمان، ومن ثم فتنة ابن الزبير، ومن ثم انتقال الحكم من العلويين الى بني

امية، او فترة فتح الاندلس، اوحى حين يتعرض الولاة للعزل او القتل، فلاغرو ان نقول: ان ولاية افريقية دخلت في دوامة من الصراعات مع البربر، وتوقفت الحملات الاسلامية على الجزيرة.حتى فُسحت الفرصة للبيزنطيين ان يحصنوا الجزيرة، بل انهم لم يتركوا حصناً، او مكاناً الا قاموا بتحسينه، كما نشط الامبراطور قسطنطين الخامس بارسال اسطول بيزنطي الى الجزيرة لحمايتها.^(٩٤) الى ان اصبحت بيد الاغلبة.

المبحث الثالث

صقلية في عهد الاغالبة

الاجالبة او بنو الاغلب سلالة عربية من بني العنبر من قبيلة تميم، حكمت في المغرب الاسلامي وغرب ليبيا وجنوب ايطاليا وصقلية وغيرها من الجزر، وكان مقرهم القيروان للفترة من (١٨٤/٨٠٠) هـ - (٢٩٦/٩٠٩) م، وينتسبون الى جدهم الاعلى المسمى الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، ويكنى ابا جعفر^(٩٥)، وتختلف روايات المؤرخين حول كيفية وصول هذه الاسرة الى السلطة وتأسيس امارة وراثية نالت شرعية حكمها من الخلافة العباسية، فيذكر ابن الابار: ان جدهم الاغلب ممن سعى للقيام بدعوة بني العباس مع ابي مسلم الخراساني^(٩٦)، وحارب في عهد الخليفة المنصور معه عمه عبدالله بن علي^(٩٧)، كما كان مع الخليفة في حصار بن هبيرة^(٩٨)، وقام بتوجيهه في عدة حروب لقتال البربر^(٩٩).

ويتفق البلاذري وابن عذارى: انه كان من الجنود البارزين بين جند مصر الذي لم ترق له الفتن التي امت بها آنذاك، فغادر الى افريقية وكسب ود اهلها ورضى القائد هرثمة بن اعين^(١٠٠)، الذي اقره على ولاية الزاب بافريقية^(١٠١)، بينما يرى ابن الاثير: انه كان قائداً طموحاً، استطاع كسب ود الناس الذين كرهوا سياسة الوالي الاسبق، الذي اذهلته المشاكل والاضطرابات السياسية واستاء الناس منه لتعذيبه احد فقهاء المدينة وضربه بالسياط امام الناس، كما ان والي افريقية هرثمة حسن صورته في نظر الخليفة،^(١٠٢) وبذلك اكتسب سمعة طيبة، فمن الظاهر ان كل تلك العوامل مجتمعة جعلته يعتلي السلطة، ومهما يكن من امر فان الخليفة المنصور اعطاه العهد بولاية افريقية، فلما اتاه العهد ذهب الى القيروان، وتخلص ممن خرجوا على الخلافة، فاستقامت له الامور هناك، ثم اضطربت عقب خروج آخر من البرابرة، وانشغاله بحربه وانتهاء الامر بمقتله وعرف بالشهيد^(١٠٣)، ومنها قامت مملكة الاغالبة الامارة العربية المسلمة التي هدفت الى دمج العرب والبربر، كما كانت تهدف الى جمع عرب المغرب

والاندلس، والسعي للفتح والتوسع في قارة اوربا، وركزت سياستها على الدول المجاورة على اساس القوة والسطوة^(١٠٤)، وصفوة القول ان كل الاحداث التي مرت بها المغرب جعلت الخلافة العباسية تفكر في اسناد هذه الولاية لرجل يتميز بصفات القدرة على الحكم والولاء للبيت العباسي، وهو ما شجعهم لاسنادها لابراهيم بن الاغلب.

ان كل ما يهمننا من ولاية ابراهيم بن الاغلب، الذي خلف والده الشهيد بعد موته ولاية افريقية، انه أستقل بملكها، واورث سلطانها لبنيه من بعده ما يزيد على المائة عام،^(١٠٥) ويتفق ابن الاثير وابن عذارى بانه واجه الكثير من الثورات والفتن حتى خضعت له القبائل البربرية، ودانت له بالطاعة واستقامت به احوالهم وابتنى مدينته المعروفة بالعباسية او مدينة القصر القديم^(١٠٦) كما، انه عقد هدنة مع بطريق صقلية لمدة عشر سنوات، ولعل سبب تلك الهدنة تخوفه من المخاطر التي قد يتعرضون لها من دولة الادارسة^(١٠٧)، التي نشأت بالتزامن مع دولة الاغالبة، ومن الجدير بالذكر ان العلاقات الصقلية والاغلبية استمرت طول فترة حكمه هادئة، ولم تحدث غارات من الجانبين الى وفاة ابراهيم الاغلب^(١٠٨)، وكان قد عهد في حياته بولاية افريقية الى ابنه زيادة الله الاول^(١٠٩)، الذي خرق الهدنة، وهاجم اسطوله الاسطول البيزنطي، وحدثت بينهما معركة انتهت بعقد هدنة جديدة، ولمدة عشر سنوات اخرى، واتفاق على تبادل الاسرى، وحماية المسلمين في صقلية، والبيزنطيين في المغرب، وبذلك استمرت العلاقات التجارية بينهما.^(١١٠)

كان زيادة الله بعيد النظر في الامور السياسية، فقد سلك سياسة حازمة جمع فيها التأديب والرفاة، كما استعمل سياسة التتكيل بالثوار والتساهل مع المستسلمين منهم حتى يوهن الخارجين عليه،^(١١١) ونتيجة لتربيته الدينية، وسياسته التي اتبعها، حيث ترك متابعة الخارجين وصرف اهتمامه الى اسناد المناصب الى العلماء، وانشاء المصانع وصناعة السفن لاستئناف الفتح لجنوب ايطاليا، والتي لم يكن يغفل الاوضاع الجارية فيها^(١١٢)، فيذكر ابن الاثير: انه علم ان امبراطور الروم استعمل على صقلية بطريق اسمه قسطنطين، فلما وصل الاخير اليها عيّن على الاسطول رجلاً رومياً اسمه فيمي، وهذا بدوره غزا افريقية، وأخذ سواحلها سبياً ونهباً ورجع ظافراً، ولما علم امبراطور الروم

بأمره ارسل الى البطريق قسطنطين بالقبض على فيمي فوصله خبر ذلك، فسار في المراكب الى صقلية واستولى على مدينة سرکوسة- سرقوسة- فخرج اليه البطريق قسطنطين واقتتلوا قتالاً شديداً، فأنهزم البطريق، فسير اليه فيمي جيشاً فهرب منه ثم قتل، فأصبح فيمي ملك على الجزيرة، وعين بدوره عاملاً على الجزيرة يدعى بلاته الذي خالف فيمي وعصاه، وجمع جيشاً وخرج لمقاتلته فذهب فيمي يستجد بزيادة الله (١١٣)، فيذكر البكري :انه " فَرَعَ فيمي البطريق النصراني قائد صاحب صقلية الى زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب، فَقَرَّب عليه أمر صقلية والظفر بها... " (١١٤).

ومن الظاهر ان تلبية زيادة الله لنداء فيمي جاءت من احساسه بأن الفرصة المناسبة التي كان يتحينها حكام الاغالبية لامتلاك صقلية قد حانت، لاسيما بعد ان حسن له فيمي امر الفوز بها.

اماسبب العداء بين الامبراطور البيزنطي وفيمي، فقد اختلفت المصادر التاريخية فيه، فمنها من تذكر انه احب راهبة حسناء واختطفها من ديرها، فشكا اهلها الى الامبراطور الذي أمر بجع انفه عقاباً له على جرمه، (١١٥) ومن المصادر من اخفت سبب العداء.

اما فازيليف: فيذكر ان سبب ذلك العداء ان الامبراطور اراد الانتقام من فيمي لانه اراد الانفصال عن بيزنطة وتأسيس امارة بيزنطية في صقلية، وبذلك مواجهه هذا الرفض والعداء من الامبراطور نفسه. (١١٦)

ويبدو انه سبباً وجيهاً ومقنعاً لهذا العداء، فليس من المعقول ان يقوم الامبراطور بنفسه بتتبع امر فيمي لاجل راهبة شكا اهلها له في ظل تلك الاوضاع السائدة آنذاك، فالمعروف ان الاباطرة لايهمهم سوى انفسهم والمحافظة على الحكم وتثبيت اركانه.

ومهما يكن من سبب فأني فيمي اتصل بالامير زيادة الله وطلب مساعدته ونتج عن اتصالهما ؛ اتفاق، وتحالف تضمن : أن يبقى الاول اميراً على الجزيرة مقابل دفع الجزية للاغالبية، ويتعهد الامير من جانبه بتقديم مساعدة عسكرية له ضد بيزنطة. (١١٧)

الفتح الاسلامي لصقلية

لم يكن الفتح العربي نتيجة لشعور اهل صقلية بان حالتهم سيئة، وان تغيير الحاكم قد يؤدي الى تحسن احوالهم، ولا كان الفتح استمراراً للموجة الاسلامية في اندفاعها الاول، الذي كان نتيجته فتح الاقاليم والامصار وصولاً الى شمال افريقية والاندلس، فالاندفاع نحو صقلية لم يمثل الابضع غزوات قام بها المسلمون، بيد انها لم تثبت لهم في الجزيرة قدماً، ولم تكن تلك الغزوات من اجل الغنائم دائماً ففي سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م) عندما نزل حبيب بن ابي عبيدة، حفيد عقبة بن نافع فاتح افريقية وابنه عبد الرحمن ارض صقلية، كان في نيته ان يمضي في فتحها حتى يستولي على الجزيرة كلها، غير ان قيام ميسرة السقاء بثورته تلك في افريقية اضطره الى العودة واحبط سعيه، وكانت الحوادث في افريقية تشغل المسلمين، فحولت جهودهم عن صقلية، والحق ان تلك الغزوات اضافت شيئاً من المال الى خزائن الدولة، وفي نفس الوقت احدى العقبات في سبيل الفتح، فتحولت جهودهم عن صقلية مما جعلهم يتخذون احتياطاتهم لحماية امبراطوريتهم، فأنشأوا قاعدة عسكرية في صقلية، ولم يتركوا جبلاً الا وبنوا عليه حصناً، وصاروا يخرجون بالمراكب كل فترة تطوف بالجزيرة وتدافع عنها^(١١٨)، وكانت بين افريقية وصقلية هدنة لم تنقضي مدتها، ولذلك جمع زيادة الله وجوه اهل القيروان وفقهائها، وفيهم قاضي القيروان أسد بن الفرات^(١١٩) ونخبة من العلماء، واستشارهم في امر الجزيرة، وكانوا بين مؤيد ورافض الى ان قرر الامير فتحها. (١٢٠)

يتفق اغلب المؤرخون ان فتح صقلية تم سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م)^(١٢١)، حين جهز الامير زيادة الله الاغلبى جيشاً قوامه مابين العشرة الالاف مقاتل والخمسة عشر على اختلاف اراء المؤرخين، سيّره في البحر بقيادة اسد، الذي تتلمذ على يد كبار الفقهاء من الصحابة، ويبدو ان اختيار الامير له لتلك الخلفية الدينية، وليس للمهارة الحربية، ومهما يكن سبب اختياره، فقد احسن الامير ذلك، فعندما كلفه الامير بقيادة الحملة، يذكر الذهبي: ان اسد سأل الامير: هل عزلتني عن القضاء؟ فأجابه: "لا، ولكن زدتك الامرة، وهي اشرف، فانت امير، وانت قاضي"^(١٢٢)، بينما يذكر ابن عذارى: انه بعد ذلك

الاجتماع بوجوه الجزيرة وفقهائها عرض القاضي اسد نفسه على الامير لقيادة الحملة "... فولاه الجيش واقره على القضاء مع القيادة، فخرج معه اشراف افريقية من العرب، والجنـد، والبربر، والاندلسيين،..." (١٢٣)

وعلى الرغم من اننا لانرجح عرض اسد نفسه على الامير لقيادة الحملة كونه فقيه وليس قائد، الا انه يبدو انه قد فرح لذلك التكليف، فقد دعى بحماس الى المبادرة باعلان الجهاد في الجزيرة (١٢٤).

وما نستشفه مما سبق ان الامير احسن التخطيط للحملة، وتحقيق سياسته التي اراد بها ضم العناصر المختلفة من العرب ولبربر والاندلسيين لتلك الحملة، واختياره لاسد الذي جمع كل هؤلاء فضلا عن بعض العناصر من الفرس المقيمين بالجزيرة، وبعض العلماء المقتدين بالقاضي.

ويتفق البكري وابن عذارى في انهم "سارو في حفلٍ عظيم"، وانه اجتمع له من المراكب سبعون مركباً (١٢٥)، وعدة كاملة وانهم مرو بالكثير من المدن والقرى ووصلوا الى حصون الروم وقلاعهم، فأصابوا سبياً كثيراً وكراعاً. (١٢٦) كما انضمت اليهم قوات فيمي الرومي، وانطلقت الحملة نحو العاصمة سرقوسة، وهي اولى المناطق التي سيطر عليها العرب في طريقهم الى العاصمة، ثم الى قلعة الكراث، (١٢٧) التي بجانب الكنيسة الافيمية، والتي يقال: انها سميت نسبة الى فيمي (١٢٨)، فلما وصلوا وجدوا فيها خلقاً كثير، استطاعوا ان يخدعوا القاضي باذعانهم له، فلما رآهم فيمي مال اليهم، وراسلهم ان يثبتوا ويحفظوا بلدهم، فبذلوا له الجزية، وسألوه ان لا يقرب منهم فأجابهم وبقي اسد ساكناً لأيام، لكنهم استعدوا للحصار وقاموا بمحاربته، غيرانه بث السرايا في كل ناحية، غنمت الشيء الكثير، وافتتح المسلمون بلادا كثيرة حول سرقوسة وحاصروها براً وبحراً، وجاءتهم الامدادات من افريقية، وسار اليهم والي بلرم لمحاربتهم، فحفروا الخنادق واسقطوا فيها هؤلاء وضيق المسلمين الحصار على سرقوسة، (١٢٩) ويتفق البكري وابن عذارى : ظهر للمسلمين " جمع من الروم فنزلهم، فانهزم المشركون، وأصيب لهم كراع وسلاح،... وكثرت المغانم عند المسلمين، وصاروا في رغد من العيش،... وقاتلهم براً وبحراً واحرق مراكبها، وقتل جماعة من اهلها..." (١٣٠) ويتفق

ابن خلكان والصفدي في ان المسلمين اصابهم وباء شديد هلك فيه اميرهم اسد بن الفرات^(١٣١) فلما رأى المسلمون شدة الوباء وما اصاب قائدهم، ووصول الروم اليهم، اجتمعوا في مراكزهم ليسيروا بها، لكن الروم اجتمعوا ووقفوا بمراكزهم على باب المرسى، ومنعواهم من الخروج، فقام المسلمون بحرق مراكزهم ورحلوا الى مدينة ميناو وحاصروها ثلاثة ايام واخذوا حصنها، وسارت طائفة منهم الى حصن جرجنت، وقتلوا اهله وتملكوه وتحصنوا به، واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا به، ثم ساروا الى قصريانة، ومعهم فيمي، فخرج اهلهما وقبلوا الارض بين يديه، لخداعه ودلالة على الطاعة، واجابتهم له ان يملكوه ارضهم، بيد انهم غدروا به وقتلوه^(١٣٢).

ان مانلمسه مما ذكره المؤرخين :ان القتال كان حازماً ومميراً، على الرغم من كثرة المسلمين، الا ان الروم تكاثروا عليهم، وقوة الوباء الذي داهمهم وانتشر بينهم واخذ قائدهم من بينهم مما دعاهم الى ان يلقوا بأنفسهم امام العدو حتى لا يعودون او يتخاذلون، او لربما من أمر بحرق السفن لم يكن مطمئناً لولاء من معه، خاصة ان اجناسهم من شتى البلاد، فاراد بذلك شد عزيمتهم ووضعهم امام الامر الواقع وقد تم له ذلك النجاح، او لعله اراد الاقتداء بحادثة حرق السفن التي افتعلها طارق بن زياد عند فتحه الاندلس قبل ما يقارب القرن من زمانه، هذا لوسلما بحادثة حرق السفن وانها حقيقية فانها لافتعال هالة حول انتصارهم، اما اذا لم نسلم بحادثة حرق السفن ورفضناها، فباعتقادنا ان المسلمين كانوا مدفوعين بالحماس الجهادي الذي اثاره الفقيه اسد بن الفرات، فما الذي يدعوهم لحرق السفن.

بعد وفاة اسد بن الفرات سنة (٢١٣هـ/٨٢٨م) اختار المسلمون قائداً عليهم هو محمد بن ابي الجواري^(١٣٣)، دون انتظار أمر من الامير زيادة الله،^(١٣٤) وفي ظل هذه الظروف الصعبة التي تحيط بالعسكر من وفاة القائد والوباء ومحاصرة الروم لهم ومنع الامدادات عنهم، خرجت سرية من المسلمين للغنيمة، فخرج عيهم الروم واقتتلوا قتالاً شديداً انهزم فيه المسلمون، وعادوا الى مكان تجمعهم خائبيين، ثم اعادوا الكر في الغد، واقتتلوا قتالاً اشد من امسهم وقتل منهم كثيرون، بيد انهم عادوا الى معسكرهم وحاصروا الروم حصاراً ضيقوا فيه عليهم الاقوات، وعمل الروم بالمسلمين حيلة اوقعوها بهم

وجعلوهم يَنْهزمون،^(١٣٥) وبقي الحال كما هو الى ان حصل شيء ليس في الحسبان فقد جاء مدد من البحرمكون من اسطول كبير، فنزلوا الجزيرة،^(١٣٦) وفكوا الحصار عن المسلمين بأذن الله، وساروا الى مدينة بلرم وحاصروها فطلب صاحب الجزيرة الامان لنفسه واهله وماله، فأجيب الى ذلك،^(١٣٧) وسار في البحر الى بلاد الروم، وسار المسلمون الى قصريانة فخرج لهم الروم فاقتتلوا قتالاً شديداً وأسرت امراة البطريق وابنه، وقيل :ان البطريق هرب بجراحات كثيرة وسقط عن فرسه وجاء اصحابه واستنقذوه، وحمل المسلمون مامعه من سلاح ومتاع ودواب وكانت وقعة عظيمة،^(١٣٨) انتهت بانتصار المسلمين، واقامتهم في العاصمة سيراكوز واتخذوها مقراً لهم، والتي كانت سبباً لفتح الجزيرة كلها.^(١٣٩)

بقيت صقلية بعد هذا الفتح بيد الاغالبية، الا انها تعرضت لبعض الغارات من قبل الروم، فيذكر ابن عذارى: في حوادث سنة (٢١٧هـ / ٨٣٢ م) ان الجزيرة تعرضت لغزو من قبل احد امراء افريقية من تميم فتغلب عليها، فلم علم زيادة الله عين عليها ابن عمه ابا فهر، محمد بن عبدالله الاغلبى،^(١٤٠) ويبدو انها لاعتبارين، اولهما :خوفاً من الاندلسيين ومحاولتهم الانفصال بالجزيرة، كما فعلوا بجزيرة كريت^(١٤١)، او لعلها رغبة منه في ضمها لافريقية.^(١٤٢) المهم ان ابن عمه ناجز التميمي، فتتحى الاخير وأمر الاغلبى أن تتم مناجزة الاسطول الرومي في البحر، فظفروا به العرب واخذوه غنيمة، ومضو في سعيهم لفتح باقي الجزيرة الى أن أتاها امر زيادة الله بأن يتخذوا من مدينة بلرم عاصمة للمسلمين بعد ان كانت مقر الادارة البيزنطية، ولم تمضي مدة يسيرة حتى أصبحت من أبهج العواصم الاسلامية، الحافلة بأحسن العلوم، وأزهر الفنون.^(١٤٣) بعد وفاة زيادة الله سنة (٢٢٣هـ / ٨٣٨م)^(١٤٤)، تولى أبي عقاب ابراهيم بن ابراهيم الاغلب ولما استوثق من ازدهار البلاد واقبال الناس على الطاعة، سير جيوشه سنة (٢٢٤هـ / ٨٣٨م) لا كمال فتح صقلية وايطاليا، بيد انه وافته المنية سنة (٢٢٦هـ / ٨٤١م)^(١٤٥).

وفي المدة الواقعة بين سنة (٢٣١هـ / ٨٤٦م) - (٢٣٩هـ / ٨٥٣م) دبت الصراعات بين آل الاغلب أنفسهم، على السلطة في أفريقية، وفي آخر المدة أستتب

الامر الى محمد الاول، وكان عامل جزيرة صقلية أبي الاغلب ابراهيم بن عبد الله بن الاغلب، الذي وافاه الاجل، فتولى مكانه العباس بن الفضل، والذي جاهد كثيراً وغزا طويلاً وكان في كل مرة يعود بنصر مؤزر، ^(١٤٦) فيذكر ابن عذارى: " في سنة ٢٤٢، كان الجهاد بصقلية؛ غزا العباس بن الفضل صاحبها بالصائفة، فسبى وغنم، وصالحه...، بعد ان حاصرهم شهرين... "، ويذكر ايضاً: " وفي سنة ٢٤٤، غزا العباس، صاحب صقلية ارض الروم، فغنم غنائم كثيرة... " ^(١٤٧)، ويبدو انه استمر بغزواته الناجحة الى سنة (٢٤٧هـ/ ٨٥٦م) ^(١٤٨)، وهي السنة التي توفي فيها، " وفي سنة ٢٥١، كانت غزوة السرية المعروفة بسرية الف فارس، وذلك ان خفاجة، صاحب صقلية غزا قصريانة ؛ ...، وسار الى سرقوسة؛ وقاتل اهلها. ثم رحل عنهم واخرج ابنه اليهم في سرية؛ فكمّن لهم، وقتل منهم الف فارس؛ فسميت تلك السرية الف فارس " ^(١٤٩)، واستمرت الانتصارات في الجزيرة، الى سنة (٢٦١ هـ / ٨٧٥م) حين توفي ابو الغرائيق الاغلبى، ^(١٥٠) وتولى افريقية ابراهيم الثاني، الذي عرف بهذا الاسم تمييزاً له عن جده مؤسس دولة الاغالبة، والذي شهد عهده بداية الارتباكات السياسية في الدولة، وتقيد الروايات التاريخية ان الدولة الاغلبية بعد وفاة ابو الغرائيق قد تردت احوالها وارهقتها المتاعب سواء في الداخل او الخارج، ^(١٥١) ويذكر ابن خلدون: " لما توفي ابو الغرائيق ولي اخوه ابراهيم، وقد كان عهد لابنه ابي عقال، واستحلف اخاه ابراهيم ان لا ينازعه ولا يعرض له، فلما مات عدا عليه اهل القيروان وحملوه على الولاية عليهم، لحسن سيرته وعدله فامتنع ثم اجاب وترك وصية ابي الغرائيق... وقام بالامر احسن قيام، وكان عادلاً حازماً فقطع البغي والفساد... فأمنت البلاد وبنى الحصون والمحارس بسواحل البحر، و... بنى سور سوسة... " ^(١٥٢)، وفي سنة (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م) بعد ان تمت البيعة لابراهيم امر باعتقال ابي عقال بن ابي الغرائيق، ثم شرع في البناء فبنى قصر الفتح، وارسل عامله لغزو صقلية، وامره بحصار سرقوسة، وبعد ستة اشهر دخلها فاتحاً ^(١٥٣).

وفي سنة (٢٧٠ هـ / ٨٨٤ م) توفي عامل صقلية، وعين سودة بن محمد بن خفاجة التميمي فافتتح ولايته ببث سراياه في البلاد الايطالية، والتي عادت ظافرة، لكن

الروم البيزنطيين لم تغفل عيونهم عن صقلية، فارسلوا اليها جيشاً جراراً، قاد معركة طاحنة، أعتقل فيها سودة التميمي، الامر الذي أغم المسلمين، ^(١٥٤) فاستجمعوا قواهم وساروا الى مدنها واستولوا عليها واضعفوا قوة الروم، وبثوا الرعب في نفوسهم، فيذكر ابن عذارى: "في سنة ٢٧٦، كان الجهاد بصقلية في غزوة سودة بن محمد... " ^(١٥٥).

ما ان جاءت سنة (٢٨٢هـ / ٨٩٥م) يذكر ابن عذارى: " انعقد الصلح بين اهل صقلية والروم لاربعين شهراً، على اخراج الف اسير من المسلمين،.... " ^(١٥٦)، وفي اعقاب ذلك احتدمت المشاكل والفتن في صقلية اكثر بقيت الاوضاع في الجزيرة غير مستقرة، ونشبت فتنة في صقلية بين عربها وبربرها فارسل لهم الامير كتابا يدعوهم الى الطاعة فامتثلوا لامره، الا ان اوضاعها لم تهدأ الى ان غزاها سنة (٢٨٩هـ / ٩٠١م). ^(١٥٧)

وفي سنة (٢٩٠هـ / ٩٠٢م) - (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) وضع الفاطميون - العبيديون - فيها نهاية لحكم الاغالبية في صقلية وافريقية ^(١٥٨)، حيث لم يقوى آخر امرائها زيادة الله الاغلبى الثاني على الصمود في وجه الحشود التي تقدمت لاسقاط المدن التي احتلها، واقرن هذا التقدم بهروبه الى مصر تاركاً امارته امام الزحف العبيدي الذي اسدل الستار على حكم الاغالبية سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٩م).

ان من الجدير بالذكر ان جهود الاغالبية في البحر المتوسط عموماً، وفي فتح جزيرة صقلية، كانت ملحمة رائعة سواء في فتح الجزيرة او الجزر القريبة منها او الوصول اليها، الذي استمر ما يقارب قرن من الزمان.

المصادر

- (١) سميت صقلية بهذا الاسم نسبة الى شيفلو اخي ايطال الذي سميت به اطلالية للمزيد انظر: البكري، ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبية، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٤٥م)، ج ٢، ص ٥٢.
- (٢) العبادي، احمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، (دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت)، ص ٣٣٥.
- (٣) ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، صورة الارض، (مطبعة بريل، ليدن، ١٤٠٩م)، ص ١١٨؛ ياقوت الحموي، ابي عبدالله شهاب الدين بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، د.ت)، ج ٣، ص ٤١٦-٤١٧.
- (٤) اسم لمدينة في خمس مواضع، و باجة هذه تقع في تونس وهي مدينة قديمة كثيرة الغلات والقمح والشعير ليس مثلها بالمغرب كله صحيحة الهواء كثيرة الرخاء يقابلها من جهة الشمال مرسى الخزر للمزيد انظر: الشريف الادريسي، ابي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م)، ج ١، ص ٢٩٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٤.
- (٥) حصن على البحر قليل العمارة وبينها وبين مدينة بنزرت التونسية سبعون ميلا. للمزيد انظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٨٩.
- (٦) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١١٨؛ المقدسي البشاري، ابي عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن ابي بكر (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م)، ص ١٨١.
- (٧) مدينة بجزيرة صقلية في بحر المغرب، بها هيكل عظيم فيه قبر ارسطو طاليس تعظمه النصراني وتستنقي به لاعتقادهم به. للمزيد انظر: ابن حوقل، صورة الارض، ص ١١٨؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، آثار البلاد واخبار العباد، ط ٣، (دار صادر، بيروت، ٢٠١١م)، ص ١٥٨.
- (٨) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٤.
- (٩) لغة: هي جمع كلمة رباط، وهي من المراقبة: اي ملازمة ثغر العدو واصلها ان يربط كل فريق خيله لقتال عدوه حتى صار لزوم الثغر رباطاً، الا ان معنى الكلمة تطور في العصور الاسلامية المتأخرة الذي كان مرتبطاً بالمفهوم العسكري المرتبط بالجهاد ليتحول الى ما تعنيه كلمة الزوايا والخانقاه المرتبطة بالتصوف. للمزيد انظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافغاني (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم الشاذلي، (دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ج ٩، ص ١٧٣؛ حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م)، ج ٤، ص ٤٦٣.
- (١٠) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١١٨؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٨٧.
- (١١) الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٩م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، ط ٢ (دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م)، ص ٣٦٧.
- (١٢) احمد، عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، تعريب: امين توفيق الطيبي، (دار الكتب العربية، بيروت، ١٩٨٠م)، ص ١٨.
- (١٣) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٧.
- (١٤) المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٣؛ معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٧.

- (١٥) تقع هذه المدينة على ساحل البحر وهي من مشاهير المدن يقصدها التجار من جميع الاقطار بها الكثير من الاسواق والحمامات والمباني الفنية والافنية الواسعة. للمزيد انظر: المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٨٧؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٩٧.
- (١٦) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٣.
- (١٧) آثار البلاد، ص ٢٤٠؛ الروض المعطار، ص ٤٥٤.
- (١٨) نزهة المشتاق، ج ١، ص ١.
- (١٩) نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٩٠.
- (٢٠) نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٩١-٥٩٢.
- (٢١) الدوري، تقي الدين عارف، صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الاسلامية (من الفتح الى الغزو النورمندي)، (دار الرشيد للطباعة والنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م)، ص ٢١؛ اسماعيل، محمود، الاغلبة وسياستهم الخارجية، ط ٣، (مؤسسة عين للدراسات الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٠م)، ص ١١.
- (٢٢) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م)، ج ٣، ص ٣٢٣؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ٨.
- (٢٣) ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م)، ج ٣، ص ٧٠.
- (٢٤) اليعقوبي، احمد بن اسحق بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م) تاريخ اليعقوبي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، ج ٢، ص ١١٧؛ فازيليف، الكسندر، العرب والروم، تعريف: محمد عبدالهادي شعيره، (دار الفكر العربي، بيروت، د.ت)، ص ٦٢.
- (٢٥) سعد زغلول، تاريخ المغرب، ص ٩٨؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوربا في العصور الوسطى، (مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٩م)، ج ١، ص ١٢٦.
- (٢٦) هي جزيرة في البحر المتوسط بالقرب من القسطنطينية. للمزيد انظر: البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع، (مؤسسة المعاف الفنية للطباعة، بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٣٣٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٨.
- (٢٧) يضم اوله، هي جزيرة في البحر من الثغور الشامية افتتحها عنوة جنادة بن ابي امية زمن معاوية، وهي حصن افريقية تبعد عن قبرص عشرون ميلا. للمزيد انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٨٧.
- (٢٨) سميت بهذا الاسم نسبة لمدينة هناك تدعى قبرو، وهي في القدم للوثن المسمى فانوس. للمزيد انظر: البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٤.
- (٢٩) ابن العماد الحنبلي، ابي الفلاح عبد الحي بن احمد الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، (دار ابن كثير، بيروت، ١٩٩١م)، ج ١، ص ١٨٦؛ عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، تقديم: احمد فكري، (دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ص ٨٥.
- (٣٠) شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، العبر في خبر من غير، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م)، ج ١، ص ٢١.
- (٣١) العدوي، ابراهيم احمد، الامويون والبيزنطيون، (دار الجيل للطباعة، القاهرة، ١٩٦٣م)، ص ٨٤.

(٣٢) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع، (مؤسسة المعاف الفنية للطباعة، بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٢٠٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٥٨؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ٨.

(٣٣) العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٨٥.

(٣٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٠؛ المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، ط ٢، (دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م)، ج ٢، ص ١٨٦؛ العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٨٥.

(٣٥) ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، (دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ج ٤، ص ٢٦٠-٢٥٩.

(٣٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٥٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٢٣.

(٣٧) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٤٣٥؛ العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٤٥-٤٨.

(٣٨) ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ٧٠-٨١؛ الياضي، ابي محمد عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٨م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)، ج ١، ص ٧٨-٨٨.

(٣٩) الاصطخري، ابو القاسم ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) المسالك والممالك، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م) ص ٣٤-٣٥؛ العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٩٠.

(٤٠) يكنى ابا الوليد الانصاري الخرجي شهد بيعة العقبة الاولى والثانية وكان نقيباً على قوافل بني عوف من الخرج وشهد بدر والخندق والمشاهد كلها مع الرسول الكريم (ص) واستعمله النبي على بعض الصدقات. للمزيد انظر: ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٤٥م)، ج ٣، ص ١٥٩.

(٤١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٥٨؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٢، ص ٤٨٨؛ ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٢٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م)، ج ١٠، ص ٢٢٨.

(٤٢) ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ١٣؛ العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٩٠-٩١.

(٤٣) لغة: من جرى يجزي، والجزاء المكافأة على الشيء وهي ايضاً القضاء كقولنا جزي الامر اي قضى، وفي الاصطلاح: هي العهد والامان وهي تفرض على اهل الذمة من اليهود والنصارى وغيرهم وتؤخذ في موعد معلوم من السنة وتسقط عنهم بإسلامهم.. للمزيد انظر: ابن آدم، يحيى بن سليمان (ت ٢٠٢هـ / ٨١٧م)، الخراج، (دار المعرفة للطباعة، بيروت، د.ت)، ص ٢١؛ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)، القاموس المحيط، (دار العلم للجميع، بيروت، د.ت)، ج ٤، ص ١٣.

(٤٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٦٢؛ العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٩٠-٩١.

(٤٥) العبر، ج ١، ص ٢٥.

(٤٦) ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ٣٠.

(٤٧) ابن قتيبة الدينوري، ابي محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، الامامة والسياسة، ط ٣، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م)، ج ٢، ص ٣٦٥؛ العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٩٤-٩٦.

(٤٨) ابن خلدون؛ ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر زمن عاصرهم من ذوي السلطان الاعظم،

- ضبط ومراجعة: خليل شحادة وسهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م)، ج ٦، ص ١٣٢؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ٨.
- (٤٩) ولأه الخليفة عثمان مصر وفتح افريقية، وكان قد اسلم قبل فتح مكة وهاجر مع من هاجر الى المدينة وكان من كتاب الوحي. للمزيد انظر: ابن الاثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٢٦٠.
- (٥٠) ويكنى ابا عبد الرحمن وابا نعيم غزا افريقية ثلاث غزوات متفرقة، واصيبت عينه في احداها وغزا الحبشة مع ابن ابي سرح وعد من اهل مصر. للمزيد انظر: ابن عبد البر القرطبي، ابي عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: عادل مرشد، (مطبعة دار الاسلام، الاردن، عمان، ٢٠٠٢م)، ص ٦٧٣.
- (٥١) ابن قتيبة الدينوري، الامامة والسياسة، ج ١، ص ٣٥.
- (٥٢) فازيليف، العرب والروم، ص ٦٢.
- (٥٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ٣١١؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣١٨.
- (٥٤) فازيليف، العرب والروم، ص ٦٢؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ٩.
- (٥٥) خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، ط ٢، (دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥ م)، ص ١٦٠؛ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن اعين (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم محمد، (د مط، القاهرة، ١٩٥٤ م)، ج ١، ص ٣٥٥.
- (٥٦) فازيليف، العرب والروم، ص ٦٢.
- (٥٧) الدوري، صقلية، ص ٢٤.
- (٥٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٩؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ٩.
- (٥٩) عباس، احسان، العرب في صقلية، (دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٥ م)، ص ٢٨؛ فازيليف، العرب والروم، ص ٦٣.
- (٦٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٢٩؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ٣١١، ٣١٤؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤، ص ١٩.
- (٦١) فازيليف، العرب والروم، ص ٦٢؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ٩.
- (٦٢) عمران، محمود سعيد، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، (دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠م)، ص ٨٤؛ عاشور، اوربا، ص ١٤٣.
- (٦٣) هو عبد الله بن قيس بن خالد بن مخلد الانصاري، من بني فزارة كان عقيماً بديراً ولأه معاوية غزو البحر سنة ٣٥ هـ. للمزيد انظر: ابن عساکر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين ابي سعيد بن عمر العمروسي، (دار الفكر للطباعة، دمشق، ١٩٩٥ م)، ج ٣، ص ١١٩-١٢١.
- (٦٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٩؛ ابن عذارى، ابو عبد الملك محمد المراكشي (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: بروفنسال وج. س. كولان، ط ٢، (دار الثقافة العربية، بيروت، ١٩٨٣ م)، ج ١، ص ١٧.
- (٦٥) بفتح اوله وثانيه ثم قاف، مدينة من اكبر واقدم مدن جزيرة صقلية بها سرير الملك. للمزيد انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٤.
- (٦٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٩؛ فازيليف، العرب والروم، ص ٦٣؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ٩.
- (٦٧) الشيخ، محمد محمد مرسي، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، (دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٤ م)، ص ٩٨-٩٩؛ فازيليف، العرب والروم، ص ٦٣.

- (٦٨) من كبار التابعين، ادرك الجاهلية والاسلام وولي غزو البحر لمعاوية، شهد فتح مصر وحدّث عن معاذ بن جبل وغيره. للمزيد انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١١، ص ٢٨٧؛ الذهبي، سيرة اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٦٣.
- (٦٩) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج ٢، ص ٣٦٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٢٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ٣٦٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤، ص ١٦٧.
- (٧٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٤٩؛ ابن الجوزي، ابى الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م)، ج ٦، ص ٢٣-٢٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣١٨-٣٢٢.
- (٧١) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٥، ص ٣٦.
- (٧٢) ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٧٧؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٥٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٧١٢.
- (٧٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٦١٠-٦١١؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٢٢-٣١٨؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ١٣؛ فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية حتى نهاية العصر الاموي، تعريب: محمد عبد الهادي ابو ريده (لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م)، ص ١٨٢.
- (٧٤) مدينة كبيرة قديمة بين الاسكندرية وافريقية، اسمها بالرومية الاغريقية بنطابلس وتفسيره خمس مدن وهي تقع في الصحراء فتحها عمرو بن العاص وصالح اهلها على الجزية. للمزيد انظر: البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ١٧٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٩١.
- (٧٥) من نسل ملوك العرب من الغساسنة، عرف بالشيخ الامين ولي افريقية، وكان بطلاً شجاعاً مجاهداً، وجهه معاوية بن ابي سفيان على المغرب، فصالح البربر ووضع عليهم الخراج، وله غزوات مشهودة بعد قتل الكاهنة. للمزيد انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سيرة اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، ط ١١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م)، مج ٤، ص ١٤٠؛ الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، الاعلام، ط ٥، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م)، ج ٢، ص ١١٧.
- (٧٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٩٤-١٩٧؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ١٣٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٥، ص ٦٧-٦٨؛ الثعالبي، عبد العزيز، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الى نهاية الدولة الاغلبية، جمع وتحقيق: احمد بن ميلاد ومحمد ادريس، ط ٢، (دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٠م)، ص ٥٨.
- (٧٧) احد الامراء الفاتحين شهد فتح مصر ولاه اميرها عبد العزيز بن مروان على برقة وكانت له حروب مع الروم البربر وقتله الروم. للمزيد انظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط ومصطفى تركي، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م)، ج ١٤، ص ١٥٢؛ الزركلي، الاعلام، ج ٣، ص ٥٢.
- (٧٨) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٣؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٥، ص ٣٢٧؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ١٧٥-١٧٩.
- (٧٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٤٦٨؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٦٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٣؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٣٩.
- (٨٠) قائد عربي ارسله والي افريقية لغزو صقلية، لكنه لم يلبث فيها الا قليل وعاد بالغنائم والسبي الوفير. للمزيد انظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٢٤١.

- (^{٨١}) يزيد بن ابي مسلم تم توليته والي على افريقية من قبل الحجاج الثقفي، وكان غشوماً ظلوماً، اراد ان يرسم البربر في ايديهم كما تصنع ملوك الفرس والروم بعبدها فلم يرضوا وثاروا عليه وقتلوه. للمزيد انظر ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٣٥٤؛ الياضي، مرآة الجنان، ج ١، ص ١٦٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٨.
- (^{٨٢}) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٢٣٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٨؛ فازيليف، العرب والروم، ص ٦٣.
- (^{٨٣}) وليّ بشر افريقية من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان ومن ثم من قبل اخيه هشام بن عبد الملك غزا الغزوات الكثيرة ومات في القيروان. للمزيد انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٢٣٩؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٩٣.
- (^{٨٤}) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٣؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٢٤٤؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص ١٢٢.
- (^{٨٥}) الكامل، ج ٤، ص ٤٠٣.
- (^{٨٦}) هو ابن اخو الاعور السلمي صاحب خيل معاوية في حرب صفين، دخل القيروان فجأة، وحبس خليفة بشر بن صفوان عليها، واخذ عماله وحبسهم واغرمهم وعذب بعضهم. ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٥٠؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٤٠.
- (^{٨٧}) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٠٣؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٢٤٧؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص ١٢٣.
- (^{٨٨}) عبيد الله بن الحباب مولى بني سلول من رجالها البارعين في الفصاحة والخطابة، ولاه الخليفة هشام افريقية فبنى فيها المساجد ودار الصناعة وكان اول عمره كاتباً. للمزيد انظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٥١؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٥٦.
- (^{٨٩}) هو احد احفاد عقبة بن نافع الفهري القرشي، سكن الاندلس وارسل غازياً حتى وصل السوس الاقصى وبلاد السودان ولم يبق قبيلة من قبائل البربر الادخلها. للمزيد انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٢، ص ٤٢.
- (^{٩٠}) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٥٧؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٤١؛ عزيز، تاريخ صقلية، ص ١١.
- (^{٩١}) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٤١٢.
- (^{٩٢}) هو من قبيلة مدغرة البربرية من قبائل البتر وعرف بالفقير والحقير، عمل سقاءً يبيع الماء في سوق القيروان. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٥٣؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٥٢؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٢٥٥.
- (^{٩٣}) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ١٨٩؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٥٢؛ فازيليف، العرب والروم، ص ٦٤.
- (^{٩٤}) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٤١؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص ١٣٥؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٢٥٥.
- (^{٩٥}) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)، جمل من انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، (دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٦ م)، ج ١٣، ص ١١؛ كحالة، عمر رضا، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ط ٨، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧ م)، ج ١، ص ٣٦.
- (^{٩٦}) واسمه عبد الرحمن بن مسلم، وقيل عبد الرحمن بن عثمان بن يسار، صاحب الدعوة العباسية في خراسان ومن اكبر ملوك الاسلام، تأتية الفتوحات العظام، فلا يظهر عليه اثر السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة، فلا يرى مكتئباً. للمزيد انظر: ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن

ابي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (دار صادر، بيروت، د.ت)، ج ٣، ص ١٤٥-١٤٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٦، ص ٤٨.
(٩٧) عبدالله بن علي عم الخليفة المنصور وقائد جيوشه شارك في تثبيت امر الخلافة لبني العباس بعد مقتل ابراهيم الامام وزمن ابو العباس السفاح وانتدبه الخليفة المنصور لقتال بن هبيرة الا ان المنصور خاف من سطوته ومكانته عند الجند من ان يأخذ البيعة لنفسه فتخلص منه فقتله على يد ابو مسلم الخراساني. للمزيد انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٥٣-٢٥٧؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م)، ج ١، ص ١٨٥.

(٩٨) هو عمر بن هبيرة بن سكين بن بغيض بن مالك بن عدي بن فزارة بن غطفان من دهاة العرب عاش زمن الخلافة العباسية تولى امر العراق والجزيرة زمن يزيد بن عبد الملك. للمزيد انظر: البلاذري، جمل من انساب الاشراف، ج ٨، ص ٢٦٥؛ الزركلي، الاعلام، ج ٥، ص ٦٨.
(٩٩) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ١٦٨؛ ابي عبد الله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، ط ٢، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م)، ج ١، ص ٦٨-٦٩.

(١٠٠) امير من القادة الشجعان ولاء الرشيد على مصر ثم على افريقية فكانت له هبة عظيمة، اطاعته قبائل البربر ودانت له بنى القصر الكبير المعروف بالمنستير، وبنى سور طرابلس، ولما رأى كثرة الاهواء في المغرب طلب الى الرشيد ان يعزله فاجابه الى ذلك. للمزيد انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ١٢، ص ٢٤؛ الزركلي، الاعلام، ج ٨، ص ٨١.

(١٠١) فتوح البلدان، ص ٣٢٦-٣٢٨؛ البيان المغرب، ج ١، ص ٧٤؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٤٧.
(١٠٢) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ١٦٨-١٦٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ١٢، ص ٨٨؛ ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبة، تحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م)، ص ١٩.

(١٠٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ١٦٨-١٦٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ١، ص ٧٤-٧٥؛ ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبة، ص ١٣.

(١٠٤) الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٠٣.
(١٠٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ص ١؛ ابن الابار، الحلة السيرة، ج ١، ص ٩٣-٩٤؛ حسين، ممدوح، افريقية في عصر الامير الاغلي الثاني (قراءة جديدة تكشف افتراءات دعاة الفاطميين) (دار عمار للطباعة، الاردن، ١٩٩٧م)، ص ١٠.

(١٠٦) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٣١٣، ٤٣٦، ٧١٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ١، ص ٩٢-٩٧.

(١٠٧) هي دولة شيعية علوية يرجع نسبها الى ادريس بن عبدالله بن الحسن بن علي (رض) العلوي الذي هرب من معركة فخ واتجه الى المغرب واسس اماره فيها عرفت باسمه. للمزيد انظر: ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٥؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ١٦٧.

(١٠٨) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٣١٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ١، ص ٩٥.

(١٠٩) من اعظم ملوك الدولة الاغلبية، واعلاهم صيتاً، اعتنى به والده، وكان لا يقدم عليه احدا من الاعراب والعلماء بالعربية، فقد كان شاعرا فصيح اللسان ثار عليه اهل افريقية بسبب سياسته، حتى خرج الامر من يده وخرج الى منها واحصر في مدينة القصر القديم التي بناها الاغالبة. للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ١٩٣؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج ١٥، ص ١١.

(١١٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ١، ص ١٣١؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٢؛ حسين، افريقية في عصر الامير الاغلي الثاني، ص ١٠٢.

- (١١١) الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٠٥-٢١٧؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٣٦٦.
- (١١٢) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٣؛ ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبة، ص ٣٤؛ حسين، افريقية في عصر الامير الاغربي الثاني، ص ٣٦-٣٨، ص ٦٦.
- (١١٣) الكامل، ج ٥، ص ٤٣٦؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٤؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ١٣.
- (١١٤) المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٤.
- (١١٥) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٣٦؛ احسان عباس، العرب في صقلية، ص ٣٢؛ العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٣٣٥.
- (١١٦) العرب والروم، ص ٦٤.
- (١١٧) احسان عباس، العرب في صقلية، ص ٣٢؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ١٣.
- (١١٨) الكامل، ج ٥، ص ٤٣٦؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٥٢؛ احسان عباس، العرب في صقلية، ص ٣٢.
- (١١٩) هو الفقيه المالكي ابو عبد الله القيرواني المغربي، احد كبار اصحاب الامام مالك ومؤلف كتاب المسائل الاسدية للمزيد انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٥٢؛ النباهي، ابوالحسن علي بن عبدالله الجذامي (ت ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م)، تاريخ قضاة الاندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق: مريم قاسم الطويل، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥ م)، ص ٧٥؛ ابن قنفذ القسنطيني، ابي العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط ٤، (دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م)، ص ١٦٣-١٦٤.
- (١٢٠) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١٣١؛ احسان عباس، العرب في صقلية، ص ٣٢.
- (١٢١) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٣٦؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٢٨٦؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٩٠.
- (١٢٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ١٥، ص ٦٦-٦٧.
- (١٢٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٩٧-٩٩.
- (١٢٤) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٣٦.
- (١٢٥) المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٤؛ البيان المغرب، ج ١، ص ١٠٢.
- (١٢٦) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١٠٢؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ١٤.
- (١٢٧) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٣٦؛ فازيليف، العرب والروم، ص ٧٥.
- (١٢٨) اسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم ودينهم وصلاتهم بالعرب، (دار المكشوف، بيروت، لبنان، ١٩٥٥م)، ج ١، ص ٣٢٣؛ الدوري، صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط، ص ٥١.
- (١٢٩) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٣٧؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٤؛ فازيليف، العرب والروم، ص ٧٢.
- (١٣٠) المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٤؛ البيان المغرب، ج ١، ص ١٠٢.
- (١٣١) وفيات الاعيان، ج ٣، ص ١٨٢؛ الوافي بالوفيات، ج ٩، ص ٦؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٢١.
- (١٣٢) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٣٧؛ فازيليف، العرب والروم، ص ٧٩.
- (١٣٣) ولاء المسلمين قيادة جيش صقلية بعد وفاة قائدهم اسد بن الفرات بدون امر الامير زيادة الله لمزيد انظر: ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٣٧؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٤.
- (١٣٤) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٣٧؛ ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبة، ص ٥٦؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ١٥.

- (١٣٥) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٣٧؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٤.
- (١٣٦) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٤؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلاميه، ص ١٦.
- (١٣٧) الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٢٤؛ الدوري، صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط، ص ٥٨.
- (١٣٨) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٣٧.
- (١٣٩) فازيليف، العرب والروم، ص ١١٨.
- (١٤٠) احدى جزائر البحر الرومي، سميت باسم رجل يقال له قراطي، وهي جزيرة كثيرة الاشجار والكروم والثمار والخيرات. للمزيد انظر: البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١.
- (١٤١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١٠٤؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٢٥.
- (١٤٢) ابن الاثير، الكامل، ج ٦، ص ٢٣٩؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلاميه، ص ١٧.
- (١٤٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١٠٦؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٤.
- (١٤٤) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٥-٢٥٦؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٢٦.
- (١٤٥) ابن الاثير، الكامل، ج ٦، ص ١١٢؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٣٢.
- (١٤٦) البيان المغرب، ج ١، ص ١١١؛ فازيليف، العرب والروم، ص ١٩٣.
- (١٤٧) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١١٢؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلاميه، ص ٢٠.
- (١٤٨) ابن الاثير، الكامل، ج ٦، ص ١٤٣؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١١٥.
- (١٤٩) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٧؛ اسماعيل، الاغالبية، ص ١٥٧؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٤٠.
- (١٥٠) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١١٦؛ حسين، افريقية، ص ١٣.
- (١٥١) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٩؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٤٠.
- (١٥٢) الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٤١؛ حسين، افريقية، ص ١٩.
- (١٥٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١١٩؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٥٩.
- (١٥٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١٢٠؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٤٥.
- (١٥٥) البيان المغرب، ج ١، ص ١٢١؛ حسين، افريقية، ص ٢٦.
- (١٥٦) ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبية، ص ٦١؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٥١.
- (١٥٧) ابن الاثير، الكامل، ج ٦، ص ١٠٣؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٦٢.
- (١٥٨) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١٤٧؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٦٤؛ اسماعيل، الاغالبية، ص ١٥٨؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلاميه، ص ٣٢.

منهج ابن الجزري وموارده
في كتاب تاريخ حوادث الزمان ووفيات الاكابر
والاعيان
د. ايمان عبد الجبار التميمي

المبحث الاول: ابن الجزري حياته وعصره

المبحث الثاني: كتابه تاريخ حوادث الزمان

المبحث الثالث: منهجه وموارده في الكتاب

الملخص

ابن الجزري مؤرخ دمشقي ولد وعاش في مدينة دمشق في عصر سلاطين المماليك، عيشة مترفة في ظل أسرته الميسورة الحال مما اهله تلك الحياة الكريمة لان يخالط الاكابر والاعيان ويطلع على أخبارهم، ويهتم بدراسة احوالهم ووفياتهم، وكان شاهد عيان على اوجه تلك الحياة وذلك العصر، كان مهتماً بكتابة التاريخ وكتب كتاباً فيه، قدم فيه بعض الأخبار التي لا توجد عند غيره من المؤرخين، وكانت وفاته سنة (٧٣٩هـ/١٣٣٩م).

ان كتاب (تاريخ حوادث الزمان وابنائهم ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائهم) المعروف بتاريخ ابن الجزري هو مؤلفه الوحيد المطبوع كونه اهتم بدراسة التاريخ واحبه وفضله على غيره من الدراسات الاخرى، فهو من الكتب المهمة كونه يتضمن مادة تاريخية تختص بمختلف جوانب الحياة المختلفة، فضلاً عن كونه من كتب الوفيات الذي نظمته على الحوليات.

اتبع المؤرخ منهجاً خاصاً به حيث ان مادته التاريخية لم تقف على مشاهداته، بل تعداها الى الاعتماد على لقاءاته وعلاقاته مع الشيوخ، ومن يماثله في المكانة الاجتماعية، فضلاً عما كان يذكره من أخبار نقلها عن والده واعمامه واقاربه من الجزريين الذين كانوا يأتون الى بستانهم وبيته الذي كان ملتقاً لهم، وبذلك تكون مصادره قد تنوعت بين المشاهدة والمشافهة والمكاتبات والنقل عن المصادر المكتوبة، اي انه استقى موارده من مصادر عديدة تزود بها كي يتم كتابة تاريخه.

عرض الكتاب الاوضاع السياسية والثقافية في عصره والظروف التي دعت ابن الجزري الى الاهتمام بدراسة التاريخ، بعد ان اصبحت بلاد الشام مأوى للعلماء والفقهاء والشعراء وطالبي العلم من كل حذب وصوب، و تشجيع سلاطين المماليك لهم، واهتمامهم بالمعارف والآداب والعلوم المرتبطة بها والتي هي ركيزة من ركائز التعليم والثقافة، فضلاً عن الاصلاحات العامة في كل المجالات وخاصة الدينية والثقافية التي قام بها سلاطين المماليك ليكسبوا تقريب العلماء اليهم لما لهؤلاء من تأثير على العامة فكان هذا العصر عصر ابداع ثقافي و نشاط وحركة علمية ومؤلفات ونتاجات غزيرة في مختلف المجالات، وبروز اعلام في الثقافة الاسلامية قاموا بكتابات خلدت عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون وهو العصر الذي عاش فيه ابن الجزري وكان له تأثيره عليه في كتابة تأريخه الذي عرف باسمه.

المبحث الاول

ابن الجزري حياته وعصره

اولاً: اسمه ومولده

هو شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز بن ابي الفوارس بن ابي الهيجا بن عمر بن علي بن الحسن بن ابي الهيجا بن علي الجزري، ويكنى بأبي عبد الله، الشافعي كما ترجم هو لنفسه وآخرون، ^(١) ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة، ^(٢) في مدينة دمشق ^(٣)، لذلك عرف بالدمشقي، وعرف ايضاً بالجزري ^(٤)، نسبة الى اصل والده واجداده جزيرة ابن عمر الواقعة بين دجلة والفرات. ^(٥)

عاش ابن الجزري مع والده ووالدته واخوته، في ظل والده، حياة مترفة في دارهم ^(٦) وكان باراً بأولاده وأهله ، ولما مات والده ترك عنده اخوة صغار غير اشداء فرباهم ، وأحسن اليهم وقام بأمرهم أتم قيام برفق واحسان وتواضع وكلمة طيبة. ^(٧)

ثانياً: صفاته واخلاقه

تحلى ابن الجزري بصفات حميدة واخلق فاضلة، فقد احبه اهله واقاربه وجيرانه، وكان من خيار الناس كثير المروءة مواظباً على الذكر والدعاء والتلاوة والأعمال الصالحة، ^(٨) فذكر عنه انه: " رجل فاضل جليل وقور " ^(٩)، ووصف ايضاً انه: " كان حسن المذاكرة، صدوقاً، سليم الباطن " ^(١٠)، وكان " له ملك جيد وربما يشهد على الحكام " ^(١١)، وقد طلب منه أن يشهد ^(١٢) في قيم الأملاك لتورعه وديانته، فامتنع عن ذلك، ولم يدخل في ولاية ولا وظيفة، ^(١٣) لعله بذلك اراد ان يتفرغ لديانته وطلب العلم وكتابة التاريخ.

ثالثاً: علاقاته

كانت له علاقات واسعة مكنته ان يكتب تاريخه من خلال الاتصال مع المقربين منه والبعيدين عنه من الشيوخ في بلده والبلاد الاخرى كبغداد، ولعل اول وافضل هذه العلاقات مع الشيخ البرزالي ^(١٤)، الذي كان بين اسرتيهما علاقة مودة ومحبة ورفقة وكان احد اولاده بصحبته دائماً، وتسنى لابن الجزري ان ينقل الكثير عنه ويذكره بصراحة في كتابه، ^(١٥) وكان يرتبط منذ زمن والده مع العلماء الفقهاء والأدباء

والصالحين والأعيان ، أسوة بوالده، فقد ذكر: " انه كان يرتبط مع الأديب الفاضل غرس الدين الأربلي^(١٦) بصحبه اكيده "^(١٧)، وذكر أنه من كبار أصحاب والده، وأنه كان دائم القعود عند والده وأنشده من الاخير شعره^(١٨)، ومثلما ارتبط ابن الجزري بمن يماثله في المكانة الاجتماعية من الأعيان فقد ارتبط بعلاقات طيبة مع الجيران الذين كانوا يجاورونه ومن هذه العلاقات علاقته مع الامير حسام الدين لاجين المنصوري الحسامي^(١٩)، مثلما ارتبط بعلاقات حميمة داخل بلدته دمشق، ارتبط بعلاقات ودية طيبة مع الشيوخ في بغداد والقاهرة فقد ذكر: انه كان له مع الشيخ جمال الدين الأيكي^(٢٠) الصوفي^(٢١)، في مصر علاقة طيبة^(٢٢)، وذكر انه ارتبط بعلاقة طيبة مع احد شيوخ بغداد هو شمس الدين بن منتاب^(٢٣)، وغيره من شيوخ بغداد^(٢٤).

لعل ذلك يبين مدى عمق علاقاته الطيبة مع الشيوخ داخل دمشق وخارجها وتنوعها حتى مع المذاهب الاخرى، رحل ابن الجزري وتقل في البلاد لطلب العلم ولزيارة القدس الشريف والخليل عليه السلام، وللحج إلى بيت الله الحرام، أكثر من مرة، التقى فيها بالكثير من العلماء والفقهاء اللذين اخذ عنهم العلم واستفاد منهم في كتابة تاريخه.

رابعاً: شيوخه

تمكن ابن الجزري من اخذ العلم على يد عدد من الشيوخ الافاضل الذين عرفوا بسعة العلم وغزارته، مابين القراءة^(٢٥) عليهم، والسماع^(٢٦) منهم، واخذ الاجازات^(٢٧)، احتلوا مكانه عالية ومتميزة ومرموقة بين اعيان عصرهم، ولعل حالة والده الميسورة واشتغاله بالتجارة مكنته من ان يبذل له المال في سبيل تعليمه وتنقيفه ثقافة دينية، وكان الشيخ ركن الدين الاربلي^(٢٨)، من اوائل شيوخه وانه قرأ عليه القرآن وتعلم منه قراءته^(٢٩) كما طلب سماع الحديث من شيوخ كثر بين الرواية والسماع، منهم سماعه من إبراهيم بن حمد بن كامل^(٣٠) والشيخ عماد الدين يوسف بن أبي نصر بن ابي الفرج المعروف بابن الشقاري او ابن السقاري^(٣١) ومن الشيخ فخر الدين بن البخاري^(٣٢)، وغيرهم، ومن الشعراء^(٣٣) كما سمع وروى عن شيوخ الديار المصرية^(٣٤)، ومنهم تاج الدين الغرافي^(٣٥)، وابن دقيق العيد^(٣٦)، والابرقوهي^(٣٧).

وغيرهم،^(٣٨) كما سمع من الشيخ ابي حامد ابن الصابوني^(٣٩) سنة (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م)، هو وأخوته وابن الشيخ المذكور، وكانت تربطه معه علاقة مودة،^(٤٠) ويفهم مما تقدم انه اخذ العربية كاللغة والنحو والأدب على يد عدد من الشعراء والنحاة فضلاً عن علوم القرآن والحديث. وقيل عنه، ان والده كان ينشد من شعره، ومما يدل على انه من الابداء الافاضل الموثقة التي كتبها عند وفاة ابنة صديقه المقرب منه البرزالي،^(٤١) والخطب،^(٤٢) التي يملئها عليه الشيوخ والانايد،^(٤٣) التي كان يكتبها بخطه ويضعها في تراجمهم.

نستشف مما سبق: ان ابن الجزري تتلمذ على يد العديد من الشيوخ الأفاضل كغيره من اقرانه من أبناء دمشق في الصغر، واخذ العلوم من المشايخ في مصر والقاهرة فضلاً عن شيوخ دمشق، كما يبدو انه اشتغل بالطب وله به معرفه به، فقد ذكر البرزالي عنه: ان : " عنده معرفة بقطعة جيدة من الطب والأدوية والمنافع، يزور المرضى، ويصف لهم ما ينفعهم ويشفق عليهم ويمرهم^(٤٤)، ويدعو لهم ويتضرع إلى الله ويجتهد في الدعاء لمن يدعوا له بنصح وشفقة "^(٤٥). ربما ذلك يشير الى اهتمامه بذكر الادوية والعلاجات في كتابه بعض المرات^(٤٦).

لعله بذلك تكاملت عناصر نشأته العلمية التي فتحت الطريق واسعاً امامه داخل وخارج بلدته دمشق حتى غدا من شيوخها البارزين له مكانته بين اقرانه واهل عصره.

خامساً: تلاميذه

تتلمذ على يد ابن الجزري عدد من الطلبة و منهم اولاده، بيد ان المصادر لم تذكر أسماء طلبته صراحة عدا الصفدي، الذي ذكر : انه أجاز لي بخطه سنة ثلاثين وسبعمائة "^(٤٧) اي انه كان احد تلاميذه، وذكر غيره انه: " سمع ولديه مجد الدين ونصير الدين كثيرا منه "^(٤٨)، وذكر انه : "سمع من الطلبة، وكتب لهم الإجازات "^(٤٩).

سادساً : مكانته بين العلماء

تمتع ابن الجزري بالفطنة والذكاء والصدق ومحبته للعلم مما جعله، يحظى بمكانة علمية مرموقة بين علماء عصره، فقد امتدحه العلماء والفقهاء والشعراء واعيان

عصره و اشادوا به، لعل ذلك بسبب حياته التي قضاها منذ وقت مبكر في التحصيل وطلب العلم، وسماعه للكثير من الشيوخ في دمشق والقاهرة^(٥٠)، وذلك ما هيأته له حسن اخلاقه ومعاملته للعلماء والعامة،^(٥١) وسعيه لتحصيل العلم من الشيوخ في الاقطار الاسلامية القريبة واخذ الاجازات فقد عمَّ صيته في بغداد والقاهرة ووصفوا اخلاقه بالأخلاق العالية والديانة من خلال مكاتباته معهم ولقاءاته بهم فمرة يلتقي الاديبي الاندلسي ابو حيان النحوي، ومرة يكاتب الشيخ الدقوقي في بغداد، لأخذ الفوائد منه لعل ذلك يوضح كونه كاتباً للتاريخ، ولم يكن محدثاً، على الرغم من كثرة اخذه عن الشيوخ من المحدثين في عصره ومعرفته بأحوالهم وضبطه لتواريخ وفياتهم ومعرفته بأموالهم وعلاقاته الواسعة معهم، ولربما السبب في ذلك الصمم الذي اصيب به، او لعلها عجمة خالطت لسانه اخذاً عن والده بسبب تنقله بين البلاد، او ضعفه في كتابة العربية سبب الاخطاء اللغوية التي تضمنها كتابه، على الرغم انه اخذ النحو له ولأولاده والذي كان لازماً عليه ان يأخذها من مصادرها، واقل ما يمكن ان يقال عن المحدث انه يعرف عن العربية الكثير ولا يلحن على حد قول بعض العلماء،^(٥٢) وما يؤيد ان اهتمامه كان منصباً على كتابة التاريخ.

ان من الظاهر اجماع المؤرخين المعاصرين لابن الجزري على امتداحه والثناء عليه وعلى كتابه، وذكر محاسن اخلاقه والاشادة بفضله وعفته ونزاهته وديانته والى جانب هذه المكانة الاجتماعية في نفوس معاصريه حظي بمكانة علمية متميزة في نفوس العلماء الذين اسهبوا في براعته في كتابة أخبار الاعلام من الخلفاء والسلطين والملوك والوزراء والقضاة والكتاب، وحتى عامة الناس، الذين شهدوا له بطول باعه في كتابة وقائع الاحداث التي كان يحصلها على اختلاف مصادره الموثوقة التي يذكرها دائماً بصراحة، ويبدو ان موهبته لم تتوقف عند التأليف وكتابة التاريخ وما الى ذلك، بل كان شاعراً، حتى ان والده كان ينشد من شعره.

وامتدحه في شعره من العلماء الذين عاصروه ابو عبد الله الجزري^(٥٣)، الخطيب الشافعي، والذي قال عنه ابن الجزري "اجتمعت به شهور سنة اثنتي عشرة وسبعمائة بداره، ٠٠٠ وكتبت عنه من نظم والده كثيراً جعلته في ترجمته، أكثره في اناشيد سنة

اننتي عشر وسبعمائة، في جملة المشايخ الذين اجتمعت بهم واخذت عنهم، انا وولدي ابراهيم، ١٠٠٠ انشدني لنفسه وله، رحمه الله وايانا " (٥٤)، ومن شعره في امتداح ابن الجزري:

الحسنُ موقوفٌ عليك	والقلبُ اضحى في يدك
والسحرُ يروى مسنداً	عن بابك وعن مقلتيك
والرؤى اضحى ورده	في خجلة من مقلتيك
والصبرُ يُحمدُ دائماً	وأراه مذموماً عليك
فبحق من جعل الجمال	جميعةً يُعزى اليك
ارفق بمن جعل الهوى	ارواحهم في راحتك.

ومما تقدم فإن ابن الجزري يكتب الاناشيد والخطب عن الشيوخ الذين يترجمون لانفسهم في بعضها ويملونها عليه لعلمهم قيامه بجمع هذا التاريخ الكبير واحتوائه على الحوادث والوفيات والابيات الشعرية، لعل قيامه بكتابة ذلك الشعر لسهولة حفظ الشعر الموزون وشيوعه منذ القدم في البوادي والحوضر على العكس من الكلام المنثور الفصيح الذي يحتاج الى البلاغة، ولعل ذلك يجعله من المصادر الادبية.

سابعاً : وفاته

توفي المؤرخ ابن الجزري كما يذكر مترجموه سنة تسع وثلاثون وسبع مائة، بجنينه السهم (٥٥)، ظاهر دمشق، وصلى عليه ظهر يوم الاثنين، بجامع جراح (٥٦)، الذي كان يعرف بمسجد الجنائز، ودفن بمقبرة الباب الصغير. (٥٧) وذكر: انه " كان شيخاً قد جاوز الثمانين وثقل سمعه وضعف خطه " (٥٨)، وبذلك تكون انتهت حياة هذا المؤرخ الفاضل لكن بقي كتابه ومؤلفاته الاخرى خالدة الى الان.

المبحث الثاني

كتابه تاريخ حوادث الزمان

يعد هذا الكتاب هو المؤلف الوحيد لابن الجزري ومنه جاءت شهرته وذاع صيته، وقد جهد المؤرخ في جمع تاريخه هذا الذي عمّ النفع به، وخُلد ذكره المؤرخون، واثنى عليه العلماء والمؤرخون الذين عاصروه والذين جاءوا بعده والذي أرخ فيه حوادث زمانه يوماً بيوم وشهراً بشهر، وعدّة بعضهم من التواريخ اليومية وفيه عجائب وغرائب انفرد بذكرها، فقل عنه : " كان حسن المذاكرة، سليم الباطن، صدوقاً، وفي تاريخه عجائب وغرائب وعامية " (٥٩).

وذكر عن هذا الكتاب انه: " جمع تاريخاً حافلاً كتب فيه أشياء يستفيد فيها... " (٦٠)، وذكر انه كان المؤرخون المعاصرون له يكتبون عنه ويعتمدون على النقل منه " (٦١)، وقال آخرون: " انه جمع تاريخاً فيه فوائد وأشياء مستطرفة لا توجد في غيره " (٦٢).

أ- التعريف بالكتاب

تكون الكتاب من ثلاثة أجزاء (٦٣)، احتوى الجزء الأول على ٥٣٦ صفحة اشتملت على كلمة المحقق حول هذا الجزء، وبداية الكتاب التي يبتدأها بالبسملة، ثم وفيات السنة التاسعة والثمانون بعد الستمائة من الهجرة (٦٤)، والتي ابتدأها بوفاة الإمام الفارقي (٦٥)، وينتهي الكتاب سنة تسعة وتسعون بعد الستمائة للهجرة (٦٦).

ويقع الجزء الثاني في ٥٨٤ صفحة ابتدأت بمقدمة، ووصف للمخطوطة (٦٧) أصل الكتاب، والاطار التاريخي للكتاب ومادته (٦٨)، ثم بعض الصور للمخطوطة (٦٩)، ومن بعدها حوادث سنة سبعمائة وخمس وعشرين (٧٠)، ثم يتبعها بذكر اسماء المتولين للسلطة، فيبتدأ قوله: " وخليفة المسلمين الامام المستكفي بالله ابو الربيع سليمان (٧١) ابن الامام الحاكم بأمر الله ابو العباس أحمد (٧٢) العباسي أمير المؤمنين " (٧٣) ويبين الحدود الجغرافية للسلطنة المملوكية منتهاً بذكر اسم السلطان بقوله: " ومولانا السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، ابو المعالي محمد (٧٤) ابن السلطان الشهيد سيف الدين

قلاوون^(٧٤) الصالحي رحمه الله^(٧٥) ثم يذكر اسم سلطان التتر، ونائب السلطنة بالديار المصرية، ونائب السلطنة بدمشق، واسماء الوزراء والقضاة بمصر والشام، والولاة واسماء النظار وباقي الوظائف الادارية المهمة في الدولة^(٧٦)، وكان حريصاً ان يكتب ما يطرأ على هذه المعلومات من تغيير في كل سنة^(٧٧) كالتغييرات في الوظائف الادارية والدينية من عزل او تعيين للقضاة وغير ذلك، اما اذا لم يكن هناك تغيير فيما تقدم من اسماء الملوك والمتولين للسلطة بعد ان يذكر اسم السلطان وملك التتر فيقول: "وباقي الملوك على حالهم كما تقدم في السنين الخالية"^(٧٨).

وتكون الجزء الثالث، من ٦١٣ صفحة، إنتهت بنهاية سنة ٧٣٨هـ، واشتملت على حوادث السنين على النسق السابق، كما اشتمل هذا الجزء على ترجمة للمؤلف نفسه كتبها صديقه المقرب منه ومن عائلته الثقة القاسم بن محمد البرزالي، والذي كانت بينهما ثقة كبيرة ومودة كثيرة ومحبة وصحبة أكيدة وله خبرة باحواله، وكان يصحبه دائماً الشيخ ناصر الدين (ت ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م)، الابن الصغير للمؤرخ، والذي تتلمذ على يده، وتسنى له أن ينقل الكثير من تاريخه.

وبذلك يكون مجموع صفحات الكتاب ١٧٣٣ صفحة، اما عدد التراجم الذين ترجم لهم المؤرخ ابن الجزري (ت ٧٣٩هـ / ١٣٩٩م)، ابتداءً من سنة ٦٨٩هـ الى وفيات ٧٣٨هـ، بضمنها ترجمة المؤرخ نفسه وافراد اسرته ما مجموعه ١٦٧٢ شخص من الاكابر والاعيان والخلفاء والأمراء وغيرهم ممن ذكرهم في كتابه^(٧٩)، منها ٥٧٨٠ ترجمة من مجموع ١٣٩٥ ترجمة نقلها حرفياً او بتصرف عن كتاب البرزالي^(٨٠)، ولعل هذا الاختلاف في اعداد الوفيات يرجع الى ان ابن الجزري اخذ بعض هذه التراجم من المقتفي والباقي من مصادر اخرى ذكرها في كتابه. بينما وردت في كتاب المقتفي ان كتاب ابن الجزري منه ١٣٩٨ ترجمة، منها ٦٨١ ترجمة مأخوذة كلياً أو جزئياً من تاريخ البرزالي^(٨١).

اما ترقيم الكتاب فقد اختلف ما بين اصله في المخطوطة، وصورته الحالية ومن الظاهر ان ترقيمه حسب ترقيم المحقق، أو لعل ذلك يعود الى النقل الذي قام به ابن الجزري ابتداءً من حوادث سنة ٧٢٦هـ من تاريخ البرزالي^(٨٢).

من الملاحظ ان ترتيبه للتراجم كان حسب الوفيات بيد انه جمع بين تراجم النساء والرجال، ولم يفرد باباً مستقلاً للنساء، مثلاً فعل بعض المؤرخين، كما يلاحظ قلة تراجمهن بالنسبة للرجال، ولعل ذلك يعود الى انه اهتم بوفيات من يعرفهن من المشيخات من النساء او كما يرده من مصادره عنهن، وبذلك يكون قد رسم لنفسه منهجاً سار عليه طوال عرضه الكتاب.

ويلاحظ على الكتاب ان الكلمات العامية البسيطة شائعة فيه والتي قد تخلو بعض الاحيان من البلاغة والتجانس، فهو لم يثقل، كتابه بالمحسنات اللفظية، بل اطلق عباراته البسيطة، ويبدو ان همّة الوحيد كان النقل الأمين للأحداث دون ان يدخل نفسه في ذلك، وما نلمسه منها التخلي عن اسلوبه العام، لعله بذلك اراد مناغمة عقول جميع من يقرأ كتابه حتى البسطاء منهم، او لعل ذلك راجعاً الى تأثره بالموارد التي استقى منها مواضيعه، او لربما انطلق ذلك من احساسه بالبساطة التي يعالج بها تلك المواضيع.

كما يلاحظ على الكتاب كثرة الاشعار والقصائد^(٨٣)، لعل ذلك كان سائداً في عصره، او كما يقال اقرب الى العقول عند العرب فهم الشعر واسرع للحفظ فالشعر ديوان العرب، لذا افرد فسحة من كتابه لذكر هذه الاناشيد والقصائد^(٨٤) فضلاً عن تخللها الكتاب واثناء الحديث عن التراجم لعله اراد بذلك تأكيد قيام تلك الحوادث او ورودها من مصادرها بشكل اشعار، مما يجعلها مصدراً لها الى جانب كونه احد كتب الحوليات، كما نراه مصدراً هاماً لاسماء الكتب والمؤلفات^(٨٥) التي قام اصحابها اما بقراءتها أو حفظها أو شرحها، فضلاً عن ان هناك بعض الأخبار أو الحوادث التي قد تتكرر احياناً في الترجمة الواحدة أو في عدة تراجم أو تعاد في الترجمة والحوادث ولعل ذلك التكرار مما يؤاخذ عليه في الكتابة.

ب- اهمية الكتاب

تميز كتاب ابن الجزري انه أرخ للفترة ما بين التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث، أي بعد سقوط الخلافة العباسية على يد هولاكو^(٨٦) سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)

الى نشوء الدولة العثمانية^(٨٧)، وعرفت هذه الفترة عند المؤرخين بعصر سلاطين المماليك الممتد من (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) الى (٧٨٤هـ / ١٣٨٢م)^(٨٨).

احتوى الكتاب على مادة غنية في التاريخ السياسي والاداري والاجتماعي والديني، عاصر المؤلف فيها الكثير من الاحداث وكان شاهد عيان، وشارك في جوانب من هذه الحياة لاسيما الدينية منها. فتأتي أهمية الكتاب من صدق مؤلفه وصدق الرواة الذين نقل عنهم، فالشيخ البرزالي رحمه الله (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٩م) كان محدثاً قبل ان يكون مؤرخاً، ومن يكون محدث يكون حافظاً عارفاً بالحديث ورواته ويكون عالماً بعلم الجرح والتعديل^(٨٩)، ولما كان البرزالي مشهود له بالثقة والدراية عند علماء عصره وابن الجزري كان من المقربين له ونقل عنه الكثير من تاريخه وأجاز له على كتابه، وهو من العلماء الثقة، الذين أخذ بدوره عن شيوخه الثقة، فكانت سلسلة الرواة من الثقة جميعاً فقد أجاز للبرزالي ابراهيم بن حمد ابن كامل وهو احد شيوخ ابن الجزري والذي اخذ بدوره عن ابن طبرزد^(٩٠) وغيرهم من العلماء، وبذلك جاء الكتاب مختلفاً عما سبقه في جمعه للحوادث والوفيات بين سرد لتفاصيل الاحداث سرداً تاريخياً والترجمة للوفيات، فضلاً عن احتوائه على الطرائف والعجائب^(٩١) والغرائب^(٩٢)، التي قد لا توجد عند غيره من المؤرخين.

تضمن الكتاب عدداً كبيراً من الوفيات الذين عاصروا المؤلف من مختلف الشخصيات الدينية والعامية كالخلفاء والملوك والوزراء والقضاة والفهاء والمؤرخين والشعراء والفلاسفة، كما اهتم بأخبار عامة الناس وهذا ما لم يفعله غيره من المؤرخين ممن سبقه الا ابن الجوزي^(٩٣)، في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والامم، الذي كان له الفضل في تغيير اسلوب الكتابة التاريخية ما بين السرد المنسق للاحداث والترجمة للوفيات، فقد كان يعطي كل من الجانبين ما يستحقه^(٩٤).

اتبع ابن الجزري، ما قام به ابن الجوزي في كتابه المذكور آنفاً، وقلده بعد ذلك بعض من جاء بعده، واستفاد من طريقته سبطه^(٩٥) في كتابه (مرآة الزمان في تواريخ الاعيان)، وابن كثير^(٩٦) في البداية والنهاية، وابن العماد الحنبلي^(٩٧)، في شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ومن جاء من بعدهم من المؤرخين، وبذلك جاء كتابه

متضمناً مادة غنية في التاريخ السياسي والاداري والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والديني، عاصر المؤلف فيها الكثير من الاحداث وكان شاهد عيان على مختلف الجوانب في دولة المماليك لاسيما الحياة الدينية والثقافية، قبيل استيلاء الجراكسة على مقاليد الحكم فيها، فقد اهتم بذكر أخبار فتوحاتهم كفتح عكا^(٩٨) وغيرها من المدن، فضلاً عن الأخبار التي تخص الكون والظواهر الطبيعية التي كان يتحدث عنها ضمن وفيات الشيوخ^(٩٩)، او ضمن مشاداته كحديثه في حوادث سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٩م) عن ظهور كوكب المذنب في السماء ووصفه^(١٠٠).

ومع ان الكتاب غني باحوال البلاد المصرية والشامية الا انه لم يخلو من أخبار ما جاورها من البلاد من اليمن والحجاز، فقدم لنا معلومات تاريخية قيمة عنها، قد لانجدها في مصدر آخر، كحديثه عن دولة بني رسول^(١٠١)، ولعل ذلك يعود الى تاثره بحديث والده عنهم، والمدة التي عاش فيها في كنفها من حياته واجتماعه بملكها، والخير الذي اصابه مدة مقامه عندهم^(١٠٢).

وعني الكتاب بذكر شيء من أخبار العراق وحكامه وبعض علمائه، كحديثه الذي نقله عن والده عند استيلاء التتر على بغداد^(١٠٣)، في الوقت الذي لم يعد فيه المؤرخون المصريون والشاميون يعتنون الا بأخبار وتواريخ بلدانهم هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى كشف لنا الكتاب عن تصويره للحياة العامة التي كانت سائدة في القرنين السابع والثامن الهجريين، وخاصة العسكرية والدينية منها، وحفظ لنا اسماء الكثير من الشخصيات العلمية والدينية، كما عني المؤلف بذكر المرويات الاساسية وبعض الاجزاء، والكتب التي عني المترجمون بسماعها وروايتها، فقدم لنا مادة اساسية في الحياة الثقافية وانواع الكتب والعلوم والفنون التي اهتم بها الدارسون والطلبة فقد كان يذكر في تراجمه للمشايخ حالة المترجم له وماسمعه من الكتب كقوله: انه سمع صحيح البخاري^(١٠٤)، وعن آخر سمع الغيلانيات^(١٠٥)، وانه قرأ كتاب التنبيه، أو حفظ القصيدة الشاطبية^(١٠٦) وشرحها، وغيرها.

وبذلك يكون قد بين اسماء الكتب والمؤلفات المهمة التي كان سائداً في عصره حفظها او قرائتها او سماعها، وبين الكتاب اهتمام العوام بالاعتقاد بالغيبات وكثرة

المشايخ والصوفية وانتشارهم في البلاد على عهد القونوي، وابن تيمية، وذكر كيف ان ولده ابراهيم وأخيه عبد الله قد تأثرا بهما، وان القونوي البسة خرقه التصوف المباركة واهتم ابن تيمية بتدريسه النحو والعربية، وبذلك نرى ان ابن الجزري اختط لكتابه منهجاً رسمه وسار عليه طول كتابته لمادة تاريخه، لعل ذلك ماجعله كتاباً مهماً فضلاً عما تقدم.

ومن الجدير بالذكر ان كتاب ابن الجزري احتوى تفاصيل كثيرة ودقيقة عن حياته مع والده وأخوته وابنائهم واعمامه واقاربه من الجزريين فضلاً عن شيوخه الذين تتلمذ على ايديهم وهذا ما لم تذكره الكثير من كتب التراجم التي كتبت عنه وعنهم وكانت ترجمتهم له لا تتعدى الاسطر.

آراء العلماء والمؤرخين بالكتاب

يعد ابن الجزري من العلماء البارزين في القرن الثامن الهجري، ومن كواكبه اللامعة، فقد استطاع ان يحصل مكانة علمية بين علماء عصره من خلال جده وتحصيله العلمي، فقد وصف بانه: "....، صاحب التاريخ الكبير... رجل فاضل جليل..."^(١٠٧)

بعد ان استطاع ابن الجزري ان يستحصل على علوم مختلفة و يبدع فيها ويتقدم بين الناس، فقد اجمع المؤرخين المعاصرين له على امتداحه والثناء عليه وعلى كتابه، وذكر محاسن اخلاقه والاشادة بفضله وعفته ونزاهته وديانته والى جانب هذه المكانة في نفوس معاصريه حظي بمكانة علمية متميزة في نفوس العلماء الذين اسهبوا في براعته في كتابة أخبار الاعلام من الخلفاء والسلاطين والملوك والوزراء والقضاة والكتاب، وحتى عامة الناس، الذين شهدوا له بطول باعه في كتابة وقائع الاحداث التي كان يحصلها على اختلاف مصادره الموثوقة التي يذكرها دائماً بصراحة، اثنى عليه معاصروه من العلماء والمؤرخين، وبالغوا في عبارات المدح والثناء عليه، ووصف اخلاقه بالاخلاق العالية والديانة فقد قال عنه البرزالي: "كان محباً لفن التاريخ..."^(١٠٨). لعل ذلك يوضح كونه كاتباً للتاريخ، ولم يكن محدثاً، على الرغم من كثرة اخذه عن الشيوخ المحدثين ورواة الحديث في عصره ومعرفته باحوالهم وضبطه لتواريخ وفياتهم ومعرفته بامورهم.

لعله بذلك لم يختلف عن العلماء المتأخرين عن عصر ابن الجزري في امتداح مؤرخنا الفاضل والثناء عليه وذكر عصره فهذا السخاوي^(١٠٩) ينفرد بالاشادة به وبكتابه الذي كتبه بخط يده بقوله: " وللعدل شمس محمد بن ابراهيم...ابن الجزري، تاريخ كبير، شهير بخطه في المحمودية^(١١٠) فيه عجائب وغرائب ". واتفق معه بعض المؤرخين المتأخرين فقالوا عنه: "جمع تاريخاً كبيراً ذكر فيه اشياء حسنة لاتوجد في غيره"^(١١١). لعلهم بذلك اجادوا بامتداح كتابه وبيان اهميته وفضله وفائدته.

من الظاهر اجماع المؤرخين المتأخرين وغير المعاصرين الذين كتبوا عن عصره وامتداحه والاشادة بتاريخه الذي كتبه اسوة بمن عاصره من المؤرخين.

المبحث الثالث

منهجه وموارده في الكتاب

أولاً : منهجه في الكتاب

اتخذ ابن الجزري منهجاً وأسلوباً خاصاً به في الكتابة وسيتم التطرق الى بعض النقاط في أسلوبه في الكتابة من خلال الحديث عن حوادث تاريخه الذي جعله منفصلاً عن التراجم الذين ترجم لهم من الرجال والنساء في كل فصل والتي اتخذ من منهج الحوليات في الكتابة منهجاً له، فقد كان يدون حوادث السنة فيبتدأ بتدوين التاريخ العربي والفارسي والقبطي، ثم يذكر اليوم والشهر و السنة، ومن ثم الحوادث ثم يدرج بعدها اسماء الوفيات، وبذلك نرى تواريخه مضبوطة ضبطاً دقيقاً ؛ لأنه يذكر تاريخ وفاة الشخص اذا كان صباحاً وظهراً أو مساءً، وكيف تم غسله وتكفينه ودفنه وقد يتعرض في بعض الاحيان الى اسباب وفاته ومن شهد جنازته؟ والجامع الذي تمت الصلاة عليه فيه؟ واين دفن؟ وكيف؟

فعندما تحدث عن وفاة السلطان المنصور ابو الفتح قلاوون في حوادث سنة (٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) فقال: "توفي في ذي القعدة في يوم السبت بالمخيم ظاهر القاهرة، وحمل الى القلعة ليلة الاحد وتسلمن ولده الأشرفي^(١١٢). فلما كان يوم الخميس فرق بتربته صدقات كثيرة من ذهب وورق^(١١٣)، فلما كان العشي أنزل من القلعة في تابوته وقت العشاء الآخرة الى تربته...وفرق من الغد الذهب على القراء والفقهاء رحمه الله وأيانا"^(١١٤).

لعل ذلك يقودنا الى عدة تساؤلات؟ اولها سبب تدوينه التاريخ بالعربي والفارسي والقبطي، فيمكننا القول ان العربية لغة ذلك العصر ولغة القرآن الكريم، والقبطية لغة اهل مصر منذ القدم وتكتب بها التواريخ منذ ذلك الوقت، لكن كتابته الفارسية؟ هل تعني انه يعرفها، لعل ذلك يقودنا الى معرفته بأكثر من لغة وان كثرة الاخطاء الاملائية والعامية التي تتخلل كتاباته بسبب العجمة التي فيها، او لعل ذلك يعود الى تأثره بتنوع

الاجناس في المجتمع الدمشقي والاختلاط فيما بينها، ولا ننسى ان الحكام اصولهم غير عربية لعل ذلك يبين سبب تخلل الكتابة الاخطاء الاملائية وبعض الكلمات العامة.

اما عندما تحدث عن تفاصيل وفاة السلطان تخلصها الحديث عن تسلطن ولده الاشرف خليل وكيفية توزيعه الذهب يوم الخميس، ثم تحدث عن طريقة الدفن ووقتها ووصفها بالعشاء الآخرة، ثم ينهي حديثه بعد كل وفاة بـ "رحمه الله وأيانا"، لعل ذلك يجعلنا نقول انه من التواريخ اليومية، وان هذه الدقة بسبب كونه شاهد عيان على الاحداث او استقائه معلوماته عنها من المقربين والثقات، ولما كانت الدقة من اسلوب منهجه الذي اتبعه كونه شاهد عيان، لكننا نلاحظ في نهاية بعض الحوادث والوفيات يستعمل الجملتين «والله اعلم» او «والله الموفق للصواب»، لعل ذلك كونه غير متأكد من تلك المعلومة لكنه اوردها كما جاءت من مصادره التي يعتمد عليها.^(١١٥)

وعندما يذكر الحوادث لتلك السنة قد يسهب فيها كثيراً حسب ما تجود به قريحته عن حالة الدفن ووضعها لذلك المتوفي، فمن ضمن حوادث السنة السابقة الذكر نفسها تحدث عن طريقة دفن الملك المنصور قلاوون^(١١٦)، لعل ذلك الاسهاب يعود الى ان السلطان قلاوون ليس شخصاً عادياً وان وفاته ليس حدثاً عادياً، وانما تقف عليه امور دولة بأكملها، وحتى ان ظروف مقتله ليست طبيعية ومحل جدل، كما نلاحظ سرعة تسلطن ولده الاشرف وسرعة تسلمه العرش بهذه السرعة التي كأنما اعد لها اعداد مسبقاً، اما طريقة عرضه تفاصيل الدفن وتوزيع الذهب والفضة على الفقراء، لعلها لاظهار مدى الغنى والترف التي عاشها سلاطين المماليك من جهة او لعله اراد عرض ما فعله الاشرف لكسب تأييدهم وودهم من بعد موت السلطان الاب، اما الاسهاب في حديثه عن ابن تيمية^(١١٧)، والشيخ الرئيس ابن سينا^(١١٨) لعله يعود الى اهمية هاتين الشخصيتين كل في عصره، لأننا نراه يترجم لبعض الشخصيات تراجم مقتضية قد لا تتعدى الاسطر^(١١٩).

واظهر الكتاب اهتمام ابن الجزري بكتابة أخبار مدينته دمشق وأحوالها اليومية المختلفة من احوال اقتصادية، كسقوط المطر فيها^(١٢٠) وكسوف الشمس^(١٢١)، واسعار المواد الغذائية^(١٢٢)، ومثلما اهتم بأحوالها الاقتصادية، كان اهتمامه بأحوالها الاجتماعية

كسفر نائبها^(١٢٣)، وعودته^(١٢٤)، ورحيل الحجاج عنها وورودهم اليها^(١٢٥)، وعودتهم بعد الحج فنراه في بعض المواضع يصف حال الركب الذي يضم الحجاج^(١٢٦)، مثل اهتمامه بأخبارها السياسية والعسكرية^(١٢٧)، والادارية^(١٢٨)، لعل ذلك يمكننا اعتباره من التواريخ العامة الشاملة.

كما دون أخبار القادمين من بغداد على لسان الواردين منها بأدق التفاصيل وأخبار اليمن، والحجاز ومصر، ولم يكتف بذلك بل تعداها الى تدوين مايرده من أخبار عن الهند^(١٢٩)، وبلاد البنغال^(١٣٠) وأبتدأ كتابه بأخبار الممالك منذ عصر السلطان المنصور الناصر محمد بن السلطان ابو الفتح قلاوون الالفي الصالحي (٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) - (٧٤١هـ / ١٣٤٠م) حيث كانت بلاد الشام ومن ضمنها دمشق تابعة الى مصر مقر السلطنة المملوكية، وتحدث ابن الجزري عن الاحوال الادارية والتنظيمية لبلدته دمشق كحديثه^(١٣١) عن ديوان الايتام^(١٣٢)، ونظارة ديوان الاسرى^(١٣٣)، ونظر الاوقاف او الاحباس^(١٣٤) ونظر المواريث الحشرية^(١٣٥) و تقليد القضاة^(١٣٦)، وحضور الأمراء والباسهم الخلع السلطانية^(١٣٧)، وتعيين النواب^(١٣٨).

وتناول الكتاب الأخبار الاجتماعية كزواج ابن السلطان من بنت الامير بكتمر^(١٣٩)، وختان ابن السلطان الناصر^(١٤٠)، او خروج نائب الشام تنكز الى الصيد وعودته منه^(١٤١)، وغيرها من الأخبار الاجتماعية لبلدته كاحترق دار أحدهم^(١٤٢)، أو سفر احد القضاة^(١٤٣)، أو ولادة مولود لأحد الاعيان^(١٤٤)، وأخبار الاحتفالات الدينية، كاحتفال بليلة المعراج النبوي الشريف،، وااثبات رؤية هلال العيد^(١٤٥)، او رؤية هلال شهر صفر، وأخبار الحجاج الشاميون والمصريون والعراقيين^(١٤٦). ويبدو مما تقدم انه كتاب جامع للأخبار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادارية والدينية تجلى فيه الكثير عن أخبار دولة المماليك.

ثانياً : موارده

استقى ابن الجزري مادته التاريخية من عدة موارد كان ابرزها:

أ-المشاهدة:

لقد كانت مشاهداته للأحداث اولى مصادره التي اعتمد عليها، وتضمنت تلك المشاهدات ماشاهده هو بنفسه فلم يكن يكتب نقلت من خط فلان^(١٤٧)، أو ذكر لي فلان^(١٤٨)، أو حدثني الشيخ فلان^(١٤٩)، أو كتب الي الشيخ فلان، كما اعتاد، ولكن يقول شاهده^(١٥٠)، فعندما كتب عن أخبار المطر بدمشق قال: "في التاسع أو العاشر من المحرم مُطرنا - بفضل الله رحمته بدمشق أولاً...، وجاءت بعد ذلك الأخبار بملو البرك التي بحوران^(١٥١)، وسيلان أوديتها... وتباشر الناس بالخير والبركة، وشرعوا في الزراعة والبذار، والله تعالى يتم بالخير والبركات ان شاء الله"^(١٥٢).

اما عندما يكون حاضرا عند صدور مرسوم من السلطان او امر منه على مسمع او مرأى منه، فيذكر كيف صدر المرسوم ووقت صدوره ومضمونه فقد ذكر في حوادث سنة (١٣٢٧هـ/١٣٢٧م) عندما صدر مرسوم باخراج الكلاب من دمشق فقال: "وفي هذا الشهر^(١٥٣) رسمو باخراج الكلاب من دمشق الى ظاهرها، والزموا الناس والحراس،... الابواب منذ ايام وانفصل الحال"^(١٥٤)

وعندما تحدث عن وفاة ابن تيمية(ت١٣٢٨هـ/١٣٢٨م) كونها احدى مشاهداته قال: " والله العظيم، لقد رايت الناس قاعدين على الطريق يمينا وشمالاً، الرجال والنساء،...منهم من يضج ويصيح، و...ومنهم من يتفرج،...وكننت من حيث حضرت الى الجامع...الى حيث دفن وانصرفت..."^(١٥٥) وغيرها من المشاهدات^(١٥٦).

ب-المشافهة:

كانت لقاءاته مع العلماء والشيوخ اثناء رحلاته لطلب العلم من البلاد من موارده التي اخذ عنها معلوماته فقال عن رحلته الى القاهرة، سنة(١٣١٣هـ/١٣١٣م) انه التقى بالشيخ البالسي، وذكر انه مدة مقامة بالقاهرة انتفع بالأديب الكامل العالم الفاضل،^(١٥٧) شافع بن علي^(١٥٨)، وكان كثير المودة، قال عنه ابن الجزري: "انشدني الكثير لغيره كتبتُه في تراجمهم"^(١٥٩). وذكر انه التقى^(١٦٠) ايضاً اثناء رحلاته بشيخ الربوه^(١٦١)، محمد بن ابي طالب الانصاري^(١٦٢)، بمسجده المعروف بمسجد الربوة^(١٦٣)، والذي كان

عالمًا بالرمل ^(١٦٤) ونحو ذلك من العلوم في عصره ^(١٦٥). فضلا عن تلك اللقاءات والمشاهدات، كان ابن الجزري يكتب ما يذكره له اقاربه من الجزريين عن احوال المترجم لهم كقوله في ترجمة الفاروثي "حكى لي الشيخ شهاب الدين...الجزري قال: لما قدم الشيخ عز الدين الفاروثي من العراق الى دمشق زمن الملك...اعطوه تدريس المدرسة... وامامة مسجد ابن هشام... " ^(١٦٦)، وقوله: بلغنا بدمشق من التجار الواردين من بغداد "رفعت الصناجق الخليفة...على باب جامع... " ^(١٦٧)

ج-المكاتبات:

كانت تلك المكاتبات بينه وبين الشيوخ في بغداد وغيرها من البلاد القريبة من مصادره التي اعتمد عليه في تدوين سِير المتوفين من اشعار اوغيرها، وابرز تلك المكاتبات كانت مع شمس الدين بن منتاب، الذي قال عنه: " كان لنا به نفع كثير يُخبرنا بأخبار كثيرة ووقائع.تجيبه أخبارها من العراق وغيره " ^(١٦٨)، فضلا عن الشيخ الدقوقي والذي كانت بينه وبين ابن الجزري مكاتبة ، وكتب اليه وفيات جماعة من البغداديين الذين أجازو له كتابه تلك الوفيات عندما سألهم ذلك ^(١٦٩).. ومن مصادره الاخرى ما ذكره عندما تحدث (سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) عن احد الشيوخ ويدعى محي الدين يحيى بن ضياء الدين جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الشافعي الذي توفي بمصر وكان فقيها ومعيدا باحدى مدارسها، فقال : "كتب الينا ابو بكر الرحي، وكان له قراءة في مسجد... " ^(١٧٠)، وبذلك يكون الرحي احد موارده التي اعتمدها في كتابته فضلا عن باقي المكاتبات الاخرى.

د - النقل:

كان النقل من مؤلفات المؤرخين احد مصادره الرئيسة والهامة فقد استفاد استفادة كبيرة من تاريخ صديقه علم الدين البرزالي (٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)، الذي كتب تاريخاً مليئاً بالحوادث ^(١٧١)، والذي قيل عنه: "انه محدث الشام وصاحب التاريخ والمعجم الكبير" ^(١٧٢)، ونقل ابن الجزري منه في اكثر من موضع في كتابه، وكان يشير الى هذا النقل صراحة في موضعه فقد ذكر عندما تحدث عن طرفة الخياط البغدادي، فقال:

"نقلت من خط الحافظ علم الدين البرزالي ما صورته..."^(١٧٣)، ثم يذكر الحكاية كاملة^(١٧٤)، وفي موضع آخر يذكر ويبدو ان كتاب البرزالي كان مصدراً أساسياً له حيث ان الاخير كان مصدر ثقة للمؤرخ ابن الجزري، لانه من قرأ كتابه موضوع رسالتنا وكتب له ترجمة في آخر كتابه^(١٧٥)، وحرص ابن الجزري على مساندته في سند الروايات التي نقلها عنه، فقد كان يثق به ويرتبط معه بعلاقة وثيقة صرح عنها الاثنان بأكثر من موضع من كتابيهما^(١٧٦).

من الظاهر ان ابن الجزري لم يكن في اغلب الاحوال ناقلاً حرفياً للحوادث والأخبار التي يوردها بل قد يكون مختصراً^(١٧٧) احياناً كما كان يذكر، او يتصرف في العبارات حسبما يقتضي الموضوع، ولكنه في اغلب الاحيان يميل الى الاطالة والاسهاب.

وكان الشيخ الدميّاطي احد مصادره وممن نقل عنه ابن الجزري، وصرح عن ذلك في كتابه^(١٧٨)، فقد كتب في بعض وفياته "كتب الي شهاب الدين الدميّاطي..."^(١٧٩)

وأخذ ابن الجزري ايضاً بعض وفياته من ابن رافع^(١٨٠)، فقد ذكر في احد وفياته "وذكر تقي الدين ابن رافع انه كان...."^(١٨١) فضلاً عن المصادر الاخرى.

من الملاحظ ان ابن الجزري استمد مادته التاريخية التي دونها من مشاهداته وما سمعه أو علم به، وكانت هذه المشاهدات مصدره الاساسي، ومن العلماء والفقهاء الذين ترجم لاعيان عصره وعامة الناس نقلاً عنهم، ولم ينفي ان يكون اخذ تراجمهم من مصادر اخرى أو من أخبار تردّه من البلاد الاخرى، وكان يكتب احداثه، فضلاً عما تقدم عن والده واعمامه ومن اقاربه الجزريين الذين كانوا يتصلون به وبوالده عندما يحضروا الى دمشق من الجزيرة مسقط رأسه ووالده، وعلى الرغم من ان ابن الجزري كانت موارده من ثقات العلماء والفقهاء ورواة الحديث وكان والده منهم، الا انه كان يذكر الاحاديث الشريفة مما سمعه عن ابيه، و كان يتطرق كثيراً الى ذكر الله تعالى والى الايات القرآنية الكريمة وخاصة عندما يكون حاضراً وفاة احدهم او قد يدخل شيء

من الاقتباسات (١٨٢) في معرض كلامه، لعله كان همه التحصيل العلمي له ولابنائه
واخوته وكتابة التاريخ (١٨٣).

ومما تجدر الإشارة اليه اعتماد ابن الجزري على بعض الاناشيد والخطب التي
يكتبها الشيوخ حينما يتحدثون فيها عن انفسهم، ولعلها احدى المصادر التي تضاف الى
مصادره سابقة الذكر.

المصادر

- (١) تاريخ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م، ج٢، ص٢١٤، ج٣، ص١٠٦٩؛ ابن رافع، تقي الدين محمد السلامي (ت٧٧٤هـ / ١٣٧٤م)، الوفيات، تحقيق: بشار عواد معروف وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، مج١، ص٢٥١؛ ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ضبطه وصححه: عبد الوارث محمد علي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ج٣، ص٣٠١؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ج٣، ص٢٦.
- (٢) الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٤٥٣؛ ابن الغزي، ديوان الاسلام، ج٢، ص٩٨.
- (٣) اذهبي، ذيل العبر، ج٤، ص٤١١؛ الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ص٢٢.
- (٤) ينظر: السمعاني، الانساب، ج٢، ص٥٥.
- (٥) ينظر: ابن حوقل، ابي القاسم النصيبي (ت٣٧٩هـ / ١٠٨٦م)، صورة الارض، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٨م، ص٣٣٤؛ ياقوت، ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ / ١٢٣٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ج٢، ص١٣٨٠.
- (٦) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج٢، ص٣٠٠.
- (٧) تاريخ حوادث الزمان، ج٣، ص١٠٦٩.
- (٨) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج٣، ص١٠٦٩؛ الذهبي، ذيل العبر، ج٤، ص١١٤.
- (٩) الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٤٥٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٨.
- (١٠) الصفدي، اعيان العصر، ج٤، ص٢٢١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٠١.
- (١١) الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٤٥٣؛ اعيان العصر، ج٤، ص٢٢١.
- (١٢) من شهد الشاهد بين مايعلمه وماشاهده، والشهادة خبر قاطع تقول به، الشهود : هم قوم في ذلك العصر يعرفون احوال الناس ويشهدون في القضايا، وقد نصبوا انفسهم لذلك فصارت حرفة لهم، وكانت لهم حوانيت، والشهود في قيم الاملاك عليهم خطر عظيم لانها تقوم على تقويم مايتنازع فيه الشركاء على التقسيم، لعل ذلك يحتاج الى خبراء ومختصين كما نسميه اليوم. للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج٤، ص٢٣٤٨؛ ابن طولون، نقد الطالب، ص٨٨.
- (١٣) ينظر : تاريخ حوادث الزمان، ج٣، ص١٠٦٩.
- (١٤) هو الشيخ المحدث علم الدين القاسم محمد بن يوسف بن الحافظ زكي الدين البرزالي، الاشبيلي، الشافعي، الدمشقي، من قبيلة برزالة له تصانيف كثيرة ومتنوعة في الحديث والتاريخ والشروط، وله كتاب في التاريخ جعله صلة لتاريخ أبي شامه سماه المقتفي على الروضتين توفي سنة (٧٣٩هـ / ١٣٣٨م). للمزيد عنه ينظر : كتابه، الوفيات، تحقيق :ابو يحيى عبد الله الكندري، غراس للطباعة والنشر، الكويت، ٢٠٠٥م، ص١٢؛ الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، تحقيق : روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ص٤٣٥؛ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت٧٧٢هـ / ١٣٧١م)، طبقات الشافعية، تحقيق : كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، ص٢١٤-٢١٥.
- (١٥) عندما ينقل منه يذكر نقلته من خط البرزالي.
- (١٦) أبو بكر محمد بن أبراهيم، العالم، الفاضل، الصالح، الأديب كان كثير التلاوة والذكر وعنده معرفة بالنحو وحل المترجم بالالغاز ونظم الشعر وله (الالفية في الالغاز المخفية) وهي الف لغز في الف اسم توفي سنة (٦٧٩هـ / ١٢٨٠م). للمزيد عنه ينظر: الصقاعي فضل الله بن أبي الفخر (ت٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) تالي وفيات الأعيان، تحقيق :جاكولين سوبلة، المعهد الفرنسي

للدراستات العربية، دمشق، ١٩٧٤م، ص ٣٠؛ ابن الجزري، المختار، ص ٣٠٣؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٥٠، ص ٣٣٥.

(١٧) الذهبي، المختار، ص ٣٠٣.

(١٨) الذهبي، المختار، ص ٣٣٧.

(١٩) مملوك الملك المنصور قلاوون اصبح والي الير بدمشق ونائب السلطنة بغزة، ونقل منها الى نيابة السلطنة بالبيرة لمدة أحد عشر عاماً كان من خيار الملوك في الاسلام، شجاعاً، كريماً، حسن السيرة أحنه أهل دمشق لما أصبح نائباً عليهم، توفي سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م). للمزيد عنه ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٧٦؛ ابن طولون، اعلام الوری بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ط ٢، دار الفكر، سوريا، ١٩٨٤م، ص ٣٦.

(٢٠) هو محمد بن أبي طالب بن علي، ولد سنة (٦٦٩هـ/ ١٢٩٩م) وسمع كثيراً من ابن البخاري وجماعة وأشتغل في الحاوي، وحضر المدارس بدمشق، ثم سافر الى العراق وبلاد العجم ثم عاد الى دمشق وأقام مده وتوجه الى مصر واصبح شيخاً لاحدى خانقواتها توفي سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٣٠). تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٥٥؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٨٣.

(٢١) سمى صوفياً بسبب تصوفه والمتصوف هو المتجرد لحياة الصوفية، قال ابن خلدون: (التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها). للمزيد ينظر: ابن سينا، الاشارات والتنبيهات، تحقيق: سليمان دنيا، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، د ت، ج ٤، ص ٨٥؛ مقدمة ابن خلدون، ص ٤٩٠؛ فتاح، عرفان عبد الحميد، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٣٩؛ ماسينيون ومصطفى عبدالرازق، التصوف، تعريف: ابراهيم رشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٢٥.

(٢٢) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٥٦.

(٢٣) هو ابي عبد الله محمد بن داود بن محمد بن منتاب الموصلي، البغدادي السلامي اصلا التاجر سمع المشايخ في الشام والعراق وحفظ التنبيه والشاطبية قدم من العراق هو واهله في تجارة وسكن الشام توفي سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م). ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣١٠؛ الصفدي، اعيان العصر، ج ٤، ص ٤٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٣٠٧.

(٢٤) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، صص ١٠٦٩، ١٠٧٠.

(٢٥) القراءة لغة من قرأ، يقرأ فهي قراءة، وقرأت الكتاب قراءة وقرانا ومنه مسمى قراءة القرآن، إما في الاصطلاح، فهي إن يقرأ التلميذ على الشيخ حفظاً ومن قلبه أو من كتاب ينظر فيه، إي يعرض على الشيخ قراءته، ومن قرأ القرآن عن ظهر قلب أو نظر فيه وقرأ فهي قراءة. ينظر: الفراهيدي، العين، ج ٣، ص ٣٦٩ باب القاف؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٥٦٤ باب القاف؛ ابن طولون، القلائد الجهرية، ص ٢١؛ الصالح، صبحي، علوم الحديث ومصطلحه، ص ٩٣.

(٢٦) السماع لغة من سمع، والسمع: هو الإذن وقيل: حس الإذن، وما وقر فيها من شي يسمعه، والسماع هو المصدر وهو ماسمعت به، وكل مالذته الإذن من صوت حسن، إما في الاصطلاح، فهو إن يسمع التلميذ من لفظ الشيخ، سواء حدثه الشيخ من كتاب يقرأ عليه أم من محفوظاته أم ألقى عليه أم لم يمل، وهو أعلى الصور وأقواها وارفعتها. ينظر: الفراهيدي، العين، ج ٢، ص ٢٧٥، باب السين؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٢٣، ص ٢٠٩٥، باب السين؛ ابن طولون، القلائد الجهرية، ص ٢١؛ الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص ٨٨.

(٢٧) الإجازة لغة من جاز يجيز وهي التمكين او الكفاية او الاذن، وفي المصطلح: ان يمنح عالم موافقته لطالبه ان يقوم بتدريس علم او كتاب من الكتب، او ان يأذن الشيخ لتلميذه برواية

مسموعاته أو مؤلفاته، ولو لم يسمعها منه أو يقرأها عليه، وحينما تكتب إجازة للحاضرين عند الشيخ للسمع تذكر فيها أسماء جميع الحاضرين، واسم كاتبها، ومكان كتابة الإجازة عند الشيخ إذا كانت في بيته أو بستان داره أو في المدرسة أو المسجد ويكتب تاريخ هذه الإجازة ويوقع الشيخ في آخرها واسم كاتبها وتوقيعه، وتحفظ في المدرسة أو عند الشيخ وهذه التي تشبه السجل تسمى الطبقة، والتي قد تتعرض للتزوير أو قد يخطأ كاتب هذه الطبقة فيضطر إلى إن يمحي أو يغير فعليه إن يكتب فوق التغيير أو يضع صح ويوقع عليها ويوقع عليها شيخه باسمه إلى جانبه. ينظر: الفراهيدي، العين، ج ١، ص ٢٣٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٥٢٩؛ ابن طولون، القلائد الجهرية، ص ٢٢؛ أبو الذهب، المعجم الإسلامي، ص ٢٨؛ الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص ٩٢.

(٢٨) ركن الدين أبو عبدالله الياس بن علوان بن معلى بن ممدود الملقن، الدوري الأصل تصدر للأقراء بجامع دمشق وكان إمام مسجد طوغان بالفسقار، وكان عجباً في تعليم الصبية النطق بالحروف الصعبة كالزاء، بحيث إن بعض الناس يعتقدون إن تلك كرامة له، فقل إن أحداً كان يحضر إليه ولا ينصلح لسانه، وذكر أنه ختم عليه القرآن فوق أربعة الآلاف نفس توفي سنة (٦٧٢هـ/١٢٧٣م) ٠ للمزيد عنه ينظر: البرزالي، المقتفي، ج ١، ص ٣١٧؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج ٣، ص ١٣٥٧.

(٢٩) الذهبي، المختار، ص ٢٧٧؛ ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٦٥٦.

(٣٠) أو إبراهيم بن أحمد بن كامل كما ورد اسمه عند من ترجموا له أبو اسحق المقدسي الصالحي سمع وروى عن داود بن ملاعب والشيخ موفق الدين وابن راجح، وأجازه ابن طبرزد، وأجازه للبرزالي والذهبي، مايرويه عنه توفي سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٦م). للمزيد عنه ينظر: البرزالي، المقتفي، ج ١، ص ٤٠٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥٠، ص ٢١٣؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٢٢٠؛ سركيس، معجم المطبوعات، ص ٦٩٦.

(٣١) والمشهور بإمرة الحاج من الشام ولد في دمشق واخذ العلم عن جماعة من الشيوخ وحدث "بالصحيح" وروى وحج مرات عديدة توفي سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م). للمزيد ينظر: البرزالي، المقتفي، ج ٣، ص ١٣٨؛ الذهبي، الإشارة إلى وفيات الأعيان، تحقيق: إبراهيم صالح، دار ابن الأثير، بيروت، ١٩٩١م، ص ٣٨٥؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج ٣، ص ٣٤٨.

(٣٢) أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي الصالحي المعروف بالفخر بن البخاري، سمع من أكابر الشيوخ بدمشق ومن أبيه الشمس البخاري الفقيه، وببغداد، وتفرّد بالرواية عن جماعة منهم توفي سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م) ٠ للمزيد عنه ينظر: ابن رافع، تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار، تحقيق: عباس العزاوي، ط ٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٠م، ص ١٠٩؛ ابن الغزي، ديوان الإسلام، ج ١، ص ٣٥٥.

(٣٣) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٢٢٠؛ سركيس، معجم المطبوعات، ص ٦٩٦.

(٣٤) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ١٠٦٩؛ الذهبي، ذيل العبر، ج ٤، ص ١١٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٠١.

(٣٥) أبو الحسن تاج الدين علي بن أحمد بن عبد المحسن العلوي الحسيني يرجع نسبه إلى الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) رحل به أبوه واسمعه الكثير في الصغر وحصل له العلم الغزير وكان يفهم الحديث فهما جيداً ويروي من لفظه وسمع منه ابن دقيق العيد، توفي سنة (٧٠٤هـ/١٣٠٤م) ٠ للمزيد عنه ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٧؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ٧.

(٣٦) أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري القوسي المنفلوطي المصري المالكي الشافعي، من أكابر العلماء بالأصول ولد على ساحل البحر الأحمر، وانتقل إلى قوص وتفقّه بها، وعاش بها ولذا عرف بالقوسي، وكان والده، مالكي المذهب، لكنه تفقه على يد الشيخ

العزیز عبد السلام فحقق المذهبین، وأفتی بهما وولی دار الحدیث الکاملیة، وقضاء الدیار المصریة، واستمر قاضیا فیها إلى إن توفي سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م). للمزید عنه بنظر : کتابه، الاقتراح فی بیان الاصطلاح، تحقیق : قحطان عبد الرحمن الدوری، دار العلوم للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص ١٥؛ الاندقوی، کمال الدین جعفر بن ثعلب (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م) الطالع السعید، مطبعة الجمالیة، القاهرة، ١٣٣٩هـ، ص ٣١٧؛ السیوطی، تاریخ الخلفاء، تحقیق : محمد أبو الفضل إبراهیم، المكتبة العصریة، بیروت، ٢٠١٠م، ص ٤١٩.

(٣٧) شهاب الدین ابو المعالی احمد بن اسحق بن محمد ابن المؤید بن علی بن إسماعیل بن شهاب الدین بن رفیع الدین، وسمی والابرقوهی نسبة إلى مدینة ابرقوهه وهی قرية من أعمال اصبهان التي ولد فیها ورحل إلى همدان ونشأ بها ثم عاش فی مصر، سمع فی المشایخ بشیراز وبغداد والموصل وبحران وبدمشق وبالقدس، وروی عن الشیوخ فی معجم شیوخه توفي سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠١م) للمزید عنه ينظر : البرزالي، المقتفي، ج ٣، ص ١٩٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٤؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج ١، ص ٣٥٢.

(٣٨) تاریخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ١٠٦٩؛ الذهبی، ذیول العبر، ج ٤، ص ١١٤؛ كحالة، معجم المؤلفین، ج ٣، ص ٢٦.

(٣٩) جمال الدین محمد بن علی بن محمود بن احمد شیخ دار الحدیث والنوریة سمع الكثير من شیوخ عصره، وولی مشیخة والنوریة صنف مجلدا اسماء تکمله الإكمال جعله ذیلا على ذیل ابن نقطه؛ وذكره عمر بن الحاجب فی معجمه، وانتخب وأفاد وجمع وصنف وحصل الأصول توفي سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) ودفن بسفح قاسیون ينظر : مقدمة كتابة تکملة إكمال الإكمال، ص ٢٧-٤٣. ابن عبد الهادی، طبقات علماء الحدیث، ج ٤، ص ٢٤٩-٢٥٠؛ الذهبی، المعجم المختص بالمحدثین، ص ٢٤٩؛ ابن الوردي، تاریخ، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٤٠) تاریخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٤٨٥؛ الصفدي، الوافي بالوفیات، ج ٢، ص ١٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٠١.

(٤١) تاریخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٩٥١-٩٥٥.

(٤٢) تاریخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٨٣٠-٨٥٠.

(٤٣) تاریخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٤٨٥.

(٤٤) یصف لهم المراه من الأدوية. ينظر : الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٩٧.

(٤٥) ينظر: تاریخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ١٠٧٠.

(٤٦) تاریخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٥٥.

(٤٧) الوافي بالوفیات، ج ٢، ص ١٨١ واعيان العصر، ج ٤، ص ٢٢١.

(٤٨) الذهبی، ذیول العبر، ج ٤، ص ١١٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٢١٨.

(٤٩) تاریخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ١٠٦٩.

(٥٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٤١٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٠١؛ كحالة، معجم المؤلفین، ج ٣، ص ٢٦.

(٥١) ينظر: تاریخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ١٠٦٩؛ الصفدي، اعيان العصر، ج ٤، ص ٢٢٠.

(٥٢) السبكي، مبيد النعم، ص ٨٢؛ ابن طولون، نقد الطالب، ص ٩٩.

(٥٣) محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود، كان من العلماء الفضلاء الصالحين الاخيار، كان كثير الفضائل فی علوم كثيرة منها الفقه والادب والنحو وله نظم مليح، كثير التواضع، دينا حسن الاخلاق توفي سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م). ينظر: تاریخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٩٩٨؛ ابن رافع، الوفيات، ج ١، ص ١٧٧ رقم ٤٨.

(٥٤) ينظر: تاریخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٩٩٩.

(٥٥) تقع بالقرب من نهر ثوري بجوار كرم نوح عليه السلام. ينظر : تاریخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٥٧.

(٥٦) يقع هذا الجامع خارج الباب الصغير بمحلة سوق الغنم، وهو بناء قديم كان موضعه مسجداً للجنائز قام بتجديده جرح المنجي وعرف باسمه ثم عمره الملك الأشرف موسى سنة (٦٣١هـ/١٢٢٤م) وجعله جامعاً كبيراً. ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث سنة ٦٣١، ص ٩؛ النعمي، الدارس، ص ٥٥٧؛ طلس، ذيل ثمار المقاصد، ص ٢٠٥.

(٥٧) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ١٠٦٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ١٨.

(٥٨) الذهبي، ذيل العبر، ج ٤، ص ١١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٤١٣.

(٥٩) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٠١؛ سركيس، معجم المطبوعات، ص ٦٩٦.

(٦٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٤١٣؛ الصفدي، اعيان العصر، ج ٤، ص ٢٢١.

(٦١) البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٤١٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٠١.

(٦٢) ابن رافع، الوفيات، مج ١، ص ٢٥٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٢١٨.

(٦٣) قابل الدكتور عمر عبد السلام تدمري، نسختين للمخطوط الاول نسخة المكتبة الوطنية ببائيس المرقمة برقم ٦٣٧٩ (A) المصور بدار الكتب المصرية بالقاهرة، والذي قامت بطباعته المكتبة المصرية في صيدا في بيروت سنة (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، والثاني مايعرف بالنسخة التيمورية رقم ٢١٥٩ وتتالف من قسمين الاول من سنة (٦٨٩-٦٩٤) هـ، والثاني من سنة (٦٩٤-٦٩٩) هـ..

(٦٤) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٧.

(٦٥) أبو حفص عمر بن اسماعيل بن مسعود الشافعي الملقب برشيد الدين، كان من نوادر زمانه في سائر العلوم من الفقه والاصوليين والنحو والعربية والادب وعلم البيان، وحل المترجم، والكتابة والانشاء، وعلم الفلك وضرب الرمل والحساب وعلوم شتى تفرد بها دون غيره، توفي سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م). ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٧؛ ١٣ الصقاعي، تالي وفيات الاعيان، ص ١١٥؛ الذهبي، الإشارة الى وفيات الاعلام، ص ٣٧٧.

(٦٦) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٤٦٤.

(٦٧) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٥.

(٦٨) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٨.

(٦٩) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٤٥-٥٤.

(٧٠) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٥٥.

(٧١) الامام المستكفي بن الخليفة الامام الحاكم بأمر الله العباسي، وبويع بالخلافة بعهد أبيه وعمره سبعة عشر عاماً شهد وقعة شقحب مع والده السلطان مات بقوص سنة (٧٤٠هـ/١٣٤٠م). للمزيد عنه ينظر: الدياربكري، حسن بن محمد بن الحسن (ت ٤٩٠هـ/١٠٩٦م)، تاريخ الخميس واحوال انفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت، د ت ج ٢، ص ٣٨١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤١٦؛ ابن سباط، تاريخ، ج ٢، ص ٥٧٥.

(٧٢) ابو العباس احمد بن علي الملقب بالحاكم بأمر الله العباسي، وهو جد الخلفاء العباسيين بمصر، اختفى وقت وقعة بغداد بيد المغول وكاتبه الظاهر ببيرس، فطلب منه الحضور الى القاهرة، فذهب ومعه جماعة من ولده معه فبايعه الظاهر ببيرس، وشهد العلماء والفقهاء على صحة نسبه، وامتدت ايامه الى سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م). للمزيد عنه ينظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٤٤١؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٧٤؛ القرماني، أخبار الدول، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٧٣) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٥٦.

(٧٤) محمد بن قلاوون ولقبه الناصر بن المنصور قلاوون الصالحي المملوكي الأصل امه مغولية هي الاميرة أشلون خاتون، اعتلى العرش اول مرة سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٤م) بعد وفاة اخيه الأشرف خليل وكان صغيراً لم يتجاوز التاسعة من عمره، ثم اغتصب منه عرشه لأكثر من مرة وعاد اليه، واستقر فيه بعد ان انتصر على المغول والاعراب وقضى على الصليبيين توفي سنة

(٧٤١هـ/١٣٤١م). للمزيد عنه ينظر: ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٦م، ج ١، ص ٣٢-٣٣؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٧٤؛ سرور، محمد جمال الدين، دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص ٤٧-٥٢.

(٧٥) الملك المنصور ابو الفتح قلاوون التركي النجمي وسمي بالالفى لانه اشترى بالف دينار كان من احسن الناس صوره وابهاهم هيبه وعلى وجهه هيبه الملك، تملك سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٨م) كان من اكابر زمانه من الامراء، خاض الفتوحات العظام وفتح الحصون والمدن وعمل بين القصرين بالقاهرة تربة عظيمة ومدرسة كبيرة ووبيمارستان للمرضى، توفي سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م). للمزيد عنه ينظر: ابو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٣٣؛ قاسم، قاسم عبده وعلى السيد علي، الايوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، د.ت، ص ١٧١.

(٧٦) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٥٧.
(٧٧) هذه الوظائف الدينية والادارية كنظر الدواوين ونظر الاوقاف ونظر الحسبة ونظر الجوالي ونظر الكسوة ونظر الخزائن ونظر البيمارستان ونظر الزردخانه وكتاب السر وشاد الدواوين ونقيب الاشراف. للمزيد ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٥٥، ص ١٠٢؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٩٨؛ ابن طولون، نقد الطالب، ص ٨٩؛ ابن كنان، حدائق الياسمين، ص ١٥٩-١٦٦.

(٧٨) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣١٥، ص ٣٧٧.
(٧٩) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٥٥، ص ١٠١، ص ٢٤٩، ص ٤٥١.
(٨٠) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ١٠٣٦.
(٨١) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٠.
(٨٢) المقتفي، ج ١، ص ٨٨.

(٨٣) ابتداء ترقيم الجزء الأول منه من الرقم "١" الى نهاية "٥٣٦" كما قدمنا، وابتداء الجزء الثاني كذلك من الرقم "١" على عكس الجزء الثالث الذي استمر الترقيم من "٥٨٤" الى نهاية الكتاب مع الاشارة الى انتهاء الجزء الثاني وابتداء الثالث، ولا يعلم لماذا تم ترقيم الكتاب بهذا الشكل.
ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٨-٩.

(٨٤) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٢٩، ص ١٤٦، ص ٢٣٢، ص ٤٣٠.
(٨٥) تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٨٣٠-٨٥٠.

(٨٦) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣١١، ص ٣٦١، ص ٣٦٢، ص ٤٤٥.
(٨٧) هو ملك التتر ابن طلو او تولى خان ابن جنكيز خان، حكم عشر سنين، اباد فيها الامم ببغداد وحبلى، حاصر دمشق الى ان احتلها وطلب أهلها الامان. مات سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٣م).
ينظر: الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ١٨٦، البيهقي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ١٠٥؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، ١٩٣٥، ج ١، ص ٤.

(٨٨) هي الدولة التي نشأت بعد انهيار الدولة المملوكية مؤسسها عثمان ال طغرل ابتداء تاريخها بفتح القسطنطينية على يد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣ م) وحكمها خمسة وثلاثين سلطاناً اولهم المؤسس وآخرهم محمد رشاد الذي انفرط عقد الدولة على يده سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٣ م) أثر الحرب العالمية الأولى و نعتت آخر عهدها بالرجل المريض. ينظر: البكري، محمد بن السرور الصديقي، النزهة الزهية في ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية، دراسة وتحقيق: عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، دار العربي للنشر، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١١.

(٨٩) هي الحقبة التي حكمت فيها اسرتا المماليك البرجية والبحرية او الشركسية والتي انتهت فترة حكمها مع فتح السلطان العثماني سليم الأول لمصر سنة (٩٢٣هـ / ١٥١٧م). ينظر: الانصاري، المجلد في تاريخ مصر، ص ١٦٥؛ سليم، عصر سلاطين المماليك، ج ١، ص ١١.

(٩٠) الجرح والتعديل، الجرح لغة: من جرحه بلسانه جرحاً عاباً ونقصه، والتعديل: التسوية، وفي الاصطلاح، وهو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بالفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الالفاظ، وهذا من فروع التواريخ من جهة، ومن فروع الحديث من جهة اخرى، والكلام في رجالاته جرحاً وتعديلاً ثابت عن رسول الله (ﷺ)، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين من بعدهم، وجوز ذلك تورعاً وصوناً للشرعية لا طعناً في الناس، وكما جاز الجرح في الشهود، جاز في الرواة. ينظر: الرازي: ابي محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م): الجرح والتعديل، دار احياء التراث العربي، بيروت، مطبعة حيدر اباد الذكن، الهند، د ٢٠، ص ٢؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، مج ١، ص ٥٨٢.

(٩١) موفق الدين ابو حفص عمر بن محمد بن معمر الدارقزي، حفظ الأصول وروى الكثير قدم الى دمشق آخر أيامه فازدحموا عليه الناس، و املى مجالس بجامع المنصور وعاش تسعين سنة وسبع اشهر، وقيل عنه: كان ظريفاً يحب المزاح توفي سنة (٦٠٧هـ / ١٢١٠م). للمزيد عنه ينظر: المنذري، التكملة، ج ٢، ص ٢٠٧؛ الذهبي، المعين، ص ١٨٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٤٩.

(٩٢) في اللغة هي جمع لمفرد كلمة عجب، ومن الفعل الثلاثي عجب، وعجب عجباً وأمر عجب عجاب. قال الخليل: اما العجب، فهو العجب، واما العجبا فهو الذي تجاوز حد العجب، مثل الطويل والطوال، اما القزويني فقد ذكر عن العجب انه حيرة يتعرض لها الانسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء او عن معرفة كيفية تأثيره فهذا معنى العجب، فهو كل ما في العالم بهذه المثابة التي قد يراها الانسان بغتة من حيوان غريب او نبات نادر او فعلاً خارقاً للعادة او اشياء تتحير فيها العقول وتندش فيها النفوس فينطلق لسانه بالتسبيح بقوله سبحانه الله. ينظر: الفراهيدي، العين، ج ٣، ص ٩٨؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٥.

(٩٣) جمع غريب في اللغة ومن الثلاثي غرب، وهو الغامض من الكلام، وغربت الكلمة غراباً، وصاحبة مغرب، والغريب كل امر قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمجاهدات المألوفة، وذلك اما من تأثير نفوس قوية او امور فلكية او اجرام سماوية وكل ذلك بقدرة الله تعالى وارادته، ومن معجزات الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين، كانشقاق القمر، وانفلاق البحر، وانقلاب العصا ثعبان، وخروج الناقة، وبراء الاكهم والابرص و احياء الموتى بإذن الله تعالى، ومنها كرامات الأولياء في الشفاء للمرضى. ينظر: الفراهيدي، العين، ج ٣، ص ٢٧٢؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٩.

(٩٤) ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبيد الله بن جعفر الجوزي، سمي الجوزي نسبة الى محلة الجوز بالبصرة التي ينتسب اليها اجداده. ولد في بغداد ونشأ وعاش في ظل الخلافة العباسية صنف العديد من التصانيف المفيدة منها المنتظم في أخبار الملوك والامم وتنقيح فهم الأثر ومختصر الفنون توفي سنة (٥٩٧هـ / ١١٨١م) للمزيد عنه ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف و محي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ج ٢١، ص ٣٦٥؛ ابن الديبني، المختصر المحتاج اليه، ص ١٠٦.

(٩٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١، ص ٤٢ من مقدمة المحقق.

(٩٦) هو ابو المظفر يوسف بن قزاوغي وعند البعض بن فرغلي، والسبط عند العرب تعني ابن البننت، ولد ببغداد وتفقه على جده وابيه، ورحل الى دمشق وسمع من شيوخها ودرس بمدارسها وحدث بها وبالديار المصرية، كان اول امره حنبلي المذهب، ولما رحل الى دمشق وتكرر

اجتماعه بالملك المعظم عيسى بن الملك العادل اجتنبه اليه ونقله الى مذهب الحنفية الذي كان شديد التغالي فيه، فلما انتقل الى الحنفية انتقده الكثير من الناس، توفي بدمشق سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، وترك مؤلفات خالدة اشهرها مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، وتذكرة الخواص، وغيرها من المؤلفات. للمزيد عنه ينظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مج ١، ص ٤١-٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٣٤٣.؛ ابن رافع، منتخب المختار، ص ١٩٠.

(٩٧) ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع الفقيه الشافعي، ولد بقرية من اعمال بُصرى، وقدم الى دمشق، وأخذ عن شيوخها الكثير فحفظ التنبيه، ومختصر ابن الحاجب، وصاهر الحافظ المزي، وصحب ابن تيمية، وقرأ في الاصول على الاصفهاني، وسمع الكثير، وبرع في ذلك وصنف التصانيف الكثيرة في صغره منها "الاحكام على ابواب التنبيه والتفسير واختصر تهذيب الكمال لصوره المزي، وطبقات الشافعية ومناقب الإمام الشافعي، وغيرها الكثير فضلاً عن مؤلفه الشهير البداية والنهاية توفي سنة (٧٧٤هـ/١٣٧٤م). للمزيد عنه ينظر: ابن حجر، انباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، د. مط، ١٩٦٩م، ج ١، ص ٣٩-٤١؛ ابن قاضي شهاب، طبقات، ج ٣، ص ١١٣؛ الجبوري، معجم الادباء، ج ١، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٩٨) شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي ولد في صالحيه دمشق ونشأ فيها ايام العثمانيين وطلب العلم من اعلام الشيوخ، وتلقى الفقه قراءة فاحذه عن ابن فقيه فضة مفتي الحنابلة في الشام في عصره ومن الشيخ ابن بلبان ثم رحل الى القاهرة للاخذ عن علمائها ولما رجع الى دمشق لزم الافادة والتدريس توفي سنة (١١٧٦هـ/١٠٨٩م) ترك مصنفات اشهرها شذرات الذهب في أخبار من ذهب وبغية اولي النهي في شرح المنتهى وشرح بديعية ابن حجة الحموي الشهيرة ونزهة ذات العماد على تفسير العلامة البيضاوي لسورة يس وغيرها كما ان له بعض الشعر. للمزيد عنه ينظر: مقدمة كتابه شذرات الذهب، ج ١، ص ٨٦-٩٠؛ ابن الغزي، ديوان الإسلام، ج ١، ص ١٦٠؛ الزركلي، الاعلام، ج ٣، ص ٢٩٠.

(٩٩) اسم لموضع على ساحل بحر الشام بينه وبين طبرية يومان، وهي من احسن بلاد الساحل، وبها دار لصناعة السفن وهي مجمع السفن وملتقى التجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق، وبها اخلاط من ناس شتى وقد فتحها المسلمين زمن معاوية بن ابي سفيان. للمزيد عنها ينظر: ياقوت، معجم البلدان، مج ٤، ص ١٤؛ القزويني، أثار البلاد، ص ٢٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٠.

(١٠٠) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٣٦٨.

(١٠١) تاريخ حوادث الزمان ج ١، ص ٤٣٧.

(١٠٢) اعظم ملوك اليمن في الجاهلية والاسلام، واسم رسول هو محمد بن هارون بن ابي الفتح ويرجع نسبه الى جيلة بن الایهم بن الحارث بن ماء السماء وسمي رسول بزاز السفر وقاتل الجوع واصله من الازد وكان جليل القدر عندهم فقربه الخليفة العباسي، واختصه بارساله الى الشام والى الافاق فاطلق عليه اسم رسول وترك اسمه الحقيقي حتى اندثر فلا يعرفه الا القليل، ولما كانت حياة دولة بني ايوب كانت معهم عصابة من بني رسول، فأجتمع رايهم ان يسلموهم اليمن فاستقلوا بها سنة (٦٣٠هـ/١٢٣١م) ٠ للمزيد ينظر: الخزرجي، علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تنقيح: محمد بسيوني عسل، ط ٢، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٣م، مج ١، ص ٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٦١-٦٢.

(١٠٣) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٢١٥.

(١٠٤) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٣٦٨.

(١٠٥) كتاب الجامع الصحيح المعروف باسم صحيح البخاري، من امهات كتب الحديث وأصولها وأشهرها لمؤلفه شيخ الإسلام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي، نسبه الجعفي فيرجع الى جد ابيه اسماعيل الجعفي ويعتبر مؤلفه (صحيح البخاري) الذي قامت عليه شهرته من اصح كتب السنة المطهرة فضلا عن تصانيفه الاخرى توفي سنة (٢٥٦هـ/٨٦٩م). للمزيد ينظر: ابن ماكولا، سعد الملك علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م) الاكمال، اعتناء: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط ٢، مطبعة حيدر اباد الدكن، الهند، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م، ج ٣، ص ٢٩٥؛ المزي، ابو الحجاج جمال الدين يوسف (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م) تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب لإسلامي، ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٠١؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، اعتناء: ابراهيم الزبيق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٩٥م، ج ٣، ص ٥٠٨-٥١١.

(١٠٦) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٦٥٨، ص ٧١٦، ص ٨١٥.

(١٠٧) قصيدة حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني وعرفت بالشاطبية وتتكون من الف ومائة وثلاثة وسبعون بيت، والتي تبدأ باسم الله في النظم اولاً، تبارك الرحمن رحيماً مؤيداً، وصاحبها المقرئ الشهير العلامة الضرير ابو محمد قاسم بن فيرة بن خلف بن احمد الاندلسي الشاطبي الذي ولد بشاطبة وأقام بالديار المصرية توفي بها سنة (٥٩٠هـ/١١٩٣م). للمزيد عنه ينظر: ابن جابر الوادي أشي، البرنامج، ص ١٨٥؛ الغزي نجم الدين محمد بن محمد بن محمد الدمشقي (ت ١٠٦٢هـ/١٦٥١م): لطف السمر وقطف الثمر من تراجم اعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، تحقيق: محمود الشيخ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، د٠ ت، ج ١، ص ٢٢٤؛ الزركلي، الاعلام، ج ٣، ص ٢٩٠.

(١٠٨) الذهبي، ذيل العبر، ج ٤، ص ١٤؛ الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٢٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٢٢٧.

(١٠٩) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ١٠٧٠.

(١١٠) الاعلان بالتوبيخ، ص ٢٩٠.

(١١١) الطائفة المنسوبة الى احد طوائف عسكر الدولة الفاطمية التي جاءت مع القائد جوهر قائد جيوش الخليفة الفاطمي المعز بالله عندما فتح مصر وقسم حاراتها وقد وسميت حارة المحمودية باسمهم. ينظر: الفلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣، ص ٣٥٧؛ المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٥.

(١١٢) ابن العماد، شذرات الذهب، مج ٨، ص ٢١٨؛ ابن الغزي، ديوان الإسلام، ج ٢، ص ٩٨.

(١١٣) هو السلطان الاشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور ابو الفتح قلاوون تولى بعد وفاة والده وأحسن السيرة في الناس وكان كريماً شجاعاً عظيم الهيبة قتل في الصيد بأرض تروجه من قبل امرائه وان جميع من شارك في قتله كان قد احسن اليهم واعطاه وحوله، واطلق لهم الضياع بالشام حتى لم تكن توجد في عهده مظلمة وكان أهل الشام يحبونه ويدعون له توفي سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) - مقتولاً. ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٢٩. للمزيد عنه ينظر: بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٩٥؛ الصقاعي، تالي وفيات الاعيان، ص ٧٠؛ ابو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١؛ ابن أبيك، الدرر الزكية، ج ٨، ص ٣٠٣؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٢١٨-٣١٠؛ ابن سباط، تاريخ، ج ١، ص ٤٩٤.

(١١٤) الورق: هي الفضة. ينظر: ابو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٣٧م) الاموال، تحقيق ودراصة: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٨٦؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣١٠.

(١١٥) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٣٩.

(١١٦) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٦٦، ص ٥٢٧.

(١١٧) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٤١.

(١١٨) هو تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحلیم بن مجد الدين عبد السلام بن عبدالله بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي قدم مع والده الى دمشق وسمع من الشيوخ ومن والده منذ الصغروا قبل على تفسير القرآن الكريم له الكثير من المصنفات والفتاوى توفي سنة (٧٢٨هـ / ١٣٢٩م) للمزيد ينظر: كتابه، السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، تحقيق: ابراهيم رمضان، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩١م، ص ٣-٥؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٢٠٩.

(١١٩) ابو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ولد ببلخ وكان ابوه من أهلها وانتقل معه الى بخارى، وعاش في ظل الدولة السامانية، واشتغل بالعلوم و اتقن القرآن الكريم وعلم الأدب وحفظ اشياء من أصول الدين والهندسة والجبر ورغب في علم الطب وتأمل كتب الاوائل المصنفة فيه، توفي سنة (٤٢٨هـ / ١٠٣٦م) وترك العديد من المصنفات منها الاشارات وكتاب الشفاء في الحكمة وكتاب النجاة وغيرها. للمزيد عنه ينظر: الذهبى، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود وعبد الفتاح ابوسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٥م، مج ٢، ص ٢٩٤؛ ابن قطلوبغا، ابو العدل زين الدين قاسم (ت ٨٧٩هـ / ١٤٨٥م) تاج التراجم في طبقات الحنفية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢م، ص ١٤.

(١٢٠) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٣٦٤.

(١٢١) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ١٥٢.

(١٢٢) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٢٩٣.

(١٢٣) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٦٤.

(١٢٤) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٣٣.

(١٢٥) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٧٩، ج ٣، ص ٨٥٤.

(١٢٦) تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ١٥٩، ص ٢٩٤، ص ٣٤٣.

(١٢٧) تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٦٦٣.

(١٢٨) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٤٣٢.

(١٢٩) تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٣٨٨.

(١٣٠) بلاد واسعة كثيرة العجائب ومملكة مركبة من عدة اقاليم، وهي عند جميع ملوك الكفار مملكة الحكمة، والحكمة من الهند بدوها، اكثر ارضها جبالا وانهارا وهي متصلة بخراسان مما يلي الجبل، وقد اختصت بكريم النبات وعجيب الحيوان وفيها اثنان واربعون ملة، واديان شتى من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والثنية وقيل ان الهند اسم لنهر هناك وبه سميت الهند. ينظر: ابو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م): المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ١٨٢-١٨٨؛ القزويني، آثار البلاد، ص ١٢٧.

(١٣١) البنغال: بلاد تقع بين باكستان والصين وهو اقليم جغرافي في الشمال الشرقي لشبه الجزيرة الهندية وهي الان دولة بنكلادش او بنغلادش. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ١٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠٣؛ تاريخ حوادث الزمان عن الهامش.

(١٣٢) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٢٦٠-٢٦١.

(١٣٣) موضع حفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال، وكانت تكتب بالعراق بالفارسية وبالشام بالرومية وبمصر بالقبطية، اما ديوان الايتام فهو يختص بالنظر في شؤون الايتام وتزويج النساء اللواتي لا يتعين لهم اولياء (ازواج) يفضلونهم فيقوم هذا الديوان بمعرفة ولاداتهم ويميز بطونهم وانسابهم وفي العهد المملوكي يجب ان يكون مسؤولاً عنه القاضي الشافعي. للمزيد ينظر: الجهشيارى، ابي عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م) الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم

الابيارى وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ١٦؛ ابن كنان، حقائق الياسمين، ص ١٦٥.

(١٣٤) نظارة ديوان الاسرى: وظيفة تختص بشؤون الاوقاف التي يفدى بها الاسرى في الحروب. ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٤٥٧؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ١٩٨.

(١٣٥) نظر الاوقاف من الوظائف الدينية وتختص بشؤون اوقاف الحرمين الشريفين وكان يتولاها قاضي قضاة الشافعية، اما نظر الاحباس فكان لها ناظر مخصوص، ثم بعد ذلك اضيفت الى نظر الاوقاف بعد ان كان يشرف عليها السلطان بنفسه. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣، ص ٢٧٨؛ ابن كنان، حقائق الياسمين، ص ١٦٠-١٦١.

(١٣٦) نظر المواريث الحشرية هي النظر في اموال من يموت وليس له وارث وقد اصطنع هذا الديوان السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون وولى امره الى القاضي الشافعي. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ٣٣؛ ابن كنان، حقائق الياسمين، ص ١٧٧.

(١٣٧) هي اعلى الوظائف الدينية وارفعا تختص بالاحكام الشرعية وتنفيذ قضاياها والقيام بالاوامر الشرعية والفصل بين الخصوم وهذه الوظيفة مشتقة من قضي الامر اي احكمه، لان القاضي يقطع الخصومات بفروع الامر منها والتي جعل اليها منتهى القضايا وانهاء الشكايا ولا يكون اصحابها الامن العلماء والفقهاء ويكون تقليده من قبل السلطان او الخليفة. للمزيد عنها ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٧٧، ص ١٩٠، ص ٢١٩؛ ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٧؛ ابن كنان، حقائق الياسمين، ص ١٤١.

(١٣٨) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٤٥٤.

(١٣٩) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٤٥٧.

(١٤٠) كلمة بمعنى البحر، وفي النص هو الامير سيف الدين بكتمر الساقى اصله من مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، ثم انتقل لخدمه الملك الناصر، وحظي عنده بمكانة كبيرة زوجه من اخته ابنة الملك المنصور قلاوون فاصبح صاحب الحل والعقد في دولة الناصر فلما عظم نفوذه ووسعت سلطته وتجاوزت الحدود خاف الناصر منها فقتله هو وابنه احمد وقيل دس لهما السم سنة (٧٣٤هـ / ١٣٣٥م) المقرئزي، المقفى الكبير، ج ٢، ص ٤٦٨-٤٧٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٢٠-٢٢١؛ رزق، عصر سلاطين المماليك، ج ١، ص ١٠٢.

(١٤١) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٤٦٦.

(١٤٢) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٢٣، ص ١٩٤، ص ١٩٥.

(١٤٣) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٢٠.

(١٤٤) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٢١.

(١٤٥) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٨٨.

(١٤٦) ينظر: ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٧٧.

(١٤٧) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٧٥، ص ٧٨، ص ٤٠٢، ص ٤٥٤.

(١٤٨) ينظر تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١١٦، ص ١٣٦، ص ١٧٨.

(١٤٩) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٤٧، ص ٢٨٣، ص ٣٤٤، ص ٤١٢.

(١٥٠) تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٦٤٩، ص ٦٥٣.

(١٥١) تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٦٤٩.

(١٥٢) احدى كور مدينة دمشق، وهي كوره واسعة من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وبينها وبين غوطة دمشق مسافة ثلاثة ايام وقيل انها قرية على عمد الاخود وبها بيعة عامر حسنة البناء، مبنية على عمد الرخام منمقة بالفسيفساء. ينظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٧٧، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣١٧؛ القزويني، اثار البلاد، ص ١٨٥؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص ١٨.

- (١٥٣) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٥٧.
- (١٥٤) كان شهر ربيع الأول من السنة. تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٠٧.
- (١٥٥) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٠٧.
- (١٥٦) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٠٨.
- (١٥٧) تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٤٢٣، ص ٤٦٣.
- (١٥٨) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٤٧.
- (١٥٩) ناصر الدين شافع بن نور الدين علي بن عماد الدين ابي الفضل عباس خطيب قلعة الجبل ونائب دار العدل الصالحية النجمية الايوبية كان كثير المحاضرات عارفاً بالتاريخ والأدب والنحو والترسل والنظم باشر الإنشاء بمصر توفي سنة (٧٣٠هـ/١٣٢٠م). للمزيد عنه ينظر: الصفي، نكت الهميان، ص ١٦٣-١٦٧؛ ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ٢، ص ٩٣-٩٥؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٧١؛ الجبوري، معجم الأدباء، ج ٣، ص ١١٤-١١٥.
- (١٦٠) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٤٣١.
- (١٦١) عن زيارة المؤلف للربوة، ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٤٠٣.
- (١٦٢) بضم اوله، واصلها ما ارتفع من الارض وجمعها رُبى، وقد قال المفسرون في قوله تعالى: "وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين"، وقيل: عنها انها دمشق، اي ذات قرار من العيش وماء جاري، وبدمشق لحف في جبل على فرسخ منها ليس في الدنيا انزه منه مبني على نهري ثوري. ينظر: سورة المؤمنون، الآية: ٥٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٦.
- (١٦٣) شمس الدين محمد بن ابي طالب الصوفي المعروف بشيخ حطين وشيخ الربوة، كان يوماً يرى رأي الاشاعرة ويوماً يرى رأي المعتزلة ويوماً يرى رأي الحشوية ويوماً يرى رأي ابن سبعين في التصوف وينحاه نحوه وبطريقته، وكان يتكلم عن اسرار الحروف ويعرف الرمل، وفي كل شيء يتكلم فيه لديه فيه تصنيف وكان يتكلم في الكيمياء ويدعي فيها اشياء توفي سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م). ينظر: الصفي، الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ١٣٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٥٨.
- (١٦٤) هو مسجد عالي جداً يقع في رأس نهر بيزيد الذي يجري منه الماء ويصب في سقاية المسجد والى بركة فيه، يزعمون انه هو المذكور في القرآن الكريم، وان عيسى عليه السلام ولد فيه. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٦؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦٢.
- (١٦٥) بمعنى الاستدلال على احوال المسائل حين السؤال بتشكيل الرمل بوضع خطوط ونقاط تخط في الرمل، وهي اثنا عشر شكلاً على عدد البروج في السماء، واكثر مسائل هذا الفن تخمينية، تقوم على تجارب غير كاملة، وقد لا يفيد اليقين في مثل هذه الامور الخفية. ينظر: الغزي، لطف السمر، ج ١، ص ٣٤ عن الهامش؛ طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، ج ١، ص ٣٣٦.
- (١٦٦) محمد كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٤٦.
- (١٦٧) ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٣٠٩، ص ٣٦٧، ص ٣٨٧، ص ٤٤١.
- (١٦٨) تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٢٨٦.
- (١٦٩) تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ١٠٦٩، ص ١٠٧٠.
- (١٧٠) تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٦١.
- (١٧١) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٥١٢.
- (١٧٢) كتاب المقتفي على الروضتين جعله ذيلاً على كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لمؤلفه ابي شامه المقدسي.
- (١٧٣) اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٢٢٧؛ ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ٣، ص ١٩٦؛ ابن الغزي، ديوان الاسلام، مج ١، ص ٢٢٤.
- (١٧٤) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١١٦.

-
- (١٧٥) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٣٦.
- (١٧٦) تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ١٠٦٩-١٠٧٠.
- (١٧٧) تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٨٤١؛ المقتفي، ج ١، ص ٨٨، ص ٩٠.
- (١٧٨) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٦٣، ص ٣٠٤.
- (١٧٩) تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٦٤٩، ص ٨٣٢، ص ٨٣٧.
- (١٨٠) تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٦٥٠.
- (١٨١) تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ج ٣، ص ٧١٦.
- (١٨٢) تاريخ حوادث الزمان، ج ٣، ص ٦٥٣.
- (١٨٣) وهي ان بضمن كلامه شيئاً من الحديث الشريف ولا ينبه عليه أي لا يذكر سلسلة رواته ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١، ص ٢٠٦.

قراءات في التصوف الاسلامي

د. ايمان التميمي

اولاً: مفهوم التصوف وتطوره

ثانياً: نشأة التصوف وتطوره

ثالثاً: اركان التصوف

رابعاً: المنهج المتبع للانتساب إلى الطريقة الصوفية

خامساً: خصائص الطرق الصوفية

المخلص

التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة.

كانت البدايات الاولى للتصوف في القرن الثاني الهجري، وعرف اصحابها بالصوفية لقرب اوصافهم من اهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله (ص)، حيث يجلس الصحابة من الفقراء على دكة قرب المسجد يجمعون معاشهم من أهل الورع عن طريق الفتاوى ، ثم تطور هذا المفهوم فيما بعد عبر القرون التاريخية ليصبح عدة طرائق من التصوف لكل طريقة شيخ وزى واعلام واوراد واذكار ومريدين واتباع، ولما سئل عن اهل التصوف بما يعرفون التصوف اجاب كل منهم بما يخدم اغراضه وطريقته ووصفه وصفاً يتفق مع المنهج الذي اختطه لنفسه، فنلاحظ ان هنالك تعريفات للتصوف ركزت على جانب الزهد، ومنها التي ركزت على جانب الاخلاق، ومنها التي ركزت على الجانب التشريعي في حين خرج البعض عن ذلك المفهوم الى ما عرف بالشطحات بسبب تداخل بعض التأثيرات الاجنبية والفلسفية على التصوف .

أولاً- مفهوم التصوف وتطوره

تعددت آراء اللغويين في اشتقاق كلمة تصوف، ولكنهم اجمعوا أنَّها من الثلاثي صوف، يرى الفراهيدي (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م) : ان التصوف من صوف، والصوف للضأن وشبهه، ويقال لواحدة الصوف، صوفة، وتصغر صوفية، ويذكر الجوهري (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م) : ان صوفة هو الغوث بن مر بن اد بن طابخة بن الياس ، وكانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية، ويجيزون الحاج، أي يفيضون به، ويذكر ابن سيده (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) : إن صوفة هو حي من تميم، وال صوفانا قوم من العرب يجيزون الحجيج، ويذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) : ان الحج كان بالإجازة، فيقال: أجزى خندف، فإذا أجازت أذن للناس في الإفاضة^(١).

ويرى ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) : ان اللباس الذي يلبسه المتصوفة هو للدلالة على الزهد^(٢) والتقشف^(٣)، ويرى غيره: ان التصوف كلمة مولدة من الصوفية^(٤)، وتصوف الرجل صار صوفياً، واتبع سلوك المتصوفة وحالاتهم^(٥)، والمصدر التصوف، وهو دخول الرجل مرحلة التصوف اي: التعبد، والزهد، والابتعاد عن الناس، والصبر، وترك الاختيار^(٦).

ويذكر القشيري (ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) أَنَّهُ: " لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر أَنَّهُ لقب"^(٧)، في حين يذكر الطوسي (ت ٣٧٨هـ / ٩٨٨م) يؤيده النووي (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٥م)، في ان المتصوفة: نسبوا إلى ظاهر اللباس، كما ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والاحوال التي كانوا بها يترسمون^(٨).

ويعرف ابن خلدون التصوف بأنه: " العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة"^(٩) للعبادة...^(١٠).

ويذكر اهل التصوف انفسهم بأن للصوفية عدة تعاريف منها ما نقله القشيري عن: معروف الكرخي (ت ٢٠٠هـ / ٨١٥م)^(١١)، حين سئل عن

التصوف قال: ان التصوف هو الأخذ بالحقائق والياس مما في ايدي الخلائق^(١٢)، ومنها ما ذكره ابو بكر الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)^(١٣)، عن ابا سليمان الداراني (ت ٢١٥هـ / ٨٣٦م)^(١٤) عندما سئل عن التصوف قال: " القلب الصوفي قد رأى الله، وكل شيء يرى الله لا يموت"، ويقول ايضاً: ان كل كلمة قالها الصوفية لا تموت لأنها ارتبطت بالله^(١٥)، وذكر ايضاً ان الصوفي بشر الحافي^(١٦) (ت ٢٢٧هـ / ٨٤١م)، عندما سئل عن التصوف قال: الصوفي هو من صفا الله قلبه^(١٧)، ويقصد به صفاء الروح^(١٨)، والصفاء هو مصدر الشيء الصافي^(١٩)، فالصوفي من لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء، ويذكر الكلاباذي: ان الصوفي من صفت معاملته لله، فصفت له من الله كرامات، ويذكر ايضاً أنه قال: إنما سمو صوفية: لانهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع همهم اليه، واقبالهم بقلوبه عليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه، ويذكر ايضاً انما سمو صوفية لقرب اوصافهم من اهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)^(٢٠)، وهم الصحابة من الفقراء كانوا يجلسون على دكة قرب المسجد يجمعون معاشهم من أهل الورع عن طريق الفتاوي^(٢١).

وذكر السلمي: عن ذو النون^(٢٢) المصري (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م) عندما سئل عن وصفه للصوفي قال: "من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق"^(٢٣)، أما الجنيد^(٢٤) (ت ٢٩٧هـ / ٩٠٩م) لما سئل عن التصوف، ذكر الكلاباذي أنه قال: "هو تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الاخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الابدية والنصح لجميع الامة، والوفاء لله على الحقيقية، واتباع الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الشريعة"^(٢٥).

ويذكر القشيري ان السري سقطي^(٢٦) (ت ٢٥٧هـ / ٨٩٥م) وهو خال الجنيد واستاذ، وتلميذ معروف الكرخي وأوحد اهل زمانه في الورع وعلوم

التوحيد، عندما سئل عن التصوف قال: " هو اسم لثلاث معانٍ، وهو الذي لا يطفى نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة، ولا تحمله الكرامات على هتك استار محارم الله".^(٢٧)

ومن معاني التصوف قول السهروردي^(٢٨) (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٣م): "ان " الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية ولا يزال يصفي الاوقات عن شوب الاكدار بتصفية القلب عن شوب النفس، ويعينه على هذه التصفية، دوام افتقاره إلى مولاه، فيداوم الافتقار ينقي من الكدر"، وقوله ايضاً: " إن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان المشاهدة في قلبه، فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبير والعجب، فتلين، وتطبع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها"،^(٢٩) فالمتصوفة قوم اتسموا بحسن الخلق والزهدي في الدنيا، والتأدب بآداب الشرع، ولقبوا بالنسّاك، والقرّاء، والزهاد، والعُباد، والفقراء، و اقبلوا على دراسة النفوس وآفاتِها، وما يرد على القلب من خواطر وحرصوا على الصيغة المذهبية^(٣٠)، وتخلّقوا بالأخلاق الالهية،^(٣١) وظهروا قلبهم من محبة ما سوى الله، وهم أهل الحق^(٣٢)، الذين احبوا سنة رسول الله واقتدوا به^(٣٣)، ويصفهم صاحب حاية الأولياء: بانهم قوم اخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض، وجعلهم قدوة للمتجربين من الفقراء، لا يأوون إلى أهل أو مال، ولا يُلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا مال^(٣٤)، وقد قسموا انفسهم إلى سبعة طبقات، هي الطالبون أو المريدون، السالكون، والسائرون، والطائرون، والواصلون، وسابعهم القطب الذي قلبه على قلب نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وهو وارث العلم اللدني من النبي بين الناس، وتبلغ عدد هذه الطائفة ثلاثمائة وستون شخصاً مثل ايام السنة، ويقولون ان رجال الله هم الاقطاب والغوث، والإمامان هما وزيرا القطب، والاولاد، والابدال، والاخياري، والابرار، والنقباء، والنجباء، والعمدة المكتومين من الافراد، ولكل طائفة من هؤلاء اسم معين^(٣٥).

ان ما يلفت النظر ان البعض اتخذ من التصوف وسيلة للتقرب إلى الله عز وجل، في حين اتخذها البعض وسيلة لتحقيق مآربهم الشخصية^(٣٦).

ولتمييز العلاقة بين الفقه والتصوف، علينا معرفة ان التصوف في الإسلام كعلم ديني، يختص بجانب الاخلاق والسلوك، في حين علم الفقه هو الباحث في الاحكام، ويستند إلى علم الكلام استناد الفرع إلى الاصل، أما التصوف فهو يستند إلى علمي الكلام والفقه، فلا بد للمتصوف من علم كامل بالكتاب والسنة^(٣٧).

وفي ذلك يقول الشعراني عن علم التصوف: هو علم انقذ في قلوب الأولياء، حين استتارت بالعمل بالكتاب والسنة، والتصوف هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة^(٣٨).

ويرى احد المؤرخين ان لا تصوف بلا فقه، فالفقه والتصوف شقيقان في الدلالة على احكام الله تعالى وحقوقه، فلهما حكم الاصل الواحد في الكمال والنقص، وهو أحد اجزاء الدين^(٣٩).

ويصف ابن خلدون المقابلة بين علمي الفقه والتصوف قائلاً: ((وصار علم الشريعة على صنفين، صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا، وهو الاحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم- الصوفية- في القيام بهذه المجاهدة، ومحاسبة النفس، والكلام في الادواق والموارد العارض في طريقها، وكيفية الترقى فيها من ذوق إلى ذوق، وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك)).^(٤٠)

ويذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن في مؤلفه الكبير تاريخ الاسلام: أنه مما يتوجب الإشارة إليه ان مذهب المسلمين في التصوف قد تطور في القرون المتأخرة، وأخذ عدة مناحٍ وتأثر بالعناصر الحضارية {الفارسية، الهندية، واليونانية، والسريانية}، وأصبح فلسفة قائمة على عناصر أخرى كالأفلاطونية الحديثة وتلك العناصر، وان للمتصوفة في حب الله نفس المذهب، فهم يحبونه حباً روحانياً خالياً من الرغبات والنزعات، أي: حباً

افلاطونياً، ولا شك إنهم اكتسبوا هذا الحب مما وصلهم من هذه الفلسفة، في حين اتخذ بعض المتصوفة من التصوف وسيلة للتقرب إلى الله تعالى، واتخذها آخرون وسيلة لتحقيق مآربهم الشخصية^(٤١).

ويبدو مما تقدم أنه ليس للتصوف تعريف معين، حتى ان الصوفية أنفسهم لم يضعوا له تعريف محدد، وان كل متصوف يضع للتصوف تعريفاً او وصفاً يتفق مع المنهج الذي اختطه لنفسه، فنلاحظ ان هنالك تعريفات للتصوف ركزت على جانب الزهد، ومنها التي ركزت على جانب الاخلاق، ومنها التي ركزت على الجانب التشريعي، فقول معروف الكرخي : ان التصوف هو الاخذ بالحقائق واليأس مما في ايدي الخلائق ركز فيه على الزهد^(٤٢)، وكذلك ما قاله احد شخصيات التصوف في هذا القرن وهو رويم^(٤٣) المتوفى سنة (٣٠٣هـ / ٩١٥م) : ان " التصوف مبني على ثلاث خصال، التمسك بالفقر، والافتقار إلى الله تعالى والتحقق بالبذل والايثار، وترك التعرض والاختبار "^(٤٤).

أما التي ركزت على جانب الاخلاق مذكره السهروردي، من قول ابو الحسين النوري^(٤٥) (٢٩٥هـ / ٩٠٧م) : " ليس التصوف علماً ولا رسماً ولكنه خلقٌ لأنه لو كان رسماً لحصل بالمجاهدة، ولو كان علماً لتحصل بالتعليم، ولكنه تخلق بأخلاق الله، ولن تستطيع ان تقبل على الاخلاق الالهية بعلم ولا برسم "^(٤٦).

وقوله كذلك ان التصوف ما جاء بمعنى الالتزام بالشرعية كقول الجنيد: التصوف بيت بابيه الشريعة^(٤٧)، ويصف الطوسي (ت ٣٧٨هـ / ٩٨٨م) المتصوفه بقوله : "هم العالمون بالله، وبأحكام الله العاملون بما علمهم الله، ... الواجدون بما تحققوا بما وجدوا... "^(٤٨)، كما جاء التصوف بمعنى العبودية لله تعالى والتسليم الكامل له، كقول الجنيد: "التصوف ان تكون مع الله بلا علاقة"^(٤٩)، في حين يرى الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١م)^(٥٠) ان التصوف هو : "علم طريق الآخرة، وعلم اصول القلب، واخلاقه المحموده او المدفوعة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه "^(٥١).

وقد لخص الإمام الغزالي في تعريفه هذا للتصوف فقد جمع ما بين العلم والعبادة والاخلاق وصفاء القلب، وهو ما تميل اليه الباحثة.

ثانياً - نشأة التصوف وتطوره

أ- التصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين.

تعد مرحلة الزهد، المرحلة الأولى في هذين القرنين حيث كان هنالك افراد من المسلمين اقبلوا على العبادة بأدعية وقربات، وكانت لهم طريقة في الزهد في الحياة تتصل بالمأكل والملبس والمسكن، واراد العمل من اجل الآخرة، فاثروا هذا النوع من الحياة والسلوك، ومن اشهر هؤلاء هو الحسن البصري^(٥٢) (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م)، ورابعة العدوية (ت ١٣٥هـ / ٧٥٢م)^(٥٣)، التي اشتهرت بالصلاح والتقوى، وكانت النساء يجلسن اليها يسمعن وعظها،^(٥٤) وعرفت بشهيدة العشق الالهي^(٥٥).

لعلنا نصيب كبدا الحقيقة لو قلنا :ان التصوف لم يُعرف في عهد الصحابة، ولا في عهد التابعين^(٥٦)، لأنَّ اهل ذلك العصر لم يكونوا الا ارباب مجاهدة^(٥٧)، واهل زهد وورع وتقوى،^(٥٨) واقبال على العدالة بحكم قربهم واتصالهم برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فكانوا يتسابقون ويتبارون في الاقتداء به، ولم يكن ثمة ما يدعو إلى تلقيزهم علماً يرشدهم إلى أمرهم، فهم قائمون به فعلاً، ومثلهم كمثل العربي، يعرف اللغة العربية بالتوارث كابراً عن كابر، ويقول الشعر البليغ بالفطرة دون ان يعرف شيئاً عن قواعد اللغة والاعراب والنظم، فالصحابه والتابعين رضوان الله عليهم، وان لم يتسموا بالمتصوفة، كانوا صوفيين فعلاً إن لم يكونوا اسماً، وكان يعيشون لربهم دون انفسهم وهو المراد في التصوف عاكفون على العبادة،^(٥٩) ويتحلون بالزهد، وملازمة العبادة، والاقبال على الله بالروح والقلب في جميع الاوقات، وسائر الاعمال التي يقوم بها الصحابة، من الالتزام بعقائد الايمان، والقيام بفروض

الاسلام، وزادوا عل ذلك بكل ما استحبه الرسول الكريم صوات الله عليه من العبادات، وابتعدوا عن المكروهات شأنهم شأن التابعين، وتابعين التابعين، وكانت هذه العصور الثلاثة ازهى العصور الاسلامية على الاطلاق.^(٦٠)

جنح الناس بعد هذا العهد إلى مخالطة الاجناس المختلفة، فأخذ التأثير الروحي يتضاءل شيئاً فشيئاً، وأخذ المقبلون على العبادة اسماً يميزهم عن عامة الناس الذين انشغلوا بلهو الحياة الدنيا الفانية عن العبادة، فكان أول من اتخذ لقب صوفي في القرن الثاني الهجري هو ابو هاشم^(٦١) الصوفي المتوفى سنة (١٩٠هـ / ٧٧٧م).^(٦٢)

وذلك ما يؤكد القشيري بقوله: " اعلمو ان المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يتسم افاضلهم في عصرهم بتسمية سوى صحبة رسول الله، اذ لا افضلية فوقها فليل لهم الصحابة ..."، ثم اختلف الناس فتباينت المراتب، فليل لخواص الناس، ممن لهم عناية شديدة بأمر الدين بالزهاد والعباد، ثم ظهرت البدعة، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق إدعوا إن فيهم زهاداً، فأنفرد خواص اهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى، الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة بإسم التصوف، واشتهروا بهذا الاسم قبل المائتين من الهجرة^(٦٣).

لعلنا بذلك نستدل ان التصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين مأخوذ عن حياة الصحابة والتابعين، وابتدأ كحركة زهد، وورع ثم تطورت هذه الحركة بعد اختلاط المسلمين بغيرهم من الامم الأخرى التي دخلت الاسلام - كالفرس والهند والسريران - وحصول التلاقح الحضاري، وتعرّف المسلمين على سلوكيات هذه الامم مما استوجب على المسلمين تطوير سلوكياتهم في التعاطي من هؤلاء حتى بدأ الاعتناء بعلم الكلام. وهوما تمت الاشارة اليه سلفاً،^(٦٤) على ان لا يفوتنا ان نذكر: ان التصوف في القرنين الأول والثاني ابتدأ في الكوفة كحركة زهد وورع، على يد ابي هاشم الكوفي كأول صوفي

هناك ثم انتقل إلى خراسان، ثم إلى بغداد، ثم إلى مصر، وإن أول من حدد مقولات التصوف وطرحها هناك هو ذو النون المصري.

ب- التصوف في القرن الثالث الهجري

لما جاء القرن الثالث وجدنا ان الصوفية اعتنوا بالكلام في دقائق احوال النفس والسلوك، وغلب عليهم الطابع الاخلاقي في علمهم ودينهم، فصار التصوف على ايديهم علماً للأخلاق الدينية وكانت مباحثهم الاخلاقية، تدفعهم إلى التعمق في دراسة النفس الانسانية ودقائق احوال سلوكهم، وإلى الكلام عن الذات الالهية، من حيث صلتها بالإنسان، وظهر الكلام عن الفناء الصوفي، ونشأ في ذلك علم خاص للصوفية، تميز عن علم الفقه من ناحية الموضوع والمنهج والغاية، له لغته الاصطلاحية التي لا يشارك الصوفية فيها غيرهم.^(٦٥)

ويقول في ذلك ابن خلدون: " لما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من هذه الطريقة [الصوفية]... في طريقتهم، فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس..."^(٦٦)، على ان لا يفوتنا ان نذكر ان هذه الانطلاقة للتصوف ابتدأت من الكوفة، فيذكر ما سينيون: ان أول من نعت بالصوفي هناك هو جابر^(٦٧) بن حيان الكوفي، الصوفي المتوفى سنة (٢٠٠هـ / ٨١٥م)، وهو صاحب كيمياء شيعي، له مذهب خاص في الزهد، على ان الصوفية في مصر ظهرت في سنة (١٩٩هـ / ٨١٤م) اثر خبر فتنة الاسكندرية والتي تدل على مذهب من مذاهب التصوف ذلك العصر، كما يراها المحاسبي^(٦٨) (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٨م)، والجاحظ^(٦٩) (ت ٢٥٥هـ / ٨٧١م)، وكان عبدك الصوفي اخر أئمة ذلك العصر، الذي قدر لهذا الاسم ان يكون له شأن خطير فيما بعد، فما انقضى خمسون عاماً حتى اصبح يطلق على جميع صوفية العراق في مقابل صوفية خراسان اسم (الملامتية)^(٧٠)، ثم أخذ يطلق الاسم بعد ذلك بقرنين على جميع أهل الباطن من المسلمين.^(٧١)

ج-التصوف في القرن الرابع الهجري

لا يمكن ان نذكر هذا القرن والتصوف فيه دون ان نذكر الحلاج^(٧٢) (ت ٣٠٩هـ/٩٢٢م)، والذي اختلفت المقولات في اعدامه او بسبب مقالته في الحلول والتي يبدو فيها أنه كان متأثراً بعناصر اجنبية بعيدة عن الاسلام،^(٧٣) بيد ان من أهم الاحداث المهمة في هذا القرن هو استحداث الخانقوات^(٧٤)، التي نشأت فيها ضروباً من الحياة الشاذة،^(٧٥) في حين كان هناك بعض الشيوخ ممن سبقوا هذا القرن كالجنيد البغدادي، وخاله السري سقطي، والخزاز، وغيرهم، يجمعون المريدين^(٧٦)، من اجل تربيتهم تربية صوفية، فتكونت لأول مرة الطرق الصوفية في الاسلام التي كانت بمثابة المدارس التي يتلقى فيها السالكون آداب التصوف علماً وعملاً.^(٧٧)

د- التصوف في القرنين الخامس والسادس الهجريين

خير من يمثل التصوف في هذا العصر هو الإمام الغزالي، الذي لم يكن يقبل من التصوف الا ما كان متماشياً مع الكتاب والسنة، ورامياً إلى الزهد، والنقشف، وتهذيب النفس واصلاح اخلاقها، وقد عمق الغزالي هذا الكلام في المعرفة الصوفية على نحو لم يسبق اليه، وحمل على مذاهب الفلاسفة، والباطنية^(٧٨)، فيقول الغزالي عن ذلك: " رأيت نفسي مطالباً بكشف هذه الشبهة حتى كان فضح هؤلاء أيسر عندي من شربة ماء، لكثرة خوضي في علومهم، وطرقهم، أعني طرق الصوفية والفلاسفة التعليمية والمتوسمين من العلماء .."^(٧٩)، وقوله ايضاً: ولما تهيأت لي الاسباب: " إنقذح في نفسي ان ذلك [يقصد محاربة الفساد والرد على الفلاسفة الباطنية]... متعين في هذا الوقت محتوم، فماذا تغنيك الخلوة والعزلة، وقد عم الداء، ومرض الاطباء، واشرف على الهلاك..."^(٨٠)، وانتهى به الامر، إلى ارساء قواعد نوع من التصوف المعتدل يساير مذهب اهل السنة والجماعة الكلامي، ويخالف تصوف الحلاج والبسطامي^(٨١) (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م) في الطابع، على ان لا يفوتنا ان نذكر ان التصوف منذ مطلع القرن السادس الهجري اخذ نفوذ

التصوف السني في العالم الاسلامي يتعاظم ويزداد بتأثير شخصية الغزالي، وظهور شخصيات صوفية كبيرة، كونوا لانفسهم طرقاً صوفية لتربية مريدهم، ومنهم الشيخ احمد الرفاعي المتوفى سنة (٥٧٨هـ / ١١٨٢م)، والذي سنتطرق للحديث عن طريقته لاحقاً، والشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة (٥٦١هـ / ١١٦٣م) والذي يعتقد أنه تأثر بتصوف الغزالي.^(٨٢)

هـ- التصوف في القرنين السابع والثامن الهجريين

انتهج التصوف في هذين القرنين اتجاهاً نظرياً فلسفياً في مدرسة الوجود وانتهت إلى عدة طرق صوفية ازدهرت وانتشرت في العالم الاسلامي،^(٨٣) قد لا يزال البعض منها موجوداً إلى وقتنا الحاضر، فيذكر ماسينيون عن التصوف في هذين القرنين: أنه "انصرفت عناية قوم من المتأخرين لكشف حجاب الحس"^(٨٤)، الذي هو نهاية مراتب الصوفية، لما وراء ذلك في الرياضة^(٨٥)، والمجاهدة، وتغذية الروح بالعبادات والذكر... وتوغلوا في ذلك كله متأثرين بمذاهب الإسماعيلية^(٨٦)، وتخالط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب^(٨٧)، ومعناه رأس العارفين.

على اننا نجد في هذين القرنين مجموعة أخرى من شيوخ التصوف مزجوا تصوفهم بالفلسفة، فجاءت نظرياتهم لا هي تصوف خالص، ولا هي فلسفة خالصة، ونذكر منهم السهروردي^(٨٨)، صاحب كتاب "عوارف المعارف" المتوفى سنة (٦٣٢هـ / ١١٥٠م)، والشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي^(٨٩) المتوفى سنة (٦٣٨هـ / ١٢٤٠م)، وسلطان العاشقين ابن الفارض^(٩٠) المتوفى سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٣م)، وابن سبعين^(٩١) المتوفى سنة (٦٦٩هـ / ١٢٧١م)، وغيرهم من المتصوفة، الذين نحا نحوهم في التصوف، والذين استفادوا من العديد من المصادر والمقولات الاجنبية كالفلسفة اليونانية خصوصاً الافلاطونية المحدثه، وقدم لنا هؤلاء نظريات عميقة في النفس والاخلاق، والمعرفة والوجود، كان لها قيمتها من الناحيتين الفلسفية والصوفية، كما كان لها تأثير على من تلاهم من الصوفية المتأخرين، على ان الطرق التي اسسها

البعض منهم، لم يكتب لها الاستمرار في الوجود في العالم الاسلامي لما اثير حول عقيدة مؤسسيها من الشبهات، كالطريقة الأكبرية التي اسسها الشيخ ابن عربي الذي كان يلقب بالشيخ الأكبر، والطريقة السبعينية التي اسسها ابن سبعين.^(٩٢)

ثالثاً - اركان التصوف

يقوم التصوف على ثلاث دعائم مهمة:

اولها: الشيخ.

ثانيها: المرید.

ثالثهما: العهد الذي يقوم بين الشيخ والمرید.

١ - الشيخ

هو الاستاذ للمريد، والمرید كالطالب، والطالب لا يستطيع ان يتقدم في دروسه بدون موجه او مرشد له، وهو الذي يحدد لمريده طريق الوصول إلى الله، وهو الذي يساعده في السير، فالشيخ هو "الذي سلك الطريق على يد شيخ واصل، فترقى في المقامات"^(٩٣)... ثم عاد بعد اعتلاء تلك المقامات، ليقوم الشريعة وسلك الناس في مراحل الطريقة"^(٩٤)، قال الجنيد: " لا يستحق الرجل ان يكون شيخاً حتى يأخذ من كل علم شرعي، وان يتورع عن جميع المحارم وان يزهد في الدنيا... "^(٩٥).

يؤكد القشيري في رسالته على ما ذهب اليه الجنيد عن تزود الشيخ بالعلوم الشرعية وان يأخذ منها حظه ويحث المرید على أنه إن لم يجد في الشيخ من العلم، ووجد ما يخالف الشرع فيجب عليه تركه، فيقول: " لا يستحق ان يكون شيخاً حتى يأخذ حظه من كل علم شرعي، وان يتورع عن جميع المحارم، وان يزهد في الدنيا، وان لا يشرع في مداواة غيره، الا بعد فراغه من مداواة نفسه،...، وان يلزم العمل بالكتاب والسنة، ويزن اقواله وافعاله بميزان

الشرعية والطريقة^(٩٦)، فإن رأيت منه مخالفة للشرع فاتركه... ولا تتخذه مرشداً".^(٩٧)

لذا يتعين على الطالب ان لا ينتصب للتدريس حتى تكمل اهليته ويشهد له الشيوخ^(٩٨)، فيذكر السهروردي: "أنه" لابد للمريد من شيخ مرشد يرشده إلى الحق ويلقنه الذكر، ويلقى في روعه النور"، و يصف تلقين الشيخ الذي يقوم بالإشراف على المريد وتلقيه له بالسراج الذي ينير دربه فيقول: "فإن تلقين الشيخ يلحق باطن المريد، ويسري فيه كأنما يلحق من سراج"، ويشدد على اختيار الشيخ الصالح المشهود له بالعلم والمعارف واتقاء المحارم،^(٩٩) وينقل المنوفي ما ذكره ابن عطاء السكندري: "من لم يكن له شيخ يوصله إلى سلسلة المتابعة فهو في الطريق لا اب له، وفي المعرفة... لا نسب له".^(١٠٠)

ولاهمية الشيخ في الطريقة الصوفية باعتباره الطريق الحق إلى الله تعالى، ولعمق اثره في نفوس السالكين - المبتدئين - والذين تكون بواطنهم تقبل أي نقش^(١٠١)، ولوجوب اقتداء المريد بالشيخ والتأسي به، فقط اشترط فيه سمات خاصة وخصالاً من شأنها ان ترفعه هذا المقام، وتوجب له هذا التقدير العميق، وان أول هذه الشروط الواجب توافرها في الشيخ المتصدر لتربية المريدين هو معرفته بالعلوم الشرعية، وإشارات الصوفية، وان يجمع بين الشرعية والحقيقة، ونستشهد بعبارة الجنيد الشهيرة بقوله: "علمنا مضبوط الكتاب والسنة، فمن لم يحفظ الحديث، ويكتبه ويحفظ الكتاب العزيز، ويتفقه في الدين، ومصطلح الصوفية والا لا يُتقدى به"^(١٠٢)، لذا فالعلم ومعرفة الاحكام الفقهية هو احدى أهم الاسس التي بني عليها التصوف^(١٠٣).

فمن صفات الشيخ المرشد على ما يذكر الشرنوبلي^(١٠٤): ان يكون ماحياً لحظوظ نفسه "الامارة بالسوء، ومن شهواتها قتاله وذلك يتم عن طريق العلم الذي فاضه الله عليه"، ومن وصايا الشيخ الجيلاني: في نبذ النفس الامارة بالسوء يقول في الدنيا: "... إذا رأيته فغضض بصرك عن زينتها، وسد على

انفك مما يفرح من روائح شهواتها ولذاتها، لتتجو منها ومن آفاتهما، ويصل اليك قسمك منها وانت فيها مهناً " (١٠٥)

نستخلص من ذلك ان العلم بالعلوم الشرعية ونبذ النفس الامارة بالسوء، والتواضع من أهم شروط الشيخ المربي للمريد، فضلاً عن غيرها من الشروط كالورع والتقوى، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوبة والاستغفار والاخلاص والصبر والشكر، (١٠٦) كما عليه من ناحية أخرى ان لا يتفاخر بالمشيخة او لقب الشيخ. (١٠٧)

وكذلك من شروط الشيخ المربي ان يقدم لهم النصيح، ويقول الشيخ الجيلاني في ذلك مخاطباً مريديه المبتدئين: " يا غلام اصحب من يعاونك على جهاد نفسك، لا من يُعاونها عليك"، ويحذر المريد من صحبه شيخ جاهل صاحب طبع واهواء، ويصف هؤلاء الشيوخ بانهم ادعياء يسيئون للتصوف ابلغ اساءه (١٠٨).

ويذكر الكمشخاني: عن من أهم شروط الشيخ ان يكون: " ذا ذوق صريح، وهمة عالية...، وبصيرة نافذة، فمن كان فيه خمسة لا تصح مشيخته، الجهل بالدين، واسقاط حرمة المسلمين، والدخول فيما لا يعنيه، وإتباع الهوى، وسوء الخلق". (١٠٩)

ويحدد الشيخ الجيلاني لاتباع طريقته مهام شيوخهم ويجعل اولها: تجاه المريد قبوله له لله عز وجل لا لنفسه، فالمريد الذي جاء للشيخ دون تخير او استجلاب هو هدية من الله، فعليه قبوله والاحسان اليه وتربيته، (١١٠) وان يبدأ الشيخ تربيته للمريد بحكم النصيحة ويرعاه بعين الشفقة، وان يبتدؤه بالرفق، فإن الرفق يؤنسه، (١١١) فإن أنس الشيخ فيه اقبالاً وهمة، امره بالاشد من الامور، واولها ترك متابعة الطبع والهوى، (١١٢) وفي ذلك يقول: ان الهوى هو موطن الداء. (١١٣)

ويرى الفيض الكاشاني ان سبيل اضعاف باعث الشهوة والهوى هو امرين هما:

١. ان يعتمد فيها الانسان على قطع قوة الشهوات كالاغذية، فلا بد من قطعها بالصوم.

٢. النظر: فان النظر يحرك القلب، والقلب يُحرك الشهوة، وهذه تتم بالعزلة وصرف النظر عن الوقوع في الامور المحرمة او المشتهاة، والفرار منها بالكامل. (١١٤)

وينصح الشيخ الجيلاني المريدين فيقول : " يا مسلمين دع عنك الكلام فيما لا ينفعك، اترك التعصب في المذاهب، واشتغل بشيء ينفعك في الدنيا والآخرة،... وفرغ قلبك من هموم الدنيا فأنت مأخوذ منها عن قريب، ولا تطلب طيب العيش فيها،..." (١١٥).

واخيراً فان من واجبات الشيخ ان يدعو لمريديه "ان لا يميت له مريداً الا على التوبة" (١١٦)، ومن علامات صدقه وتوبته هي التمسك بالشرعية والسنة النبوية وهذه تتم بالتوبة، (١١٧) ومن علامات المريد الصادق ايضاً ان يأخذ من القرآن الكريم قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ). (١١٨)

ويقول الجيلاني في ذلك: "انا كافلٌ لمريدي، فلو إنكشفت عورة المريد بالضرب، وانا بالمشرق لسترتها..." (١١٩).

من الواضح من واجبات الشيخ ان يتعرف على احوال مريديه، ويتفقددهم، ويتابع ظروفهم، كما ينبغي له مراعاة كرامتهم، وان لا يشهر بهم ولا يبوح بأسرارهم.

وعندما يرى الشيخ في المريد خروج الافات من نفسه العالية، فحينئذ لا يسامحه في شيء من اخطائه، وهذا التشدد يثبت للشيخ بالالهام الالهي، ان هذا المخلوق لذلك وجدير به، فلا ينبغي انذاك ان يخونه بالتهوين عليه. (١٢٠)

نستنتج من ذلك ان على الشيخ التأني والتلطف في تربية المريد في البدء، وبعد ان يأنس المريد من الشيخ وينفذ كل تعاليمه، ويسير في الطريق

الذي رسمه له، يقوم بالتشدد عليه وعدم مسامحته في أخطائه، عندما يرى الشيخ طاعة تلميذه له، لأنَّ التشدد والتسامح في هذه بداية المرحلة يشبها الصوفية بالخيانة.

ولما كان يجب توفر الشروط السابقة في الشيخ، من محبته لمريديه وكسبهم وطاعتهم له،^(١٢١) كان لابد له ان يراعي الفروق الفردية بين المريدين فلا يشير عليهم بنمط واحد من الرياضة، والى ذلك يشير الغزالي بقوله: "كذلك الشيخ المتبوع الذي يطيب في نفوس المريدين، ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص، وفي طريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم... بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد، وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة"^(١٢٢)، ولما كان الشيخ قد قدم كل هذه التعاليم لمريده، لذا على المريد ان لا يلتفت لغيره من المشايخ، فإن تفرق نظره بين المشايخ، فإن ذلك يبعده من الاستفادة الكاملة من شيخه،^(١٢٣) كذلك على الشيخ ان لا يقصر في لبس الزى والهيئة، وارضاء العذبة، وحضور الولائم، وان لا يدخله الغرور، حين يكثر اتباعه ومعتقده، فان قلوبهم انقبض واغتم وسخط بل يجب على الشيخ ان لا يلتفت إلى هذه الامور.^(١٢٤)

نستخلص مما سبق أنَّه لا غبار على قول العطاس في وصيته للمريدين ويبدو أنَّه اصاب كبد الحقيقة عندما قال: "كن شديد الحرص على طلب شيخ صالح، مرشد ناصح، عارف بالشرعية، سالك للطريقة، ذائق للحقيقة، كامل العقل، واسع الصدر، حسن السياسة، عارف بطبقات الناس، مميز بين غرائزهم وفطرتهم واحوالهم، فان ظفرت به فألقي بنفسك عليه، وحكمه في جميع امورك،...، واقتدي به في جميع افعاله واقواله، الا فيما يكون خاصا منها بمزية المشيخة كمخالطة الناس".^(١٢٥)

٢- المريد

وهو الركن الثاني من اركان التصوف ووجوده مهم كي تكتمل الطريق الصوفية، فلولا وجود المريد لا تكتمل هذه الاركان، فالمريد هو السالك للطريق، الذي يسير في الطريقة حسب ارشادات شيخه، فيسلك الطريق كما يرسمه له شيخه حتى يصل إلى غايته، ويمكن تلخيص خطوات المريد بثلاث خطوات:

تبدأ اولها بالتوبة^(١٢٦)، لقوله سبحانه وتعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)^(١٢٧)، وفي ذلك ينصح الشيخ مريديه بأن لا يجيء بالتخلي والتمني والكذب والنفاق والتوبة، فيقول: تب واثبت على توبتك فليس الشأن في توبتك، الشأن في ثبوتك عليها^(١٢٨)، وقد سئل الجُنيد عن التوبة ما هي فقال: "هو نسيان ذنبك".^(١٢٩)

اما الخطوة الثانية التي يجب ان يقوم بها المريد، فهي اخذ العهد من الشيخ بطاعة الله ورسوله، والسير في الطريق^(١٣٠)، وهذا العهد هو بيعة الزامية يلتزم بموجبها المتعاقدين وبكل ما في بنودها، وهي اشد واثق الايمان عند المتصوفة^(١٣١)، لقوله تعالى: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا)^(١٣٢).

أما الخطوة الثالثة التي يجب على المريد عملها هي " تعليم الشيخ للمريد كيفية الذكر نطقاً، وبدء في مرحلته الأولى، ويتجدد التلقين، كلما قطع المريد مرحلة من مراحل القرب من الله سبحانه وتعالى"^(١٣٣)، ولا بد ان يكون المريد مستعداً اتم الاستعداد لهذا التلقي وان يكون حذراً جداً كل الحذر حتى لا يختلط عليه الامر، وينخدع من الشيطان، فيظن أنه ما جاءه من فتوحات والهامات ربانية، وهي في الاساس من الشيطان، لذلك كان الشيخ هو الاساس والعامل المهم في المريد، لما يأتيه كي يستطيع التفريق بين الاسرار والمعارف الالهية التي يفتح الله عليه بها وبين التنزيلات الشيطانية التي تحيده عن

الطريق، ولا بد له من ان يعرض ما يأتيه من إلهام او كشف او فتوح على الكتاب والسنة فإن جاء مغايراً فليدعه، فإنه من تنزيلات الشياطين عليه^(١٣٤).

يجب على المريد ان يعرف اصول الطريق التي تضمن له قرب الوصول، وهذه الاصول تشمل الاركان واللوازم والشروط والاحوال، والاصول عند المتصوفة، ثلاثة عشر هي: "التوبة، الخوف، والرجاء، والحزن، والقناعة، والزهد، والورع، والتوكل، والصبر، والشكر، وجهاد النفس، والرضا بالقضاء، وترك العباد"^(١٣٥)، أما اللوازم التي لابد لها لمريد السفر هي " المقصد: وهو الباعث على السفر،

والدليل هو الشيخ

والزاد هو التقوى

والسلاح هو الوضوء

والسراج هو الذكر

والمطية وهي الهة التقوية

والعكاز وهو العجز

والحزام وهو الحزم

والمنهاج وهو الشريعة

والرفقة وهم اخوان الصدقة، وما عدا ذلك فهي من الشروط

والاحوال".^(١٣٦)

ومثلما للشيخ شروط وعليه واجبات فإن للمريد واجبات وآداب عليه ان يقوم بها، إذا اراد المريد ان يصبح مريداً صادقاً ان يسير على نهج اسلامي وطريق مستقيم، وان يهتدي بشيخه واستاذة، وان لا يدخل في طريق القوم، الا بعد تضرعه في علوم الشريعة، كما ينصح الشعراني المريد بذلك.^(١٣٧)

ومن آداب المريد مع شيخه، الانصات لكل ما يقوله وحسن الظن به، وان يكون مستعداً دائماً لخدمته، وينصح الشعراني المريد بالتزام الادب مع الشيخ فيقول: " اعلم يا اخي ان جميع الاشياخ انما طلبوا من المريد الاجلال

والتعظيم لهم بكل ما يقضون به عليهم تمريناً له وطلباً لترقيته، اذ الشيخ كالسلم للترقي إلى الادب، ... فمن لم يحكم باب الادب مع شيخه لا تقبله الطريق ابداً... " (١٣٨).

لابد للمريد ان تكون له سبع خصال، مهما رأى من كلام الشيخ نقصاً وقصوراً فلا يهتم بمعارضته في الرأي، قال السهروردي: "من قال لشيخه لا..... لا يُفلح" (١٣٩)، وهذه الخصال هي: "الصدق في الارادة،...، والمعرفة في مجال التفسير، ولا بد له من مجالسة عالم بالله،...، ولا بد له من توبة نصوحة، وبذلك يجد حلاوة الطاعة، والزهد فيما كانت فيه النفس راغبة،... وقرين صالح يؤازره " (١٤٠).

وكذلك من واجب المريد ان لا يكتف عن شيخه أي سر، بل ينبغي عليه ان يذكر له كل ما يجول في خاطره من اسراره وخطواته، وهذه الطاعة العمياء، قد يفسرها البعض محواً لشخصية الفرد، وضعفاً منه في القضاء على حريته واختياره، وفي ذلك يقول الشاذلي: "عليك ايها المريد بالعكوف على اعتاب شيخك، فإنك لو علمت ما انطوى عليه الشيخ ما برحت عن ابوابهم، ولأنتيتهم سعياً على الوجه " (١٤١).

وعلى الرغم من كل الطاعة والخضوع التي يقدمها المريد للشيخ من عدم كتم اسراره والبوح بها لشيخه، والتهيؤ الدائم لخدمته، فلا يرد له طلباً، ويسارع بتلبية ما يريده، ولا يتعلل بقضاء حاجاته الخاصة (١٤٢)، فالمريد الصادق لا يهتم المال ولا الذهب، وان يتحلّى بالصبر على خشونة الشيخ، كما يجب على المريد ان لا يهتم شيخه باساءة قلبيه، وعليه دائماً حسن الظن به (١٤٣)، الا أنه ليس من واجبه الاعتقاد بعصمة شيخه والأولياء فانهم ليسوا انبياء، فيقول القشيري: " ليس على المريد ان يعتقد في المشايخ العصمة، بل الواجب ان يذرهم في احوالهم فيحسن الظن، ويراعي الله وحده فيما عليه من الامر... " (١٤٤).

٣- العهد

وهو الركن الثالث من اركان الطريق الصوفي، فالذي يربط بين الشيخ ومريده، وهو العهد والبيعة، وهو اوثق رباط بين رجلين تحابا في الله وتعاهدا على طاعته لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (١٤٥).

والعهد او المبايعة للشيخ: هو الاخذ والمصافحة، وهي بيعة لله تعالى، وعقد الزامي يلزم المتعاقدين بكل بنود البيعة، ومهما تعددت صور وكيفيات اخذ العهود لكل طريقة، الا أنها تتفق ان واجب المريد، الذي يرغب في اخذ العهد عن الشيخ ينبغي على هذا الشيخ ان يأمره بالتطهر، لتهيأ لقبول ما يلقيه عليه، ويتوجه إلى الله تعالى، ويسأله القبول، لانه الواسطة بينه وبين خلقه. ويتم العهد بين الشيخ ومريده، بان يضع الأول يده اليمنى على يد الثاني اليمنى، ثم يقرأ لمريده بعض سور القرآن الكريم، وايات المواثيق والعهود ويقول المريد مثلما يقول لهُ شيخه، ثم يقول الشيخ: " قل اللهم اني اشهدك، واشهد ملائكتك، وانبيائك ورسلك واوليائك، اني قد قبلته شيخاً في الله ومرشداً وداعياً "، ثم يقول الشيخ: " اللهم اني اشهدك اني قد قبلته ولداً في الله تعالى فاقبله، واقبل عليه، وكن له ولا تكن عليه..." (١٤٦)، وبذلك يكون قد اخذ المريد العهد عن شيخه، وتختلف طريقة اخذ العهد من طريقة إلى أخرى حسب اسلوب الشيخ او كيفما تلقاها هو، بيد ان اكثر المشايخ يذكرون ان طريقة اخذ العهد هي ان يتطهر الشيخ، ويأمر مريده ان يتطهر، لتهيأ لقبول ما يلقيه عليه، ويتوجه إلى الله تعالى ويسأله القبول لهما، ويتوسل اليه في ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنه الواسطة بينه وبين خلقه، ثم يقرأ بعض الآيات، بعد البسملة ويقرأ ما يلقيه له الشيخ من القول، وبعد ذلك يأمر الشيخ المريد الداخر في عهده الذي يريد ان يلبسه الخرقه بالاستغفار والتشهد ثم يذكر اسم مذهبه، واسم طريقته. (١٤٧)

رابعاً: المنهج المتبع للانتساب إلى الطريقة الصوفية

اولهما: أخذ المصافحة والتلقين للذكر، ولبس الخرقة^(١٤٨) للتبرك، للنسبة فقط.
ثانيهما: أخذ رواية، وهو قراءة كتبهم من غير حل لمعانيها، وهذا يكون للتبرك ايضاً.

ثالثهما: اخذ دراية، وهو حل كتبهم لإدراك معانيها فقط.
رابعها: أخذ تدريب وتهذيب وترقي في الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة^(١٤٩) والفناء في التوحيد والبقاء، ويصح الانتساب بالاتباع والمشاركة ايضاً^(١٥٠).

خامساً - خصائص الطرق الصوفية

قبل الحديث عن هذه الخصائص ، علينا معرفة ماذا نعني بالطريقة عند الصوفية، فالطريقة هي السيرة المختصة بالمتصوفة السالكين إلى الله، فهي سفر إلى الله، والساك أو المريد هو المسافر، فعلى المسافر ان يسلك طريق القوم، وان يجتازه مرحلة بعد مرحلة.^(١٥١) والمراد هنا بالطريق الطريق الخاص بالصوفية.^(١٥٢)

اما خصائص الطريق الصوفي فهي:

١. لبس الخرقة

إذا كان الطريق الصوفي يقوم على العهد بين الشيخ ومريده، فإن أهم خصائص هذا الطريق هو لبس المرقعة، أو خرقة التصوف، والتي يكاد يجمع أصحاب الطرق الصوفية على أنها تؤخذ بالتوارث، أي لبسها فلان عن شيخه فلان، وأخذها فلان عن فلان عن سلسلة طويلة تنتهي إلى الشيخ صاحب الطريقة، وفي ذلك يقول الهجويري: " وقد امر مشايخ الطريقة المريدين بأن يتحلوا بالمرقعات ويتزينوا بها، وهم فعلوا ذلك لتكون لهم علاقة بين الخلق، ويكون الخلق عليهم رقباء، فإذا خطو خطوة واحدة على خلاف، فانهم يطلقون فيهم لسان الملامة، وإذا إتيان المعصية بتلك الثياب، فانهم لا يستطيعون النجاة من الخلق،^(١٥٣) والخرقة هي عتبة الدخول إلى الطريق، والمقصود بها الصحبة،^(١٥٤) وينسب الصوفية لبس المرقعة لحديث نبوي شريف يقولون فيه:

أنَّهُ سُنَّة عن النبي لقوله صلى الله عليه وسلم: " عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الايمان في قلوبكم ".^(١٥٥)

ويذكر السهروردي ان لبس الخرقة " ارتباط بين الشيخ وبين المرید، وتحكيم من المرید للشيخ نفسه... "^(١٥٦)، في حين يرى الهجویری: " ان لبس المرقعة شعار المتصوفة، ولبس المرقعات سُنَّة، وهي زينة لأولياء الله عز وجل، يُعز بها العوام، ويذل بها الخواص "^(١٥٧).

أنواع خرقة التصوف

وخرقة التصوف نوعان: الأول تسمى خرقة الارادة، وهذه اختص بها الصوفية، وهي دليل علامة تسليم المرید للشيخ والخضوع له.

أما الثانية فهي تسمى خرقة التبرك والتشبه او الافادة، وهي يتقرب بها المحل إلى اهل السعادة، فهي على الدخول في حمى وحرمة من تمسك به من اوليائها فقد استمسك بحبل الله واعتصم به، وامسى في ظلال كنف عظمة الله وتحت لواء وعلم هذه المشيخة، وينبغي لكل مؤمن راغب في التماس البركة وطالب لفيض الرحمة ان يلبسها ويلبس اهله واولاده واحبابه ومن يقبل نصحه ويلوذ بأشارته ويعتمد مشورته، ويرغبهم فيه، ويحثهم اليه، ويحرضهم عليه، وأخذ العهد عليهم بتقوى الله لهم.^(١٥٨)

وينقل العطاس ما ذكره احد الشيوخ عن أنواع الخرقة فيقول: " الخرقة من حيث رسوم الاحكام خرق ثلاثة، خرقة مجازية، وهي خرقة التأليف، وخرقة جوازية وهي خرقة التعريف، وخرقة إجازية، وهي خرقة التصريف فالخرقة المجازية للمحبين المتشبهين، وبها يتألفون مشاهد الطريق، والخرقة الجوازية للمريدين المتمسكين بها يتعارفون شواهد الهداية والتوفيق، والخرقة الاجازية لهداية الداعين وبها يتصرفون في معاهد احكام الفعل والعمل والتحقيق"، ويفسر تلك الأنواع ويجعلها في طبقات فيقول: "خرقة الطبقة الأولى لطلابها رعاية، وخرقة الطبقة الثانية لأصحابها هداية، وخرقة الطبقة الثالثة لاربابها ولاية"، ويضيف ان خرقة التشبه والتبرك لا بأس بها لكل أحد كالسلاطين والامراء

والتجار، أما خرقة الارادة فلا يتعاطاها الا من له ارادة صادقة، وهمة عالية، وصبر على المجاهدة، وخروج عن اوامر النفس وإختياراتها، والدخول في اوامر شيخه ونواهيه، فمن لبسها للتشبه والتحقق، فهو سابق^(١٥٩)، ومن لبسها للتشبه والتعلق، فهو لاحق^(١٦٠)، وإذا لبس مريد عن شيخ لبساً مطلقاً ساعَ له ان يلبسها غيره، وان لم يأذن له شيخه الا في لباسه، أما إذا اختار بعضهم تعين اخذ الاذن في الالباس، وكذلك إذا لبس من شيخ له طرق متعددة فله ان يلبس عنه بكل طريقه، وان لم يقتنر إلباسه بالاذن^(١٦١).

ثم بعد ذلك يأمر الشيخ المريد الداخل في عهده الذي البسه خرقة طريقته يأمر بالاستغفار، والتشهد، ثم يذكر اسم مذهبه، واسم طريقته، كما ذكرنا مسبقاً.

٢ - الذكر

إذا كان لبس الخرقة من خصائص الطرق الصوفية، الظاهرة، فان الذكر من ابرز مميزات تلك الخصائص لقوله تعالى: (أَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)^(١٦٢)، وقوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)^(١٦٣).

استند الصوفية على سند تلقينهم الذكر لمريديهم على سند تلقين الرسول صلى الله عليه وسلم " لا اله الا الله " جماعة وفرادى، واعتبروا الذكر من أهم الوسائل للوصول إلى الله تعالى، وفي ذلك يقول القشيري: "الذكر ركن قوي في طريق الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في طريق القوم، ولا يصل احد إلى الله الا بدوام الذكر"^(١٦٤)، وهو ركن قوي في طريق الوصول^(١٦٥)، والمراد منه: حضور القلب الذي ينبغي ان يكون هو مقصد الذاكر،^(١٦٦) والتخلص من الغفلة والنسيان،^(١٦٧) فيصف الشعراني الذكر: "...أنه إذا تمكن من القلب صار الشيطان يُصرع، إذا دنا من الذكر، كما يُصرع الانسان، إذا دنا من الشيطان"^(١٦٨).

ويذكر الجيلاني ان الذكر: " اعذب مورد وردته عطاش العقول" (١٦٩)،
بيد ان الشعراني يجعله سيف المريدين. (١٧٠)

وللذكر جانبان، احدهما سلبي يفرغ فيه القلب من كل هم فما زاد يتزود
به السالك لمكابدة الاهواء، ومجاهدة الشهوات، وما من وسيلة لتطهير القلوب
الا بالذكر، وذلك هو الجانب الثاني الروحي فيه وهو الجانب الايجابي، (١٧١)
ويذكر الإمام النووي عن مجاهد قوله: ان الذكر يكون في القلب، ويكون
باللسان، والافضل منه ما كان بالقلب واللسان معاً، إقتصر على احدهما،
فالقلب افضل، ولما كان الذكر مستحب في كل الاحوال والاوزاع، الا في
بعض الاحوال، فانه يكره الذكر في حالة الجلوس لقضاء الحاجة، وفي حالة
الخطبة لما يسمع صوت الخطيب، وكذلك في القيام في الصلاة، ولا يكره في
الطريق او في الحمام. (١٧٢)

أنواع الذكر

للذكر عدة أنواع وسنكتفي بذكرها بشكل مختصر على ما ذكرها

الشعراني وغيره هي:

١. الذكر المخصوص

٢. الذكر الظاهر

٣. الذكر الخفي

٤. ذكر السر

٥. الذكر الشامل

٦. الذكر الأكبر

٧. الذكر الارفع

٨. الذكر المرفوع

٩. الذكر الحقيقي (١٧٣).

أما ابن الدباغ فيجعل الذكر على ثلاثة اقسام: ذكر اللسان الذي يستمد من القلب، وذكر الخواص وهو ذكر القلب، وهو مناجاة الروح وشرطه ان لا يتحرك فيه اللسان، والثالث هو ذكر اليسر، وهو من مقامات الواصلين من خاصة الخاصة.^(١٧٤)

آداب الذكر

لخص الشعراي آداب الذكر فقال: " الاشياخ عددوا للذكر ألف أدب، ثم قالوا: ويجمع هذه الآداب كلها عشرون أدباً، خمسة منها، تنسيق الذكر، واثنا عشر حال الذكر، وثلاثة بعد الفراغ منه"^(١٧٥)، ومنها ظاهرة ومنها باطنة.^(١٧٦)

شروط الذكر

للذكر عند المتصوفة شروط يتعين العمل بها عند جمع الذكر والدعاء وهي: -

أولاً: ان يجد الوقت الكافي للذكر لا يلهيه عن عمله الاساسي كأن ينام عن الصلاة، او يتأقل فيها، او يفرط في الاوراد، او يضر بأهله إلى غير ذلك.

ثانياً: ان يخلو الذكر من محرم او مكروه يقترن به، كاستماع النساء او حضورهن، او حضور من يتقي في الاحداث او قصد طعام فيه شبهة ولو قلت، او فراش محرم، كالحرير، او ذكر مساوي الناس، او الاشتغال بالأراجيف وغيرها.

ثالثاً: إلتزام المريد بأدب الذكر من كونه شريعياً او في معناه بحيث يخلو من الرقص والصياح، من عمل المجانين، ويصح مع القيام والقعود، وتستحب السبحة في الذكر، فهي أعون على الذكر، وادعي للدوام، واجمع للفكر، أقرب للحضور، وأعظم للثواب.^(١٧٧)

٣- السماع

وهي الخاصية الثالثة من خصائص الطرق الصوفية، ويقصد به " استماع الاشعار بالنغم والموسيقى "، مع ضبط الايقاع وانشاد الشعر والمنظومات، أما الرقص والتمايل، فهي من اقسام السمع، وقد رأى أئمة المسلمين المجتهدين، التحرز من السماع، والاقبال منه، خوفاً من ان يؤدي إلى شرور النفس وفسادها،^(١٧٨) في حين يجعله ابو حنيفة النعمان من الذنوب، وينكره الإمام مالك، ويذهب إلى كراهيته، كما يجعله الشافعي مكروهاً للعوام ولا يلحقه بالمحرمات، أما احمد بن حنبل فهو ينهى عنه، من حيث الورع.^(١٧٩)

يرى القشيري: إن السماع مباح في الجملة إذا لم يقصد إلى محذور او مذموم او ينخرط في سلك اللهو،^(١٨٠) ويرى الهروي: في السماع أنه يتبع ما تعلق به ان كان خيراً فخير، وان شراً فشر، فإن كان المقصود بالسماع حب الله تعالى، والتبتل اليه، والازدياد من الايمان به والتحبب اليه، فأنعم به من سماع، وان كان السماع مثيراً للهوى موقظاً لغرائز النفس، ويراد به غير المقصود منه، فهو في مثل هذا المقام فتنة وحرام".^(١٨١)

ويذكر الطوسي: "ان أهم ما امتاز به الصوفية هو التحرز في السماع، وهم يكرهون السماع إذا تطرق الغرض منه إلى الفساد واللهو وترك الحدود ". ويتابع الطوسي آراء المتصوفة عن السماع فيقول: " وقوم كرهوا ذلك للمريدين القاصدين والتائبين لعظم ما فيه من الخطر، وان استلذوا ذلك وتابعوا... تنحل عند ذلك عقودهم، وتنفسخ عزيمتهم ويركنوا إلى شهواتهم..."^(١٨٢).

أما الإمام الغزالي فيقول عن السماع: "إن السماع قد يكون حراماً محضاً، وقد يكون مباحاً، وقد يكون مكروهاً، وقد يكون مستحباً..."، ويذكر أيضاً ان له آداب خاصة به.^(١٨٣)

ويقول العز بن عبد السلام أحد فقهاء القرن السابع الهجري البارزين
ان السماع ينقسم إلى ثلاثة اقسام:

١. منها ما هو حرام محض، وهو لمن غلبت عليهم شهواتهم من الشباب،
وامتلكهم حب الدنيا، وفسدت مقاصدهم.

٢. منها ما هو مباح لمن لاحظ التلذذ منه بالصوت الحسن لاستدعاء الفرح
والسرور، او تذكر غالباً فيروح عنه الحزن وذلك السماع.

٣. منها ما هو مندوب، وهو لمن غلب عليه حب الله تعالى والشرق اليه، فلا
يحرك السماع منه الا الصفات المحموده، وتضاعف شوقه إلى الله تعالى،
ومجمل القول: " ان من سمع فظهرت عليه صفات نفسه، وتذكر به
حظوظ دنياء فاستثار بسماعه وسواس هواه، فالسماع عليه حرام محض،
ومن سمع فظهر له ذكر ربه خوفه في ذنبه وذكر اخرته، فأتيح له الذكر
شوقاً إلى الله وحباً فيه، ورجاء لوعده وخوفاً من وعيده، فسماعه ذكر من
الانكار ما كتبوه في صحائف الابرار " (١٨٤).

على ان لا يفوتنا ان نذكر ان حلقات الذكر هذه تقام في مجالس
الذكر وتعد في الصوفية، حتى اصبح للتغني فن، الا ان أصحاب الطرق مثل
الشاذلي، والرفاعي، والدسوقي، انكروا السماع لاتباعهم، ومع ذلك نسبوا اليهم
السماع كذباً. (١٨٥)

آداب السماع

وضع الإمام الغزالي خمسة آداب للسماع وهي: -

١. مراعاة الزمان والمكان والاخوان، وذلك السماع يحتاج إلى ثلاثة اشياء، والا
فلا تسمع، حيث يراعي ان يكون القلب في حالة فراغ، وان يكون المكان
مناسباً، وان يحضره الجنس المناسب من الاخوان، متزهّد غير متكبر، فإذا
حضر مجلس السماع متكبر من اهل الدنيا، احتاج السامع إلى مراعاته
ومراقبته، أما إذا حضر متصوف من اهل المراءات والرقص، فسوف يكون

السماع مشوشاً، فيرى الإمام الغزالي متقناً مع الجُنيد البغدادي، ان ترك السماع في هذه الاحوال أولى.

٢. إذا نظر الشيخ إلى الحاضرين، ووجد أحد المريدين يضره السماع لأنه لم يدرك في الطريق الا ظاهر الاعمال، فالأولى ان لا يسمع ويشغل بذكر الله او في خدمته، أفضل.

٣. الذي يكون قد انكسرت شهوته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله.

٤. ان يكون مصغياً لما يقوله القائل، حاصر القلب، قليل الالتفات إلى الجوانب، متحرزاً عن النظر إلى وجوه المستحقين.

٥. ان لا يرفع صوته بالبكاء، وان يكون قادراً على ضبط نفسه، ولكن إذا رقص او تباكي ولم يقصد بذلك المراءاة.

٦. ومن آداب الصحبة موافقة القوم في القيام، فإذا قام واحد منهم من غير رياء وتكلف، وقامت الجماعة فلا بد من الموافقة. (١٨٦)

٤ - الموالد

كان انتشار الموالد من أهم ما ترتب عليه قيام الطرق الصوفية في مصر، وهذه الموالد تقام للاحتفال بذكرى ولادة شيوخ الطرق الصوفية، وأولياء الله الصالحين، (١٨٧) فمن الواضح أنها سميت بهذا الاسم بسبب ذلك، وأصل عمل الموالد هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الاخبار الواردة في مبدأ امر النبي صلى الله عليه وسلم، وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمد سماًط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك، وكل ما زاد على ذلك فهو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيها من تعظيم لقدر النبي صلى الله عليه وسلم وازهار الفرح والاستبشار بمولده، واول من احدث ذلك احد الملوك الامجاد والاكابر الاجواد صاحب اربل الملك المظفر ابو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين، وكان له اثار حسنة على

حد قول السيوطي، وهو الذي عمّر الجامع المظفري^(١٨٨) الذي عرف باسمه بسفح قوسيون.

واذا كانت هذه الموالد تقام لأحياء ذكرى رجالات التصوف فهي تجديد وتدعيم للقيم الإسلامية والروحية لكنها تعد ورقة رابحة في أيدي علماء التصوف، لعل ذلك يرجع إلى العيب في طرق اعدادها وتنظيمها لتكون كذلك، وواجب مشايخ الطرق الصوفية في مصر ان يعملوا على تطهير تلك الموالد مما يشوبها، او من الذين يشوهون صورة الطريق لها، لدرجة ان بعض المصريين يعدون الطرق الصوفية هي موالد، وخرق، وعمامات حمراء او خضراء، او سوداء، وشعور طويلة، او حركات قبض على الثعابين، وطبول ورقص وغناء، لعل مما ساعد على انتشار هذه الموالد هو الاعتقاد بكرامات أولئك الشيوخ أصحاب تلك الطريقة، وما روجوه عنهم ممن كُتِبَ عن الصوفية^(١٨٩).

المصادر

- (١) ينظر: الخليل بن احمد، العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص ٤٢٢-٤٢٣؛ ابن منظور، لسان العرب، مج ٤، ص ٢٥٢٨.
- (٢) هو خلو القلب من التعلق بغير الرب، وانصراف الرغبة من الشيء، وان الزهد الممدوح هو ترك الفضول الذي لا تدعوا اليه الحاجة، والمهمات الضرورية سبعة المطعم، والمأكّل، والملبس، والمسكن، واثاث البيت، المنكح، المال والجاه. للمزيد ينظر: ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، التبصرة، تح: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار السلام، القاهرة، ٢٠١٢، ج ٢، ص ٨٢١-٨٢٣؛ ابن عجيبة، احمد بن عبدالله الحسني (ت ١٢٢٤هـ / ١٨٤٦م)، مصطلحات التصوف، تقديم: عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٥.
- (٣) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٩٠.
- (٤) الفيومي، ابو العباس احمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، شركة القدس للتصدير، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٣٤٣.
- (٥) الجرجاني، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي السيد الزين الحسيني (ت ٨٢٦هـ / ١٤٣١م)، التعريفات، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٤٤؛ فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى ايام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٤٧٠.
- (٦) ينظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٤٤؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مطبعة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج ٣، ص ٢٢٠.
- (٧) ابو القاسم النيسابوري الشافعي، الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٦.
- (٨) ابو نصر عبد بن علي السراج، اللمع في التصوف، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٤١؛ محمد بن القاسم بن محمد الاسكندراني، الامام بالأعلام، تح: عزيز سوريال عطية، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، القاهرة، ١٩٧٠م، حيدر اباد الدكن، الهند، ج ٤، ص ٥٧.
- (٩) الخلوة هي العزلة للعبادة والابتعاد عن الناس والتقرب إلى الله تعالى، وهي احدى المستلزمات الروحية التي يؤديها المرید ويهتم بها مشايخ الطريقة لتربية النفوس وتزكية القلوب لمريديهم. للمزيد ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٨٥؛ الطبرسي، ابو الفضل علي بن رضي الدين من علماء القرن السادس الهجري، مشكاة الانوار في غرر الاخبار، تح: مهدي هوشمند، دار الحديث الثقافية، طهران، د.ت، ص ٤٤٩.
- (١٠) المقدمة، ص ٤٩٠.
- (١١) ابو محفوظ معروف بن فيروزان، ويقال معروف بن علي، كان زاهداً ورعاً وهو من موالى الإمام الرضا عليه السلام، كان نصرانياً أسلم على يديه وظل ملازماً له حتى وفاته. للمزيد ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج ٥، ص ٤٢٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٠٣.
- (١٢) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٣٦؛ امين، احمد، ظهر الاسلام، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢م، ج ١، ص ٨٤٤.
- (١٣) ابو بكر محمد بن اسحاق الصوفي من اهل كلاباذ، وهي محلة ببخارى فيما وراء النهر، والنسبة اليها كلاباذي، وهو صاحب كتاب التعرف لمذهب اهل التصوف. للمزيد ينظر: ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج ٣، ص ١٢٢.

(١٤) عبد الرحمن بن عطية من اهل داريا وهي احدى قرى دمشق العامة كان عالماً ورعاً روى الحديث المسند. للمزيد ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص ٧٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، مج ٣، ص ١٣١.

(١٥) التعرف لمذهب اهل التصوف، ص ٥.

(١٦) ابو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطار، اصله من مرو كان عالماً ورعاً ومن اقواله الدعاء ترك الذنوب سكن بغداد ومات بها. للمزيد عنه ينظر: السلمي، ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين (ت ٤١٢هـ / ١٠٢١م)، طبقات الصوفية، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٤٣-٤٤؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج ١١، ص ١٢٢-١٢٣.

(١٧) التعرف لمذهب اهل التصوف، ص ١٣.

(١٨) حسين، عبد الله، التصوف والمتصوفة، مؤسسة هندايي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م، ص ١٦.

(١٩) ابن منظور، لسان العرب، مج ٤، ص ٢٤٦٨.

(٢٠) التعرف لمذهب اهل التصوف، ص ٣٠-٣٥.

(٢١) حسن، تاريخ الاسلام، مج ٣، ص ٢٢٠.

(٢٢) ابو الفيض ثوبان بن ابراهيم، وقيل: ذو النون هو لقب هو احد اعلام التصوف كان ابوه نوبياً ومولى القريش، وابو الفيض عالماً ورعاً تقياً حدث وحديثه مسند توفي سنة (٢٤٥هـ / ٨٥٩م). للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٣٨٣؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٧م، ج ١، ص ٥١١-٥١٢.

(٢٣) السلمي، طبقات الصوفية، ص ٢٩.

(٢٤) ابو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، وعرف بالخزار والقواريري لأن ابوه كان يبيع القوارير، اصله من نهاوند ومولده ونشأته في العراق تفقه على ابي ثور الاسد المحاسبي وغيرهم. للمزيد ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص ١٢٩؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايمار (ت ٨٧٤هـ / ١٣٤٧م)، دول الاسلام، تح: حسن اسماعيل محمود والارناؤوط، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٨١.

(٢٥) الكلاباذي، التعرف لمذهب اهل التصوف، ص ٣٧.

(٢٦) سري بن المغلس السقطي وكنيته ابو الحسن، وهو أول من تكلم ببغداد بلسان التوحيد وحقائق الاحوال، وهو امام البغداديين في وقته. للمزيد ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص ٥١-٥٨؛ ابو نعيم الاصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ / ١٠٤١م)، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، دار الفكر الاسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ١٠، ص ١١٦؛ ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، صفة الصفوة، تح: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٤٤٥-٤٥١.

(٢٧) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٥٢؛ حسن، تاريخ الاسلام، مج ٣، ص ٢٢٢.

(٢٨) العالم الصوفي ابو حفص عمر بن محمد بن عبد الله التيمي البكري ونسبته إلى سهرورد احدى القرى القريبة من زنجان في بلاد فارس كتب الكثير من المؤلفات في التصوف. للمزيد ينظر: ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج ٢، ص ١٥٧-١٥٨؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ١، ص ٣٤٢.

(٢٩) السهروردي، شهاب الدين ابي حفص عمر بن محمد (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٣م)، عوارف المعارف، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، دت، ص ٦٥-٦٦.

- (٣٠) مبارك، زكي، التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ١٩٣٨م، ج٢، ص٢١؛ محمد العبدية وطارق عبد الحليم، الصوفية ونشأتها وتطورها، دار الارقم، ط٢، الكويت، ١٩٩٧م، ص٧.
- (٣١) ينظر: الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص١٧٤؛ التهانوي، محمد بن علي (ت ١١٥٨هـ/ ١٧٨٠م)، كشف اصطلاحات الفنون، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج١، ص٤٥٦-٤٥٨.
- (٣٢) الجيلاني، السفينة القادرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٧.
- (٣٣) السهرودي، عوارف المعارف، ج٢، ص٥٦.
- (٣٤) ينظر: ابو نعيم الاصفهاني، ص٣٣٧، ص٣٤٧.
- (٣٥) السفينة القادرية، ص١٥.
- (٣٦) حسن، تاريخ الإسلام، مج٣، ص٢٢٢.
- (٣٧) التفتازاني، مدخل إلى النصوص الإسلامي، ص١٦.
- (٣٨) الطبقات الكبرى، ج١، ص٤.
- (٣٩) زروق، قواعد التصوف، ص٣٣.
- (٤٠) المقدمة، ص٣٩٩.
- (٤١) مج٣، ص٢٢٢.
- (٤٢) القشيري، الرسالة القشيرية، ص١٥٢.
- (٤٣) رويم بن احمد بن محمد بن رويم بن يزيد فقيهاً عالماً بالقرآن ومعانيه تفقه على داود بن علي، قال عنه جعفر الخلدی: كتم رويم حب الدنيا اربعين سنة. للمزيد ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢، ص١٦٣؛ المناوي، زين الدين محمد بن عبد الرؤوف، (٩٥٢هـ/ ١٠٣١م) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تح: محمد اديب الجادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ج٢، ص٩٥-٩٦.
- (٤٤) القشيري، الرسالة القشيرية، ص٦٥٢؛ السهروردي، عوارف المعارف، ج٢، ص٦٥.
- (٤٥) احمد بن محمد النوري احد اشهر المتصوفة في وقته قرأ القرآن في صغره والزمه ابوه العمل معه في دكانه، فكان يدرس ويعمل ويسأل ما لا يعلمه لقربه من اهل العلم، كان حسن المعاملة واللسان توفي (٢٩٥هـ/ ١١٦٥م). للمزيد ينظر: ابن ظفر، ابي هشام محمد بن محمد الملكي (ت ٥٦٧هـ/ ١١٦٥م)، ابناء نجباء الابرار، مطبعة التقدم، القاهرة، د.ت، ص١٥٦-١٥٨؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص٤٧٥.
- (٤٦) عوارف المعارف، ص٦١.
- (٤٧) السهروردي، عوارف المعارف، ص٢٦.
- (٤٨) اللمع في التصوف، ص٢٨.
- (٤٩) السهروردي، عوارف المعارف، ص٦٢.
- (٥٠) ابو حامد محمد بن محمد بن محمد حجة الاسلام ولد في مدينة طوس في خراسان وكان والده يشتغل بغزل الصوف وسمى الغزالي لذلك، درس العلم والجدل والفلسفة والمنطق، وأخذ علم الكلام عن شيوخ كبار وطالع كتب كثيرة، وألف المصنفات العديدة في التصوف وغيره. للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص٢١٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٦، ص٢١٣.
- (٥١) الغزالي، احياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٣٣.
- (٥٢) ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن البصري إمام اهل البصرة كان عالماً جامعاً رفيعاً عابداً ناسكاً له الكثير من الطلبة. للمزيد ينظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) الطبقات الكبير، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م، ج٩، ص١٥٧-١٨٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٧٩.

(٥٣) أم الخير رابعة بنت إسماعيل البصرية كانت من النساء المتعبدات الصوفيات، وكانت مولاة لآل عتيك وكانت تصلي الليل والنهار، ومن وصاياها اکتمو حسناتکم كما تکتُمون سيئاتکم توفيت ودفنت بظاهر القدس. للمزيد ينظر: السلمي، ذکر النسوة المتعبدات الصوفيات، تح: محمد محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢٧؛ ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر ت(٨٠٤هـ/١٤٠٧م)؛ طبقات الأولياء، تح: نور الدين شريعة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤٠٨.

(٥٤) الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٩٥؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٢٢١.

(٥٥) التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، ص ١٧؛ عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الاسلامي، ص ١٦٧.

(٥٦) عيسى عبد القادر بن عبد الله بن قاسم الشاذلي (ت ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، حقائق عن التصوف، د. مط، دمشق، ٢٠٠١م، ص ٢١؛ حلمي، محمد مصطفى، الحياة الروحية في الاسلام، ص ١٥.

(٥٧) مفرد مجاهدات: وهي فطم النفس عن المألوفات، والبعد عن الخواطر الشيطانية وتجنب شهوات النفس، وقال بعضهم ان مرجعها إلى ثلاث: لا تأکل الا عند الفاقة، ولا تنام الا عند الغلبة، ولا تتکلم الا عند الضرورة ونهايتها المشاهدة، فلا مجاهدة بعدها. للمزيد ينظر: ابن عجيبة، مصطلحات التصوف، ص ١١؛ الشرقاوي، حسن، معجم الفاظ الصوفية، مؤسسة مختار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٦٣.

(٥٨) ابن خلدون المقدمة، ص ٤٩٠.

(٥٩) عيسى، حقائق عن التصوف، ص ٢٢.

(٦٠) المقدمة، ص ٤٩٠.

(٦١) أول من ابتدأت على يده نشأة التصوف في الكوفة لم يعرف الكثير عن حياته. ماسينيون، التصوف، ص ٣٤؛ عيسى، حقائق عن التصوف، ص ٢٢.

(٦٢) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٢٢١؛ عيسى، حقائق عن التصوف، ص ٢٤.

(٦٣) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٤٣؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، مج، ص ٤١٤.

(٦٤) ينظر: ما قاله الدكتور حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام، مج ٣، ص ٢٢٢.

(٦٥) التفتازاني، مدخل إلى التصوف، ص ١٧.

(٦٦) المقدمة، ص ٣٢٩.

(٦٧) جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي عالم عربي، برع في علوم الكيمياء والهندسة والفلك والفلسفة والطب والصيدلة توفي في الكوفة وعمره خمسة وتسعين عاماً. للمزيد ينظر: القفطي، اخبار العلماء باخبار الحكماء، ص ١٢٤؛ الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٠٣-١٠٤.

(٦٨) أبو عبد الله الحارث بن اسد من العلماء المشايخ في العلوم والاشارات من اهل البصرة وله العديد من المؤلفات والتصانيف توفي ببغداد. للمزيد ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص ٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١، ص ٣٠٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ١٩٨.

(٦٩) أبو عثمان عمرو بن بحر البصري من متكلمي المعتزلة له العديد من التصانيف سمي بالجاحظ لجحوظ عينيه. للمزيد ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢، ص ٩٣-٩٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢١٣.

(٧٠) هي صفة إحدى مراتب التصوف، والملازمة هي من لا يبالي بالناس فلا يظهر خيراً ولا يضر شراً، ويقال: ان الفقر والملازمة والتقريب هي مراتب في التصوف. للمزيد ينظر: ابن عجيبة، مصطلحات التصوف، ص ٣٤.

(٧١) ماسينيون، وعبد الرزاق مصطفى، التصوف، ترجمة، لجنة دائرة المعارف الاسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٢٦-٢٧.

(٧٢) أبو عبد الله الحسين بن منصور ولقبه الحلاج اختلف في شخصه وامر ولادته وامره فقد كان المؤرخون يظهره كل مرة مع طائفة وهو على مذهب كل قوم سواء كان سنة او شيعة او

متعزلة او صوفية دون ان يفهموا نظرتهم الفلسفة، له العديد من المؤلفات اشهرها الطواسين. للمزيد ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٣٣-٨٤٢.

(٧٣) التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، ص١٨.

(٧٤) جمع كلمة خانقاه، وهي لفظة فارسية معربة بمعنى البيت، وهو المكان الذي يتخذه الزهاد الصوفية مكاناً لاداء اذكارهم، ولم تعرف هذه الاماكن قبل الدولة الايوبية، وكان المبتكر لها صلاح الدين الايوبي. للمزيد عنها ينظر: الفلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤٢١م)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م، ج٣، ص٣٦٨؛ المقرئزي، ابو العباس احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، الخطط المقرئزية، تح: محمد زينهم محمد عزب ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٢٣.

(٧٥) ماسينيون، التصوف، ص٣٢.

(٧٦) جمع كلمة مريد، وهو الطالب الذي يدخل تحت تربية احد الشيوخ ويكون لا ارادة له دون مولاه وهو الشيخ. للمزيد ينظر: ابن عجيبة، مصطلحات الصوفية، ص١٠؛ ص٣٤-٣٥؛ قاسم غني، تاريخ التصوف في الاسلام، ص٦٤٩-٦٥٠.

(٧٧) التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، ص١٨.

(٧٨) الباطنية: كلمة مأخوذة من كلمة بطن بمعنى ما خفي وجمعها بواطن، وهي كل داخل والباطنية فرقة دينية تقول ان النصوص الدينية لها معنيان احدهما ظاهر يفهمه الناس بواسطة اللغة ومعرفة اساليب الكلام، والثاني باطن لا يدركه الا اللذين إختصهم الله بهذه المعرفة، وقد اختلف المؤرخون في تحديد زمن ظهور مذهبهم، ومن اصولهم عدم نشر عقائدهم وأفكارهم. للمزيد ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص١٠٨٧-١٠٨٨؛ محمد عمار، الوسيط في المذاهب والمصطلحات الاسلامية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٩٨.

(٧٩) الغزالي، المنقذ من الضلال، ص١٣١-١٣٢؛ ابو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة، تقديم: مصطفى السباعي ومصطفى الخن، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٧م، ص٢٤١.

(٨٠) المنقذ من الضلال، ص١٥١-١٥٣؛ الندوي، رجال الفكر والدعوة، ص٢٤٣.

(٨١) ابو يزيد احد اشهر المتصوفة في القرن الثالث الهجرية عرفت طريقته بالبسطامية وتميزت بالشطح. للمزيد ينظر: البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة ويليها كتاب الشطح، تقديم: محمد عباس، مؤسسة المدى، سوريا، ٢٠٠٤م، ص٤٥.

(٨٢) التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، ص١٨؛ النجار الطرق الصوفية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط٥، د٢، ص٨٠.

(٨٣) بدر، قراءات في التصوف الاسلامي، ص١٠.

(٨٤) هو عبارة عن تكتيف الاشياء ظاهراً، والمعنى عبارة عن تلطيفها باطناً فحس الكائنات اواني حاملة للمعاني، قال القشيري: لا تنتظر إلى الاواني، وخض بحر المعاني لعلك تراني فمثال الكون ظاهره كالتلج وباطنه كالماء، كذلك الكون ظاهرة حس وباطنه معنى، فلا قيام للحس بدون معاني ولا ظهور للمعاني بلا حس. للمزيد ينظر: ابن عجيبة، مصطلحات التصوف، ص٢٤.

(٨٥) وهي تمرين النفس على قبول الصدق وهي على ثلاث درجات اولها: رياضة العامة، وهي تهذيب الاخلاق بالعمل، ورياضة الخاصة وهي حسم التفرق، ورياضة خاصة الخاصة وهي تجريد الشهوة، وهي عند اهل التصوف الخروج عن طبع النفس وتهذيب الأخلاق. للمزيد ينظر: الهروي، عبد الله الانصاري (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٩م)، منازل السائرين، تح: علي فاعوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٢٣؛ جمعة، علي، سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق الفنية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٧٧.

(٨٦) فرقة دينية تؤمن بإمامه إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر (عليهم السلام) ولا تزال فرقهم منتشرة في انحاء العالم الاسلامي. للمزيد ينظر: المقرئزي، مذاهب اهل مصر وعقائدهم، ص ١٠٠؛ عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٣٦.

(٨٧) احد مراتب الصوفية التي يترقى فيها الصوفي من مرتبة إلى أخرى ليصل إلى درجة الفناء، وكلما قبض منهم واحد خلفه غيره وهذه المراتب هي النقباء والنجباء والبلاء والاختيار والعُمد والقطب والغوث والسياحون ثم فصلهم ابو طالب المكي إلى القطب والاولاد والابيدال ثم وضع الهجويري تفصيلات جديدة هم الاختيار والابيدال والاولاد ثم النقباء والقطب والغوث. للمزيد ينظر: ابو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية (ت ٣٨٦هـ/٩٩٨م)، قوت القلوب، ج ٢، ص ٧٨؛ الهجويري، كشف المحجوب، ص ٤٤٧-٤٤٨.

(٨٨) شهاب الدين عمر (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٣م) ستنحدث عنه وعن طريقته بالتفصيل لاحقاً.

(٨٩) ابو بكر محمد بن علي بن احمد الطائي الحاتمي ولد في مرسية جنوب الاندلس وقرأ القرآن وطلب العلم والتقى بالفيلسوف ابن رشد وانتقل في البلاد وأخذ عن مشايخها واستقر في الشام وتوفي بها. للمزيد ينظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٧٩؛ المقرئزي، المقفى الكبير، ج ٦، ص ٣٤٨؛ جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، المكتبة المغربية، بيروت، دت، ص ٢٩١ الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٩٠) ابو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي احد اشهر الشعراء المتصوفين كانت اشعاره كلها في العشق الالهي منها جاءت تسميته ولد بمصر واشتغل بالفقه الشافعي اتجه إلى طريق التصوف واعتزل خمسة عشر عاماً وكانت هذه العزلة هي منبع اشعاره. للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ٤٥٤؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٢١٤-٢١٥.

(٩١) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ويلقب بقطب الدين في المشرق ومسقط رأسه بمرسية في الاندلس اتجه نحو التصوف الف العديد من المؤلفات في التصوف وكانت له طريقة خاصة في الكتابة. للمزيد ينظر: المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ج ٢، ص ١٠٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٥٧٣.

(٩٢) التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، ص ٢٠؛ منصور، احمد صبحي، العقائد الدينية في مصر المملوكية في الاسلام والتصوف، ص ٣٧.

(٩٣) هي سير العبد في طريقه على منازل ومقامات علمها الله بعلمه وخصها بارادته، ومنهم من اجملها بثلاث وهي حسب ترقى السالك للطريقة هي الملك والملوك والجبروت، ويقابلها في اركان الدين الاسلام والايمان والاحسان ويقول الكلاباذي: عن المقامات لكل مقام بدء ونهاية وبينهما احوال متفاوتة ولكل مقام علم والى كل حال اشارة، ومع كل مقام اثبات ونفي. للمزيد ينظر: التعرف لمذهب اهل التصوف، ص ١٤؛ ابن عربي، شطرنج العارفين، رسالة شرح محمد بن الهاشمي بن عبد الرحمن التلمساني الدمشقي، مطبعة بيروت، دت، ص ١١؛ ابن عجيبة مصطلحات التصوف، ص ٣٠.

(٩٤) المنوفي، المدخل إلى التصوف، ص ٦١.

(٩٥) الشرنوبلي، احمد عرب، تائيه السلوك إلى ملك الملوك، مكتبة القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٩٥.

(٩٦) الطريق هي مراسم الحق المشروعة التي لا رخصة فيه، ولا طريق الا الله وما شرعه، ولا يقتدى بشيخ لا أدب له، وان كان صادقاً، فالطريق المطروقة هي الشريعة، فمن سار في هذا الطريق، وصل إلى الحقيقة، وما ثم حقيقة تخالف الشريعة لأن الشريعة من جملة الحقائق، فهي حقيقة لكنها تسمى شريعة فعين الشريعة هي عين الحقيقة. للمزيد ينظر: ابن عربي، شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس، جمع وتأليف: محمود الغراب، ط ٢، دار الايمان، دمشق، ١٩٩٤م، ص ١٣؛ ابن عجيبة مصطلحات التصوف، ص ٣٠.

(٩٧) القشيرية، ص ٩٠؛ الجيلاني، الغنية، ص ٢٧٧.

- (٩٨) العلمي، المفيد في ادب المعيد، ص ٤٤.
- (٩٩) عوارف المعارف، ص ٧٠؛ النجار، الطرق الصوفية، ص ٢٤.
- (١٠٠) المنوفي في بداية الطريق، ص ٦٩.
- (١٠١) السهروردي، عوارف المعارف، ص ٢٥٣.
- (١٠٢) التادفي، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٣٠٣هـ.
- ص ١٧؛ الجيلاني، فتوح الغيب، ص ١٩٠؛ زيدان، الطريق الصوفي، ص ٤٧.
- (١٠٣) عيسى، عبده غالب احمد، مفهوم التصوف، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٤.
- (١٠٤) تائية السلوك إلى ملك الملوك، ص ١٠٠.
- (١٠٥) الجيلاني، آداب السلوك، تح: محمد غسان عزقول ومحمد زكريا الزعيم، دار السنابل، دمشق، ١٩٩٥م، ص ٥٥.
- (١٠٦) الكيلاني، الشيخ عبد القادر الإمام الزاهد القدوة، ص ١٨٩-٢٢٩.
- (١٠٧) الشعراني، الانوار القدسية، ص ٣٤؛ محمود، ابو العباس المرسى، ص ١٨.
- (١٠٨) الجيلاني، الفتح الرباني، ص ١٦٠-١٦١.
- (١٠٩) ضياء الدين احمد بن مصطفى بن عبد الرحمن النقشبندي ت (١٣١١هـ / ١٩٢٣م) جامع الاصول في الأولياء، تح: احمد فريد المزيدي، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م، ص ٥٣-٥٤.
- (١١٠) الجيلاني، الغنية، ج ٣، ص ١٢٨٩-١٢٩٠؛ القادر، الكنوز الربانية، ص ٦٠.
- (١١١) الجيلاني، الوصية، ديوان عبد القادر الجيلاني؛ السهروردي، عوارف المعارف، ج ٢، ص ٢٢٠.
- (١١٢) الجيلاني، الغنية، ج ٣، ص ١٢٩٠.
- (١١٣) الجيلاني، آداب السلوك، ص ١٣٠.
- (١١٤) الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى ابن محمود (ت ١٠٩١هـ / ١٦٩٨م) احوال السالكين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٤١-٤٢.
- (١١٥) الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، ص ٢٢.
- (١١٦) الشطنوفي، بهجة الاسرار، ص ٩٩.
- (١١٧) الجامي، احمد فتح الله، سوانح قلبية، دار الغزالي للطباعة والنشر، سوريا، مج ٢، ص ٢٧٦.
- (١١٨) سورة التوبة، الآية: ١١٩.
- (١١٩) التادفي، قلائد الجواهر، ص ١٨-٢٠.
- (١٢٠) الشعراني، الانوار القدسية، ص ٣٤؛ محمود، السيد البدوي، ص ١٨.
- (١٢١) ينظر: الجيلاني، الغنية، ج ٣، ص ١٢٨٨-١٢٨٩.
- (١٢٢) الغزالي، احياء علوم الدين، ج ٢، ص ٥٣؛ التفقازاني، مدخل إلى التصوف، ص ١٧٠.
- (١٢٣) السهروردي، عوارف المعارف، ص ١٩٨.
- (١٢٤) الشعراني، الانوار القدسية، ص ٣٤.
- (١٢٥) العطاس، ظهور الحقائق، ص ٢٩.
- (١٢٦) الجيلاني، الغنية، ص ٢٧١؛ النجار، الطرق الصوفية، ص ٢٦.
- (١٢٧) سورة النور، الآية: ٣١.
- (١٢٨) الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، ص ٢٩-٣٠.
- (١٢٩) الكلاباذي، التعرف لمذاهب اهل التصوف، ص ٦٤.
- (١٣٠) الجيلاني، الغنية، ص ٢٧١؛ محمود، السيد البدوي، ص ١٨.
- (١٣١) الجيلاني، الغنية، ص ٢٧١؛ النجار، الطرق الصوفية، ص ٦٤.
- (١٣٢) سورة النحل: الآية: ٩٢.

- (١٣٣) الجيلاني، الغنية، ص ٢٧١؛ النجار، الطرق الصوفية، ص ٢٦.
- (١٣٤) الشعراني، عبد الوهاب، الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الاسرار والعلوم، تح: شريف مصطفى الحنفي، دار جوا من الكلم، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٦ من مقدمة المحق.
- (١٣٥) ابن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، مركز التراث الثقافي، الدار البيضاء، تح: عبد المجيد خيالي، دت، ص ٢٨-٣٠.
- (١٣٦) الشرنوبلي، تائبة السلوك إلى ملك الملوك، مكتبة الازهر الشريف، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ص ١١.
- (١٣٧) الانوار القدسية، ص ١٢٣-١٢٤؛ ينظر: عبد الوهاب الشعراني، الانوار في صحبة الاخيار، مكتبة ابو ايوب الانصاري، دمشق، ٢٠٠٧م.
- (١٣٨) الشعراني، البحر المورد في الموائيق والعهود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٦.
- (١٣٩) عوارف المعارف، ص ٢٠٢.
- (١٤٠) ابو طالب المكي، قوت القلوب، ص ١٩٤.
- (١٤١) الشافعي، احمد بن محمد بن عباد المحلي (ت بعد ١١٥٣هـ/١٧٧٥م)، المكتبة الازهرية، القاهرة، دت، ص ٦٧؛ الشاذلي، المفاخر العلية، ص ٧٧؛ زيدان، الطريق الصوفي، ص ٥٢.
- (١٤٢) الجيلاني، الغنية، ج ٣، ص ١٢٨١.
- (١٤٣) الجيلاني، الفتح الرباني، ص ٢٣٤، ٢٣٦.
- (١٤٤) الرسالة القشيرية، ص ٧٤٣.
- (١٤٥) سورة الفتح، الآية: ١٠.
- (١٤٦) العطاس، ظهور الحقائق، ص ٤٦؛ النجار، الطرق الصوفية، ص ٢٩.
- (١٤٧) العطاس، ظهور الحقائق، ص ٤٠.
- (١٤٨) اللباس او الطاقية التي يقوم باللباسها شيخ الخانقاه إلى المريد لجعله اصلاً في طريقته او تبعاً لها وفي لبس الخرقة فلسفة معينة، فهي ترمي إلى الانسلاخ عن الارادة الذاتية والدخول في ارادة الشيخ، كما ان لهذه الخرقة مسميات منها خرقة القطبية او خرقة الولاء للشيخ صاحب الطريقة. للمزيد ينظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٢٤٤؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٩١؛ متز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب: محمد عبد الهادي ابو ريده، دار الكتاب العربي، بيروت، مج ٢، ص ٣١.
- (١٤٩) هي الحضور بمعنى القرب المقرون بعلم اليقين وحقائق حق اليقين. للمزيد ينظر: الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٢١؛ التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، ص ٢٣٨.
- (١٥٠) الكمشخاوي، جامع الاصول في الأولياء، ص ٦١-٦٢؛ التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، ص ٦٩؛ النجار، الطرق الصوفية في مصر، ص ٢٠.
- (١٥١) الجرجاني، التعريفات، ص ١٤١؛ النجار، الطرق الصوفية في مصر، ص ١٨.
- (١٥٢) أما الطريقة عند اهل الحقيقة هي عبارة عن مراسم الله تعالى واحكامه التكليفية التي لارخصة فيها، وهي المختصة بالسالكين إلى الله تعالى، فالطريق هو موضع الذهاب، والعلم يسمى شريعة، والعمل بالعلم يسمى طريقة، واول الطريق المسير مع التعب ونهايته الفوز بكل مطلب. للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٢٢١؛ العطاس، ظهور الحقائق، ص ١٧-١٨.
- (١٥٣) كشف المحجوب، ص ٢٤٥.
- (١٥٤) العطاس، ظهور الحقائق، ص ٢٢.
- (١٥٥) رواه الحاكم المستدرک عن ابي إمامة في شرح الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٠٧.
- (٤) عوارف المعارف، ص ٧٥؛ العطاس، ظهور الحقائق، ص ٢٢.
- (١٥٦) كشف المحجوب، ص ٢٤١-٢٤٥.

- (١٥٧) العطاس، ظهور الحقائق، ص ٢٤-٢٥.
- (١٥٨) السابق: هو الذي أسقط مراده بمراد الله فيه، وقبل السابق يعبد على الهيبة، ولا ينسى ربه، ويتلذذ بالبلاء، وهذا هو حال الصوفي. للمزيد ينظر: الحنفي، عبد المنعم، معجم مصطلحات الصوفية، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٢٥.
- (١٥٩) اللاحق: لم نعثر للكلمة على تفسير فيما اطلعنا عليه من مصادر التصوف.
- (١٦٠) العطاس، ظهور الحقائق، ص ٢٦-٢٨.
- (١٦١) العطاس، ظهور الحقائق، ص ٤٠؛ النجار، الطرق الصوفية، ص ٣١.
- (١٦٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٢.
- (١٦٣)
- (١٦٤) الرسالة القشيرية، ص ٢١٢؛ النجار، الطرق الصوفية، ص ٣٤.
- (١٦٥) ابن عجيبة، مصطلحات التصوف، ص ١٣؛ الطبرسي، مشكاة الانوار، ص ١١١.
- (١٦٦) النووي، محي الدين يحيى بن شرف الدين بن مري الخزامي الدمشقي (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، الاذكار، تح: عامر بن علي ياسين، مكتبة ابن خزيمة، الرياض، ٢٠٠١م، ص ٦١.
- (١٦٧) ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح في تهذيب النفوس، المطبعة المحمودية، القاهرة، دت، ص ٣.
- (١٦٨) الانوار القدسية، ص ١٢٥.
- (١٦٩) بهجة الاسرار، ص ٢٤٢.
- (١٧٠) الانوار القدسية، ص ٣٥.
- (١٧١) الطبرسي، مشكاة الانوار، ص ١١١؛ عبد المنعم صبحي، الفلسفة الاخلاقية في الاسلام، ص ٢٥٣.
- (١٧٢) النووي، الاذكار، ص ٤٧.
- (١٧٣) الشعرائي، موازين القاصرين، ص ٢٣.
- (١٧٤) عبد الرحمن بن محمد الانصاري، مشارق انوار القلوب ومفاتيح اسرار الغيوب، تح: ريختر، دار صادر، بيروت، دت، ص ٨٢-٨٣.
- (١٧٥) الانوار المقدسية، ص ٢٣٦؛ زروق، قواعد التصوف، ص ١٦٣.
- (١٧٦) ابن عطاء الله، مفتاح الفلاح، ص ١٧.
- (١٧٧) زروق، قواعد التصوف، ص ١٧١؛ وعدة المرید الصادق، ص ٦٥.
- (١٧٨) العتيبي، خالد بن ناصر، الطريقة الشاذلية، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، ٢٠١١م، ص ٢٥٣.
- (١٧٩) الاربلي، عبد القادر، حجة الذاكرين ورد المنكرين، مطبعة الاسكندرية، ١٢٩٦هـ، ص ٥.
- (١٨٠) الرسالة القشيرية، ص ٥٣.
- (١٨١) التمكن في شرح منازل السائرين، ص ٥٠.
- (١٨٢) اللمع، ص ٢٧٣-٢٧٦.
- (١٨٣) احياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٩٩.
- (١٨٤) العز بن عبد السلام، بين الشريعة والحقيقة، ص ٢٨-٢٩.
- (١٨٥) التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، ص ١١٩.
- (١٨٦) الغزالي، احياء علوم الدين، ج ٦، ص ١٩٩.
- (١٨٧) النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ص ٣١٠؛ النجار، الطرق الصوفية في مصر، ص ٤٨.
- (١٨٨) وهما أول جامع من جوامع الايوبيين بدمشق يقع بصالحية دمشق وسمي بهذا الاسم نسبة إلى السلطان الذي بناه وهي اقدم تسمية للجامع عرفها المؤرخون، كما عرف بجامع الحنابلة وقد بناه الشيخ محمد بن احمد بن قدامة المقدسي سنة (٥٨٩هـ/١٢١١م). للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٧١٦؛ ابن عبد الهادي، يوسف بن محمد بن قدامة (ت ٩٠٩هـ / ١٥١٠م)،

ثمار المقاصد في ذكر المساجد، دمط، بيروت، ١٩٤٣م، ص ١٥٢؛ الحافظ، محمد مطيع، جامع
الحنابلة المظفري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٢ م، ص ٢١.
(١٨٩) السيوطي، حسن المقصد في عمل المولد، مكتبة المسلم، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٦؛ خطار،
يوسف محمد، الموسوعة اليوسفية في بيان ادلة الصوفية، مكتبة دار الالباب، ط ٢، دمشق،
١٩٩٩م، ص ١٣٨.

الجغرافية التاريخية للتصوف في مصر وبلاد الشام
في عصر سلاطين المماليك البحرية (٦٤٨ هـ
/ ١٢٥٠ م) - (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م)
د. ايمان التميمي

المبحث الاول: الأوضاع السياسية والثقافية في عصر سلاطين
المماليك في مصر وبلاد الشام

المبحث الثاني : انتشار التصوف في مصر وبلاد الشام

المبحث الثالث: اشهر المتصوفة في مصر وبلاد الشام في عصر
سلاطين المماليك

المخلص

ان اهم ما يميز الحياة الدينية في هذا العصر هو انتشار ظاهرة التصوف انتشاراً واسعاً، كونه لقي تشجيعاً كبيراً ودعمًا واسعاً من لدن الأمراء والسلطين المماليك، الذين ورثوا من اسلافهم الايوبيين الكثير من عاداتهم ليقولوا انهم ورثة بني أيوب، ومن هذه العادات نزعته الصوفية التي شجع عليها صلاح الدين الذي كان يقرب العلماء والصوفية، ويشجع حضور مجالسهم ويستمع إلى اقوالهم ويعتقد بهم اعتقاداً كبيراً ويغدق عليهم الكثير من الاموال التي يجمعها، وسار المماليك على نهجه في دعمه للمؤسسات الصوفية التي اصبحت ملاذاً لكل طالب راحة إذ يجد فيها أنواع الطعام والشراب دون اي عناء، وفراراً من قسوة الحياة وضغوطها، وازداد عدد المتصوفة لاسيما بعد ازدياد عدد الخوانق والربط والزوايا إلى جانب الاحباس والأوقاف التي حبست ووقفت على هذه المؤسسات ودعمت نظامها ومكنتها من القيام برسالتها، ونشأت في هذا العصر في مصر اشهر الطرق الصوفية منها الطريقة القنائية، وتنسب إلى عبد الرحيم القنائي (ت ٥٩٨هـ/ ١١٠٠م) والطريقة البدوية، او الاحمدية التي ينسب اتباعها إلى السيد احمد البدوي (ت ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م) الذي عاش في طنطا، وعظم شأنه وانتسب اليه جمهور كبير من الناس ومنهم السلطان الظاهر بيبرس، كما ظهرت في دسوق بالوجه البحري في مصر الطريقة الدسوقية، وينسب اتباعها إلى الشيخ ابراهيم الدسوقي (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) وهذه الطريقة عاصرت الطريقة الاحمدية المذكورة انفاً، كما وفدت إلى مصر طرق صوفية كثيرة معظمها من المغرب والأندلس كالمدينية وغيرها، ومن العراق امثال الطريقة القادرية، والرفاعية، الشاذلية، فضلاً عن مشايخ يتبعون لهذه الطرق ساروا على نهجها واصبح لهم اسم في مصر وبلاد الشام امثال ابي العباس المرسي، وابي القاسم القباري، وجلال الدين الرومي وغيرهم، وكلهم وجدوا في مصر تربة صالحة لنشر تعاليمهم الصوفية ومذاهبهم والذين لم يلبثوا ان انقسموا إلى فرق صوفية لكل فرقة شيخها وشعارها وزيتها واعلامها واورادها واذكارها ومريديها ومتبعيها.

المبحث الاول

الأوضاع السياسية والثقافية في عصر سلاطين المماليك في مصر وبلاد الشام

أولاً: الأوضاع السياسية

تسلم المماليك^(١) الحكم (٦٥٧هـ/١٢٥٠م)، بعد الايوبيين^(٢) (٥٦٧هـ/١١٧١م- ٦٥٥هـ/١٢٥٣م)، وتوالى على الحكم ما بين المماليك البحرية، والمماليك البرجية (٦٤٨هـ/١٢٥٠م- ٩٢٢هـ/١٥١٧م)،^(٣) ثلاثة وخمسون سلطاناً عاد بعضهم إلى الحكم مرتين او ثلاث مرات، بينما حكم بعضهم اشهر معدودات وكان ابرزهم واطولهم عهداً الظاهر بيبرس (٦٥٨هـ/١٢٦٠م- ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)^(٤)، والسلطان قلاوون الالفى (٦٧٨هـ/١٢٧٩م- ٦٩٠هـ/١٢٩٠م) وابنه محمد الناصر (٦٩٣هـ/١٢٩٤م- ٧٤٠هـ/١٣٤٠م)، إلى ان سقطت سلالتهم بيد الجراكسة سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م).^(٥)

ولو تتبعنا احوال العصر لوجدنا فيه عدة مفاصل وتحولات شهدتها مصر والشام، ومدينة دمشق، ولعل ابرز تلك الاحداث هي هزيمة التتر سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) في حمص^(٦)، وبداية دخول دمشق تحت سلطنة الظاهر بيبرس، وقدم اول خليفة عباسي الى مصر سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م)،^(٧) ومعه جماعة من العرب من بغداد، وكان قد خرج منها بعد ان ملكها للتتر، والتقى مع الملك الظاهر بيبرس،^(٨) الذي كان قد كاتبه ودعاه للحضور اليه ولما وصل القاهرة حضر لقاءه جماعة من الشيوخ الاكابر في عصرهم اشهرهم الشيخ العز^(٩) بن عبد السلام وآخرون غيره، وشهدوا انه ابن الخليفة الظاهر^(١٠) بأمر الله العباسي، وعم الخليفة المستعصم^(١١) بالله العباسي خليفة بغداد الذين أكدوا نسبه ولقب بالمستنصر بالله ابا القاسم احمد^(١٢) بن محمد الظاهر^(١٣) وكان وصوله سنة ستمائة تسع وخمسين فجمع الناس على طبقاتهم بمجلس الملك بالقلعة، وحضر القاضي يومئذ تاج الدين ابن بنت الاعز^(١٤)، فاثبت نسبه في بيت الخلفاء بشهادة العرب الواصلين معه بالاستقاضة، وباع له الملك

الظاهر وسائر الناس ونصبه للخلافة الإسلامية، ولقبوه المستنصر بالله، وخطب له على المنابر، ورسم اسمه على السكة^(١٥)، وصدرت المراسم السلطانية بأخذ البيعة له في سائر أعمال السلطان، وفوض هو للسلطان الظاهر سائر أعماله وكتب تقليده له بذلك،^(١٦) بعدها شهدت دمشق جملة من التحولات والتطورات التي دانت لها كل البلاد فقد فضلاً عن جملة من التغييرات الإدارية والتنظيمية الأخرى، وما كادت الأمور تسكن في جهة حتى هاجت وساءت الأوضاع في جهة أخرى وكان أكبر خطر يتهدد مصر في ذلك الوقت هو اغارة المغول، الذين اتخذوا من فارس^(١٧) مقراً لهم، إلا إن طائفة منهم اعتنقت الإسلام، وصاروا من اعداء التتر، فإتحد معهم الظاهر بيبرس ومع قيصر الروم وحاربهم محاربة شديدة استمرت نحو عشر سنوات إلى ان شنت شملهم سنة (٦٧١هـ / ١٢٧١م)^(١٨)، ومات بعدها السلطان بيبرس سنة (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) بعد ان بلغ اعلى درجات المجد وأخذ منزلة كبيرة بين جميع من جاوزه من الملوك والأمراء^(١٩)، وبعد وفاته حدثت منازعات بشأن تولي الحكم على عادة سلاطين المماليك بعد وفاة احد ملوكهم، فخلفه ولدان احدهما بعد الآخر، ولكن لم تطل مدتهما، إلى ان تولى الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م)،^(٢٠) الذي بقي الملك في بيته لأكثر من مائة عام، وبعد ان تم له الامر، عقد هدنة مع الصليبيين^(٢١) لمدة عشر سنوات على ان يسمح للسفن المصرية بدخول الموانئ المسيحية بالشام، وان لايقوموا بأي تحصين جديد في مدنها، وكان عقد هذه الهدنة معهم من الحكمة إذ ان التتر كانوا يتأهبون للاغارة على مصر مرة أخرى^(٢٢)، ولكن جرى اختلافاً عظيماً بين التتر وطوائف الفرنج وغار بعضهم على بعض، وقتل بينهم جماعة كثيرة، واختلفت طوائف الكُرج^(٢٣)، في سائر الاطراف، وقتل بين هذه الطوائف ما لا يحصى عدّه^(٢٤).

وفي السنة نفسها (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م) جلس سنقر الأشقر^(٢٥) بدمشق وحلف له الأمراء والعسكر الذين عنده بدمشق، وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر،^(٢٦) ولما جاءت سنة (٦٨٠هـ / ١٢٨٢م) خرج الملك الكامل المنصور قلاوون في جيش عظيم هزم به التتر في موقعة^(٢٧) فاصلة في حمص، أسكتتهم عن مصر لمدة سبعة عشر

عاماً، وفي سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) تولى السلطان الناصر الحكم بعد اخيه وعزل عنه سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م)،^(٢٨) وفي سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٩م) اعيد السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطة مرة ثانية بعد ان تمكن فيها من التغلب على معظم المشاكل الداخلية والخارجية التي اعترضته،^(٢٩) ولما دخلت سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) طرق قازان^(٣٠) البلاد الشامية، وكانت ملحمة عظيمة ظفر بها غازان، ودخل دمشق وخطب له بها، واستمرت الخطبة اياماً، وحصل لأهل الشام من القتل والسبي والتعذيب ما لا يوصف، بسبب ما صودرو به من الاملاك، وهلاك الخلق من الجوع والتعذيب بسبب هذه الواقعة، وتوفي فيها من شيوخ الحديث بدمشق والجبل اكثر من مائة نَفْس،^(٣١) وقد تحدث المؤرخون عنها وسماها العرب وقعة الخزندار^(٣٢).

وما كادت تأتي سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م) حتى سكنت أوضاع دمشق بعد هزيمة المغول في موقعة شقحب^(٣٣)، وتولى أمرها نائب عالي الهمة هو الامير تنكز^(٣٤) الحسامي الذي تمكن، وبمساعدة وتقويض من الملك الناصر الذي بسط نفوذه وسلطته على مصر والشام بقوة وحزم بعد ان اعيد إلى الحكم الذي عزل عنه مرة اخرى من سنة (٧٠٨هـ/١٣١٠م) واعيد اليه سنة (٧٠٩هـ/١٣١١م)^(٣٥)، مما مكن تنكز بهذا التقويض المطلق بحكم الشام^(٣٦)، بأن يقوم بحملة اصلاحات واسعة في جميع نواحي الحياة، بحيث لم يكن له هم في مأكَل أو مشرب ولا ملابس، بل في تأمين الرعايا فأمنت السبل في ايامه ورخصت الاسعار، ولم يكن احد في ولايته يتمكن من ظلم أحد، ولو كان كافراً، حتى ان السلطان الناصر بالغ في تعظيمه لذلك، وتقدم امره إلى جميع النواب بالبلاد الشامية ان يكاثبوه بجميع ما يكاثبون به السلطان،^(٣٧) فبعد ان كان تنكز مملوكاً للملك الناصر رقيه في المراتب، وولاه نيابة دمشق التي تمكن منها،^(٣٨) وقيل ان السلطان الناصر لايفعل شيئاً الا بعد مشاورته ولم يكن يكتب إلى السلطان في شيء فيرده الا نادراً^(٣٩)، وقد حظي عنده بهذه المكانة العالية بعد النجاح الكبير الذي احرزه في حملته الشهيرة على ملطية^(٤٠) سنة (٧١٥هـ/١٣١٥م)^(٤١) ولم يزل يترقى في المراتب^(٤٢)، و النعوت وهذا ما لم يحصل لغيره من النواب،^(٤٣) ويبدو ان ذلك ما جعل الناس يعيشون في ولايته أمنين على أنفسهم وأموالهم وحریمهم واولادهم فضلاً عن

اخلاقه وصفاته وحزمه فقد كان مثابراً على الحق ونصر الشرع الا انه سريع الغضب، شديد الحدة، ولا يقدر احد على مراجعته مهابةً له، واذا غضب على أحد لا يزال مغضوباً عليه إلى ان يموت، وكان يعظم أهل العلم، ولا يصبر على الاذى وكان ذا سطوة وهيبة وزعامة، ومحباً لا يصلح الحق إلى اهله بغير سؤال او ذلة^(٤٤) لعل ذلك يعود إلى المدة الطويلة التي قضاها مع الملك الناصر في النيابة والتي استمرت حتى وفاته سنة (١٧٤١هـ/١٣٤١م) والتي لم تتفق لغيره من سلاطين المماليك من اسلافه الذين سبقوه^(٤٥).

من الواضح ان الصلاحيات الواسعة التي حصل عليها الامير تنكز الحسامي والتي لم يحصل عليها نائب سابق لدمشق لنيابات الشام او غيرها، يبدو انها مكنته عن طريق العمل المتواصل والاخلاص والتفاني للسلطان الناصر في خدمته وخدمة دولته ان يصل إلى المرتبة العالية التي وصلها في بلاطه واطلاق يده في ادارة شؤونها العامة فضلاً عن خضوع النواب له وتقديم الولاء والطاعة لعله الدليل على ماوصله من تلك المرتبة في بلاط الناصر والتي مكنها له، كما يمكننا القول ان بلاد الشام اصبحت في نيابة تنكز ولاية مستقلة بوضعها الإداري حيث حكم الاخير بسلطة مطلقة وصلاحيات واسعة مكنته من ذلك الامان الذي حصل في ولايته.

ويبدو ان هذه الصورة الجميلة لحالة دمشق انتهت بموت صانعها تنكز، فلم تستقر الأمور كما وصفت، فقد قامت وشاية على نائبها تنكز لدى السلطان الناصر وقام باعتقاله ثم بعد ذلك عزله وثم الافراج عنه ومن ثم قتله^(٤٦)،

ومن ثم مات بعدها الملك الناصر بأشهر^(٤٧)، وساءت الاحوال من بعده فقد توالى على الحكم حكام ضعفاء لم يتمكنوا من السيطرة على أوضاع البلاد، وانتشر مرض الطاعون في العالم كله الذي راح يحصد الالاف الناس، وعدم الخبز وقلت الاقوات وغرقت البلاد في فوضى عارمة^(٤٨).

مما سبق يبدو ان انهيار حكم الخلافة العباسية في بغداد وسقوطها على ايدي المغول، ومقتل الخليفة العباسي، وافتقاد البلاد لحاكم شرعي، ولقوة عسكرية تدافع عن خطر المد التتري، فضلاً عن انتصار المماليك في عين جالوت^(٤٩) (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، أدى إلى نظرة الاكبار لهؤلاء الحكام الجدد في مصر، والذين كان البعض يعدهم

مغتصبون للعرش، ولعل ما فعلوه من الاعتراف بنسب الخليفة العباسي في مصر لاضفاء الشرعية الدينية على حكمهم والتي كانوا بأمس الحاجة اليها^(٥٠)، أدى إلى الاستقرار السياسي في مصر والشام، وهو ما أكد ورسخ دولتهم الجديدة فلا غرو ان نرى الكثير من الاسس والتنظيمات الإدارية والسياسية والعسكرية التي اوجدوها، والتي حققت لهم هذا الاستقرار.

ب- الاوضاع الثقافية

بعد سقوط الخلافة العباسية على يد المغول (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)^(٥١)، تلفت المسلمون في مشارق الارض ومغاربها يبحثون لهم عن ملجأ يلجئون اليه ومأوى يأويهم بعد هذه النكبة، وسقوط اكبر دولهم وهي دولة بني العباس، وزوال اهم رمز روحي لهم وهو الخلافة^(٥٢)، فلم يجدوا امامهم غير مصر والشام، حيث أسس المماليك ملكاً لهم واقاموا لأنفسهم سلطاناً وجنداً يزودون بهم للدفاع عنهم من كيد الاعداء، ولا ننسى ان المماليك ورثوا عن الايوبيين نزعتهم القوية الشديدة في محاربة الصليبيين، كما ورثوا عنهم الكثير من العادات ليقولوا انهم ورثة بني ايوب، ومن حسن حظهم انهم افسحوا في مصر مكاناً للخلافة مكنوا فيه احد خلفاء بني العباس بعد ان اثبتوا نسبه^(٥٣)، وكما قدمنا ليعيدوا إلى الخلافة سيرتها بعد ان زالت عنها نضارتها بين المسلمين من جهة، ومن جهة اخرى اسباغ الشرعية على حكمهم الذين كان همّاً ملازماً لهم^(٥٤)، ومن المهم ان نذكر ان مصر اكتسبت بذلك مكاناً في قلوب المسلمين وإلى جانبها بلاد الشام، والتي اقتسمتا معاً بالتساوي مركز بغداد السابق من خلال هجرة العلماء اليها من كل فج^(٥٥)، كما عنيت بالعلوم والمعارف والفنون والآداب، بعد ان اصبحت ملجأ للعلماء والادباء والشعراء الذين خلدوا إلى حياة علمية خصيبة في ظل ملوك وأمراء هذه البلاد، الذين ارادوا بالتقرب من العلماء والقضاة والفقهاء، الذين كانوا في طليعة المثقفين تأكيد البعد الديني لدولتهم وكان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والعلوم المرتبطة بهما ركيزة التعليم والثقافة في ظل الحضارة العربية الإسلامية^(٥٦).

كانت المدة التي تولى فيها تنكز نيابة الشام واصلاحاته في هذا المجال من اعادة اعمار المنشآت العلمية كالمدارس والمساجد، واحياء ما اندثر من الاوقاف التي

اشتهرت بها دمشق الأثر الكبير الذي خلفه من طمأنينة وأمان للسكان^(٥٧)، وكان هذا الاعمار سبباً حيوياً لتنشيط البيئة العلمية التي هي البيئة الطبيعية التي ينمو فيها العلم ويزدهر لما تضمنته من مدرسين اكفاء وطلبة محبين للعلم، ولعل انشاء السلطان الناصر المدرسة الناصرية^(٥٨) لهو خير دليل على الاعمار واهتمام المماليك بانشاء المدارس، مما شجع النواب على الاهتمام بها في سائر الولايات التابعة له وكان لدمشق الشام النصيب الاكبر في ذلك الاهتمام، اذ يعود تاريخ انشاء المدارس في الشام إلى الايوبيين الذين اسهموا في بناء عدد كبير منها، تبعهم المماليك في ذلك، لعل ذلك كان عائداً إلى رغبتهم في نشر المذهب السني في انحاء مصر وبلاد الشام، فقد عرفت دمشق أنواعاً متعددة من المدارس، تركز على تدريس المذاهب الاربعة كل مدرسة مخصصة لطائفة معينة^(٥٩)، فضلاً عن المدارس المشتركة التي تدرس اكثر من مذهب، ومدارس تعليم القرآن الكريم و مدارس تدريس الحديث النبوي الشريف، وكان لهذه المدارس اساليب معينة متبعة مع طلبتها في العصر المملوكي قد تختلف عن غيرها من البلاد الاخرى، كطريقة تدرجهم في المراحل التعليمية، ومنحهم الاجازات العلمية، إلى جانب الاهتمام بالناحية التعليمية كان الاهتمام بالأمور المادية للطلبة فقد حرصوا على توفير الاحتياجات الضرورية والمستلزمات الدراسية من اجل التفرغ للدراسة وتحصيل العلم، فكان توفير المسكن والملبس والغذاء من ضروريات تلك المدارس، لذا كان للمدارس الدور الفعال في نشر الثقافة في هذا العصر من خلال نشر المذهب السني مما ترتب عليه انتشار علوم الشريعة والفقه بحسب المذاهب الاربعة فيذكر ابن طولون: "ان تاج الدين ابا القاسم عبد الغفار^(٦٠) شيخ المدرسة الصاحبية^(٦١) بدمشق قد نسخ بخطه حوالي خمسمائة مجلد"^(٦٢) هذا ان دل على شيء فهو يدل على نشاط الحركة العلمية، من خلال نشر الكتب بين الناس فضلاً عن المجانية لتلك المدارس التي رفعت مستوى التعليم والثقافة في ذلك العصر.

كان الاهتمام بانشاء الجوامع فضلاً عن انشاء المدارس والتي تعد اولى المؤسسات التعليمية فضلاً عن مركزها الديني و اشهرها جامع كريم الدين^(٦٣) وجامع شمس الدين بن غبريال^(٦٤)، وجامع تتكز^(٦٥) التي عرفت باسماء بانيتها^(٦٦)، والتي كان

للدولة الفاطمية الفضل في البدء بتأسيسها كالجوامع الازهر^(٦٧)، وجامع الحاكم^(٦٨)، واقتفى اثرهم صلاح الدين في ذلك، حيث اهتم بتشيد الزوايا^(٦٩) والخوانق والربط^(٧٠) للصوفية التي اصبحت بمثابة المراكز الدينية^(٧١)، واعتنى بالصوفية وقربهم اليه وشجع حضور مجالسهم وكان يستمع إلى اقوالهم،^(٧٢) وسار المماليك على نهجه في دعمه للمؤسسات الصوفية التي اصبحت ملاذاً لكل طالب راحة اذ يجد فيها أنواع الطعام والشراب دون اي عناء، وازداد عدد المتصوفة لاسيما بعد ازدياد عدد الخوانق والربط والزوايا إلى جانب الاحباس والاقواف التي حبست ووقفت على هذه المؤسسات.^(٧٣)

لعل ذلك يعود إلى ان هذا الاهتمام بهذه المؤسسات المراكز الدينية والعلمية إلى شحذ الهمم والتعبئة الاجتماعية من خلالها لدعوتهم إلى الجهاد المقدس لتحرير الاراضي الإسلامية من الصليبيين واحتلالهم لهذه الاراضي والحروب التي دامت لسنوات طويلة، والاساس الذي قامت عليه دولتهم من خلال استمالة قلوب العامة لفكرة الجهاد المقدس والقضاء على الصليبيين، وبذلك يمكننا القول ان عدة عوامل جعلت من الحركة العلمية نشطة، والتي بالطبع لم تكن فاعلة في عهد الايوبيين على عكسه في الدولة الفاطمية، ولكن طراً عليها هذا التغيير الكبير نتيجة لهذه العوامل المتعددة التي أثرت عليها ورغم ان مصر والشام استطاعت ان تكون لنفسها طابعاً ثقافياً مميزاً خاصاً، لكنها تأثرت بمن جاورها من البلاد الإسلامية الاخرى، ولوجال بخاطرنا ان نحصر هذه العوامل باطار محدد لامكنا القول: ان غزو التتر للبلاد الإسلامية، وقتل العلماء واتلاف الكتب العلمية في بغداد، ووفود العلماء والادباء إلى مصر والشام فضلاً عن زوال الخلافة العباسية، هناك اجتمعت كلها لتمكن مصر والشام من هذه النهضة التي حدثت بها في عصر سلاطين المماليك والذين اقاموا وزناً كبيراً للعلماء والفقهاء وبجلوهم وقدموهم في كل الأمور واستأثروهم واستشاروهم في أمور الدولة العليا والدنيا، لما لهؤلاء العلماء من سلطان على نفوس العامة وصلات معهم مستغلين مشاعرهم بواجبهم وتنافسهم في ادائه فضلاً عن انصرافهم إلى العناية باللغة والفقه والحديث، لذا نجد الكثير من العلماء الذين برزوا في هذا العصر وخلفوا الكثير من المؤلفات والنتاجات العلمية وكل ما هو ناضج ومفيد ففي ميدان العلوم التاريخية، برع ابن خلكان

(ت ٦٨١هـ/ ٢٨٢م) صاحب وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان^(٧٤)، والكاتب النصراني الصقاعي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)^(٧٥)، والقطب اليونيني (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)^(٧٦)، وغيرهم، وفي علوم الحديث برز الشيخ ابو القاسم البرزالي (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م) الذي قيل: عنه انه محدث^(٧٧) الشام ومصر^(٧٨) والحافظ المزي (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م)، وعالم الشريعة والتاريخ والادب الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) الذي الف العشرات من المصنفات اكثرها في التاريخ،^(٧٩) وغيرهم، كما ازداد التصوف في هذا العصر ونضج وكثر مؤلفوه في المشرق والمغرب، كان جلال الدين السلامي^(٨٠) وابي البركات الصوفي^(٨١) والقونوي وغيرهم، من ابرز المتصوفة في بلاد الشام في العصر المملوكي ولايفوتنا ان نذكر ان ابن عربي^(٨٢) الحاتمي من الرواد البارزين الذين برعوا في هذا المجال في الاندلس^(٨٣) والذي اقتدى بعقيدته في التصوف من بعده البعض من اهل دمشق،^(٨٤) ولاغرو ان نذكر ان الكتابة ازدهرت وتنوعت التأليف من قبل المؤرخين، لعلهم بذلك ارادوا اصلاح ما فسد التتر وما جلبوه من كوارث وما احدثوه من خلل في مكتبات بغداد التي اغرقوها في دجلة واحرقوا بعضها الاخر والخوف على ضياع التراث العربي الاسلامي الذي كانت تتجسد معانيه وافكاره في معظم تلك الكتب.

ومن المهم الاشارة الى بروز اعلام في الثقافة الإسلامية خلدت عصر الناصر محمد الذي امتد ما بين (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) إلى (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) الذين تنوعت كتاباتهم ما بين التاريخ العام^(٨٥)، والتراجم والسير^(٨٦)، ونذكر ممن برع في كتابة الفقه الشافعي قاضي القضاة تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)^(٨٧)، الذي الف مصنفاً كبيراً من عشرة اجزاء في طبقات الفقهاء الشافعية، وصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) وابن الوردي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)^(٨٨)، وغيرهم من الاعلام التي ماتزال كتبهم متداولة بين ايدينا إلى يومنا هذا.

ومن الظاهر وبكلمة موجزة يمكننا القول عن عصر سلاطين المماليك، ان لم يكن عصر ابداع ثقافي ونتائج علمية، فهو عصر: نقل متقن متزن، وتقليد واع، وجمع في تحفظ، وتحقيق وتصحيح، واختصار، وتهذيب، بل إجتهد احياناً.

المبحث الثاني

انتشار التصوف في مصر وبلاد الشام

أولاً- انتشار التصوف في مصر

اختلفت الآراء حول نشأة التصوف في مصر، مثلما اختلفت حول نشأته في الاسلام، وقد ظهرت ثلاثة اتجاهات في الموضوع:

الاتجاه الأول:

يرى أصحابه ان مصر عرفت من عُرف بالتصوف منذ القرن الأول الهجري، والذين لم يداخل تصوفهم التيارات الفلسفية التي اصبحت فيما بعد عند الصوفية المتأخرين وان تصوفهم كان لوناً من ألوان العبادة والزهد^(٨٩)، خاصة وان الزهد هو أول مرحلة من مراحل التصوف^(٩٠)، على ان لا يفوتنا ان نذكر ان ظاهرة التصوف كظاهرة بحد ذاتها وجدت في المجتمع الاسلامي عموماً أما بشكل فردي او جماعي نتيجة لظروف مختلفة، ولذا كان لابد من مراعاة ظروف مصر الداخلية والخارجية، والتي ادت إلى نشوء التصوف فيها وتطوره خاصة بعد تعرضها للأخطار والقلق عقب دخولها في حوزة الخلافة الاسلامية مما انعكس على الكثير من مظاهر الحياة فيها ومنها التصوف^(٩١).

ففي سنة (٤٣هـ / ٦٦٣م) استدعى قيام نظام المراقبة^(٩٢)، عقب مهاجمة البيزنطيين ثغور مصر الشمالية، حيث عقد والي مصر في هذه السنة إلى اثنا عشر ألف من أهل الديوان يكونون بها رابطة، وخرج هو بنفسه مرابطاً إلى الاسكندرية سنة (٤٤هـ / ٦٦٤م) لمواجهة تلك الغارات المتكررة التي قامت بها البحرية البيزنطية^(٩٣).

وبذلك يكون قد بدأ نظام المراقبة في هذه الربط بطابعه العسكري الديني الجهادي ضد الاعداء، ثم تطور هذا النظام مع السنين حتى اصبح ذا طابع عسكري ديني صوفي بفرض الدفاع عن المسلمين وارضيتهم من خلال الاقامة في هذه الحصون، ثم تطورت إلى نوع من الزهد والتقشف والانقطاع للعبادة، وصيام النهار وقيام الليل وقتل الملذات، والالتزام بحياة شاقة،^(٩٤) ومما يدل على ذلك قوله تعالى في الآية الكريمة: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

وَعَوَّوْكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ^(٩٥).

كان هؤلاء المرابطون يذهبون إلى الرباط في اوقات معلومة من السنة وكلما احسَّ احدهم أنَّه بحاجة إلى زاد من التقوى، الا انهم بعضهم كان يقيم في هذه الربط مدى الحياة، وكثيراً ما كان يحدث ان يترك تاجراً تجارته، والزارع زراعته كي يأوي إلى هذه الربط، فلا يخرج منها الا محمولاً على الاكتاف^(٩٦).

وإذا انتقلنا إلى القرن الثاني الهجري، فقد كانت الحالة الداخلية في مصر عرضة للاضطرابات وثورات عديدة مرجعة إلى ظلم بعض الولاة وتعسفهم في جمع الضرائب، وثورات العرب واهل الذمة، حتى اتحد اهل الذمة مع العرب في بعض الاحيان للتصدي لمواجهة تعسف السلطات^(٩٧)، فضلاً عن انعكاسات حالة الخلاف والصراع في العاصمة بغداد أثر الفتنة بين الامين والمأمون^(٩٨).

ولارتباط التصوف بظروف المجتمع، و ما حدث في الاسكندرية سنة (٢٠٠هـ/ ٨١٦م) في ولاية السري بن الحكم^(٩٩)، وردت الاخبار عن المتصوفة في خضم الصراعات السياسية التي سادت مصر، وإبان الصراع بين الامين والمأمون في بغداد ظهرت في الاسكندرية طائفة سميت بالصوفية، يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعارضون السلطان في امره يترأسهم رجل يدعى عبد الرحمن الصوفي^(١٠٠).

ونستشف ان أصحاب هذا الرأي يرون ان البدايات الأولى لدخول التصوف إلى مصر وبلاد الشام لم تكن في العصر الايوبي، ولعل مما يعزز هذا وجود بعض الزوايا^(١٠١) اواخر القرن الثاني الهجري واولئل القرن الثالث الهجري أي نفس الفترة التي نشأ بها التصوف في الاسكندرية، وانتشر إلى داخل مصر فقد كان للإمام الشافعي المتوفى (٢٠٤هـ/ ٨١٩م) زاوية داخل جامع عمر بن العاص عرفت باسمه، ودرس بها فقه مذهبه كما كان في نفس الجامع عدة حلقات دراسية في اركان الجامع اطلق عليها الزوايا^(١٠٢).

ولعلنا بذلك نجزم بصحة القول ان الزوايا والربط من المؤسسات الهامة للتصوف وقيام هذه الزوايا والربط في هذا الوقت مما يعني ان التصوف في مصر كان في فترة سابقة لانشاء هذه المؤسسات او تزامن معها.

واذا اردنا تتبع انتشار التصوف في مصر حسب المعطيات التاريخية، فنقول ان أوّل من تكلم في ترتيب الاحوال والمقامات هو ذو النون المصري، ولم يوافق على ذلك حاكم مصر انذاك الذي كان يذهب مذهب مالك، ولما سمع علماء مصر بذلك وشاع خبره هجره ورموه بالزندقة^(١٠٣)، وفي بلاد الشام أخرج ابو سليمان الداراني من دمشق بعد ان قالوا عنه أنّه يرى الملائكة وانهم يكلمونه^(١٠٤)، وبذلك يفند أصحاب هذا الاتجاه من ان ذو النون المصري هو أوّل صوفي مصري، وأنّه أوّل من بذر بذرة التصوف فيها.

أما الاتجاه الثاني:

فيرى أصحابه ان التصوف في مصر لم يبدأ الا في القرن الثالث الهجري، وان ذا النون المصري هو أوّل صوفي في مصر، وانه أوّل من بذر التصوف فيها، وشاركه في غرسه صوفيان آخران هما ابو بكر الدقاق^(١٠٥)، وابو الحسن بنان الجمال^(١٠٦) (ت ٣١٦هـ/ ٩٣٩م)، ومن ابرز رجاله ابو علي الروذباري^(١٠٧) (ت ٣٢٢هـ/ ٩٤٤م) وغيرهم^(١٠٨).

أما الاتجاه الثالث:

يرى أصحاب هذا الاتجاه ان التصوف دخل إلى مصر منذ ان جعل صلاح الدين الايوبي من دار سعيد السعداء^(١٠٩)، خانقاه للفقراء (الصوفية) القادمين من البلاد البعيدة، وجعلها وفقاً عليهم سنة (٥٦٩هـ / ١١٦٩م)^(١١٠)، وبنى لهم بجوارها حماماً^(١١١) يبدو هذا الرأي هو الأرجح لغير المتعمقين في دراسة التصوف في مصر، الا اننا نجد ان التصوف عُرف واشتهر في هذا العصر وعندما جعل صلاح الدين هذا الدار خانقاه للصوفية، الا اننا نتفق مع الرأي القائل : ان بدايات التصوف تعود إلى سنة (٢٠٠هـ / ٨١٦م) في خبر فتنة الاسكندرية لكنه لم يُعرف بهذا الاسم وعُرف كظاهرة تعبر عن العبادة والزهد ولم يتسمى بالتصوف.

ثانياً-انتشار التصوف في بلاد الشام

أزدهر التصوف منذ عهد الزنكيين ، وسار صلاح الدين على نهج نور الدين في علاقته بالصوفية وحرصه على ان يقربهم منه ويتقرب اليهم ، فكان يحضر الفقراء والصوفية عنده ويعمل لهم الساعات^(١١٢) كما يذهب اليهم زواياهم ويحرص على زيارتهم قبل ان يخرج في غزواته ضد اعدائه، كما كان يثق بهم ويبالغ في احترامهم ويوصي اجناده عليهم، ويصف بهاء الدين ابن شداد: معاملة صلاح الدين لهؤلاء المتصوفة عند التقائهم به فيقول : كان يكرم من يرد عليه من المشايخ وارباب العمل والفضل حتى ينالوا من احسانه^(١١٣)، وبذلك انتقل التصوف في الدولة الايوبية إلى طوراً جديد لقي فيه المتصوفة اسباب الدعم والرعاية من قبل صلاح الدين ومن جاء بعده من خلفائه من افراد البيت الايوبي والذين اقاموا الخوانق والزوايا والربط لاستيعاب الصوفية الوافدين إلى مصر وبلاد الشام بعد ما رصدت لهذه المؤسسات الاوقاف الكثيرة^(١١٤)، كما شهد هذا العصر نوع من التكتلات الجماعية الصغيرة بين المتصوفة التي اطلق عليهم اسم الاخوانيون، الذين كانوا يجتمعون بشكل منتظم لممارسة طقوس صوفية ومراسيم معينة وابتهالات تشبه اذكار الصوفية، تودى في الليل وفي مواسم معينة^(١١٥).

ان حقيقة تشجيع الايوبيين للتيارات الصوفية على هذا النحو لم يكن من قبيل الصدفة، بل هي احدى التدابير التي اتخذوها، لمحاربة أفكار الدولة الفاطمية التي أستمتر نشاط دعائها إلى اواخر العصر الايوبي^(١١٦)، فلم تكن مهمة التصوف مقتصرة على ايواء المريدين في المؤسسات الصوفية التي انشأوها، بل اصبحت مراكز للثقافة والعبادة، فانتشرت الطرق الصوفية كالقادرية والرفاعية والشاذلية والسهروردية^(١١٧)، ومثل الاهتمام بالتصوف سياسة جديدة اتبعها الايوبيين، اقل مايقال عنها أنها سياسة ذكية للتخلص من الأفكار الشيعية للدولة الفاطمية من جهة، كما أنها ساعدت على تحريك الشعور بالانتماء والحماس بين افراد الجيش الايوبي حين ادخلت مثل هذه المراسم الصوفية والطقوس في بعض احتفالات الايوبيين التي تقام عند النصر على الصليبيين مثلاً^(١١٨)، بيد ان مايؤخذ على تلك السياسة من الاهتمام بالصوفية وطرقها واشياخها، أنها كانت منصبة على الطرق الجاهلة المسماة بال دراويش واتباعهم الذين كانوا يشيعون

الخرافات واخبار الكرامات التي يقومون بها على أنها وقائع حقيقية^(١١٩)، الا ان موقفهم من التصوف الذي يميل إلى العقل، اكثر من الايمان بالغيبات والخرافات كان موقفاً متشدداً، كونهم كانوا يحاربون كل من يبيت في الفلسفة او يتكلم في المنطق.^(١٢٠)

ان التشجيع والدعم الذي تلقتة تلك الفرق والمجموعات الصوفية من لدن الايوبيين كان سلاح ذو حدين في انتشار ظاهرة التصوف، فبالنسبة للايوبيين حققوا مبتغاهم في الوصول إلى اهدافهم بالقضاء على الفكر الشيعي ونشر المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية التي كانوا يتمذهبون بها^(١٢١)، ولكن ذلك الدعم اثر عكسياً على اغلب سلوكيات واخلاق المجتمع، وانتهى بالتحلل والاستهتار وعدم الاكتراث بالقيم والتقاليد وتفتشت العادات السيئة كبيع الخمر، وانتشار دور البغاء، وشيوع ظاهرة تعاطي الحشيشة^(١٢٢)، لانحراف التصوف عن خطه العام، تلك الظاهرة التي لم يألفها المجتمع، والتي انتقلت من البلاد المجاورة، وانتقلت إلى مصر، وشاعت زراعتها هناك، والتي حاربها سلاطين بني ايوب، لما فيها من اخطار صحية واجتماعية.^(١٢٣)

لما جاء المماليك إلى الحكم كانوا قد ورثوا جميع ممتلكات الايوبيين وعاداتهم، فكانت ظاهرة التصوف من ضمن ما ورثوه، فقد لقي علماءه تشجيعاً واسعاً من لدن سلاطينه،^(١٢٤) وكانت هناك اماكن لخلوة الصوفية وانقطاعهم فيها للعبادة، ويسكن فيها الزهاد كالزوايا والخوانق والربط، والتي لم تكن تؤدي هذا الدور فقط، بل ادت دوراً واسعاً في تدريس العلوم فضلاً عن العبادة، فقد تسابق سلاطين المماليك على بناء هذه المؤسسات وانفقوا عليها المبالغ الباهظة وقاموا بتكليف الفقهاء بالاشراف عليها^(١٢٥)، فقد عرف عن السلطان الظاهر بيبرس محبته للفقهاء والصوفية وتقريبهم منه.^(١٢٦)

ان مايدلل على شيوع التصوف في بلاد الشام وازدهاره في هذا العصر هو كثرت الاوقاف الخيرية التي تقدم الدعم المادي الكبير لهذه المؤسسات، فضلاً عن الدعم المادي الذي يقدمه السلاطين وامرائهم فقد عرف عن الظاهر بيبرس أنه كان يهدي الزاوية القلندرية بدمشق الهدايا الكثيرة^(١٢٧)، وان القليل من السلاطين ممن لم يقوم ببناء مدرسة او جامع او رباط او زاوية او يقوم بتعمير او اضافة بناء او تجديد لأحدى هذه المؤسسات.^(١٢٨) لعل هذا يدل على انتشار التصوف وازدهاره ودعم سلاطين المماليك له.

المبحث الثالث

اشهر المتصوفة في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك

اولاً- متصوفة الديار المصرية

أورد السيوطي اسماء لاحدى وتسعين شيخاً من شيوخ الصوفية في مصر ابتداهم بـ ذو النون المصري وابو بكر الدقاق وابو الحسن بن بنان وابو علي الروذباري والشاعر ابو الفارض والذين تحدثنا عنهم مسبقاً،^(١٢٩) أما اشهرهم في عصر سلاطين المماليك في مدن الديار المصرية ضمن نطاق بحثنا :

١- في القاهرة

أ- الشيخ خضر^(١٣٠)

ب- الشاطبي^(١٣١)

ج - الجعبري^(١٣٢) وولده ناصر الدين محمد^(١٣٣)

د- حسن بن عبد الله الحبار^(١٣٤)

٢- في الاسكندرية

أ. القباري^(١٣٥)

ب. محمد بن وفا^(١٣٦)

ج. ابو العباس المرسى^(١٣٧)

د. تاج الدين بن عطاء^(١٣٨)

هـ - ياقوت العرش^(١٣٩)

٣- في قنا^(١٤٠)

أ. الدماميني^(١٤١)

ب. المنفلوطي القنائي^(١٤٢)

ج. الحسن بن عبد الرحيم بن حجون القنائي^(١٤٣)

د. إبراهيم بن علي بن عبد الغفار بن محمد بن ابي الدنيا القنائي^(١٤٤).

هـ.

٤ - قوص

أ- ابن نوح (١٤٥)

ب- ابو العباس الملقب (١٤٦)

٥ - طنطا (١٤٧)

عبد العال (١٤٨)

٦ - دمنهور (١٤٩)

ابو عبدالله السائح (١٥٠)

ثانياً- اشهر المتصوفة في بلاد الشام

١- شهاب الدين الرومي (١٥١)

٢- نجم الدين القحفازي (١٥٢)

٣- إبراهيم الدهستاني (١٥٣)

٤- علي المغربي (١٥٤)

٥- تقي الدين بن قوام (١٥٥)

٦- نصر المنجي (١٥٦)

٧- احمد العصيدة (١٥٧)

٨- البندنجي (١٥٨)

٩- ابن زفر الاربلي (١٥٩).

وغيرهم من المتصوفة. ولعلنا بذلك اعطينا صورة واضحة عن التصوف في مصر وبلاد الشام واهم المتصوفة في ذلك العصر.

(١) جمع مملوك، وهو العبد الذي يُملك ولا يملك أبواه أو الذي سُبي ولم يكن أبواه مملوكان لآحد، على عكس العبد القن الذي يملك هو وأبواه ويباع ويشترى، وهذه التسمية اتخذت مدلولاً اصطلاحياً في التاريخ الإسلامي منذ العصر العباسي، حيث كان الخلفاء والولاة وكبار القادة يشترونهم من اسواق النخاسة لاستخدامهم كفرق عسكرية يعتمدون عليهم في تدعيم نفوذهم واصبحوا بمرور الوقت الاداة العسكرية الوحيدة في بعض الدول الإسلامية التي قامت بمصر والشام ومصدرهم آنذاك بلاد ماوراء النهر مثل سمرقند وبخارى وفرغانة وغيرها والمصادر الرئيسية لهؤلاء الشراء، أو الأسر في الحروب أو الهدايا التي كان يؤديها ولاة الأقاليم فيما وراء النهر إلى الخلفاء وأضحت بلاد ما وراء النهر مصدراً هاماً لهؤلاء الرقيق البيض الذين عرفوا بالمماليك. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص ٤٢٦٧ باب الميم؛ العبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ١١؛ طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص ١٥-١٦.

(٢) هم الذين ينتسبون إلى الدولة الايوبية التي اسسها في مصر والشام صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، و ظل يحكمها عشرين عاماً، تزعم خلالها الجهاد ضد الممالك الصليبية وحقق انتصارات عظيمة أشهرها موقعة حطين الشهيرة و فتح بيت المقدس وبوفاته انتهت دولته باستيلاء المماليك عليها. للمزيد ينظر: ابن شداد، ابو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٩م) النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٣١؛ ابو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، عيون الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: احمد البيسومي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م، ج ١، ق ١، ص ٢٦٢؛ ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٧م، ج ١، ص ٣-٦؛ سيد، احمد فؤاد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني ايوب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤١؛ عمران، محمود سعيد، المغول واوربا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د.ت، ص ٢٢؛ ماجد، عبدالمنعم، الدولة الايوبية في تاريخ مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٧٥؛

Meri, Josef. w, medieval islamic civilization, an encyclopedia, New York London, 2006, P84.

(٣) سمووا بهذا الاسم نسبة إلى سكناهم جزيرة الروضة، وكان الملك الصالح نجم الدين ايوب قد استكثر منهم و صار معظم جيشه منهم وهم يختلفون عن المماليك البرجية الذين سمووا بهذا الاسم نسبة إلى سكناهم في ابراج قلعة الجبل وتمييزاً عنهم وعرفوا بالجراسية وسمو به نسبة إلى التاجر جركس الذي جلب المملوك برقوق مؤسس الدولة الجركسية وأول ملوكها الذين عرفوا بالمماليك البحرية ينظر: ينظر: المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٤٠٥؛ الصيرفي، علي بن داود (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، المملكة العربية المتحدة، ١٩٧٠م، ص ٣٣؛ محمد كرد، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ١٥٣؛ قاسم، قاسم عبده، الايوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، مؤسسة عين للدراسات والبحوث، القاهرة، د.ت، ص ٣؛ المالكي، سعيد بن مسفر، ادب الدول المتتابعة، مطبعة العاني، بغداد، د.ت، ص ٧؛ الناصري، ناصر، المجلد في تاريخ مصر، ط ٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٦٨.

(٤) ركن الدين ابو الفتح بيبرس البندقداري الصالحي النجمي تسلطن بعد مقتل المظفر قطز اصله تركي أخذ من بلاده، واشتره الامير ايدكين علاء الدين البندقداري وبه عرف، ترقى في المناصب تسلطن بعد مقتل قطز ولقب بالملك الظاهر ووضع الاساس القوي لبناء دولة المماليك

وبعد المؤسس الحقيقي لها، للمزيد عنه ينظر: ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (١٢٨٤هـ/١٢٨٥م)، تاريخ الملك الظاهر، اعتناء: احمد حطيط، دار فرانز ستايز، ١٣٢٤م، ص ١٩-٣٧؛ ببيرس المنصوري، ركن الدين بن عبد الله الخطاني (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) مختار الأخبار تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٢؛ ابو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢٤٨؛ المقرئزي، السلوك، ج ١، ص ٥٢٠-٥٢٢.

(٥) ببيرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٩٨؛ ابن أبيك، الدرر الزكية، ص ٦١؛ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، ج ٣، ص ٨؛ قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٢٧.

(٦) مدينة من اوسع مدن الشام وهي تقع بين دمشق وحلب في منتصف الطريق بها اسواق عامرة ومساجد وجوامع كثيرة جميع ازقتها مفروشة بالحجر الصلد، وبها النهر المسمى المقلوب وهو نهر العاصي بناها رجل يقال له حمص بن المهر بن جات بن مكف وقد فتحها صلحاً ابو عبيدة عامر بن الجراح، وبها من المشاهد والمزارات الكثيرة وبها قبر القائد خالد بن الوليد وابنه عبد الرحمن وزوجته، وينسب اليها جماعات من العلماء ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٧٦؛ الهروي، ابي الحسن علي بن ابي بكر بن علي (ت ٦١١هـ/ ١٢١٣م) الاشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ٢٠٠٢م، ص ١٨-١٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٧) الذهبي، ذيل العبر، ج ٤، ص ٢٩٨؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٠٦؛ ابن سباط، تاريخ، ج ١، ص ٤٠١؛ ببيرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ١٥؛ ابو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢٥٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤١١.

(٨) ببيرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ١٥؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٠٦؛ تاريخ ابن سباط، ج ١، ص ٤٠٠؛ قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٨٨.

(٩) ابي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم بن الحسن الدمشقي ولد في دمشق ونشأ بها وسمع من الشيوخ وأخذ الأصول عن السيف الأمدي وبرع فيه وفي الفقه والعربية كان من اكابر الاعيان والفضلاء في عصره حتى رفعت اليه الفتوى انتقل من الشام إلى مصر فتولى الخطابة فيها والقضاء ثم عزل عنه توفي سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦١م). للمزيد عنه ينظر: ابو شامة، ذيل الروضتين، ص ٢١٦؛ ابو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢٥٦؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج ٨، ص ٩٣؛ ٣١٤؛ ابن سباط، تاريخ، ج ١، ص ٤٠٦؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٥٢٢.

(١٠) ابو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله بويق بالخلافة عقب وفاة أبيه، وكان ولي عهده، واستمرت خلافته نحو تسعة أشهر واربعة عشر يوماً، أظهر العدل والاحسان وأعاد الاموال المغصوبة في ايام أبيه وماقبلها وأزال المكوس في البلاد لم يكمل السنة من خلافته حتى لحق بربه سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٣٥م). ينظر: المنذري، التكملة، ج ٣، ص ١٨٢؛ ابن العبري، ابو الفرج غريغوري يونس بن هرون الملطي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، تصحيح: انطوان صالحاني اليسوعي، ط ٢، دار الرائد اللبناني، لبنان، ١٩٩٤م، ص ٤٢٢. اليونيني، ابي الفتح قطب الدين موسى بن محمد بن احمد البعلبكي الحنبلي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م): ذيل مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ديت، ج ٢، ص ١٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ١٦٥-١٦٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ١٣٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٦٦١؛ الخضري، محمد بك، محاضرات في تاريخ الامم الإسلامية الدولة العباسية، تحقيق: محمد العثماني، دار القلم، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٥٤٤-٥٤٦.

- (١١) أبو أحمد عبد الله بن المستنصر محمد بن الظاهر بأمر الله العباسي الهاشمي، آخر خلفاء بني العباس في بغداد ببيع بالخلافة بعد وفاة أبيه وكانت خلافته آخرها سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) قصد فيها التتر بغداد ونهبوا دار الخلافة بعد أن قتلوا كل من فيها من الأشراف ولم يسلم منهم إلا من كان صغيراً وأخذ أسيراً ودام النهب فيها أربعين يوماً إلى أن نودي بالآمان بمقتله انتهت دولة بني العباس. للمزيد ينظر: أبو شامة، ذيل الروضتين، ص ١٩٩؛ ابن أبيك، الدرر الزكية، ص ٤١؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٢٧٨ ودول الإسلام، ج ٢، ص ١٧٣؛ الصفي، مورد الطائفة، ج ١، ص ٢٣٤؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٦٦٣؛ ابن سباط، تاريخ، ج ١، ص ٣٧٦.
- (١٢) المستنصر أبو القاسم أحمد بن محمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله بن نصر بن محمد الناصر لدين الله المستضيء وهو جد الخلفاء العباسيين بمصر أسود اللون كان محبوباً ببغداد ولما أخذت التتر بغداد أطلق ودخل إلى مصر مع عرب من بني مهارش بعد ثلاث سنين من انقراض بني العباس ولما تسلطن الظاهر بيبرس وفد عليه وأثبت نسبه وقلده الملك الظاهر بيبرس الخلافة وخلع عليه الخلع ونثرت الدراهم باسمه بعد أن شهد العلماء والفقهاء على صحة نسبه إلى بني العباس. ينظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ١٢٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤١١؛ بيبرس المنصور، مختار الأخبار، ص ١٦.
- (١٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢٥٣؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٥٢٨؛ ابن سباط، تاريخ، ج ١، ص ٤٠٤؛ ابن أبياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٨٣.
- (١٤) قاضي القضاة تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلاني قرأ على الشيوخ وسمع منهم وحدث وروى وأخذ عنه الطلبة الكثير ومنهم ولده أبو القاسم تقي الدين عبد الرحمن، تولى قضاء الديار المصرية بتعيين الشيخ العز بن عبد السلام كما تولى الوزارة ونظر الدواوين والتدريس في مدرسة الشافعي ولم تجتمع لأحد قبله مثل هذه المناصب وفي زمانه جعلت القضاة أربعة على المذاهب. توفي سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م). ينظر: أبو شامة، ذيل الروضتين، ص ٢٤٠؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٣١٣؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ١٢٤؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج ١، ص ٧٧.
- (١٥) يعني ضربها أو طبعها على حديدة تنقش عليها رسم الدراهم أو الدنانير الذهبية وهي ضرورية للتمييز بين الجيد والردى منها، وبها يتم التخلص من الغش والتزييف، وكانت بلاد الشام أول من استحدثت فيها دار لضرب النقود في العهد الأموي ذات وزن معلوم وشكل دائري نقش على أحد وجهيها (لا اله إلا الله محمد رسول الله) والآخر (قل هو الله أحد) كما كتب عليها تاريخ ضربها ومكان الضرب. للمزيد عنها ينظر: المقرئ، شذور العقود في ذكر النقود، عن صورة مخطوطة محفوظة في مكتبة جامعة الملك سعود، الرياض برقم ٢١٧٠، ورقة (٦٢ب)؛ ابن طولون، نقد الطالب، ص ٤٩؛ دوزي، تكلمة المعاجم، ج ٦، ص ١٠٠.
- (١٦) ابن أبيك، الدرر الزكية، ص ٨١؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٠٧.
- (١٧) وهي كلمة تعني الأسد، وبالفارسية پارس هو الفهد وهي في النص ولاية واسعة، وأقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق إرجان وفارس اسم البلد، وليس اسم لرجل وهو فارسي معرب أصله پارس وعرب فقيل فارس وهو قديماً موطن الدولة الأخمينية، ومشتق من اليونانية Persis فصار اسماً عاماً لدولة الشاه بأسرها. ينظر: المقدسي، البشاري، أحسن التقاسيم، ص ٤٧؛ ابن خرداذبة، أبا القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): المسالك والممالك، مطبعة بريل، لندن، ١٨٨٩م، ص ٤٧؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٨٣؛ شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١١٨.
- (١٨) ابن أبيك، الدرر الزكية، ص ٢١٤-٢١٦؛ بيبرس المنصور، مختار الأخبار، ص ٢٥-٣٤؛ الإسكندري، عمرو. ج ١، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص ٢٥٩-٢٥٨.

(١٩) (بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٦١؛ المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ١٠٧.
(٢٠) تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٢٩؛ المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ١٢٢؛ الكرمني، نزهة
الناظرين، ص ٢٠٤.

(٢١) حملة الصليب من المسيحيين، وقد اختلف في تفسيرهم بين عصر وآخر فمفكروا العصر الحديث
اعتبروا الصليبيين هم الذين خاضوا الحروب الصليبية وسموها الحرب المقدسة بينما قال
آخرون انها رحلات إلى الحج للاماكن المقدسة وراء البحار لغفران الخطايا ويطلق على القائم
بها الحاج الفقير، اما الحملات التي كانت تقوم لأغراض الهجوم والدفاع فكان يطلق عليها الحج
الجماعي او الحملات الصليبية والتي كان يحمل اصحابها الصليب شعار المسيحية.
ينظر: عطية، عزيز سوريال، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب،
تعريب: فيليب صابر سيف ومراجعة احمد خاكي، ط ٢، دار الثقافة الإسلامية، القاهرة، دار
الجيل، بيروت، د ٥، ص ٧؛ قاسم، قاسم عبدة، الخلفية الايديولوجية للحروب الصليبية، ط ٢،
دار ذات السلاسل، ١٩٨٨م، ص ١٢-١٣؛ هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في
العصور الوسطى، تعريب عن الفرنسية: احمد محمد رضا ومراجعة عز الدين فودة، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٤٥.

(٢٢) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ١٦٦-١٧٢؛ الاسكندري، تاريخ مصر، ص ٢٦٠؛ زيدان، تاريخ
مصر الحديث، ج ١، ص ٣٢٧.

(٢٣) كلمة فارسية دخيلة لاصل لها في العربية يسمونها أهلها كرة وأما قولهم في العربية الكرج إذا تخرج الخبز
أي أصابه العفن وعلته الخضرة أي الفساد، والكرج مدينة تقع بين بلاد الروم وبلاد ارمنية من جهة وبين
همدان وأصبهان في منتصف الطريق وأقرب إلى همدان وكانها مقطوعة من البلدين بهاجبال منيعة وقلاع
حصينة والغالب على أهلها النصرانية. ينظر: البعقوبي، البلدان، ص ٨٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤،
ص ٤٤٦؛ ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٥٣؛ شير، الالفاظ الفارسية المعربة،
ص ١٣٣.

(٢٤) (ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٢٠؛ ابن أبيك، الدرر الزكية، ص ٢٣٤؛ ابن سباط، تاريخ،
ج ١، ص ٤٦٨.

(٢٥) سنقر بن عبد الله الصالح العيلاني، كان اشقر البشرية، من أكابر الأمراء تولى بعد ايدمر
الظاهري نيابة الشام، وكان معظماً عند الملك الظاهر ولما تولى الملك المنصور قلاوون عصى
سنقر الاشقر نائب الشام وتسلطن بدمشق، وملك قلعتها، ولقب بالكامل وخطب له على منابر
دمشق وضرب الدراهم باسمه، توفي سنة (٦٩٢هـ/١٢٩٢م). للمزيد ينظر: الصقاعي، تالي وفيات
الاعيان، ص ٨٥؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج ٨، ص ٣٤٠؛ ابن طولون، اعلام الوري بمن ولي نائباً على
دمشق الكبرى، تحقيق: محمد احمد دهمان، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٣٨-٤١.

(٢٦) (ابن أبيك، الدرر الزكية، ص ٢٣٤؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٠؛ ابن الوردي، تاريخ،
ج ٢، ص ٢٢٠؛ ابن سباط، تاريخ، ج ١، ص ٤٧١.

(٢٧) وقعة حمص الكبرى من المواقع الفاصلة اتحد فيها التتر وكان عددهم ثمانين الفاً منهم خمسون
الفاً من المغول والباقيون من الكرج والأرمن والعجم وغيرهم، وكان يقودهم أبغا بن هولاكو
متحداً مع أخيه منكوترم ابنا هولاكو اللذين سارا ضد المماليك إلى حمص وتصدى الملك
المنصور قلاوون لهم وكانت هزيمة التتر وانكسار جيشهم وفتحت البلاد للملك المنصور
قلاوون واستشهد في هذه الوقعة جماعة من سادات الأمراء. ينظر: الديار بكري، تاريخ
الخميس، ج ٢، ص ٣٧٩؛ ابوالفداء، المختصر، ج ٤، ص ٢٣؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج ٨،
ص ٢٤١-٢٤٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٥٧٤-٥٧٩؛ ابن اياس، بدائع الزهور،
ج ١، ص ٩٦.

(٢٨) ابن أبيك، الدر الفاخر، تحقيق: هانس روبرت روبر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٠م، ج ٩، ص ٦، ص ١٥٦؛ ابو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٨.

(٢٩) بيبيرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٩٨-١١٠؛ اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص ٣٩؛ حسن، الناصر محمد بن قلاوون، ص ٢٥؛ رزق، عصر سلاطين المماليك، ج ٤، ص ٦٥.

(٣٠) قازان او غازان ابن ارغون بن ابغا بن هولأكو بن تولي خان بن جنكيز خان احد ملوك التتر جلس على عرش الملك سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) وملك خراسان والعراق وفارس والروم وأذربيجان والجزيرة، وكان يتكلم الفارسية ويفهم اللسان العربي، واسلم بعد سنة من جلوسه ونشر الإسلام في التتر، توفي سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) عندما كان عائداً من وقعة حلب وقيل ان زوجته هميا خاتون قامت بسمه. وكانت من قبل زوجة ابيه، وفي ذلك حكاية، وكانت وفاته بالقرب من همدان وحمل الى تربته بظاهر تبريز بمكان سماه الشام دفن به. ينظر: ابن أبيك، الدر الفاخر، ج ٩، ص ١١٢؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٥١٧؛ القرماني، أخبار الدول، ج ٢، ص ٤٩٦؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ٢، ص ٣-١.

(٣١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧٧٥؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ٢، ص ٤.

(٢) بيبيرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ١١١؛ تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٤٦٢؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٣٩٣؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٣٩؛ حسن، الناصر محمد بن قلاوون، ص ٢٨.

(٣٣) حدثت هذه الموقعة بين التتر والمسلمين إنكسر فيها التتر وكانوا نحو اربعة الاف وقتل منهم خلق كثير وأسر مقدمهم انتصر فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون، وانهزم غازان وقتل من الفريقين ما لا يحصى عددهم وعرفت هذه الموقعة بمرج الصفري. ينظر: ابو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٢٦-٢٩؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٣١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٥٩؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤١٣؛ محمد، صبحي عبد المنعم، المغول والمماليك السياسة والصراع، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٤؛ العملة، عبد الجبار احمد، نيابة دمشق في عهد الامير تنكز الحسامي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، قسم التاريخ، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٠م، ص ١٤٩.

(٣٤) الامير الكبير المهيب العادل ابو سعيد سيف الدين الاشرفي الناصري، نائب السلطنة بدمشق، جلب إلى مصر وهو صغير فاشتراه الملك الأشرف ثم صار إلى الناصر فجعله أمير عسكره قبل ان يعزل نفسه ويفر إلى الكرك أصبح نائباً على الشام وقام بفتح ملطية ورجع بأسرى وغنائم ومال كثير فعظم شأنه وهابه الأمراء والنواب، ومكث في نيابتها الى وفاته وعمر الجامع المعروف باسمه وانشأ إلى جانبه تربة ودار وحمام وعمر بصفد ببيمارستان وفي آخر ايامه تغير السلطان عليه فتم القبض عليه واعتقاله وسجنه وقتل سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م). للمزيد عنه ينظر: الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٨٥؛ الصفدي، اعيان العصر، ج ٢، ص ١١٦-١٣٨ وأمرء دمشق في الإسلام، ط ٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٤١؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج ٢، ص ٦٠١-٦٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١١٧؛ ابن طولون، اعلام الورى، ص ٣٨-٤١.

(٣٥) ابن أبيك، الدر الفاخر، ج ٩، ص ٦، ص ١٥٦؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص ٣٩؛ حسن، الناصر محمد بن قلاوون، ص ٤٠؛ قاسم عصر سلاطين المماليك، ص ١٣٠.

(٣٦) المقريزي، المقفى الكبير، ج ٢، ص ٦١٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٤٢؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٤٦.

(٣٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٦١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٥٢١.

- (٣٨) (الصفدي، تحفة ذوي الالباب، ج ٢، ص ٢٣٢؛ ابن طولون، اعلام الوري، ج ٢، ص ٢١١؛ العملة، نيابة دمشق، ص ١١٨.
- (٣٩) (الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٦٠؛ ابن شاكِر، فوات الوفيات، ج ١، ص ٢٥٢، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٥٢١؛ ابن طولون، اعلام الوري، ص ٣٨؛ العملة، نيابة دمشق، ص ١٢١.
- (٤٠) (مَلْطِيَّة: بفتح اوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، وهي بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام فتحها المسلمين سنة (١٤٠هـ/ ٧٥٧م) وبنو فيها السور والجامع وسكن الناس بها ثم اخذها منهم الروم وقاموا بهدم السور والجامع في عهد قسطنطين الرابع. ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٨١؛ البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٩٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٥.
- (٤١) (الذهبي، ذيل العبر، ج ٤، ص ٤٠؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٤٥.
- (٤٢) (من القاب الصوفية ورجال الدين واهل الصلاح و العبادة وقد يستعمل لغيرهم من ارباب السيوف والاقلام لاتصافه بنفس الصفات. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٦، ص ١٩؛ الباشا، الالقاب الإسلامية، ص ٣٨٧؛ الشرتوني، سعيد الخوري، اقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، مكتبة المرعشلي، قم، ايران، د٠، ج ٢، ص ٧٣٦.
- (٤٣) (الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٦٠-٢٦١ وتحفة ذوي الالباب، ج ٢، ص ٢٣٣.
- (٤٤) (ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٤٧؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ص ١٦٩-١٧١.
- (٤٥) (ابن أبيك، الدر الفاخر، ج ٩، ص ١٦٧؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص ٣٩.
- (٤٦) (الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٦٦؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج ٢، ص ٦١٩.
- (٤٧) (ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج ٢، ص ٦٧؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٤٧، ١٤٨.
- (٤٨) (المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٥٢٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٢٤٤.
- (٤٩) (منطقة تقع بين بيسان ونابلس حدثت فيها موقعة شهيرة بقيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس، استطاعا ان يلحقا هزيمة فادحة بالمغول بقيادة هولاكو وطردوهم من بلاد الشام وقضت على الجيش الذي اجتاحت العالم وسفك دماء الملايين واعادت للمسلمين هيبته وثبتت اقدام دولتهم. ينظر: ابن أبيك، كنز الدرر، ص ٥٩؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٠٠؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ١١٣؛ ابن سباط، تاريخ، ج ١، ص ٣٩١؛ محمد كرد، خطط الشام، ج ٢، ص ١٠٨؛ السرجاني، التتر من البداية إلى عين جالوت، ص ١٠؛ عمران، محمد سعيد، المغول واوروبا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د٠، ص ٦٦-٦٧.
- (٥٠) (ابو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢٥٣-٢٥٥؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٢٣٣؛ عبد الله، زكي محمد جميل، مؤسسة الخلافة في العهد المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥م، ص ٤١.
- (٥١) (ابو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢٣٣؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص ٣٩٩.
- (٥٢) (ابن الطقطقي، الفخري، ص ٣٩٩؛ ابن شاكِر، فوات الوفيات، ج ٢، ص ١٨٩.
- (٥٣) (بيبرس المنصور، مختار الأخبار، ص ١٥؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٠٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٦٦٤؛ ابن سباط، تاريخ، ج ١، ص ٤٠٧.
- (٥٤) (المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٢٣٢؛ قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٩٠-٩١.
- (٥٥) (شاكِر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٣، ص ٨٢؛ الجنابي، تاريخ العرب الحديث، ص ١٦.
- (٥٦) (العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٦؛ قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٦.

(٥٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٦٢؛ ابن حجر، لدرر الكامنة، ج ١، ص ٥٢٢؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٢٣٣.

(٥٨) المدرسة التي أنشأها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري في القاهرة وتقع بين القصرين وكانت أرضها قبلاً تعرف بدار الرشيد فاشترى كتبغا الأرض وبنى المدرسة مكانها وكمّلت عمارتها، في عهد السلطان الناصر سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٨م). للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٦٥؛ ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٥٧.

(٥٩) النعمي، الدارس، ص ٥٥-٣٦٩؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٢٦.

(٦٠) عبد الغفار بن عبد الكافي السعدي الشافعي، سمع من شيوخ عدة وكتب الكثير وتميز وافق ودرس ونسخ من خط يده وخرج لشيوخ عده، ومن أشهر تلامذته ابن كثير، الذي قال عنه: سمع الكثير، وخرج لنفسه معجماً من ثلاث مجلدات، وقرأ الكثير من الكتب، وكتب الخط الجيد، وكان عارفاً متفنناً شافعيّاً، ومع هذا ناب في وقت ما عن قاضي الحنابلة، وولي مشيخة الصاحبية بدمشق، توفي في مصر سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م). ينظر: الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٩٢؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٣، ص ١٠٩؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٣٤٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٨٦.

(٦١) تقع هذه المدرسة بسفح قاسيون بجبل الصالحية أنشأتها ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب اخت السلطان صلاح الدين وأخيه السلطان العادل وأوقفتها على الحنابلة وكانت آخر من ماتت من نسل بني أيوب وعمرها ثمانين عاماً ودفنت بدمشق. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٤٧؛ النعمي، الدارس، ص ٣٦٨؛ ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٤٩.

(٦٢) القلائد الجوهريّة، ص ٢٤٥.

(٦٣) ويعرف بالجامع الكريمي، بناه القاضي كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله وكيل الخاص السلطاني المتوفى سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٤م) ويقع هذا الجامع بالقبيبات بالقرب من دمشق ويعرف أيضاً بجامع الدقاق. ينظر: النعمي، الدارس، ص ٥٥٥؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ١٢١.

(٦٤) ويعرف أيضاً بجامع الملاح لوقوعه في محلة الملاح أو محلة القعاطلة خارج باب دمشق الشرقي، أنشأه صاحب شمس الدين غبريال بن سعد ناظر الدواوين وحضر افتتاحه صاحب المذكور وجماعة من القضاة والأعيان. ينظر: النعمي، الدارس، ص ٥٥٨؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ١٢٨.

(٦٥) الجامع الذي أنشأه نائب الشام تنكز وعرف باسمه ويقع بالقرب من باب النصر باتجاه حكر السماق على نهر بانياس بدمشق، وأبتدأ بعمارته سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م) واستمر بناءه مدة سنة كاملة وجعل فيه ماذنة من أجل مآذن العهد المملوكي، ولما اكتمل بناءه حضر افتتاحه نائب السلطان والقضاة والأعيان وكان يوماً مشهوداً. ينظر: ابن بن عبد الهادي، نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق بدمشق، نشر حبيب الزيات، د٠ت، ص ١٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، طلس، ذيل ثمار المقاصد، ص ٢٠٢.

(٦٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٤٨.

(٦٧) الجامع الذي بناه القائد جوهر الصقلي بأمر من الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وشرع في بنائه سنة (٣٥٩هـ/٩٦٩م) واتم بنائه سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) ليكون إلى جنب العاصمة الجديدة القاهرة رمزا للدولة الفاطمية ومنبرا للإمامة الجديدة ويقع داخل مدينة القاهرة بالقرب من القصر الشرقي. ينظر: ابن أبيك، كنز الدرر، ص ١٢١؛ أحمد عبد الرازق، تاريخ وأثار مصر الإسلامية، ص ٢١٩؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٦١٦؛ عنان، محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، دار النشر الحديث، القاهرة، د٠ت، ص ٣٠.

(٦٨) ويسمى أيضاً الجامع الأنور ويقع بالقرب من باب الفتوح وباب النصر وقد ابتدأ أنشائه الخليفة العزيز الفاطمي ومات ولم يكمله ولما تولى ابنه الحاكم بأمر الله من بعده قام بإكماله وأتمه

سنة (١٠٠٧/٥٤٠٣م) وخطب الحاكم فيه وكان يوماً مشهوداً انتقلت من بعدها الخطبة اليه من الجامع الأزهر وبقيت معطلة عن الأخير إلى أن أعادها الظاهر بيبرس إليه سنة (١٢٦٥/٥٦٦٦م). ينظر: الفلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٤ ومآثر الانفاة، ج ١، ص ٣٢٢؛ المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٢٧٧، الكرعي، نزهة الناظرين، ١٣٧؛ أحمد عبد الرزاق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص ٢٣٧؛ العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٢٩٢؛ عنان، الحاكم بأمر الله، ص ٨٢.

(٦٩) زاوية البيت ركنه وكانت تطلق باديء الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المصلى أو المسجد الصغير الذي يتولى أمره أحد الرجال المشهورين والمعروفين بالتقوى والصلاح وقد يوجد بها محراب ولكنه لا يوجد بها منبر وقد تطورت الزاوية حتى ارتبطت بالصوفية وأصبحت مرادفة لكلمة الخانقاه والرباط. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٩، ص ٨٣-٨٤؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٢٣؛ دهمان، معجم الألفاظ، ص ٨٥.

(٧٠) جمع كلمة رباط وهي من المراقبة أي ملازمة ثغر العدو وأصلها أن يربط كل من الفريقين خيله حتى صار لزوم الثغر رباطاً وربما سميت الخيل أنفسها رباطاً هذا من حيث المعنى اللغوي، إلا أن الكلمة تطورت في العصور الإسلامية المتأخرة ولم تعد تعني ماتعنيه في صدر الإسلام إذ تحولت من مفهومها العسكري المرتبط بالجهاد إلى ماتعنيه كلمة الزوايا والخانقاه بالنسبة لأصحاب الطرق الصوفية. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ١٧٣، ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ص ١٩١، حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٣.

(٧١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٠٥؛ العملة، نيابة دمشق، ص ٢٩٠.

(٧٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٣٦، ص ٦٦؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٣٦.

(٧٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦١؛ قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٩٣.

(٧٤) مصنف خالد جليل في أسماء الرجال والأعيان من ذلك الزمان.

(٧٥) فضل الله بن أبي الفخر كان كاتباً خبيراً في صناعته، كانت عنده فضيلة في دينه، جمع الاناجيل الاربعية، انجيل متي، ومرقص، ولوقا، ويوحنا، وجعلها في انجيل واحد باللسان العبراني، والسرياني، والقبطي، والرومي، وذكر في كل فصل مقالته الآخر، وذكر اختلاف الحواريين، وبين عباراتهم، وكان يقول: إنه يحفظ التوراة والانجيل والمزامير، وقد كتب تاريخ المكين ابن العميد بخطه، عمل ذيلاً على تاريخ ابن خلكان سماه (تالي وفيات الأعيان). ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٣٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٣٤؛ الزركلي، الاعلام، ج ٥، ص ١٥٣.

(٧٦) أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد البعلبكي الحنبلي، ولد بدمشق وسمع من والده، ومن الكثير من الشيوخ وأخذ الاجازات وحدث بها بدمشق وبعلبك وكان رجلاً كبير القدر، له مكانة في الدولة، وكان جميع النواب بالسلطنة يراعونه ويحترمونه اختصر كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وذيل عليه توفي في بعلبك وصلي عليه صلاة الغائب في جامع دمشق. ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٥٨؛ الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص ٦٢٣ رقم ٩٣٢؛ الصفدي، اعيان العصر، ج ٥، ص ٤٨٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٢٧٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٨٢ رقم ١٠٣٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٣٢.

(٧٧) المحدث: هو المشتغل بالحديث رواية وكتابة ومن عرف الاسانيد والعلل واسماء الرجال والشيوخ والضابط لمواليدهم ووفياتهم ومراتبهم في العلوم ولو بلغوا الالف ومالهم من مروياتهم على اختلاف انواعها، والمقدر على تلخيص ماتفق عليه الطبايق والاسانيد، والمقتصر على السماع والقراءات طلب الاجازات من المشايخ لا يدعى محدثاً. ينظر: السبكي، معيد النعم، ص ٨٢؛ ابن طولون، نقد الطالب، ص ٩٣.

(^{٧٨}) الذهبي، ذبول العبر، ج٤، ص١١٤؛ ابن شاکر، فوات الوفيات، ج٣، ص١٩٦؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٢٢٧.

(^{٧٩}) ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٧؛ محمد كرد، خطط الشام، ج٤، ص٤٦.
(^{٨٠}) ابو محمد رافع بن هجرس بن محمد بن شافع بن نعمة ولد بدمشق واخذ عن شيوخها وعني بالقراءات وقرأ ونسخ، رحل إلى القاهرة، وتفقّه على العلم العراقي ولازم ابن دقيق العيد والدمياطي، واخذ العربية عن البهاء ابن النحاس اعداً ببعض المدارس ودرس وكتب بخطه الكثير توفي (سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م). ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص٥٠؛ الجزري، غاية النهاية، ج١، ص٢٥٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص١٠٦-١٠٧.

(^{٨١}) ابو اسحق ابراهيم بن ابي البركات بن ابي الفضل الحنبلي بن القرشبة سمع من وكان احد اعيان الصوفية، تولى مشيخة الخانقاه الاسدية وامام تربة بني صصري الحنبلي وكان ذا حرمة وجلالة بين القادرية والسلوية حلو المذاكرة وروى عنه الشيخ البرزالي وتوفي بعده سنة (٧٤٠هـ/١٣٣٩م). ينظر: الذهبي، العبر، ج٤، ص١١٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص٢٢٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٢٠.

(^{٨٢}) ابو عبد الله محي الدين محمد بن علي الحاتمي العربي الاندلسي ولد بمرسية وقرأ القراءات بالاندلسه مصنفات وافرة ومؤلفات زاخرة جلها في التصوف (ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م). ينظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٧٩؛ طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، ج١، ص٢١٤؛ جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، ص٢٩١-٣٠٣؛ الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٣٠٠.

(^{٨٣}) الاسم العربي لشبه الجزيره الايبيرية التي فتحها العرب المسلمين سنة (٩٢هـ/٧١٠م) بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد. للمزيد عنها ينظر: البلاذري، ابي العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعاف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٢٣؛ ابن القوطية، ابو بكر بن عمر بن عبد العزيز (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق: ابراهيم الايبيري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م، ص٢٧-٣٣؛ المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٩-١٣؛ ابن عذارى، ابوعبد الملك المراكشي (ت٧١٢هـ/١٣١٣م)، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س كولان وليفي بروفنسال، ط٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م، ج٢، ص١؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/٩٤٩م)، صفة جزيرة الاندلس، ص٤-٩؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وأثارهم في الاندلس، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٦م، القاهرة، ص٦٦؛ شاكر، مصطفى، الاندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠م، ص٦.

(^{٨٤}) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٤٤١؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٧٩.

(^{٨٥}) لعل ابرز من كتب في التاريخ العام عن هذا العصر هو ابن أبيك الدوادري (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م) وكتابه كنز الدرر وجامع الغرر المكون من عدة اجزاء، وقد خصص الجزء الثامن منه وسماه الدرّة الزكية في أخبار الدولة التركية عن عصر سلاطين المماليك.

(^{٨٦}) ابرز من كتب عن سيرة الملك الناصر ابن شداد في الروض الزاهر، واليوسفي في كتابه نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، وببيرس المنصوري (ت٧٢٥هـ/١٣٢٦م): وكتابه مختار الأخبار عن تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك حتى سنة ٧٠٢هـ، وغيرهم من المؤلفين.

(^{٨٧}) ابن قاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي الانصاري احد شيوخ عصره ولد في قرية سبك من اعمال المنوفية بمصر وتوجه بفضل ابيه المذكور توجهاً علمياً فتلقى العلم على ابيه وغيره من العلماء واجيز بالفتيا ولم يبلغ العشرين من عمره ناب في القضاء عن ابيه اضافة إلى

وظيفة الكاتب وجمع معهما التدريس في مدارس دمشق، تولى القضاء مكان أبيه وبقي فيه حتى أصيب بالطاعون وتوفي فيه سنة (٧٧١هـ/١٣٧٢م). ينظر: الصفي، الوافي بالوفيات، ج ٣١، ص ١٦٦-١٩١؛ ابن العراقي، ذيل العبر، ج ٢، ص ٣٠٣-٣٠٥؛ ابن طولون، نقد الطالب لزغل المناصب، ص ٩.

(٨٨) عرف بابي الفوارس زين الدين عمرو بن المظفر أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدباءه وشعرائه تفنن في العلوم وبرع فيها نشأ بحلب وتفق بها وفاق أقرانه وأخذ عن البارزي وعن خطيب جبرين ونظم البهجة الوردية في خمسة الآلاف بيت واختصر الفية ابن مالك والف في التاريخ وكتب عن الطاعون ومات فيه. ينظر: ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ٣، ص ١٥٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٩٥؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ٥٠٦؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٢٧.

(٨٩) النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ص ٣١٠؛ النجار، الطرق الصوفية في مصر، ص ٤٨.

(٩٠) الدالي، محمد صبري، التصوف وإيامه، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٢٤.

(٩١) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٤٣.

(٩٢) الدالي، التصوف وإيامه، ص ٢٤.

(٩٣) المراقبة: من الثلاثي ربط، وهو بناء حصين يعسكر فيه الفرسان المتطوعون للجهاد وقتال العدو والتأهب للقتال والرباط من المصدر رابط أي لازم تغور العدو، وقد فسر الصوفية المراقبة بقوله من سورة آل عمران ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). للمزيد ينظر: المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٢، ص ٤٢٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٣٠٢؛ الحنفي، عبد المنعم، معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٠٨-١٠٩.

(٩٤) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص التجيبي (ت ٣٥٠هـ/٩٥٣م) ولاية

مصر، تح: حسين نصار، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٥٩.

(٩٥) سورة الانفال، الآية: ٦٢.

(٩٦) حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص ١٢٨.

(٩٧) المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٢، ص ٧٩.

(٩٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣٦٣-٤٠٢.

(٩٩) عبد الله بن السري بن الحكم والي مصر في العصر العباسي، اشتغل بالوجه القبلي وجزء من الوجه البحري وحارب خالد بن يزيد الشيباني الذي قام بمحاربة خالد بن يزيد الشيباني الذي ولاه المأمون على مصر مات (٢٠٥هـ/٨٢١م). للمزيد ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٤٥٥.

(١٠٠) ينظر: الكندي، ولاية مصر، ص ١٨٦-١٨٨.

(١٠١) جمع كلمة زاوية وهي مأخوذة من الفعل انزوى أي اتخذ ركناً من اركان الجامع للاعتكاف والعبادة، وكانت الزوايا اول امرها ملحقة بالمسجد الجامع الا أنها تطورت فيما بعد وانتشرت في أرجاء المدن وقد يتخذها أحد الشيوخ المعروفين سكناً له ويعقد بها حلقات التدريس وتعرف باسمه أو باسم بانيها. للمزيد ينظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٣، ص ٢٨١؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج ٤، ص ٤٢٣؛ المياح، مشتاق كاظم، الحركة الفكرية في مصر في العصر الايوبي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠٠٦م، ص ٦٧.

(١٠٢) المقرئزي، السلوك، ج ١، ص ١٥٩؛ دولت عبد الله، معاهد تزكية النفوس، ص ٥٢.

(١٠٣) منصور، احمد صبحي، العقائد الدينية في مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٢.

(١٠٤) منصور، العقائد الدينية في مصر، ص ٣٢.

- (١٠٥) نصر بن احمد بن نصر وعرف بالدقاق الكبير كان من اقران الجُنيد البغدادي من كبار مشايخ مصر، وقيل أنَّه مات انقطع دخول الفقراء إلى مصر. للمزيد ينظر: الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٧٦
- (١٠٦) بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد اصله من واسط سكن مصر واستوطنها ومات بها، صحب الجنيد وغيره توفي في القاهرة ودفن بالقرب من الجبل تجاه جامع محمود. للمزيد ينظر: الشعراني، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٤٣؛ السلمي، طبقات الصوفية، ص ٢٩١
- (١٠٧) محمد بن احمد بن القاسم البغدادي نزل مصر كان إماماً مغنياً قال ان استاذة في التصوف هو الجنيد البغدادي. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٢، ص ١٩٥؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٠٠ - ٤٠١
- (١٠٨) التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، ص ٨٠-٨٢؛ عاشور سعيد عبد الفتاح، السيد احمد البدوي شيخ وطريقة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٧م، ص ٣٣؛ النجار، الطرق الصوفية في مصر، ص ٨٧
- (١٠٩) تقع هذه الدار برحبة باب العيد في القاهرة، كانت قبلها في الدولة الفاطمية دار الاستاذ قنبر وكانت تقابل دار الوزراء بجوار بركة الفيل فسكنها الوزراء ولما جاء صلاح الدين جعلها دار لاسكان الفقراء ووقف عليها بستاناً وولي عليها شيخاً كما رتب للصوفية فيها كل يوم لحماً وخبزاً فكانت أول خانكاه بنيت بمصر. للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٤١٥
- (١١٠) المقرئ، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٤١٥؛ توفيق الطويل، التصوف ابان العصر العثماني، ص ٣٧
- (١١١) خطط مبارك، ج ٢، ص ٩٠
- (١١٢) ينظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٣٦.
- (١١٣) ينظر: النوادر السلطانية، ص ٦٦
- (١١٤) ينظر: المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٤١٥.
- (١١٥) حسين، علي صافي، الادب الصوفي في القرن السابع الهجري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٣٢٦.
- (١١٦) ينظر: المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٢٠٣.
- (١١٧) ينظر: الادفوي، الطالع السعيد، ص ٦٩٣؛ التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، ص ٩٥.
- (١١٨) ينظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٨٢؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٧٥
- (١١٩) ينظر: الادفوي، الطالع السعيد، ص ٣٠٠-٣٠٢؛ قاسم، قاسم عبدة، ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ١٩٩٠م، ص ٤٧.
- (١٢٠) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٣٧
- (١٢١) المقرئ، مذاهب اهل مصر وعقائدهم، ص ٣٢-٣٣
- (١٢٢) نبتة تشبه العشب وقيل: هي اليابس من العشب لها مفعول مخدر وتسمى ايضا القنب الهندي يقول ابن مماتي عنها أنَّها تكثر في كانون الأوّل والثاني مع الزرع. للمزيد ينظر: ابن فارس، ابي الحسين احمد بن زكريا (ت ٣٩٥هـ/١٠١٧م)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ١٠-١٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٨٨٥؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٤٣؛ الفيومي، المصباح المنير، ص ١٣٨.
- (١٢٣) اصدر السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة (٦٣٢هـ/١٢٤٣م) مرسوما تضمن منع زراعة الحشيشة، كما امر بجمع المحاصيل المزروعة منه وحرقتها. للمزيد ينظر: الزركشي، زهر العريش في تحريم الحشيش، ص ٢٧؛ المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ١٢٦-١٢٩.
- (١٢٤) منصور، العقائد الدينية في مصر المملوكية، ص ٤٩.

- (١٢٥) ابن دقماق، الانتصار، ص ٧٦.
- (١٢٦) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص ٢٧٠.
- (١٢٧) النعمي، الدارس، ج ٢، ص ١٦٤.
- (١٢٨) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٦٣٨.
- (١٢٩) حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥١١ - ٥١٨.
- (١٣٠) خضر بن ابي بكر المهراني اصله من قرية المحمدية من جزيرة ابن عمر كان ينسب اليه احوال ومكاشفات كان مقرباً من السلطان الظاهر بيبرس وكان الاخير يخضع له ثم تغير عليه واراد قتله مات سنة (٦٧٦هـ / ١٣٠٧م). للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٥، ص ٢١٨؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج ٣، ص ٧٥٠.
- (١٣١) محمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان نزيل الاسكندرية احد مشايخ الصوفية اقام بحلب مدة ثم اجتاز دمشق قاصداً الديار المصرية، وولي دار الحديث الكاملية مات سنة (٦٦٢هـ / ١٢٧٣م). ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١، ص ١٦٨؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٢١.
- (١٣٢) ابو اسحاق إبراهيم بن معضاد بن شداد أحد الزهاد المشهورين اصله من قلعة جعبر سكن القاهرة وروى عن السخاوي، وكان لكلامه وقع على القلوب لصدقه واخلاصه، مات سنة (٦٨٧هـ / ١٢٨٨م) للمزيد عنه ينظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ١٢٣ - ١٢٤؛ المناوي، الكواكب الدرية، ج ٢، ص ١٥.
- (١٣٣) كان صالحاً يعظ الناس وكان لوالده ولوعظه رونق، مات سنة (٧٣٧هـ / ١٣٣٧م). السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٢٣.
- (١٣٤) سحب ياقوت العرشي وتزوج بابنته، وجلس للوعظ وانتفع به الناس مات سنة (٧٩١هـ / ١٣٩٢م). السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٢٧.
- (١٣٥) ابو القاسم بن منصور بن يحيى المالكي الاسكندري احد كبار الصوفية الذين شهدوا نهاية الدولة الايوبية، وبداية دولة المماليك أثر حياة الزهد والعبادة والتقشف واتخذ له خلوة يتعبد فيها و له بستان يقتات منه، ويعمل فيه ويطعم الناس من ثماره، توفي سنة (٦٦٢هـ / ١٢٦٢م). للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٣٠٦؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٦٩.
- (١٣٦) احد افراد الاسرة الوفاية المشهورة بالتصوف في الاسكندرية كان يقظاً حاد الذهن مالكي المذهب له نظم كثيرة، اخذ التصوف عن والده وجده سلك طريق الشاذلية (ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٦م). للمزيد ينظر: ابن العراقي، الذيل على العبر، ج ١، ص ١٥٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٣٥٢.
- (١٣٧) شهاب الدين احمد بن حسن بن علي الخزرجي الانصاري احد ابرز وجوه التصوف في الاسكندرية في وقته تتلمذ على يده العديد من رجال الطريقة الشاذلية وتلميذه وخليفته ابن عطاء الله السكندري، وارث علم الشاذلي لم يضع كتاباً يقول: كتني أصحابي (ت ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م). للمزيد ينظر: الكوهن، طبقات الشاذلية، ص ٦١؛ ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص ٧٥.
- (١٣٨) ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الكريم الجذامي الاسكندراني تتلمذ على ابا العباس المرسى واخذ عنه التصوف وهو من اظهر قواعد التصوف الشاذلية من خلال مؤلفاته الكثيرة، واشهرها الحكم العطائية، توفي سنة (٧٠٩هـ / ١٣١٠م). للمزيد ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج ٩، ص ٢٤؛ الشعراني، طبقات الشعراني، ج ٢، ص ١٩.
- (١٣٩) ياقوت بن عبد الله الحبشي احد اشهر المتصوفة في مصر صحب ابا العباس المرسى في طريق التصوف وأخذ عنه، وكان يقصد للدعاء والتبرك مات سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣٣م). للمزيد عنه ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٩٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٤٠٨.

- (١٤٠) مدينة بالصعيد بينها وبين قوص يوم واحد والنسبة اليها قنائي وقد نسب اليها جماعة من اكابر الكتاب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ٣٩٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧٣.
- (١٤١) ابو الغيث مفرج بن موقف بن عبد الله من مشاهير الصوفية الصالحين، وممن ترجى بركاته واشتهرت كراماته مات سنة (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) عن عمر يناهز التسعين عاما. للمزيد ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥١٩.
- (١٤٢) علم الدين إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر كان ممن جمع الشريعة والحقيقة، له كرامات ومكاشفات ومعارف صوفية مات بقنا سنة (٦٥٢هـ / ١٢٥٤م). للمزيد ينظر: الادفوي، الطالع السعيد، ص ٨٠؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥١٩.
- (١٤٣) احد الفقهاء الصوفية الفضلاء المشهورين بالصلاح، مالكي المذهب ولد بقنا وسمع من شيوخ كبار وله خط جيد كتب كتباً كثيرة وكان رغم فاقتة عديم السؤال توفي سنة (٦٥٥هـ / ١٢٥٧م). ينظر: الادفوي، الطالع السعيد، ص ١٠٥؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥١٥-٥١٦.
- (١٤٤) من المشهورين بالكرامات، وذكروا ان الشيخ القنائي عبد الرحيم صاحب الطريقة كان يذكره ويقول: "يأتي بعدي رجل من الغرب يكون له شأن فقدم هذا". مات بقنا سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م). الادفوي، الطالع السعيد، ص ٢٧؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥١٩.
- (١٤٥) عبد الغفار بن احمد بن عبد المجيد الاقصي القوصي المعروف بابن نوح من شعراء التصوف بمصر وصنف كتابا سماه الوحيد في سلوك اهل التوحيد توفي سنة (٧٠٨هـ / ١٣٠٩م). للمزيد ينظر: الادفوي، الطالع السعيد، ص ١٧١؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٢٤.
- (١٤٦) احمد بن محمد صاحب الكرامات والعجائب عرف عنه اللثام كما عرف عن البدوي كان مقيماً بالصعيد مات سنة (٦٧٢هـ / ١٢٧٣م). للمزيد ينظر: الادفوي، الطالع السعيد، ص ٦٦.
- (١٤٧) مدينة مصرية جنوب شرق الاسكندرية اسماها العرب القدماء طنتدا وطنطة وغيرها من الاسماء وهي ملتقى الطرق البرية وقد تمتعت بشهرة دينية منذ ان نزلها السيد البدوي. للمزيد ينظر: ابن ممتي، قوانين الدواوين، ص ١٦١؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٣٥.
- (١٤٨) خليفة السيد احمد البدوي كان له شهرة وصلاح يُقصد للزيارة والتبرك مات بطنطا سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣٣م). للمزيد ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٢٥.
- (١٤٩) مدينة كبيرة بينها وبين الاسكندرية يوم واحد في طريق مصر وهي ضمن اقليم البحيرة. للمزيد ينظر: ياقوت معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٣٧؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ٣٣.
- (١٥٠) ابو حفص سراج الدين عمر بن عبدالله المغربي اشتهر بالسائح لأنه ساح في البلاد الاسلامية كان معاصراً للدسوقي رحل إلى مصر، واستقر بدمنهوور واتصل بالشاذلي وصار خليفته وتوفي بها سنة (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م). للمزيد ينظر: خلف الله، من قادة الفكر الصوفي، ص ٤٥.
- (١٥١) احمد بن محمد بن إبراهيم المراغي كان مهاباً مكرماً من السلطان الافرم، ينزل اليه إلى زاويته التي اقيمت بالشرف الشمالي للميدان الكبير توفي سنة (٧١٧هـ / ١٣١٧م). للمزيد ينظر: ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٧٠.
- (١٥٢) علي بن داود بن يحيى الحنفي من مشاهير الفضلاء ذو الفنون المتعددة توفي سنة (٧١٨هـ / ١٣١٨م). للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٧٩.
- (١٥٣) كان رجلاً كبير معمرًا قيل أنَّه كان عمره اربعين عام في وقعة بغداد وكان يحضر إلى الجامع الاموي تحت قبة النسر هو وأصحابه إلى ان توفي بزوايته التي عند سوق الخيل سنة (٧١٨هـ / ١٣١٨م). للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٢٠٤؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ١٩٢.

- (١٥٤) احد أصحاب ابن تيمية، كانت له عبادة وورع وتكشف لم يتولى وظيفة ولم يكن له مال وكان يؤتى له بمال يستتفقه قليلاً قليلاً توفي سنة (٥٧٤٩/١٣٤٩م). للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٥٠٦.
- (١٥٥) ابو عبد الله محمد بن عمر بن قوام كانت لاسرته بني قوام زاوية غرب الصالحية عرفوا بها توفي سنة (٥٧١٨/١٣١٨م). للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٨٣؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٢٨٤.
- (١٥٦) ابو الفتح نصر بن سليمان بن عمر كان له زاوية بالحسينية يزار فيها لايخرج منها الا يوم الجمعة توفي سنة (٥٧١٩/١٣١٨م). للمزيد ينظر: الذهبي، دول الاسلام، ص ٢٦٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٩٧.
- (١٥٧) كان فيه صلاح كثير ومواظبة على الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر توفي سنة (٥٧٤٢/١٣٤٢م). للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٤٤٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٦٥.
- (١٥٨) هو المعمر الرحلة علي بن محمد بن ممدود بن عيسى الصوفي قدم من بغداد وكان يروي الحديث كان والده محدثاً اسمعه اشياء كثيرة عن اشياخ عدة توفي سنة (٥٧٣٦/١٣٣٦م). للمزيد ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١١٩-١٢١؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٩٩.
- (١٥٩) هو العز حسن بن احمد بن زفر الدمشقي الصوفي كان مقيماً بدويرة حميد احدى خانقوات دمشق وتسمى الخانقاه الدويرية بالقرب من باب البريد توفي سنة (٥٧٢٥/١٣٢٥م). للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٢٧٢؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ٢٦٠.

مواقف المتصوفة من الفقهاء في عصر سلاطين

المماليك

د. ايمان التميمي

المبحث الاول: ظروف قيام دولة المماليك

المبحث الثاني: مواقف المتصوفة من الفقهاء

المبحث الثالث : مواقف الفقهاء من المتصوفة

الملخص

وقف المتصوفة مواقف متباينة من الفقهاء وطرقهم الصوفية وافكارهم، ما بين التأييد والرفض، فمن الفقهاء كان يشيد بهم ويمتدحهم وينقاد لأمرهم، ولا نبالغ لو قلنا ان العديد من الفقهاء كان لهم اعتقاد بالمتصوفة، وانضوا تحت اجنحة المتصوفة، ومنهم من ينكر عليهم آراءهم وتصرفاتهم وغالى في ذلك، ووقف موقفاً معادياً من الصوفية وافعالهم ومؤلفاتهم، قد تصل هذه المواقف الى درجة التعزير او التشهير والقيام بالدس عليهم لدى السلاطين وتحريض العامة عليهم، بنفس الوقت كان الصوفية يققون مواقف متباينة من الفقهاء بين السلب والايجاب، او الدس عليهم لدى الامراء والسلاطين واستغلال مكانتهم لدى ارباب الدولة، والقيام بالرد عليهم بمؤلفاتهم الصوفية، كما احتج المتصوفة على الفقهاء انكارهم عليهم مؤلفاتهم الصوفية كما انكروا عليهم تدخلاتهم في ذلك، كما وجه كل منهم الانتقادات للأخر ورد عليه بالمؤلفات والمناظرات.

المبحث الاول

ظروف قيام دولة المماليك

عند الحديث عن ظروف قيام هذه الدولة ونشأتها، لابد من الاجابة عن عدد من التساؤلات للتعرف على من هم هؤلاء المماليك؟ وكيف قامت دولتهم؟ وماهي سياستهم في الوصول الى الحكم؟ والاسباب التي ادت الى ذلك.

فالمماليك: ليسوا عبيداً، انما امتلكوا بقصد تربيتهم والاستعانة بهم كجند او للخدمة في القصور السلطانية وما شابه ذلك، على عكس العبيد، تلك الكلمة التي تعبر في مدلولاتها على كل معاني العبودية، فالعبد يولد من الرقيق، بينما المملوك يولد من ابوين حرين، ويختلف عن العبد في لونه عن المملوك، فالأول يكون اسود اللون غالباً، بينما يكون المملوك لونه ابيض، ^(١) ويذكر ابن منظور: "ان المملوك هو العبد، والجمع مماليك، وهو من يملك، ولم يملك ابواه، بينما العبد القن هو من يملك هو وابواه. ^(٢) وقد اتخذ لفظ المماليك مصطلح في التاريخ الاسلامي، فاصبح يطلق على الرقيق الابيض، الذين يجلبهم التجار، نتيجة لعمليات البيع او الشراء، أو نتيجة للأسر في الحروب، ^(٣) ويذكر المسعودي أن استعمالهم في الحروب كان منذ زمن الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨١٤م)، الذي اكثر من جلب الاتراك وجعلهم في جيوشه، واعتمد عليه ليكونوا موضع ثقة، ^(٤) بعد ان ازداد نفوذ الفرس، الذين أزررو الدولة العباسية، وكان لهم دور كبير في قيامها، ويرجع سبب اعتماده عليهم، لان امه كانت من الاتراك، وكونهم كانوا متدربين على اعمال الجيش العسكرية، وقوتهم البدنية بسبب شظف العيش في الاماكن التي كانوا يعيشون فيها، ^(٥) ولا نريد الخوض في باقي التفاصيل زمن الدولة العباسية بل ان ما يهمنا أن هؤلاء المماليك زاد نفوذهم، كما ازدادت أهميتهم في الحياة السياسية ومفاصل الحكم في مصر وبلاد الشام، ^(٦) واستطاعوا السيطرة على مقاليد الحكم في مصر وبلاد الشام، والحجاز، والجزيرة الفراتية، فبعد ان انتقلت السلطة الى الايوبيين، وجد صلاح الدين الايوبي

(٥٦٧-٥٨٩هـ/١٧١١-١١٩٣م) نفسه مضطراً للاعتماد عليهم، بسبب الظروف السياسية التي شهدت الصراع بين الصليبيين والمسلمين، فلجأ الى تقوية جيشهم به، فيذكر صاحب الخطط المقرينية: أنه ازال الجند العبيد والسودان الذين كانوا عدة الجيش الفاطمي، ^(٧) واشترى بنفسه مجموعة كون بها فرقة، سميت بالفرقة الصلاحية نسبة اليه، أو الناصرية، نسبة الى لقبه الملك الناصر، ^(٨) بعد موت صلاح الدين تقسمت املاك دولته الى امارات حكمها افراد البيت الايوبي في مصر وبلاد الشام، وكان بينهم خلافات دائمة، ولم يكن ينفعهم سوى الاعتماد على جند مجلوبين من بلاد اخرى مختلفة، بيد ان هؤلاء الاجلاب زاد نفوذهم بسبب هذه الخلافات بين هؤلاء الافراد، كما انهم لم يكونوا من اصل واحد ^(٩).

اما كيف وصل المماليك الى الحكم، فيبدوا جلياً أن لصلاح الدين الايوبي الفضل في جلبهم والاعتماد عليهم، وانه بمؤازرتهم استطاع ان يتربع على عرش مصر، ^(١٠) الا أن المسؤول الحقيقي عن ازدياد نفوذ هؤلاء المماليك، ووصولهم الى سدة الحكم وسيطرتهم على المراكز الحساسة في الدولة هو الملك الصالح نجم الدين الايوب (٦٣٧-٥٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م)، فيذكر المقريني: أن الملك الصالح هو الذي انشاء المماليك البحرية بالديار المصرية، واسكنهم قلعة في جزيرة الروضة على نهر النيل، ^(١١) واليه يعود الفضل في تكوين هذه الدولة التي ترأس عرشها بمؤازرة هؤلاء المماليك. ^(١٢)

اما تسميتهم المماليك البحرية، فقد اختلف المؤرخون في ذلك، كما اختلفوا في من هو اول سلطان حكم هذه الدولة، فابن دقماق ^(١٣) مثلاً يعتبر المعز ايبك اول سلطان مملوكي في هذه الدولة، يؤيده القلقشندي ^(١٤)، في حين يرى المقريني ^(١٥) مؤرخ مصر ان شجر الدر هي اول من ملك عرش مصر من سلاطين المماليك، ونحن نذهب الى ما ذهب اليه المقريني كونه مؤرخ مصر اولاً، وتعليلنا: انه في الوقت الذي اراد فيه الملك الصالح نجم الدين ايوب التصدي للحملة الصليبية السابعة، كانت ترافقه زوجته شجر الدر، عندما وصل الى مدينة دمياط، الا انه كان طريح الفراش، ولما

وصلت الحملة الصليبية، كانت قد وافته المنية، قبل ان يتصدى لتلك الحملة سنة (١٦٠٠هـ/١٢٥٠م). (١٦)

بادرت شجر الدر زوجة الملك الصالح بعد وفاته الى ادارة شؤون الحكم والحرب بمساعدة امرائه الصالحية، واخفت خبر موته عن الجند، خوفاً من ضعف امر المسلمين، وارسلت الى ابنه توران شاه ليتولى عرش ابيه، وسلمته مقاليد الحكم، بيد انه تنكر لصنيعها وعاملها باستهتار، وعدم تقدير للموقف الذي صنعتة في ادارة الحرب والبلاد التي كان يجب ان يديرها، واخذ يتوعدها، كما انه اساء معاملته ممالك ابيه الصالحية الذين كانوا عوناً لهم وشاركوهم في نصرهم على الصليبيين. (١٧)

كانت نتيجة لتصرفات توران شاه ابن الملك الصالح تجاه ممالك ابيه، ان يثوروا عليه ويقتلوه بشكل مأساوي مريع وصفه المقريزي: بأنه مات جريحاً حريقاً غريقاً، (١٨) لترتقي شجر الدر عرش الممالك وتكون اول السلاطين في مصر وبلاد الشام، (١٩) والتي اخذت تدير الشؤون الادارية والعسكرية، وتتصر بمساعدة الممالك الصالحية على الصليبيين الموجودين في بلاد الشام آنذاك، وتثبت حكم الممالك في مصر، بعد ان كانت امتحاناً رهيباً لهم، (٢٠) وبمثابة صرخة الميلاد لهذه الدولة الناشئة. (٢١)

كان اعلان شجر الدر ارملة الراحل الملك الصالح نجم الدين ايوب اول سلطنة تجلس على عرش الممالك، وعلى الرغم من الدور البطولي الذي لعبته بعد وفاة زوجها الملك وانتصاراتها التي حققتها والاصلاحات التي قامت بها وقصر مدة حكمها، الا انها اصطدمت بعدم قبول الرأي العام الاسلامي لامرأة تجلس على عرش السلطنة من جهة، ورفض الخلافة العباسية في بغداد مساندتها واعطاءها الشرعية بحكم البلاد، كما رفض الخليفة العباسي اعطاءها التفويض بحكم البلاد، مما انهى حكمها بسرعة، (٢٢) فما كان منها الا ان تنازلت عن الحكم للأمير عز الدين ايبك احد الامراء الصالحية بعد زواجه منها، (٢٣) بعد ثمانين يوماً من حكمها، وتولى الاخير عرش البلاد تحت اسم السلطان المعز عز الدين ايبك. (٢٤)

وبذلك نستخلص ان الظروف السياسية، كانت نتاجاً لقيام دولة المماليك الاولى، والتي عرفت بالمماليك البحرية، كما ان هذه الظروف تخللتها حقيقة هامة جداً، ان هؤلاء السلاطين لم يكونوا من اصل واحد، او سلالة واحدة حاكمة، وانهم قد مسهم الرق، وحصلوا على الحرية بالعتق، كما كانوا يعتقدون انهم متساوون في الحقوق، وان عرش المماليك من حقهم جميعاً، بيد انه للأقوى منهم، وعلى ذلك قامت دولتهم التي آمن سلاطينها وساروا على هذه النظرية الدموية التي جعلها الحكام المماليك اساساً وشرطاً لتوليهم الحكم، وهي نظرية الحكم لمن غلب. (٢٥)

ان ما يهمننا مما سبق هي التحديات الكبيرة التي واجهتها هذه الدولة الناشئة، والتي كان فيها التنافس على العرش على اشده، فحكامها لم يحترموا نظام الوراثة في الحكم، ولم يؤمنوا او يعترفوا به، (٢٦) وذلك بسبب طبيعتهم العسكرية من جهة، وشعورهم بأنهم متساوون في الحقوق من جهة اخرى، مما جعل كبار امرائهم يعتقدون ان العرش من حقهم جميعاً، بيد انه يجب ان يفوز به الاقوى منهم، لذلك ظل عرش السلطنة محل تنافس ونزاع بين كبار الامراء، ولاسيما عندما يخلو العرش عند موت السلطان الحاكم، حيث يهرع قاتله لتسليم الحكم، وقد نجد بعض الحالات المختلفة، مثلما حصل عندما مات السلطان المعز عز الدين ايبك، حيث ان الامير قطز لم يتعجل الجلوس على العرش كونه لم يقتله، بل مات، فأمسك بزمام الامور ليواجه التنافس، وترك امر السلطة الفعلية لابن استاذة السلطان ايبك، (٢٧) بيد انه استغل الظروف السياسية الداخلية للدولة، والاحوال المتردية، بسبب الفتن التي اثارها طوائف المماليك سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، ليرتقي عرش السلطنة، بعد ان اصبحت الدولة غير قادرة على تحمل المؤامرات والدسائس التي تحصل بين الامراء، كما ان السلطان الصغير لعب بأحوال البلاد، فما كان من الامير قطز الا ان يخلع ابن استاذة، ويجلس على العرش المملوكي. (٢٨) ليسير فيه السيرة الحسنة وتكون بذلك قد اكتملت خطواته نحو العرش ليصبح سلطاناً على الديار المصرية، ويجلس على سرير الملك بقلعة الجبل، (٢٩) ليكون اول مملوك يخلع ابن استاذة ويتسلطن عوضاً عنه، (٣٠) كما ان جلوسه على العرش لم يكن نهاية لرحلته، اذ كان عليه ان يوطد دعائم حكمه في الداخل، قبل ان يتوجه للقاء اعداءه في الخارج، وقد تم له ذلك بعد ان واجه

معارضة كبار الامراء المعزية، الذين انكروا عليه خلع ابن استاذهم وجلسه على العرش، الا ان هؤلاء اصطدموا باعتذاره اليهم، بسبب حركة التتار الى مصر والشام، وانه يجب توحيد القوى لمواجهتهم، وبذلك استطاع ان يبيث الطمأنينة في قلوب معارضيه، ويمتص غضبهم، ويكسب مساندتهم له لمواجهة اعداءه، وانجاز مهمته التاريخية الكبيرة في التصدي للمغول.^(٣١)

وما كادت تأتي سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، حتى دخل المغول بغداد، واسقطوا الخلافة العباسية فيها، وقتلوا آخر خليفة من خلفاء بني العباس،^(٣٢) وتابعوا زحفهم الى بلاد الشام بقيادة هولاكو سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، ثم توجهوا بعدها الى حماة، ثم الى دمشق حتى وصلوا الى اطراف بلاد الشام،^(٣٣) وكان هولاكو يهدف من مسيره هذا الوصول الى مصر، وفعلاً ارسل انذاراً الى قائد الجيش قطز في نفس السنة المذكورة طالباً منه الاستسلام، الا ان الاخير رفض طلب هولاكو، كما اقدم على قتل الرُّسل الذين حملوا الانذار،^(٣٤) والذي كان عددهم نيف واربعون نفرًا على ما ذكره ابن ايبك،^(٣٥) كلهم علقت رؤوسهم على باب زويلة^(٣٦) احدى ابواب القاهرة القديمة، بأمر منه ثم نادوا بالجهاد في سبيل الله في مصر والقاهرة، بعد ان قرر قائد الجيش المظفر قطز مواجهتهم وعدم الرضوخ والاستسلام لتهديدهم.^(٣٧)

لعلنا لانبالغ او نتحيز في القول :ان الظروف خدمت دولة المماليك، كي تقوم دولتهم، وينتصر الاسلام بهم، كما خدمتهم الظروف نفسها في الانتصار على المغول، فقد حدثت على الساحة المغولية ظروف، جعلت من هولاكو الذي لم يخسر اي معركة طوال حياته ان ينسحب الى دولته خوفاً على املاكه في ايران، على اثر وروده نبأ موت اخيه الذي كان متربعا على عرش الدولة المغولية،^(٣٨) تاركاً قيادة الجيش الى قائده كتبغا^(٣٩)، تجاه هذه الظروف قرر المماليك استغلال هذه الفرصة لصالحهم، فقاموا بعدة حملات استطلاعية قادها الظاهر بيبرس، بعد ان قامت عدة مداولات بين قائد الجيش المملوكي قطز، وامراء جيشه الذي كان بيبرس احدهم، وذلك للوقوف بوجه المغول.^(٤٠)

ان النصر الذي كان حليف المسلمين يرجع الى الخطة الذكية التي اتبعها القائد قطز، والامير بيبرس، الذي استطلع المكان وشاهده على حقيقته قبل المعركة، وكانت تلك اول مرة توضع خطة المعركة على ارض الواقع وتشاهد ارض المعركة قبل وقوعها،^(٤١)

فكان النصر حليفهم بأذن الله في تلك المعركة التي وقعت بين الطرفين، والتي عرفت بمعركة عين جالوت نسبة الى المنطقة التي وقعت فيها سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)،^(٤٢) ودقت الطبول ونقلت البشائر بالنصر الى دمشق والقاهرة، وتهيأت دمشق لدخول القائد المنتصر قطز، كملك متوج على عرش سلاطين المماليك، الا ان المنية وافته على يد قائد جيشه وشريكه في النصر الظاهر بيبرس، الذي دبر مؤامرة قتله، ليحتل مكانه على عرش السلطنة المملوكية^(٤٣)، حسب نظرية المماليك، الحكم لمن غلب،^(٤٤) الذي اصبح شعاراً وطريقة في تولي السلاطين الحكم في هذه الدواة الناشئة، وليتحدد مصيرها ويتولى حكمها عدد من السلاطين، كما جرت العادة لديهم انهم يبادروا بتولية السلطان الجديد العرش قبل الشروع بدفن السلطان الراحل.^(٤٥)

نستشف مما سبق ان الظروف السياسية خدمت هذه الدولة لتظهر وتتمو وتصبح الحامية المدافعة عن الاسلام ضد المغول، ويصبح شعار حكامها في توليهم للحكم، وكما اطلق عليها المؤرخون، نظرية الحكم لمن غلب.

المبحث الثاني

مواقف المتصوفة من الفقهاء

اختلفت علاقة المتصوفة مع الفقهاء، وذلك تبعاً لمنهج هؤلاء المتصوفة وطريقتهم، فقد اختصر الصوفية علوم السُّنة واطلقوا عليها (علم الظاهر) واطلقوا على علومهم (علم الباطن)، وغلفوا ذلك الادعاء بادعاء هم الكرامات والمنامات التي ساد الاعتقاد بها في ذلك العصر حتى عُرف علمهم بالعلم الدُّني، أي أنَّه الذي يأتي من وحي الله كما يزعمون، فالتصوف في العصر المملوكي جاء بعلم جديد للصوفية، هو العلم الذي لا يحتاج إلى اسناد، يقول فيه الشيخ الصوفي ما يشاء، ويزعم ان علمه هذا من الله جَلَّ وعلا مباشرة، وبلا واسطة، أي أنَّها وحي الا هي مباشر.

وينتقد الدسوقي الفقهاء بقوله: لو أن الفقيه اتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما امره الله تعالى لاستغنى عن الشيخ، ولكنه اتى العبادات بعلل وامراض لذلك احتاج إلى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء.^(٤٦)

احتج المتصوفة على الفقهاء انكارهم عليهم مؤلفاتهم الصوفية كما انكروا عليهم تدخلاتهم في ذلك، فقد انكر الفقهاء على الامام الغزالي وعلى ما كتبه في كتابه (احياء علوم الدين)، فالبعض من الفقهاء شنعوا عليه اشد تشنيع، وذهبوا الى ان فيه من الكفر والغرائب والاحاديث المنكرة، واراد بعض علماء المغرب احراقه ومنهم الامام المازري (ت ٥٣٦هـ/١١٥٨م)^(٤٧)، وقالوا: هذا احياء علوم دينه، وليس احياء علوم ديننا، واحياء علوم ديننا هو الكتاب وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيذكر ابن كثير عن الكتاب: أنَّه كتاب عجيب يشتمل على علوم من الشرعيات ممزوج بأشياء لطيفة من التصوف، واعمال القلوب، ولكن فيه احاديث وغرائب ومنكرات، ومنها ما هو موضوع، وكان رد الامام الغزالي عليهم بقوله: "انا مُرَجِّي البضاعة في الحديث"^(٤٨) على الرغم من مكانة الامام الغزالي عند اهل عصره وسعة مؤلفاته، الا ان المؤلفة ترى ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ليست بضاعة للبيع والشراء ولا تحتاج الى ترويج او تسويق كما وصفها وأَنَّها احاديث قدسية لا جدال فيها، صادرة عن خير الانام وعلى كل المسلمين الاخذ بها.

انكر المتصوفة على ابن القيم أقواله عنهم وردوا عليها في كتاباتهم فعندما قال: ان مخالفة الصوفية لطاعة الله فهو من اشد القبح، فإن حقيقة الصوفي أنَّه عمل بعلمه على وجه الاخلاص، فكيف يكون مخالفة هذا في افعاله وأقواله لطاعة الله تعالى، وقالو أنَّه كان عليه ان يقول: ان مخالفة من انتسب الى الصوفية، وليس هو منهم طاعة وقربة الى الله ليخرج ائمة الطريق، كما انكروا عليه قوله: ان الشريعة كانت كافية عن الحقيقة، رد وان الناس في الشريعة على مرتبتين احدهما: من عمل بالشريعة تقليداً من غير ان يصل الى مقام اليقين، والثانية: من عمل بها بعد وصوله الى مقام اليقين، فليست الحقيقة بأمر زائد على الشريعة، لأنَّ الحقيقة هي الاخبار بالأمور على ماهي عليه، وان المشرع لا يُخبر الا بالواقع، وغاية التصوف الوصول بالرياضات والمجاهدات الى مقام العلم^(٤٩) واليقين.^(٥٠)

أما قول ابن القيم : ان من قال حدثني قلبي عن ربي يكفر، وليس بمسلم قائله على الاطلاق، فقد فندوا أقواله وقللوا من علمه، وقالوا أنَّه لم يفهم أقوالهم، ودعوا له ان يغفر الله له ما اتهمهم به وأنَّه فسر الشريعة على حسب فهمه، وكان رد الصوفية عليه: انما يكون كفراً لو قال :اعطاني الله امراً يخالف الشريعة وصار يتدين به، واما ما اطلعه الله عليه عن طريق الالهام والتحديث، على اسرار الشريعة، وعلى زيادة الآداب في العمل بها، فلا مانع من ذلك، فما بلغنا ان احد من الاولياء ادعى أنَّه خرج عن تقليد الشارع، او من دائرة علمه ابدا (عليه افضل الصلاة)، بل كلهم يجمعون على ان جميع علومهم من باطن شرعه (صلى الله عليه وسلم)، ولا يجوز لاحد منهم العمل بما فهمه منها الا بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقة لهما.^(٥١)

اعاب ابن القيم على الصوفية وانكر عليهم السماع، فقالوا :لا وجه لتحريم سماع الاصوات المطربة مع الضرب بالقضيب على الدف والتصفيق، فان آحاد هذه الامور حلال، كذلك اذا اجتمعت تكون مباحة، ولا دليل على تحريم السماع من نص او لا قياس، واذا كان الصوت موزوناً فلا تحريم، كما انتقد ابن القيم الامام الغزالي في موافقته اباحة اجتماع السماع والضرب على الدف والتصفيق، فقال :لقد نزل ابي حامد بهذا الاحتجاج من مرتبة الفهم الصحيح، واني لأتعجب من انسلاخه من الفقه الى مثل هذه الهذيان، فالغزالي كان مجتهداً في مثل ذلك فلا لوم عليه من قوله

اجتماع هذه الامور ، وأضاف قد بلغنا عن الغزالي ما هو اقبح من القول بإباحة الغناء مع الالة المطربة فقد قال: -يقصد الغزالي -، من احب الله تعالى وعشقه واشتاق الى لقائه فالسمع في حقه مؤكد لعشقه، الا ان ابن القيم يُفند هذا القول ويقول: هذا خطأ لا يجوز اطلاق العشق على الله تعالى، لأنَّهُ يقتضي مماسة العاشق للمعشوق وهو الله تعالى، وذلك محال، بيد ان الصوفية ردوا على ابن القيم قوله واجابوا: أنَّه لا انكار على الغزالي وغيره في تسمية محبة الله عشقاً، معللين ذلك بأنَّهُ لم يرد لهم نهياً عن ذلك، وان العشق من اوائل مقدمات المحبة، فلو سمي العاشق لله محباً له كان ذلك كذباً، فالعاشق يطلب القرب من حضرة محبوبه لا الاتصال به، لأنَّهُ يعلم ان ذلك محال. (٥٢)

اتفق شمس الدين الجزري الشافعي المذكور اعلاه، مع الفقيه الحارثي في تكذيب ابن عربي رؤياه للمنام، وقال : ان من يصدقه فيما قاله، فحكمه كالحكم من التضليل والكفر، اذا كان عالماً، فان كان ممن لا علم له، وقال ذلك جهلاً عُرِفَ به، وبحقيقته، ويجب تعليمه وردعه مهما امكن، ويضيف الجزري : أما انكاره الوعيد في سائر حق العبيد كذب، وَرَدَّ لإجماع المسلمين، وقد دلت الشريعة دلالة قاطعة على أنَّه لابد من عذاب طائفة عصاة المسلمين، ومُنكَر ذلك يُكفر. (٥٣)

أما الفقيه بدر الدين الزركشي الذي عاش في هذا العصر وشاهد كل ما تحدث عنه، قد تصدى للمتصوفة متعاطي الحشيشة بآرائه التي جسدها للرد على أقوالهم وافعالهم في عدم تحريم الحشيش، من خلال كتابه الذي سماه (زهر العريش في تحريم الحشيش)، بعد ان اخذ متعاطوه الشرعية الدينية من زعيم الطائفة الحيدرية الذي كان يشجع على اكلها، ويدعي أنَّه هبة من الله اليهم، يقول لهم : ليذهب بأكله همومكم الكثيفة، ويجلو بفعله افكاركم الشريفة، فراقبوه فيما اودعكم وراعوه فيما استرعاكم، (٥٤) ويذكر المقرئ: أنَّه لم يقطع اكلها في يوم ويوصي اتباعه ويأمر مريديه دائماً بتقليل الطعام، واكل الحشيشة المخدرة التي تذهب بالعقل، (٥٥) والتي حرمها الله سبحانه وتعالى، وكافة المسكرات وعوضهم عنها بالمأكولات والمشروبات النافعة للروح والبدن، كما حرم السماع و الآلات اللهو واعاض عنها بسماع القرآن العظيم وآياته، وحَرَّمَ

الخبائث من الأطعمة واعاضهم عنها بالطيبات من المآكل النافعة، وعرف الذين آمنوا حكمته ورحمته، وابان نعمته عليهم. (٥٦)

لعل من المفيد ان نذكر ان الامير سودون الشيعلي، تصدى لمتعاطي الحشيشة، وامر بتتبعهم في الاماكن التي عرفت فيها انتشار متعاطيها ومنها الجنينة (٥٧) من ارض الطبالة (٥٨)، وحكر (٥٩) واصل (٦٠)، ببولاق (٦١)، وباب اللوق (٦٢) وغيرها من الاماكن التي كانت مراكز لتجمع هؤلاء المتعاطين، وامر بإتلاف ما هناك من هذه النباتات الضارة، والقبض على من يتعاطاها، بيد ان هذا التشدد، وهذه المشكلة، انتهت بموت هذا الامير، (٦٣) بيد ان المقريري يذكر: ان هذه المشكلة تجددت فيما بعد و" شنع التجاهر بالشجرة الملعونة، وظهر امره، واشتهر اكله، و انرفع الاحتشام من الكلام، وغلبت السفالة على الاخلاق، وارتفع ستر الحياء والحشمة بين الناس، وجهروا بالسوء من القول، وتفاخروا وانحطوا عن كل شرف وفضيلة، وتمسكوا بكل ذميمة من الاخلاق والرذيلة...". (٦٤)

وترى الباحثة ان المقريري اجاد بوصفه وقدم صورة صادقة عن حالة العصر ككل، والمتصوفة وما وصلوا اليه بشكل خاص.

موقف المتصوفة من وحدة الوجود

لا نبالغ لو قلنا أن غلو بعض الصوفية وادعاء بعضهم الآخر بوحدة الوجود، بمعنى أن الوجود كله واحد، فالله تعالى هو الوجود، والوجود هو الله، بمعنى أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، وبهذا الزعم الباطل المخالف للعقل والدين، الذي قاله كبار منحرفي الصوفية، وأوصلهم إلى هذا الضلال هو تعقبهم وأتباعهم لأهوائهم، واعراضهم عن الشرع، وعدم احتكامهم للعقل هو الذي اجج الصراعات والفتن المذهبية بين ابناء الطائفة الواحدة من الفقهاء وبين المتصوفة، فمثلا على الرغم من القاضي سراج الدين الغزنوي (ت ٧٧٣هـ / ١٣٧٣م) والذي تحدثنا عنه مسبقاً، كان يتعصب للصوفية الاتحادية، دعاة وحدة الوجود، أتباع ابن عربي، و أنه عَزَّر رجلاً تكلم في الصوفي عمر بن الفارض، (٦٥) وكان يقف مع دعاة وحدة الوجود موقفاً إيجابياً، بيد اننا نرى آخر من نفس الطائفة يقف بالصد من موقف المتصوفة دعاة وحدة الوجود، وربما ضد القاضي نفسه، و لعل من الجدير بالذكر ان صدر الدين القونوي (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)

الذي عاش في العصر المملوكي من اكبر تلاميذ ابن عربي، وتزوج الاخير من امه، وهو من تولى تربيته، كان يشيد بابن عربي وقدراته ويقول: ان شيخنا ابن عربي متمكناً من الاجتماع بروح من يشاء من الانبياء والأولياء الماضيين، وان شاء ادركه متجسداً في صورة مثالية، شبيهة بصورته التي كانت له في حياته الدنيا، وان شاء احضره في نومه، وان شاء اجتمع به، وهو أكثر كلام أهل الطريقة، ^(٦٦) ويبرر القنوي اعتقاد ابن عربي هذا و يوضح فيقول : ان الوجود الالهي عند الصوفية له اعتباران :احدهما من حيث كونه وجوداً فحسب، وهو وجود مطلق عن الاسماء والصفات، والآخر : اعتبار التعيين والتشخيص، ويضاف اليه كل وصف، و يسمى بكل اسم، ويقبل كل حكم، ويتقيد بكل مقام وبكل رسم. ^(٦٧)

موقف المتصوفة من الحول والاتحاد

وقف الصوفية من الحول والاتحاد الذي نُسب لهم، والذي كثرت أقوالهم في رده، والقول ببطلانته، ^(٦٨) مواقف متباينة، فقد حذر ابن عربي من القول به قائلاً: " واحذر من الاتحاد، فان الاتحاد لا يصح... " ^(٦٩)، أما الامام الغزالي قال :ان العارف الكامل كالمتردد بمذكوره، ولست اقول متردداً بالذات، فلا تغفل ولا تغلط ولا تسئ الظن. ^(٧٠)

يذكر احد المؤرخين :ان قول الصوفية ذلك وانكارهم القول بالحلول والاتحاد، وأنه شرك وكفر، يرجع الى ان ذلك يتعارض ويتضارب مع من يؤمن بوحدة الوجود، اي أنهم اذا قالوا بالحلول والاتحاد تتضارب أقوالهم فيما بينها، ^(٧١) وهذا ما ذهب اليه المؤرخ الصوفي عبد القادر عيسى في اعتقاد الصوفية بالحلول والاتحاد، فقال : ما ينبغي لمنصف ان يرميهم بهذا الكفر جزافاً، دون تمحيص او تثبيت من غير ان يفهم مرادهم، ويطلع على عقائدهم التي ذكروها صريحة في كتبهم كما في الفتوحات المكية. ^(٧٢)

المبحث الثالث

مواقف الفقهاء من المتصوفة

تباينت مواقف الفقهاء مع المتصوفة، مثلما تباينت مواقف بعض المتصوفة مع فقهاء المذاهب الأربعة من المتصوفة فمن الفقهاء من يؤيد سلوك المتصوفة ويحابي سيره في طريقته، ومنهم من ينكر عليه في طريقته الصوفية، ويتعصب لمذهبه، فالشعراني يرى: ان غالب الانكار الذي يقع بين الفقهاء والصوفية إنما بين القاصر بين كل منهما، وبين مثله، ويذكر ان: الكامل من الفقهاء يُسلم للعارفين، والعارفون يسلمون للعلماء، ويقول عن لسان الصوفية: كل حقيقة تخالف ظاهر الشريعة، فهي باطلة نصره لظاهر الشرع، والا فالحقيقة من اصلها لا تكون الا موافقة للشرع،^(٧٣) وينقل ابن العماد قوله ايضاً: ينبغي الاكثار من مطالعة كتب الفقه، عكس ما عليه المتصوفة الذين لاحت لهم بارقة الطريق فمنعوا مطالعتها وقالوا أنه حجاب وذلك جهلاً منهم.^(٧٤)

ويوصي الشعراني تلاميذه: أن يدورا مع الشرع كيفما كان، لا مع الكشف، فإنه لا يخطئ،^(٧٥) يبدو بذلك جلياً ان البعض من المتصوفة كان يميل إلى الفقه، وينقل الشعراني ما ذكره الشيخ زكريا الانصاري أنه: إذا لم يكن للفقيه علم بأحوال القوم واصطلاحاتهم، فهو فقيه جاف،^(٧٦) أما شيخ الوفاية^(٧٧)، فقد كان رأيه ان اصل التصوف هو الفقه، فقال: لا تبع ذرةً من الحب لله، أو في الله بقناطير من الاعمال.^(٧٨)

أما ابو العباس المرسى، فقد كان مهتماً بدعوة الفقهاء وطلاب الشريعة لسلوك الطريقة الشاذلية، ولذلك قال عنه ابن عطاء الله السكندري: أنه كان مكرماً للفقهاء، ولاهل العلم، وطلبتة إذا جاؤه،^(٧٩) يبدو أن ذلك يبين سبب تأثر علماء عصره به.

ويذكر ابن عطاء الله عنه أيضاً: أن علماء الزمان كان يسلمون له،^(٨٠) لعل ذلك ما دعى العلماء ممن جاء بعده بالتأثر بالطريقة الشاذلية كالسيوطي^(٨١) والمناوي^(٨٢)، الذين كانا من أتباع هذه الطريقة، فقد كان ابي العباس المرسى يرى أنه: لا تعارض بين سلوك طريقة التصوف وطريق الشريعة، فالشعراني كان محقاً حين قال:

عن الفقه هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة، ^(٨٣) فلا تصوف بلا فقه، ولا فقه بلا تصوف، فالفقه والتصوف شقيقان في الدلالة على احكام الله وحقوقه، ولهما حكم الاصل الواحد في الكمال والنقص، ^(٨٤) الا اننا نرى ان للصوفية تعصب اوصلهم اليه تعصبهم لمذهبهم وطائفتهم، ومنها حرصهم على ارتداء المرقعة أو الخرقه، واصرارهم على القول بأنها موروثة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو عن بعض الصحابة، ويذكرون عدة روايات منها ثلاث طرق اوصلوها للرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الخضر عليه السلام، أو عن الإمام علي بن ابي طالي عليه السلام، وعنه أخذ الحسن البصري خرقته في التصوف، أو عن طريق الإمام جعفر الصادق (ع) وعن طريق احد هؤلاء اخذ الصوفية خرقتهم. ^(٨٥)

فالحافظ المقدسي عندما ذهب إلى بغداد سنة (٥٦٠هـ/١١٨٢م) مع ابن خالته موفق الدين بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ/١٢٦١م) ^(٨٦)، التقيا مع الشيخ عبد القادر الجيلاني وانزلهما في مدرسته وكان لا يُنزل أحداً عنده لكنه توسم فيهما الخير فقبلهما عنده وكرمهما واسمعهما لكنه توفي بعد ذلك بخمسين ليلة. ^(٨٧) لعل ذلك اشارة الى بدايات لعلاقات طيبة بين الطرفين لم يشنتها الا موت الشيخ الجيلاني.

تذكر الدكتور سعاد الحكيم: ان ضياء الدين المقدسي المتوفى (٦٤٣هـ/١٢٤٦م)، قد اشاد بابن عربي وامتدحه واشى عليه، وكذلك الزملكاني الشافعي الذي كان يُعظمه، وشهد له السهروردي الصوفي بأنه بحر الحقائق، ^(٨٨) لعل ذلك احدى دلائل وقوف بعض الفقهاء الى جانب المتصوفة في ذلك العصر، وتضيف أنه لما حدث في حلب لغط حول ديوان ابن عربي " ترجمان الاشواق"، وحول حبه للتي اهداها الديوان، الا أنه استدرك الامر بناء على طلب تلميذه القونوي، وقام بكتابة شرح لشعره، دلل فيه على اشاراته ورموزه المادية في التصوف. ^(٨٩)

أما ابن دقيق العيد، فقد وقف موقفاً معادياً من الصوفية وافعالهم ومؤلفاتهم، وقال عن ابن عربي: أنه صاحب خيال واسع، وهو ما نقل عن غير واحد من فقهاء مصر ممن سمعوا كلامه، ^(٩٠) كما انكر على البدوي كراماته، ویتهمه بعدم الصلاة، وتنتهي القصة فيما بينهما بكرامة تجعل الفقيه يعتقد بولاية البدوي. ^(٩١)

وكان ممن رد على المتصوفة في كتاباتهم ومقالاتهم الفقيهان شمس الدين^(٩٢) الجزري الشافعي، والفقيه الحنبلي سعد الدين^(٩٣) الحارثي قاضي قضاة الحنابلة بالقاهرة المتوفيان في نفس سنة (٧١١هـ/١٣١٢م)، ان ابن عربي قال أنه اخرج كتاب الفصوص للناس عندما رأى النبي في منامه وامره بإخراجه اليهم، بل هو من اعطاه له، وعندما سُئلا وجماعة من العلماء عن بعض عبارات ابن عربي في الفصوص، وكان السؤال الذي وجه اليهم من قبل العامة : " ما تقول السادة العلماء، ائمة الدين، وهداة المسلمين في كتاب بين أظهر الناس، رَعَمَ مصنفه أنه وضعه وأخرجه للناس بأذن النبي في منامٍ رَعَمَ أنه رآه... "، وانكر فيه حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب من سائر العبيد، فهل يُكْفَر من يصدق في ذلك ام يرضى به منه ام لا، وهل يَأْثَم سامعه اذا كان عاقلاً بالغاً، ولم ينكره بلسانه او بقلبه ؟

فكان جواب الحارثي :الحمد لله ما ذُكِر من الكلام المنسوب الى الكتاب المذكور، يتضمن الكفر، ومن صدَّق به، فقد تضمن تصديقه بما هو كفرٌ، يجب الرجوع عنه، والتلفظ بالشهادتين عنده، وحقٌّ على من سمعه انكاره، ويجب محو ما كان مثله وقريباً من هذا الكتاب، ولا يُترك بحيث يُطلع عليه، فان في ذلك ضرراً عظيماً على من لم يستحكم الايمان في قلبه، وربما كان في الكتاب من التموهيات، والعبارات المزخرفة اشارات الى ذلك، لا يعرفها كل احدٍ، فيعظم الضرر، وكل هذه التموهيات ضلالات وزندقة، وانما الحق هو اتباع كتاب الله تعالى، وسُنَّة نبيه، وقوله : أنه أخرج الكتاب بإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمنامٍ رآه فَكَذَّبَ منه على رؤياه للنبي.^(٩٤)

على أن لا يفوتنا أن نذكر أن العديد من الفقهاء كان لهم اعتقاد بالمتصوفة، وكانوا ينقادون لأمرهم، فقد اعتقد العالم ابن اللبان^(٩٥) بتصوف ياقوت العرشي بسبب حادث حدثت بينهما، وهي ان السيد البدوي، تكلم بكلام في غير حقه وانكر عليه عمل المولد، وكان البدوي آنذاك أحد الاقطاب المشهورين بالتصوف وكان ابن اللبان عالماً بالقرآن والعلم والايمان، ولما انكر الفقيه على السيد البدوي، اختل عقله ونسي ما كان له من العلم، وظلَّ يستغيث بالأولياء فلم يقدر احد أن يتدخل في امره، الا أن دلوه على ياقوت العرش، الذي سأل البدوي أن يرد عليه رأس ماله، وهو عقله وعلمه، فاشتراط

البدوي عليه التوبة، فما كان من ابن اللبان الا التوبة، وكانت ذلك سبب اعتقاد ابن اللبان بياقوت العرش احد اولياء عصره، كما تزوج ابن اللبان من ابنة ياقوت العرش.^(٩٦)

يشير احد المؤرخين المعاصرين الى انضواء الفقهاء تحت اجنحة المتصوفة ويستشهد بذلك الحديث عن القطب الدسوقي، الذي تعرض لهجوم العلماء بنفس الوقت الذي تعرض فيه لهجوم الأمراء، بل لا يقل عنه شدة فكان يأتيه فريق من الفقهاء ليمتحنهُ، وليكشفهُ إمام الناس على مزاعمهِ، ولكن سرعان ما يتبخر علمهم الذي كانوا يريدون التباهي به عندما مقابلتهم الدسوقي، ويصف الدسوقي امثال هؤلاء الفقهاء لتلامذته بقوله: "... يا اولادي كم عالم غافل محجوب مزكوم لا شم ولا فهم ولا علم ولا نظر..."، ويذكر أيضاً أن ما جاء من العلماء يبحث عن حقيقته، وصدّق خبره لديه، صار من اتباعهِ، وبهذه الحال استسلم له الكثير من كبار علماء عصره، وقد اشار الدسوقي إلى ذلك في شعره بقوله:

وكم عالم قد جاءنا وهو منكّر
فَرَدَ بفضل الله من أهل خرقتي.^(٩٧)

من الظاهر اتفاق بعض فقهاء المذاهب المختلفة في اشتراكهم بتكفير بعض ادعاءات المتصوفة ممن لا توافق الكتاب والسنة، والرد عليهم من خلال المناظرات واجوبة الاسئلة التي تطرح عليهم مباشرة، او من خلال الكتب والمصنفات. لعلنا بذلك نكون قد وفقنا في عرض صور من أوجه الصراع المختلفة بين الفقهاء والمتصوفة، ومواقف بعض فقهاء المذاهب المختلفة من التصوف والمتصوفة، كما عرضنا مواقف بعض المتصوفة تجاه الفقهاء.

المصادر

- (١) ينظر: العريني، السيد الباز، المماليك، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٧٥؛ ماجد، عبد المنعم، نظم دولة سلاطين المماليك، مكتبة الانجلو المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٨٢م، ج ١، ص ١١؛ لين بول، ستانلي، تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والامراء والاشراف في الاسلام من القرن الاول حتى القرن الرابع عشر الهجري، تعريب: مكّي الطاهر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٦٩.
- (٢) لسان العرب، ج ١٤، ص ٢١٨.
- (٣) ينظر: زيتون، عادل، تاريخ المماليك، جامعة دمشق، ١٩٩٢م، ص ١؛ قاسم، قاسم عبد، عصر سلاطين المماليك، ص ٢٥؛ العبادي، قيام دولة المماليك الاولى، ص ١١.
- (٤) ينظر: ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ١٩٦٨م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح د. عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م، مج ٣، ص ٢٤٠.
- (٥) ينظر: عبد المنعم، صبحي، الشرق الاسلامي في زمن المماليك والعثمانيين، دار العربي للطباعة، القاهرة د.ت ص ١٧.
- (٦) قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٢٥، الحزوري، حسام الدين عباس، الحركة الفكرية ومركزها في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١م، ص ١٦.
- (٧) المقرئزي، ج ١، ص ٧١.
- (٨) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج ٢، ص ٢٢٩؛ طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص ٢٢-٢٣.
- (٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٦٢-١٦٣؛ ستانلي، لين بول، تاريخ الخلفاء، ص ٧١.
- (١٠) ابن وصال، مفرج الكروب، ج ٢، ص ٣٣٧، لين بول، تاريخ الخلفاء، ص ٧١، عبد المنعم دمشق، الشرق الاسلامي، ص ٢١.
- (١١) السلوك، ج ١، ص ٣٣٩، وينظر أيضاً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٢٠، قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٢٦.
- (١٢) عبد المنعم، الشرق الاسلامي، ص ٢١؛ الحزوري، الحركة الفكرية، ص ٢١؛ طقوش، تاريخ المماليك، ص ٢٦.
- (١٣) الجواهر الثمين، ص ٢٤٤.
- (١٤) مآثر الانافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار فراج، مطبعة الكويت، ط ٢، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٩٤.
- (١٥) السلوك، ج ١، ص ٣٤٤.
- (١٦) بيبيرس المنصوري، مختار الاخبار، ص ٧-٨؛ ينظر: العبادي، احمد مختار، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٩٦-١٠٠.
- (١٧) ابو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ١٨٠؛ المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٣٢٧؛ ابراهيم، علي حسن، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٤٨م، ص ٣١.
- (١٨) السلوك، ج ٣، ص ٣٢٧؛ وينظر: ابن سباط، تاريخ ج ١، ص ٢٤٩.
- (١٩) اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٩٢؛ المقرئزي، السلوك، ج ١، ص ٣٦٢.
- (٢٠) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٦٤.
- (٢١) قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ١٤.
- (٢٢) المقرئزي، السلوك، ج ١، ص ٣٦٨-٣٦٩.
- (٢٣) ينظر: بيبيرس المنصوري، مختار الاخبار، ص ٢٧؛ ابن سباط، تاريخ، ج ١، ص ٣٦٦.

- (٢٤) ينظر: الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٥٩؛ المقرئزي، السلوك، ج١، ص٣٦٢
- (٢٥) ينظر: ابن ابيك، الدرر الزكية، ج٨، ص٧٢-٨٠؛ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٩٩-١٠٠.
- (٢٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٦٤.
- (٢٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٤٣.
- (٢٨) ينظر: ابن ابيك، الدرر الزكية، ص٣٣.
- (٢٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٨٨؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص٣١٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٦٤.
- (٣٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٥٧؛ ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٣٨١.
- (٣١) ينظر: المقرئزي، السلوك، ج١، ص٣٦٨-٣٦٩.
- (٣٢) ينظر: الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٧٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٥٦؛ المقرئزي، السلوك، ج١، ص٤٠٩-٤١٠.
- (٣٣) ينظر: القلقشندي، مآثر الانفاة، ج٢، ص١٠٣-١٠٤؛ ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٣٨١-٣٨٢؛ قاسم، الايوبيين والمماليك، ص١٣٦.
- (٣٤) ينظر: بيبس المنصوري، مختار الاخبار، ص٤٣؛ المقرئزي، السلوك، ج١، ص٤٢٧.
- (٣٥) النواداري، كنز الدرر، ج٨، ص٤٨.
- (٣٦) تم انشاء هذا الباب عام (٤٣٥هـ / ١٠٩٢م) من قبل امير الجيوش بدر الدين الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وسبب تسميته بهذا الاسم كونه يؤدي بالقوافل المتجهة منه الى مدينة زويلة المغربية الواقعة عمق الصحراء الليبية وان هذا الباب اخذ شهرته عندما علق عليه رؤوس رسل المغول الذين ارسلهم هولاءكو لتهديد مصر عصر سلاطين المماليك. للمزيد ينظر: المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج٢، ص٩٨.
- (٣٧) ينظر: بيبس المنصوري، مختار الاخبار، ص٤٣.
- (٣٨) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص٣١٧؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، تعريب: د. عبد الوهاب غلوب، منشورات المجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة، ابوظبي، ٢٠٠٠م، ص٢٠٩.
- (٣٩) احد اشهر قادة المغول المقرئين من هولاءكو رغم كبر سنه الا انه ناب عنه في غزو بغداد وتم قتله على يد جمال الدين آقوش في معركة عين جالوت التي انتصر فيها المماليك. للمزيد ينظر: ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٢٠٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص١٦٧.
- (٤٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٦٧.
- (٤١) المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٥٣؛ ابن سباط، تاريخ، ص٣٠٩؛ الصياد، تاريخ المغول، ص٢٠٦.
- (٤٢) ابن شداد، الروض الزاهر، ص٤٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٨٩؛ ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٣٩٠.
- (٤٣) ابن شداد، الروض الزاهر، ص٤٧٢؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٨٨؛ البرزالي، المقتفي، ج١، ص١٢٢؛ اقبال، تاريخ المغول، ص٢١٢.
- (٤٤) شافع بن علي، حُسن المناقب السنية، ص٣٨.
- (٤٥) ينظر: ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج٢، ص٣٢٢.
- (٤٦) الشعراني، اللواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر، ج٢، ص٤٧٢.
- (٤٧) هو ابو عبد الله محمد بن علي ولد بالمغرب في مدينة المهديّة ونشأ وترعرع بها ولقى تعليمه فيها كما طلب العلم على يد علماء كبار وتصدر للتدريس بالجامع الكبير بالمهديّة وتتلّمذ على يده عدد كبير من الطلبة اشهرهم محمد بن تومرت كان ينكر على الصوفية لبسهم خشن الثياب ويسميهم المتهمين وقال ان عمالهم هذه بدع. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠،

ص ١٠٤-١٠٧؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٢٥٠-٢٥١؛ الحسيني، وقفات هامة، ص ٩٤.

(٤٨) البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٢١٣.

(٤٩) يرى الصوفية ان العلم علما علم كسبي عن طريق التحصيل والتلقين، وعلم وهبي وهو ما يقذفه الله تعالى في قلب عبد فيصبح عالماً ومعلوماً ويعرف عندهم بالمعرفة، فالعلم الكسبي عن طريق الشريعة والعقل، والعلم الوهبي ما يسمى بالعلم اللدني ويكون على اشكال أما وحي وهو ما يختص به الانبياء، او الهام وهو ما يختص به الانبياء والاولياء معاً. للمزيد ينظر: الشراقوي، معجم الفاظ الصوفية، ص ٢١٢-٢١٣.

(٥٠) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ص ٥٣.

(٥١) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ص ٥٤.

(٥٢) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ص ٥٥.

(٥٣) البقاعي، تنبيه الغبي، ص ١٤٢-١٤٣؛ الشوكاني، الفتح الرباني، ص ١٠٢٧.

(٥٤) ينظر: المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٦٥٨-٦٥٩؛ الزركشي، زهر العريش في تحريم الحشيش، ص ٤٧-٤٨.

(٥٥) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ص ٥٥.

(٥٦) ينظر: ابن القيم، روضة المحبين، ص ١٩.

(٥٧) بقعة من الارض تقع في ارض الطباله سميت جنينة تصغيراً للجنة ولما عرفت به هذه البقعة من الحُسن والجمال لكن عمل فيها المعاصي وبيع الحشيشة وفشت فيها شجرة خبيثة فولع بها الاراذل من الناس. للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٦٥٨.

(٥٨) تقع هذه الارض على جانب الخليج الغربي بجوار المقس وهي من احسن المنتزهات في القاهرة يمر منها النيل وتقع هذه الارض في نقطة وسط غرب النيل وشرق الخليج وقبلها البركة المعروفة ببطن البقرة. للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٦٥٦.

(٥٩) الجكر لغة: بالكسر ما يجعل على العقارات ويحبس مولده، وجمعها احكار، وفي اصطلاح الفقهاء: الاجرة المقررة على عقار محبوس في الاجارة الطويلة، ويطلق كذلك على العقار المحتكر نفسه فيقال هذا حكر فلان. للمزيد ينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ط ٢، الكويت، ١٩٨٣م، ج ١٨، ص ٥٣؛ الرملي، خير الدين بن احمد، الفتاوي الخيرية لنفع البرية على مذهب الامام ابي حنيفة، القاهرة، ١٩١٦م، ج ١، ص ١٩٧.

(٦٠) لم نعثر على تفصيلات عنه سوى ما ذكره المقرئ من أنه يقع بالقاهرة في ارض الطباله ببولاك بالقرب من باب اللوق. المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٦٥٦، ص ٦٧١.

(٦١) وهي من احسن الاماكن في القاهرة تقع بالقرب من شاطئ النيل، ويرد الى سواحلها أكثر مما يرد الى ساحل مصر وبها منظره المقر الشريف وبيوت القضاة التي تحفها الاشجار المثمرة والمساجد والجوامع والمدارس والحمامات وهي من احسن اماكن النزهة. للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٦٧١؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٢٥.

(٦٢) هي احدى ابواب القاهرة القديمة وهي باب كبيرة وضعت عليها طوارق حربية مدهونة كما كانت العادة على ابواب القاهرة الأخرى بقي هذا الباب موجوداً خلال العصر المملوكي، هدم هذا الباب عندما انشأ القاضي صلاح الدين المغربي قيساريته وجعلها لبيع الكتان. للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٦٢٩.

(٦٣) ينظر: الزركشي، زهر العريش في تحريم الحشيش، ص ٥٠؛ المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٦٦٥.

(٦٤) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٦٦٦.

- (٦٥) المقرئزي، درر العقود الفريدة، ج ٢، ص ٤٣٦-٤٣٧.
- (٦٦) المناوي، الكواكب الدرية، ج ٢، ص ١٦٦.
- (٦٧) القصير، عقيدة الصوفية، ص ٣٢.
- (٦٨) القصير، عقيدة الصوفية، ص ٤٦.
- (٦٩) ابن عربي، المختار من رسائل ابن عربي كتاب الالف المسمى الاحدية، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٥.
- (٧٠) الاربعين في اصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٠٧.
- (٧١) القصير، عقيدة الصوفية، ص ٤٧.
- (٧٢) حقائق عن التصوف، ص ٥٤٠.
- (٧٣) ينظر: المنن الكبرى، ص ٦٢؛ الشعراني، الانوار في آداب الصحبة عند الاخبار، ص ٣٢.
- (٧٤) شذرات الذهب، ج ٨، ص ٣٧٤.
- (٧٥) الشعراني، المنن الكبرى، ص ٦٢.
- (٧٦) ينظر: الشعراني، الطبقات الكبرى، ص ٥.
- (٧٧) هو الشيخ الصوفي محمد وفا رأس العارفين الوفاية بالاسكندرية سمى وفا لكرامة وقعت له عند جفاف النيل وقت وفاءه، فقال له: اطلع بأذن الله فطلع، فسموه وفا، أصله من المغرب سكن الاسكندرية، وله العديد من المؤلفات في التصوف منها كتاب العروس، وكتاب الشعائر. للمزيد ينظر: طبقات الشعراني، ج ٢، ص ٢١؛ النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج ١، ص ٢٣٧.
- (٧٨) الشعراني، الانوار في آداب الصحبة عند الاخبار، ص ٦٤.
- (٧٩) ابن عطاء، لطائف المنن، ص ١٦٦.
- (٨٠) لطائف المنن، ص ١٣٦.
- (٨١) هو جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان محمد بن خضر بن ايوب بن همام الدين الخضير الذي هو اصل جده من محلة الخضيرية ببغداد، نشأ السيوطي يتيما اخذ الفقه عن مشايخ كبار ورحل لطلب العلم الى بلاد عديدة حتى اجيز له التدريس، كتب الكثير من المصنفات في العلوم المختلفة توفي سنة (١٥١٢/٩١١م). للمزيد ينظر: كتابه، نور المنجم في المعجم، تح: ابراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٨-١٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ١٠، ص ٧٤.
- (٨٢) هو زين الدين محمد بن عبد الرؤوف من كبار العلماء كان قليل الكلام والطعام الف العديد من المؤلفات في منها في الفقه ومنها في التصوف اشهرها كتاب فيض القدير في شرح الجامع الصغير من احاديث البشير النذير كما شرح تائية ابن الفارض وغيرها من المؤلفات توفي سنة (١٠٣١/١٦٥٣م). ينظر: الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ص ٣٥٧؛ الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٠٤.
- (٨٣) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٤.
- (٨٤) ينظر: زروق، قواعد التصوف، ص ١٣، ص ٣٣.
- (٨٥) علال، خالد كبير، التعصب المذهبي في التاريخ الاسلامي، دار المحتسب، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص ٩.
- (٨٦) هو ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد احد اعلام الحنابلة البارزين، وصاحب التصانيف الكبيرة ولد بجمايل في القدس وهاجر مع اخيه الى بغداد ورحل الى دمشق لطلب العلم وتفقه وسمع من المشايخ حتى فاق اقرانه وانتهى اليه معرفة المذهب واصوله، وكان عنده تبحر وتفنن في علوم عديدة وعليه هبة ووقار. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ١٨٠-١٨١؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٤٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٥٧.
- (٨٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٧٣٢.

- (^{٨٨}) ينظر: الحكيم، سعاد، التصوف والثقافة الصوفية في عهد المماليك، مقالة منشورة على شبكة الانترنت الثقافية.
- (^{٨٩}) ينظر: الحكيم، سعاد، التصوف والثقافة الصوفية في عهد المماليك، مقالة منشورة على شبكة الانترنت الثقافية.
- (^{٩٠}) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢، ص ٢٤٤؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ووفيات ٦٣١-٦٤٠هـ)، ج ٤٦، ص ٣٥٨.
- (^{٩١}) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٠٥؛ القرشي، الجواهر السنية، ص ٤١.
- (^{٩٢}) هو محمد بن يوسف بن عبد الله كان خطيباً بالجامع الصالحى بمصر ثم بالجامع الطولونى وولى تدريس الشريفة ومدرسة العز بمصر كان مشاركاً في فنون عديدة في الاصلين والفقه والنحو والبيان والمنطق وله العديد من المصنفات منها شرح التحصيل وشرح منهاج البضاوي وغيرها. للمزيد ينظر: الصفدي، اعيان العصر، ج ٥، ص ٣١٨؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٩، ص ٢٧٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٩٩.
- (^{٩٣}) ابو محمد وابو عبد الرحمن مسعود بن احمد بن مسعود بن زيد من ائمة الحديث وافر الاخلاق فصيحاً ذكياً، سمع الحديث من جماعة وحدث وكتب وصنف وكانت له اليد الطولى في هذه الصناعة. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٣٠-٣١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١١٩؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٢٥١.
- (^{٩٤}) الفاسي، العقد الثمين، ج ٢، ص ١٧٢-١٧٣؛ الشوكاني، الفتح الرباني، ج ٢، ص ١٠٢٧.
- (^{٩٥}) شمس الدين محمد بن احمد الدمشقي المصري كان عارفاً بالفقه والاصلين والعربية ولد بدمشق ورحل الى القاهرة قدمه ابن الرفعة وولى التدريس بتربة الشافعي، واختصر كتاب الروضة وكتاب الام مات بالطاعون سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٩م). للمزيد ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٢٨.
- (^{٩٦}) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٠٥؛ ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٣٧٦.
- (^{٩٧}) خلف الله، من قادة الفكر الصوفي، ص ٨٤.

الملاحح الاقاصاءفة فف كواب نزهة الانام فف محاسن الشام
لابف البقاء البءرف المءوفف سنة (١٤٨٨هـ/١٤٨٨م)

ء. ايمان عبء الجبار محمود

المبءء الاول: المؤرخ وعصره

المبءء الثاني: كواب نزهة الانام فف محاسن الشام

المبءء الثالث: الملاحح الاقاصاءفة فف ءمشق الشام فف الكواب

المبحث الاول

المؤرخ وعصره

١ - اسمه وكنيته :

هو ابو البقاء عبدالله بن محمد، ويذكر السخاوي (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) عنه انه: " ابو بكر بن عبدالله بن محمد بن احمد بن عبالله، تقى الدين بن الجمال... " ^(١)، ويتفق المؤرخون الذين ترجموا له انه الدمشقي القاهري الوفائي، ^(٢) وينفرد السخاوي بقوله: انه " يُعرف بابن البدرى، ويكنى ايضاً ابا النقا " ^(٣)، الامر الذي لم نلمسه عند غيره من المؤرخين.

٢ - مولده ونشأته :

ولد البدرى في مدينة دمشق، على قوله: " هي مسقط رأسي " ^(٤)، في شهر ربيع الاول من سنة (٨٤٧ هـ / ١٤٤٣ م) ^(٥)، ونشأ وتربى في احضان والديه وبين اخوته واقاربه، فقد ذكرناها: "...مجمع أهلي وناسي وملعب خلاني واخواني... " ^(٦)، ويذكر السخاوي ^(٧): انه انتمى لبني الشحنة ^(٨)، وعاش صباه فيها، في بيت من بيوتات العز فيها، وذلك ما يُفهم من قوله :

بلدٌ صحبت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب العز وهو جديد ^(٩)

٣ - حياته وعصره :

لو تتبعنا العصر الذي عاش فيه صباه في مدينة دمشق، لوجدنا فيه عدة مفاصل وتحولات شهدتها مصر والشام التي كانت تتبع القاهرة، وتحكم من قبل سلاطين المماليك الجراكسة ^(١٠)، (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) - (٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م) ^(١١)، ونائب السلطان ^(١٢) المملوكي الظاهر جقمق ^(١٣)، الذي تولى السلطنة سنة (٨٤٢ هـ / ١٤٢٨ م) اي قبل مولد البدرى بعدة اعوام وامتد حكمه، وحتى سنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) ^(١٤)، فكان شاهد عيان على احداث عصره من غزوات، وفتن، وثورات، ومجاعات، وامراض، واوبئة، وازمات مالية، على قوله مخاطباً قارئ

كتابه: "...وبعد فقد سألتني ايها الاخ المجيد، و...المتشوق المنتوق الى بديع مرآها...أن اعلك بخبرها لعدم العيان، وان اقربها اليك بوصف يلذه قلب... الولهان. " ..^(١٥).

عندما بلغ البدرى العاشرة من عمره في تلك السنة، شهد نهاية حكم السلطان جقمق، وتولي ابنه المنصور عثمان ^(١٦) من بعده، ^(١٧) وكان فيها وقوع فتنة بين المماليك، وعزل ابن السلطان وتولي اينال العلائي ^(١٨)، وفي ذلك يقول ابن اياس (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، : "... وخلق الملك المنصور قبل ان ينكسر، وبائع الاتابكي اينال واستمرت الحرب ثائرة بينهم سبعة ايام، وقتل في هذه المدة من الناس ما لا يحصى... " ^(١٩)، ويتحدث ابن سباط (ت ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م) عن تلك الفترة وما كان فيها من الظلم والجور فيقول : " فتخرب نظام الملك وظلمت العباد، وانفرط في دولته مانظمه من كان قبله... طمع المالك في الرعية، واستطالوا على الناس بالتخريب والعبث وأخذ اموال الناس بالغصب، وأخذ النساء من الطرقات... "، واستمر هذا الحال مدة اينال، الى ان عرض له الموت فخلع نفسه وسلطن ولده، والذي لم تستمر سلطنته لاكثر من اربعة اشهر، ^(٢٠) كان فيها نائب الشام جلبان المؤيدي ^(٢١) الذي كان حسن السيرة، بيد انه وافاه الاجل لذا " ولئى من بعده نيابة دمشق الامير قانباوي الحمزاوي ^(٢٢) نائب حلب وحضر منها الى دمشق فدخلها سنة تسع وخمسين... فلما وصل... قصد دار السعادة... " ^(٢٣) وبقي في نيابتها الى ان توفي سنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م) والذي احترقت اسواق دمشق في ايامه. ^(٢٤)

وبعد وفاة اينال وتقلد ابنه المؤيد ^(٢٥) الحكم وثب خشقدم ^(٢٦) على الحكم واستمر به الى ان مات سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)، فيذكر السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) : انه تقلد من بعده آخرين لم تكن تدوم نيابتهم لاكثر من شهرين الى ان قلد " سلطان العصر قاتيباي ^(٢٧)، ولقب الاشرف، فاستقر في الملك، وسار فيه بشهامة وصرامة ماسار بها قبله ملك من عهد الناصر محمد ^(٢٨) بن قلاوون، بحيث انه سافر من مصر الى الفرات بطائفة يسيرة من الجند ليس فيهم احد من مقدمي الألوف... " ^(٢٩) واستمر بها الى سنة وفاته سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٦م). ^(٣٠)

لعل تلك المشاهد والاحوال في دمشق تبين الاوضاع التي عاشها البدري في مراحل حياته منذ صباه وحتى شبابه.

اشتغل البدري بالشهادة ^(٣١) في شبابه، كونه من السكان المحليين ولان وظيفة الشهادة، وظيفة متواضعة بامكان اي شخص له اطلاع في امور القضاء ان يقوم بها، ^(٣٢) لعل ذلك العمل بسبب قربه من بني الشحنة وارتباطه بهم، ^(٣٣) ويبدو ان اشتغاله بالشهادة لم يدم طويلاً، فيذكر السخاوي : " لماتولى الامشاطي ^(٣٤)، عمل فيه ابياتاً، فلم يقابله الاخيرعليها، الى ان تعرض لعبد الرزاق الملقب عجبن امه ^(٣٥)،... ونسبه لامر فضيع فصّرح بمنعه من الشهادة... " ^(٣٦)، يذكر السخاوي :انه كان للمناوي والامشاطي لهم فيه اعتقاد بحيث اسكنه الاخيرفي البروقية ^(٣٧)، لعل ذلك يبين مدى الضغوط التي قابلها البدري في حياته والصراعات التي في حياته على الرغم من عدم تدخله فيها.

كما اشتغل بالنسخ ^(٣٨) على حد قول السخاوي ^(٣٩). وما تقدم يقودنا الى امرين: اولهما اوضاع دمشق المتردية سياسياً، وثانيهما حالة البدري الاقتصادية، وفقره مما اضطر للعمل بالشهادة فضلاً عن قربه من القضاة من بني الشحنة، وحسن خطه وجودته مما دعاه للعمل بالنسخ، فضلاً عن بداياته الشعرية التي تبدو غير موفقة، والتي اثارت نقمة القاضي الذي منعه من الشهادة، ولعل ذلك مما دعاه الى الرحيل عن دمشق والهجرة الى القاهرة، والعمل بالتجارة مع والده، فقد ذكر: انه " تكرر قدومه مع ابيه للقاهرة، ثم قطنها مدة، واشتغل بالبلدين... " ^(٤٠)، ويفهم من اشعاره شدة حبه لبلده، وحنينه واشتياقه الى ارضه، والى اهله الذين يبتعد عنهم اثناء رحلاته، ^(٤١) التي من الظاهر انها قد تطول بعض الشيء، ويرجح ان تسميته بالمصري كونه كان يقطن القاهرة، ^(٤٢) ولا يُعرف هل انه سكن القاهرة مع زوجته واولاده ام لوحده، لكن من المرجح انه سكنها مع زوجته، لانها ما لبثت ان توفيت وتركت له ثروة طائلة، فلم يلبث الا قليلاً ثم سافر الى مكة وجاور بها، وعاد الى الشام، ثم جاور بالمدينة "سنة (٨٩٢هـ / ٤٨٦م) ^(٤٣).

٤ - شيوخه وتلاميذه :

أخذ البصري عن الكثير من شيوخ عصره، الذين عرفوا بسعة العلم وغزارته، ويبدوان اتجاهه للادب والشعر أكثر من غيره من علوم عصره، فيذكر: انه " تعانى الشعر، ومدح وهجا... " (٤٤)

ويبدو ان عمله مع والده في التجارة ورحلاته المتكررة معه الى القاهرة مكنته من السعي في طلب العلم، والاخذ عن كبار العلماء، فذكر السخاوي انه سعى الى ان يأخذ عنه، (٤٥) وشهد له بأنه اراه ماكان يكتبه من الشعر، وانه طلب من الشعراء ان يقرضوه (٤٦) له، وكان من اعيان الشيوخ الذين قرضوا له اشعاره البرهان الباعوني (٤٧)، واخواه، والشهاب الحجازي (٤٨)، والمنصوري (٤٩).

ومما يعزز قولنا ان الاخير هو واحد شيوخه قول البصري في كتابه : " انشدني شيخنا العلامة شهاب الدين المنصوري... " (٥٠)، فضلاً عن ابن قرقماس (٥١) وغيرهم من العلماء، وقال انه الفه بدمشق سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م) (٥٢)، ويفهم من كلام السخاوي انه ابتداء التأليف وكتابة الشعر منذ بداية شبابه، ما التمس من السخاوي تقريضه له، فأجابته وكتب له به اجازة (٥٣) حسنة (٥٤).

لم يكتف ادبينا بما اخذه من العلم عن علماء الشام والقاهرة، وذلك مايفهم من موضوعات كتابه المتنوعة، فأخذ عن غيرهم من شيوخ مكة والمدينة، فبعد وفاة زوجته في القاهرة، وسفره المتكرر بين مكة والشام والمدينة، وبقاء مدة طويلة في المدينة، مكنته تلك المدة من كتابة تصانيف الشريف السمهودي (٥٥)، وغيره، فيذكر السخاوي، انه كان كثير اللقاء به، وكتب عن تصانيفه الكثير، ولازمه في الرواية (٥٦) والدراية (٥٧)، وشهد له السخاوي بانه اراه ماكان يكتبه عنه، وانه امتدح قضاة مكة وغيرهم (٥٨)، بيد ان السخاوي لا يثني عليه على الرغم من انه كتب له اجازة جيدة على حد قوله، فيذكر : ان نظمه " ليس بالباطل ولا فهمه بالكامل"، ويذكر انه كتب عنه ابيات من نظمه (٥٩).

من الدنيا بهذا قد قنعت
بأنى في يدك وما جمعت (٦٠)

اذا ما كان مجموعي لديكم
وما قصدي سوى هذا وحسبي

ويبدو ان الكثير من التلاميذ اخذوا عنه، بيد ان المصادر لم تذكر اسمائهم صراحة غير اننا وجدنا نصوصا هنا وهناك تشيد بمؤلفه وتأخذ عنه، ومما وجدناه قول ابن الجيعان^(٦١) في احد مؤلفاته انه اخذ عنه، كونهما عاشا في نفس العصر والفترة الزمنية رجحنا ذلك، غير انه لم يذكر اسمه اولقبه^(٦٢).

٥ - آثاره ومصنفاته العلمية :

جهد شاعرنا في ابداعه الشعري، والمؤلفات التي عمّ النفع بها، والتي تنوعت بين، الشعر والادب والتاريخ والعلوم الاخرى، فقد ترك العديد من المؤلفات ابرزها كتاب النزهة، موضوع بحثنا، لعله من اجمل المواضيع التي كتبها، حيث تغنى فيه كثيرا ببلدته التي نشأ وعاش فيها، ورحل عنها لطلب العلم وللتجارة، ولم يشغله عمله عن اشتياقه وحنينه اليها، فوصف مدنها وقراها وكنائسها وجوامعها وانهارها ومنتزهاتها وبساتينها و ما أنعم الله به عليها من خيرات في اشجارها و فواكهها وخضارها، وانواعها وازهارها وفوائدها.^(٦٣)

يتفق المصنفون وأهل التراجم ان له ديوان شعر، وله كتاب بعنوان سحر العيون^(٦٤) يتحدث فيه عن العيون والنظروالامراض التي تصيبها وطبها وعلاجها واوصافها وانواعها واللوانها، وهو يتألف من مقدمة وسبعة ابواب وخاتمة،^(٦٥) وكتاب غررالصباح في وصف الوجوه الصبّاح، والذي رتبته في سبعة عشر باباً^(٦٦)، ويتفق بعض المصنفين، بأن له الكثير من المؤلفات الاخرى، منها راحة الارواح في الحشيش والراح، والذي اشار اليه البديري في متن كتابه، وذكر ان الحشيش يصنع من ورق القنب، اذا اضيف اليه الورق البري،^(٦٧) والمطالع البديري في المنازل القمرية، ونزهة الادباء وسلوة الغرباء، وسكر مصر في ذوق اهل العصر، ونزهة الخاطروقرة الناظر، وشروط الوقاه في انباء الخلفاء، وروضة الجليس ونزهة الانيس^(٦٨) اما مؤلفيه تباشير الشراب، وتبصرة اولي الالباب، فيذكرها الناشرعلى غلاف الكتاب دون غيرها من المؤلفات^(٦٩).

٦ - وفاته :

اعتل البدري وهوفي مكة المكرمة في المحرم من سنة (٨٩٤هـ / ١٤٨٨م)، فقرر بعدها السفر، ويبدو ان وجهته كانت مدينة دمشق، فسافر في البحر، فوصل الى الطور^(٧٠) ثم الى غزة^(٧١)، فادركه الاجل هناك في جمادى الآخرة من نفس السنة، ووصل الخبر الى اهله في شوال منها، طاوياً بذلك تاريخ حياته الحافل بالكفاح والتنقل في طلباً للعلم والسعي لكسب الرزق^(٧٢)، تاركاً وراءه آثاره العلمية التي استفاد منها المؤرخون من بعده واشادوا بها،^(٧٣) ومادمنّا تحدثنا عن حياته، لأبد من الإشارة الى انه ترك اثنين من الاولاد وترك لهم تركة لأبأس بها وكان والده مايزال على قيد الحياة وتوفي بعده^(٧٤).

المبحث الثاني

كتاب نزهة الانام في محاسن الشام

١ - التعريف بالكتاب:

أشتمل الكتاب على مايقارب الاربعمائة صفحة، اعتمد الناشر عند طبعه على مخطوطتين في الاصل، احدهما نسخة بغدادية، لكنها لم تكن مكتملة، استطاع اكمالها من نسخة اخرى محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٤٩٤ من كتب التاريخ^(٧٥)

احتوى الكتاب على عدد كبير من المواضيع المتنوعة ابتدأت بالبسملة بعد مقدمة الناشر، ثم جاءت خطبة الكتاب، وهي مقدمة للمؤلف ثم ابواب الكتاب، التي يبتدأها بالحديث عن محاسن الشام، وحينه الى دمشق مرة بالشعر، واخرى بالتعبير البديع، ومما يشير الى ذلك قوله: "... غير اني رُميت منها بعد الوصل بقطيعة صدها، كأنني اذنبْتُ في حالة القرب فأدبتني بهجرها وبُعدها

عشنا زماناً وليس الوصل يقنعا واليوم أدنى خيال منك يرضينا"...^(٧٦).

أورد البديري العديد من الآيات والاحاديث النبوية الشريفة معززة برواتها، فعندما يصف غوطة^(٧٧) دمشق يذكر حديث الرسول(ص): "ستفتح عليكم الشام بمدينة يقال لها (دمشق) هي خير مدائن الشام وفسطاط"^(٧٨) المسلمين بأرض منها يقال لها الغوطة"^(٧٩) ذاكراً مانقله من المؤرخين عنها،^(٨٠) يليها الحديث عن بناء مدينة دمشق، وبناء قصورها وابوابها والفتح العربي لها، ثم الحديث عن مسجد دمشق وبناء الوليد^(٨١) له، ومآذنه وغناء الدولة الاموية، ووصف بعض الشعراء للمسجد الجامع، ووصف اليعقوبي وابن جبير له، فقد نقل البديري ما ذكره اليعقوبي عن دمشق الشام انها: "مدينة دمشق جليلة قديمة... في الجاهلية والاسلام. وليس لها نظير في جميع بلاد الشام في انهارها ومبانيها وكثرت عمارتها. افتتحت... "^(٨٢)، ويذكر البديري مانقله عن احد شيوخه في وصف محاسن الجامع الاموي بدمشق قوله: "نقلت من خط... قال املى علي شيخنا ابن جبير قال الجامع الاموي من اشهر جوامع الاسلام حسناً، واتقان بناءً، وغرابة

صنعاً، واحتفال تتميق وتزيين.ومن عجيب شأنه انه لا ينسج فيه عنكبوت، ولا تدخله ولا تلم به الطير. " ..^(٨٣)

تحدث البدرى عن احياء دمشق، ونواعيرها، ومتنزهاتها، فما احدى وصفه للربوة^(٨٤)، بقوله:

"والربوة مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربى، وبه صفة محراب يقال انه مهد عيسى (ع) يزار وينذر له، وبها جامع وخطبة ومدارس وعدة مساجد وبها قاعات واطباق ولها عين ماء يقال لها المثلث ومربط للدواب و... " ^(٨٥)، كما ويصف قرية الزبداني^(٨٦) التي هي من اهم معالمها.

ويخصص باباً من ابواب كتابه للحديث عن انهار دمشق السبعة، الذي استهله بذكر اسمائها، ومواقعها ومجراها ومصبتها منتهياً بالتغني بما قاله الشعراء عنها^(٨٧) ولم يفته الحديث عن حواكير^(٨٨) دمشق ورياحينها، يلي ذلك الحديث عن ورود دمشق من نرجس وبنفسج وغيرها من الانواع،^(٨٩) ويتجه للحديث عن ارض المزة^(٩٠)، والتي هي من اجمل الاماكن بدمشق لكثرة الفواكه والخضر وانواعها فيها، ويتابع الحديث عن اراضي الشام المشهورة كداريا^(٩١) وبيت لاهيا^(٩٢) وارض الصالحية^(٩٣) ومابها من مساجد ومدارس والاقواف التي اوقفت عليها، ويتابع الحديث عن رخاء دمشق وخيراتها، ثم يتحدث عن جبل قاسيون^(٩٤) الذي هواهم جبال الشام، ثم ينهي كتابه بالحديث عن صناعات دمشق،^(٩٥) والمدفونون في دمشق من العظماء، بقوله: " ختمنا كتابنا بذكر الانبياء والصحابة والاولياء والمشايخ والعلماء ... وذكر المقابر " ...^(٩٦).

٢- اهمية الكتاب ووصف المؤرخ له :

المتصفح للكتاب يعرف اهميته في وصفه الدقيق لمدينة دمشق ومحاسنها، والاسباب العديدة لتسميتها بهذا الاسم،^(٩٧) وعدد ابوابها قديماً وحديثاً،^(٩٨) وكيفية بناءها، وكيف صوراليونان القدماء تلك الابواب على هيئة صورالكواكب، فذكر ان: " رُحل على باب كيسان^(٩٩) على الباب الشرقي على صورة الشمس وعلى باب توما^(١٠٠) الزهرة... " وهكذا باقي الابواب،^(١٠١) وانه يوجد ابواب اخرى فضلاً عن تلك الابواب التي يُسهب في وصفها وعددها واسباب تسمياتها، وان اهمها هي باب السر، والذي سمي

بذلك كونه يفتح الى القلعة، وكانت الاتراك ينزلون منه سراً ويطلعون، ^(١٠٢) وذكر: انه "اصطلح في اخر دولة ابن قلاوون، ان من يولي نيابة دمشق يصلي عند هذا الباب ركعتين" ^(١٠٣).

ما يميز الكتاب كثرة القصائد والاشعار، التي تتغنى بالشام ومحاسنها وفضائلها، ^(١٠٤) فضلاً عن وجود اسماء للشعراء ومقتطفات من اشعارهم، والادباء وماكتبوه عنها والتعريف باسماء المدن والقرى ومواقعها، فضلاً عن اسماء الاطباء ومؤلفاتهم والادوية والعلاجات المختلفة من النباتات الموجودة في تلك المدن والقرى. لعل ذلك يدلنا الى كونه من الكتب الادبية والجغرافية والطبية، فضلاً عن كونه من الكتب التاريخية .

تضمن الكتاب مادة غنية في التاريخ السياسي والاداري والاجتماعي والديني فضلاً عن الاقتصادي، عاصر المؤلف فيها الكثير من الاحداث وكان شاهد عيان، وشارك في جوانب عديدة منها لاسيما في الجانب الديني كونه اشتغل في الشهادة في صباه، وانتماءه لبني الشحنة، وتاتي اهمية الكتاب من صدق مؤلفه وصدق الرواة الذين نقل عنهم، كونه لازم السخاوي بالرواية والدراية، وجاور بمكة .

انفرد الكتاب بذكر العديد من الاخبار التي لم تذكر عند غيره من المؤرخين على حد قوله: " وغالب ما عددناه واوردناه من محاسن الشام انفردت به... " ^(١٠٥)، كما اتصف الكتاب بعدم الاسهاب والاطالة برواية الاحداث فوصفه بانه: " قَصْر فيه عما كتبه ارباب التواريخ المطولة الحسنة "، فجاء كتابه كانه حديقة صغيرة يترنح بها خاطر ويتنزه بها الناظر، على حد قوله: ولذلك سماه نزهة الانام في محاسن الشام، ^(١٠٦) والذي انجزه سنة (٨٧٧هـ/٤٧٢م) ^(١٠٧)

٣- منهجه وموارده في الكتاب:

أ- منهجه:

اتجه البدرى في اسلوبه في الكتابة بالتدرج والتسلسل بالاحداث، من الاقدم الى الاحداث وهومانسميه بالحوليات، بيد انه لم يؤرخ بالسنين، فأبتدأ بالحديث عن محاسن الشام، واشتقاق اسمها، ثم الحديث عن ابوابها، فيذكر ان لها العديد من الابواب اقدمها

باب جيرون^(١٠٨) الذي بناه النبي سليمان(ع)، والباب الصغير^(١٠٩) وهو الذي نزل بالقرب منه يزيد بن معاوية ابي سفيان^(١١٠) في حصار المسلمين للروم ودخل منه، وسبب تسميته بهذا الاسم،^(١١١) ثم يتحدث عن الابواب الاخرى ماراً بباب السلام^(١١٢) الذي بناه محمود بن زنكي^(١١٣)، والذي عرف بباب الفرج لما وجد الناس به من الفرج،^(١١٤) منتهياً بباب النصر^(١١٥) التي افتتحها الناصر بن ايوب^(١١٦) وبذلك نرى التسلسل في حديثه عن الابواب من اقدمها الى احدثها عبر العصور.

اتبع البصري المنهج الوصفي في كتابه، فبعد ان ينتهي من الحديث عن الابواب يتجه للحديث عن كيفية افتتاحها على يد الصحابة،^(١١٧) ثم ينتقل للحديث عن الجامع الاموي وهو اقدم واشهر جوامع دمشق قديماً، وكيف كان كنيسة، وان البلد تم فتحه على يد القائد العربي خالد بن الوليد، وان هذه الكنيسة اخذت من النصارى، وانهم اخذوا الامان من ابي عبيدة^(١١٨)، وانهم اتفقوا على ان يجعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة، فأخذ المسلمون نصف هذه الكنيسة الشرقي، وجعلوه مسجد، وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحدة، بيد ان الامويون زمن معاوية بنوا دار الامارة مكان المحراب،^(١١٩) وكيف تم تحويله الى جامع ليصبح من اكبر الجوامع في دمشق، فيصف اساطينه ومنايره وسقفه وبلاطاته وقبابه منتهياً بوصف اكبرها وهي قبة النسر^(١٢٠)، والاموال التي صرفت على تشييده، كما يتحدث عن طريقة البناء واستعمال الوليد خلقاً كثيراً من المهندسين والصناع في بناءه واصفاً ذلك بأسلوب مشوق جميل، وينهي حديثه عنه بأبيات تتغنى بحسنه وجماله^(١٢١)، ثم ينتقل للحديث عن جوامع دمشق الاخرى كجامع تنكز^(١٢٢)، الذي بناه الامير تنكز الحسامي^(١٢٣)، في العهد المملوكي وجعله في غاية الحسن لما فيه من الهندسة المعمارية، في موقع يشرف على الانهار وميدان القلعة^(١٢٤)، وبذلك يكون قد اورد العديد من الروايات التاريخية التي تسبق عصره، القرية كانت او البعيدة عنه.

استعمل البصري السرد، بأسلوب بديع الصنعة، والاسلوب الادبي البليغ، وكان يراعي احياناً في جملة وكلماته اوزان الافعال كما في قوله: " العاشق في محاسن الشام

على السماع، والمتشوق المنتوق الى بديع مرآها المشنف ذكره للاسماع... " (١٢٥)، لعل ذلك يبين مدى ميله الى الشعر في كتاباته الادبية الوصفية، كونه شاعر واديب، وسعة علمه واطلاعه على مؤلفات من سبقه من الادباء والمؤرخين مما صقل موهبته الشعرية والادبية.

اورد البديري معلومات كثيرة عن الجوانب العديدة للحياة في دمشق، الاجتماعية منها والاقتصادية والدينية والطبية والمعمارية الفنية فضلاً عن السياسية، على الرغم من ان كتابه مجلد واحد الا انه اتسم بالتنوع في الجمع بين تلك الاحداث فضلاً عن التعريف بالمواقع الجغرافية للقرى والمدن في دمشق، كما انه ادخل بعض الكلمات العامية الشائعة كقوله: " شذر مذر " (١٢٦)، فضلاً عن تخلل الكتاب بعض الالغاز واللطائف، (١٢٧) لعل ذلك كان شائعاً في عصره الخلط بين البديع والعامي، ولعله اراد ايصال ما يكتبه الى كل المستويات التي تناغم كل العقول، او تأثر بأساليب العديد من الشعراء والكتاب الذين اخذ عنهم.

اتسمت التفاصيل التي اوردها في كتاباته بالتشويق فضلاً عن الدقة، كونه شاهد عيان على احداث عصره، على ما ذكره وعن نفسه بقوله: " اعطاك بخبرها لعدم العيان، وأقربها اليك بوصف يلذه قلب الهائم الولهان... " (١٢٨)، وقد كان المؤرخ يعزز ذلك التشويق الذي يفتعله لاختباره بالابيات الشعرية، تارةً له واخرى لغيره من الشعراء، فعندما وصف الورد الجوري عززه بقول ابن الوردي في تغنيهِ به قائلاً: قالت اذا كنت ترجو أنسي وتخشى نفوري

صف ورد خدي والا أجورُ ناديمُ جوري (١٢٩)

اتبع المؤرخ اسلوب مخاطبة القارئ، لعله اراد مشاركتهم له حنينه واشتياقه لوطنه بقوله: "وبعد فقد سألتني ايها الاخ الامجد، والحبيب الاسعد "... (١٣٠).

تخللت كتابات البديري في كتابه الكثير من الايات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة التي ينقلها عن رواتها، (١٣١) لعل ذلك ناتج عما حفظه وتعلمه من القرآن الكريم، فضلاً عن التعريف باسماء المؤلفات ومؤلفيها.

ب- موارده :

استقى البديري مادته التاريخية من عدة موارد:

أولاً : المشاهدة :

كانت مشاهداته للاحداث اولى مصادره التي اعتمد عليها، وتضمنت تلك المشاهدات ماشاهده هو بنفسه، فلم يكن يوثق احداثه بـ حدثي فلان، او ذكر لي فلان، ولكن يقول شاهده او قلت، ولما كان قد عاش في عصر السلطان قاتيباي فيصف طاحون الشقراء الموجودة بمرجة دمشق، والتي تقع ظاهر قصر الملك الظاهر ابي الفتوحات ببيرس^(١٣٢)، والتي تليها اسواق وحوانيت عديدة، وبآخرها مسجد مطل على نهر بردى^(١٣٣) فيقول: " وادركت الطاحون غير دائرة.ولقد هدمها...اوائل دولة السلطان الملك الاشرف قاتيباي...فعلى هذا كانت المرجة عامرة آهله وهي من المحاسن التي لاتدرك..."^(١٣٤)، ويتحدث عن اوقاف المدارس وكيف تلاعب المباشرون والنظار بتلك المدارس " فأزالوا منها العين ولم يبق سوى الآثار.فكم من مدرسة اندرست بعد الصلاة...وامست في ظلمة بعد تلك المصابيح وهي تقول اصبحت حاصلأ، بعد ماكان ايواني بالقراء عامراً...وهذه تقول اضحيت مربوطاً للبهائم، بعدما كنت معبداً للقائم والصائم.وهذه تقول اتخذوني مسكناً...وهذه تقول اخربوا جداري وباعوا الباب، وجعلوني مأوى للكلاب، والاوقاف تستغيث الى المولى المغيـث... يالـهفاه على جامع الافرم^(١٣٥) والناصرية^(١٣٦) تغيرت تلك المعاهد، وغلقت ابواب تلك المساجد والمعابد...ان هذا لهو البلاء الجسيم..."^(١٣٧) لعل ذلك الوصف يبين مدى دقة ماشاهده البديري من حال تلك المدارس او الحالة الثقافية للبلاد انذاك.

ثانياً : المشافهة :

كانت لقاءات البديري مع العلماء والشيخو اثناء رحلاته الى مصر ومكة المكرمة من ضمن موارده التي اعتمد عليها في كتابة تاريخه، قال السخاوي : انه "... كتب عن خلق من الشيخو...وتعانى الشعر...وطارح وتردد الي فأخذ عني... "،وذكر ايضاً انه لما جاور بمكة " كتب فيها من تصانيف السـمـهـودي وغيره..."^(١٣٨) لعل ذلك يبين

لقاءاته وحديثه مع أولئك الشيوخ، وما امتداحه لقضاة مكة وغيرهم الامن ضمن موارده التي اخذ عنها.

ثالثاً : النقل :

كان النقل عن مؤلفات اللغويين والمؤرخين والشعراء من المصادر الهامة التي اعتمد عليها فلم يكن اعتماده على مؤلف معين او شاعر واحد بل اخذ عن الكثير من شعراء دمشق كابن عنين (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ^(١٣٩)، والشعراء المصريين كابن نباته ^(١٤٠) (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)، والانديسيين والمغاربة كابن رشيقي القيرواني (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) ^(١٤١) الاقدمين منهم والمعاصرين له، فعندما يكتب شعريصرح عن مصدره فاذا كان هو كاتبه يقول:قلت، اما اذا اخذه عن احد الشعراء او نقله عنهم فيذكر مصدره، كقوله:" نقلت من خط الشيخ صلاح الدين الصفدي... "، ^(١٤٢)... او قوله : " ومن بديع القاضي محي الدين بن عبد الظاهر... " ^(١٤٣)، وقوله: "... احسن بن سنا الملك ^(١٤٤) ما قاله عن... " ^(١٤٥)، واخذ عن المعاصرين له من الشيوخ كقوله : " نقلت من خط برهان الدين القيراطي... " ^(١٤٦)، وقوله : " نقلت من خط النقي ابن حجة ^(١٤٧) قوله... " ^(١٤٨). لعل قوله خير دليل على منهجه في النقل عن الادباء.

استفاد البدري من تواريخ المؤرخين الذين نقل عنهم السابقين لعصره والمعاصرين له، كابن عساكر (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ^(١٤٩) وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١١٨١م) ^(١٥٠)، والصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)، وابن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٢م) ^(١٥١)، الذين نقل عنهم في اكثر من موضع من كتابه ^(١٥٢) والقدماء من الجغرافيين كاليقوبي وابن جبير وغيرهم، وكان في مرات يعطي تفاصيل عن ينقل عنهم، ويتغافل في آخر، كقوله : " ونقلت من خط المرحوم مجد الدين عبد الوهاب بن سحنون خطيب النيربين ببميرستان ^(١٥٣) الصالحية انشد في ضعف موته سنة اربع وتسعين وستمئة، وقدعاده اصحابه... " ^(١٥٤)، اما عندما لا يخصص المكان الذي نقل منه المعلومة فيقول : " قالت طائفة... " ^(١٥٥)، او نقلت من جزء الدمشقيين او قد يشير اليهم كقوله : قال صاحب عيون التواريخ ^(١٥٦).

ومن الجدير بالملاحظة ان البدري اخذ عن الكثير من الاطباء الذين عرضوا حكمهم وتناولوا فوائد النباتات التي اخذوا منها ادويتهم كنقله احدى الحكم عن ابن سينا^(١٥٧) على الرغم من التباعد الزمني بينهما : " قال ابن سينا : ينبغي للمرء ان لا يستعمل من المشمومات الا ما كان موافقاً لمزاجه وطبعه فان كان مزاجه حاراً يستعمل البارد وان كان بارداً يستعمل الحار ويجعلها أصنافاً من حار وبارد فيعتدل لكل مزاج "...^(١٥٨) ما نستشفه مما تقدم تأثر البدري بالكثير من الشعراء والادباء والعلماء والمؤرخين منهم من يصرح عن اسمائهم، ومنهم من لم يذكرهم صراحة كقوله: عند حديثه عن اشتقاق اسم الشام والروايات التاريخية التي وردت في ذلك " قال بعض الشراح والمفسرين... " ^(١٥٩) مما يجعل هؤلاء من مصادره المجهولة التي لم يعلن عنها.

المبحث الثالث

الملاحم الاقتصادية في دمشق الشام في الكتاب

١ - الزراعة :

لما كانت الزراعة عصب الحياة الاقتصادية، فقد اهتم المماليك منذ عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بحفر القنوات في البلاد، وحفرت الخلجان، فكثرت الحاصلات الزراعية،^(١٦٠) وقد استفادت دمشق من موقعها في منتهى الوادي الذي غربها عند جبل قاسيون المشرف عليها،^(١٦١) وكثرة مياهها المتدفقة،^(١٦٢) وانهارها،^(١٦٣) واشتغال اهلها بالزراعة فأنتجت الانواع الكثيرة والنادرة من اصناف الفواكه الطازجة والمجففة، وانواع الخضراوات والحبوب مايكفي لسد حاجاتها الداخلية وتصدير الفائض منه، منذ القدم فقد ذكر المقدسي (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م): عن دمشق انه بلد " خرخته الانهار، واحدقت به الاشجار، وكثرت به الثمار مع رخص اسعاره... "^(١٦٤)، وذكر البديري: انواعاً كثيرة من الفواكه التي اشتهرت بها مدينة دمشق منها البطيخ، الذي اشتهرت به قرية داريا، وعرف بالبطيخ الدارياني،^(١٦٥) والعنب الذي يوجد منه اصنافاً كثيرة، فذكر مايربو عن الخمسين صنفاً من تلك الاصناف،^(١٦٦) بعضها ليس له نظير في البلاد،^(١٦٧) والرمان،^(١٦٨) والتين والشمش وهو واحد وعشرون نوعاً،^(١٦٩) وكل هذه الفواكه موجوده بأرض المزة،^(١٧٠) والكمثرى^(١٧١)، والتفاح^(١٧٢)، والتوت بنوعيه الاحمر والابيض^(١٧٣)، واصناف اخرى من الفواكه المجففة كالجوز واللوز والبندق وغيرها.^(١٧٤)

اما الخضروات والحبوب فقد ذكر البديري ماينيف عن الثلاثين نوعاً من الخضار اشتهرها الباذنجان، والخيار والقنبيط، والكراث، والفجل، والجزر، والسلق، والنعناع، والرشاد، والكرفس، والحلبة، والبصل، والثوم، والقرع، ومن الحبوب اللوبيا، والفاصوليا، والعدس، والحمص، والدخن، والذرة، والماش،^(١٧٥) والسهم،^(١٧٦) فضلاً عن الزيتون الذي يستخرج منه زيت الزيتون النقي، والقمح اللذان كانا يصدران بكثرة الى مصر على الرغم من كثرة زراعته فيها اكثر من الشام، الا انها كثيراً ماتتعرض الى سنوات الجذب

والقحط، فيرسل لها القمح من الشام،^(١٧٧) فضلاً عن انواع الرياحين والزهور النادرة، التي يصنع منها ماء الورد^(١٧٨).

وعلى الرغم من ان الفلاح الدمشقي اعتمد على الامطار رغم كثرة الانهار والابار والعيون، وانهم يفرحون كثيراً بنزوله ويتأثرون بقلته وعدم نزوله، او وقوع الزلازل، او حصول الصقيع، او قدوم الجراد الذي يتلف المحاصيل،^(١٧٩) وغيرها من المؤثرات الطبيعية التي تتلف المحاصيل، فقد ذكر البديري ان من محاسن الشام " صيفيتها... معلنة بحياة الازهار ونمو الاثمار... وشتويتها مؤذنة بموت الاشجار بالاصفرار وتغسيلها بعد التجريد بالامطار " ...^(١٨٠)

ويشير مؤرخ والعصر المملوكي الى تفنن الفلاح الشامي عبر العصور واهتمامه بأساليب تحسين انواع الفواكه،^(١٨١) فقد ذكر البديري معرفة الفلاح بهذا العمل فقال : " وهذا من صنعة الفلاحة ويسمى التطعيم "، وذكر انه: رأى كرمة تطرح الواحدة منها الابيض والاسود والاحمر منه، ووضح كيفية عمل ذلك بقوله: "وهو ان يأخذ قطعة من خشب من التفاح ويشق ساق شجرة كمثرى تكون بساقين، وتوضع تلك القطعة في احدى الساقين المشقوقة وتشدها بخرقه وتسقيها...الى ان تلتحم بها ويخرج الورق الجديد ثم تثمر " ...^(١٨٢)

ومن الجدير بالذكر نتيجة لوفرة المياه واشتغال اهل دمشق بالزراعة لموقعها الاستراتيجي، وكثرة المروج الخضراء بها من الطبيعي اهتمام اهلها بالثروة الحيوانية والسمكية، التي ساعدت ظروف دمشق على وجودها، وهي من الاغذية المهمة التي يحتاجها الانسان وانتشرفي دمشق من يبيعها ويطبخها، فيحدثنا البديري عن صناعة الطعام وبيعه عند مروره بالقرب من نهر بردى " ان صيادو السمك يصطادون والقلايون... يقلونه ويذبح... رأساً من الغنم... " ^(١٨٣)، ويذكر القلقشندي جودة مواشي الشام وانها تشبه مواشي مصر من " الابل والبقر والغنم والخيول والبغال والحميرالا ان ابقاره لاتبلغ عظم ابقار مصر واغنامها لاتبلغ في طيبة اللحم مبلغ ابقارها...، وكثير من انواع الوحوش مما لاتوجد في مصر، واما طيوره ففيها الاوز والدجاج والحمائم وانواع طيور الماء " ^(١٨٤)، وقد عرف في دمشق سوق خاص عرف بسوق الطير ^(١٨٥)، ولعل

مما يدل على وجود المواشي والابقار والاعنام والخيول وكثرتها واهتمام الناس بها منذ القدم في دمشق، وجود الاسواق المتخصصة التي تباع فيها هذه الانواع، فيحدثنا مؤرخوا العصر المملوكي عن وجود سوق للخيل^(١٨٦)، والذي تباع فيه كل انواع الخيل ومركز لتجمعات المتاجرين بالمستلزمات الخاصة بالجيش والخيالة^(١٨٧)، كما يوجد سوق آخر منفصل مختص بآلة الخيل كالسروج وغيرها،^(١٨٨) وسوق للغنم^(١٨٩)، ويذكر البديري : "ان بها سوق قماش الخيل والبغال والبهاائم والاعنام"...^(١٩٠).

٢ - الصناعة :

ازدهرت الصناعات في دمشق نتيجة لتوفر المواد الاولية التي تساعد على ازدهار الصناعة بمختلف انواعها،^(١٩١) فقد اشار المؤرخون والجغرافيين الى صناعات دمشق، ومن اهم الصناعات الغذائية التي لها تماس مباشر بحياة الناس عامة والفقراء خاصة هي صناعة طحن الحبوب وصنع الخبز بسبب انتشار المطاحن، وقد اشار لها الحميري بقوله: "وبدمشق ارجاء كثيرة على اوديتها " ^(١٩٢)، ويذكر البديري تلك الافران عند حديثه عن الربوة "... وبها فرنان وثلاثة حوانيت "...^(١٩٣)

اما الفواكه فاشهرها المشمش ومنه يُعمل عصير القمر الدين اللذيذ المشهورة به الشام،^(١٩٤) والعنب والتمر الذي يعمل من ماء الدبس.^(١٩٥)

ونتيجة لتوفر المواد الخام التي تستخدم في الصناعات الغذائية كالزيتون الذي يعصر ويستفاد منه في صناعة الصابون،^(١٩٦) والذي كان للدمشقيين شهرة واسعة في صناعته،^(١٩٧) التي اشتهرت به دمشق فيذكر البديري: ان "بها معصرة زيت واشجار زيتون من زمن عيسى عليه السلام..."^(١٩٨)، فضلا عن المواد الغذائية اشتهرت دمشق بتنوع الورود وندرة بعضها في قرية الزبداني، والتي سماها البديري قلعة الورود، و تغنى بها الشعراء وكتب عنها الكتاب.

اما صناعة العقاقير الطبية فقد عرفتها دمشق لكثرة الازهار والورود الموجودة بجبل قاسيون وخاصة القرنفل وهو شديد العطرية فذكر البديري: افضل ما كان الى البياض... واذا احرق وسحق ووضع في زيت اوفي دهن اللوز وطلى به من لم تنبت له لحيه اسرع نباتها لانه يوسع مسامها ويمنع داء الثعلب"، وقال: "وغالب... هذه الصنائع

تتبدل عليه ايادي الصانع من الواحد بعد الواحد... " (١٩٩). لعل ذلك يشير الى تطور تلك الصناعات وتوارثها عبر العصور.

عرفت دمشق العديد من الصناعات المعدنية، لتوافر المادة الاولية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والزجاج وبعض المعادن الاخرى، فمن الحديد تصنع ابواب المدارس والجوامع وتصنع من النحاس المواقد والشمعدانات والكؤوس والصحاف والزهريات والمباخر واواني الطبخ، واواني صنع القهوة - الدلال - والطشوت والصحون والمغارف والملاعق والقدر وغيرها من ادوات الطبخ، كما تصنع ادوات الزراعة كالمساحي والمعاول، فضلاً عن ادوات النجارة كالمطارق والمسامير، (٢٠٠) قال البديري: " فيها تعمل صناعة النحاس من الضرب والتفصيل والنقوش التي تشرح صدر الناس " (٢٠١)، ولعل مما يدل على وجود تلك الصناعات وكثرتها هو وجود اكثر من سوق الصفارين في دمشق، والتي تختص ببيع مادة النحاس (الصفر)، ولعل اقدم تلك الاسواق يقع عند الباب الجنوبي للجامع الاموي، (٢٠٢) ومن جملة الصناعات المعدنية التي اشتهرت بها دمشق هي صناعة الذهب او الصياغة، فعرفت فيها صناعة اكاليل الجواهر والاقرطة المزينة بالدر والخواتم والقلائد والاطواق والخلخل والاساور، فضلاً عما تزين به الصدور من الحلي المصنوعة على اشكال الحيوانات والنباتات وغيرها، ومن اعظم اشكال هذه الصناعة هو صناعة التاج الذي تحلي به النساء رؤوسهن، وهو في الغالب يكون مرصعاً بالجواهر والماس والاحجار الكريمة ويختلف شكلها من زمن الى آخر، (٢٠٣) وفي ذلك يقول البديري: " فيها تعمل صناعة الذهب المسبوك والمضروب والمجرور والمرفوع، والممدود والمرصوع " (٢٠٤)، ومن جملة صناعة الصياغة هي صناعة النقود، وهي ضرب الدراهم والدنانير الذهبية، فقد كانت اول دار اسلامية لصناعة السكة (٢٠٥) في الشام، (٢٠٦) ويؤكد البديري ان " بها دار الضرب التي تضرب فيها النقود " (٢٠٧)، ومن الصناعات الاخرى التي اشتهرت بها الشام، وفي ظل الظروف التي فرضتها نشوء الدولة المملوكية واهتمامها بالقتال ضد المغول والفرنجة مما حتم عليها الاهتمام بشؤون الحرب، ومن ضمنها صناعة السلاح، التي قال عنها البديري: " ان فيها من الاعاجيب والاقتراح... " (٢٠٨)، وقد احتوت (السلاح خاناه) (٢٠٩)، الخاصة

بسلطين الممالك على الانواع العديدة من الجواشن^(٢١٠) المذهبة، والخوذ المحلاة بالذهب والفضة والسيوف العربية والرماح والدروع، وقد وجد في العهد المملوكي سوق يعرف بسوق السلاح^(٢١١)، تباع فيه من تلك الصنوف من الاسلحة، كما احتلت صناعة الجلود جانب كبير من الاهمية، لحاجة الناس الى الاحذية وسروج الخيل والاحزمة والقرب المصنوعة من الجلد^(٢١٢)، ومما يدل على انتشار هذه الصناعة ما يذكره البدرى ومؤرخو العصر المملوكي عن وجود العديد من الاسواق المختصة منها سوق للسراجين^(٢١٣) وسوق للحذائين^(٢١٤)، وسوق للاسكفة^(٢١٥)، كما انتشرت صناعة القباقيب ايضاً، فيذكر البدرى: " وفيها صناعة... وتفصيل القباقيب. " ^(٢١٦)

وصف البدرى السماق فقال: هي "شجرة تنبت في الجبال والصخور طولها نحو ذراعين، وفيها ورق طويل... وله ثمر شبيه بالعناقيد... " وقال هو بالعربية سماق الدباغين، انما سمي هكذا لان الدباغين يستعملونه في دباغة الجلود،^(٢١٧) لعل ذلك يرشدنا الى اتجاهين اولهما: ان الدمشقيين عرفوا صناعة دباغة الجلود، واستثمروا السماق الموجود في بلادهم لذلك، والاتجاه الثاني يرشدنا الى وفرة الحيوانات من الاغنام والماعز والجاموس التي يقومون بدباغة جلودها، فضلاً عن توفر الاخشاب التي تنتج من الزراعة وتستخدم في الصناعات المختلفة، ذكر البدرى: " وفيها تعمل صناعة القرصية ودباغاتها المرضية. " ^(٢١٨).

ذكر البدرى: صناعة الاصباغ فعند حديثه عن الجوز قال: "وكذلك الصبّاغون يستعملون هذا القشر" ^(٢١٩)، والجوز الاخضر " اذا دق قشره الاخضر والقى معه... وترك اسبوعاً معه يحرك... ثم خُصّب به الشيب سوّدّه وكان منه صبغ عجيب " ^(٢٢٠) تحدث المؤرخ عن صناعة الاقمشة في دمشق قائلاً: "ومن محاسن الشام ما يصنع فيها من القماش والنسيج على تعداد نقوشه وضروبه ورسومه ومنها عمل القماش... بكل اجناسه وانواعه ومنها عمل القماش... على اختلاف اشكاله وتباين اوصاله. ومنها عمل القماش الابيض القطني المصور لاهياء القصور، واموات القبور، وبها ايضاً من عمل القماش السابوري^(٢٢١) بجميع الوانه وحسن لمعانه " ^(٢٢٢)، كما اشتهرت دمشق بجودة الصناعات الصوفية كالافرشة والاعبئة على اختلاف انواعها

الخشنة التي يلبسها الفلاحين، وحياتها بغاية الدقة والروعة والمتانة لتوفر المادة الاولى، لانها لباس عامة الفلاحين، اما الالعبة التي تصنع من الصوف النحيف والوبر فمركزه قرية جرمانا^(٢٢٣)، وهذه تكون للامراء والكبراء ويصدر منها للخارج ولاسيما بلاد فارس، كما يبتاع منها الحجاج موسم الحج، واشتهرت دمشق ايضاً بحياكة العمائم والأزر^(٢٢٤) القطنية،^(٢٢٥)، وفيها صناعة الحرير^(٢٢٦)، قال البديري: " فيها صناعة الموشى والمدهون بما تحتار به النواظر والعيون"^(٢٢٧).

ان مايعزز ازدهار تلك الصناعات في دمشق وجود الاسواق الكثيرة فيها لبيع تلك المنتجات المصنعة، منها سوقان لبيع القطن احدهما في صالحية دمشق عرف بسوق القطن والآخر بسوق القطانين^(٢٢٨)، وذكر البديري: " بتحت القلعة سوق للقماش المذروع وسوق قماش للمخيط احدهما للرجال والآخر للنساء وبها سوق للفراء والعبي وغير ذلك"،^(٢٢٩) ولعل السر في شهرة الديباج الدمشقي هو جودة صناعة الادهان والاصباغ التي اشهرها الزعفراني والارجواني.

امتدح ابن شداد(ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) صناعات دمشق فقال: " ولأهلها الصنائع واللفظ والتأليف...وصبغه"^(٢٣٠)، ويبدو ان دمشق اشتهرت بكل ماهو جميل وثمان فيذكر احد المؤرخين: ان لدمشق شهرتها في الصناعات الخزفية والفخارية البديعة منها " الاجانات والدوارق وأصاصي الزهور وغيرها " وهو يضاهي الخزف الصيني الجميل، كما عرفت دمشق صناعة القاشاني التي هي عنوان فخر ومباهاة وبه ترصف الجدران والمحاريب والفساقي والقماقم والزهريات وغيرها، والتي كانت تصنع من الرمل والجبس الابيض.^(٢٣١)

اشارالمؤرخ الى صناعة الورق في دمشق لكثرة اخشاب الاشجار الموجودة فيها^(٢٣٢)، والتي قال عنها: " فيها تعمل صناعة القرطاس بحسن مقالة ونقي اوصاله"^(٢٣٣)، وذكر ابن طولون ان هذه الصناعة تتم في الصالحية ومنها الى باقي مدن الشام.^(٢٣٤)

وصفوة القول ان دمشق اشتهرت بالكثيرمن الصناعات التي تناقلها الناس وقال عنها البديري: " ان هذه الصنائع استخرجها الحكماء بحكمتها ثم تعلمها الناس منهم

وبعضهم من بعض وصارت وراثته من الحكماء والعلماء ومن العلماء للمتعلمين ومن الاستاذين للتلامذة للصانع "... (٢٣٥)

٣- التجارة :

ازدهرت تجارة دمشق من الناحيتين الداخلية والخارجية منذ القدم، نتيجة لكثرة خيراتها، "الذي يحمل منها لغالب البلاد..." (٢٣٦)، فقد نقل البديري مذكره احد المؤرخين عنها : "سحت البلاد ورأيت مابها من الاعاجيب... ودخلت الشام وتزهت في غوطتها اجدها... مشتبكة القرى والضياح لاتكاد الشمس تقع على ارضها لغزارة أشجارها واكتتاف اغصانها " (٢٣٧)، ويذكر احد المؤرخين ماينقل من تجارة بلاد الشام تنقل الى الهند فقال: " يُجلب اليهم من الشام ثياب الحرير وثياب الكتان وثياب الصوف لان غنمهم جرداء لاصوف لها "، ويفهم من كلامه ان اصواف الغنم في بلاد الشام مشهورة ووفيرة وتصدر الى الخارج، فضلاً عن جودة انواعها، كما انهم يصدرون انواع الملابس، ويذكر ان " الزيت يُصدر من بلاد الشام الى مكة " (٢٣٨)، فيذكر البديري: "... ان خيرها لغير بنيتها" (٢٣٩)، ويذكر ياقوت (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٧ م): " ان بدمشق فواكه جيدة فائقة طيبة تحمل الى جميع ماحولها من البلاد" (٢٤٠)، ولعل مايبين كثرة تلك الفاكهة وجودة انواعها ورخص اسعارها، مذكره البديري : " اما الفواكه فلا قيمة لها فأني اشتري... بربع درهم وكذلك الرطل الدمشقي من المشمش ومثله من التفاح..." (٢٤١)، واشتهرت دمشق بتنوع ازهارها ووردوها الذي يستخرج ماء الورد الذي قال عنه البديري، ومن هذه الورد "يستخرجون بها ماورد القاهرة المحروسة ومكة المشرفة وغيرهما من البلاد، (٢٤٢) اي مايصدر الى البلاد الاخرى ومن تجاراتها الاخرى الملابس التي تصدر الى البلاد المجاورة، ذكر الحميري: ان دمشق بها من " ضروب الصناعات، وانواع الثياب... مايجوز به الى الآفاق " (٢٤٣)، ويذكر البديري ان جُل صادراتها تذهب الى الديار المصرية فقال : " ما يحمل... عشرة قافات انفردت بها وهذه مسمياتها : قصب ذهب، قبع، قرضية، قرطاس، قوس، قبقاب، قراصيا، قمر الدين...، قريشة، قنب " (٢٤٤)، لعل ذلك يبين ماانفردت به الشام من كل البضائع التي تصدر الى القاهرة، لعل من المهم ان نذكر انتشار صناعة الثلج في الشام، قال البديري: "وبها الثلج... ويحمل ثلج

السلطان الى القاهرة مدة العام ومايستعمل بدمشق الجميع منها يخزنونه في حواصل معدّة له" (٢٤٥)، ولا ننسى ما كان لقوافل الحج الشامي الدور الكبير في المجتمع الدمشقي من جميع النواحي الدينية والسياسية والتجارية، (٢٤٦) فلا غرو ان نرى اهتمام المؤرخين بذكر اخبار هذه القوافل حين مرورها بالشام وخروجها منه (٢٤٧) ان مانستشفه مما تقدم ازدهار التجارة الداخلية والخارجية لبلاد الشام مع البلاد القريبة منها والبعيدة عنها، ولعل مما يدل على ذلك وجود الكثير من الاسواق، فقد ذكر المؤرخون اسماءً لاعداد كبيرة من الاسواق بعضها مختص بسلع معينة، كسوق الخيل، وسوق البطيخ، وسوق الصاغة وسوق القلانسيين وغيرها، ولعل مما يعزز وجود تلك الاسواق واتجاه التجار اليها هو وجود بعض العمائر التجارية الاخرى المتممة للاسواق كالفنادق، والقياسر (٢٤٨)، والخانات (٢٤٩)، والتي عمل سلاطين المماليك على انشائها على طول الطريق التجاري ما بين دمشق والقاهرة فقد ذكرالمقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٤م) : "كانت طرق الشام عامرة ويوجد بها ما يحتاج اليه المسافرين زاد وماء وعلف وغيره،...، حتى ادركنا المرأة تسافرمن القاهرة الى الشام بمفردها راكبة، او ماشية لاتحمل زاد ولاماء..." (٢٥٠). لعل ذلك يبين الملامح الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وثروة حيوانية وسمكية لدمشق الشام آنذاك.

الخاتمة

من دراستنا لموضوعات الكتاب، توصلنا الى العديد من النتائج ابرزها:
كان المؤرخ شاهد عيان على احداث عصره، فقد عاش صباه في مدينة دمشق
مسقط رأسه في العصر المملوكي، وفي الفترة التي حكم فيها سلاطين المماليك
الجراكسة، وكتب اكثر احداثه عن كتب، وانفرد بذكر العديد من الاخبار التي لم ترد
عند غيره من المؤرخين.

تضمن الكتاب مادة غنية في التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي
والديني، عاصريه المؤلف الكثير من الاحداث، وتأتي اهمية الكتاب من صدق مؤلفه
وصدق الرواة الذين نقل عنهم، كما نلاحظ تخلل الكتاب الآيات القرآنية، والاحاديث
النبوية الشريفة عن سندها اثناء الحديث لعل ذلك نابغاً من بيئته الدينية التي تربى بها،
او تأثره بحفظ القرآن الكريم ومرافقته للشيوخ والعلماء والقضاة.

احتوى الكتاب على تفاصيل دقيقة عن اوضاع دمشق السياسية والاقتصادية
والاجتماعية، لم يكن البدري فيها ناقلاً حرفياً للحوادث والاخبار التي يوردها بل كان
يختصر في كثير من الاحيان، او يتصرف في العبارات حسبما يقتضيه الموضوع،
لكنه في اغلب الاحوال لايميل الى الاطالة والاسهاب كما في التواريخ الطويلة
والمشهورة.

اتبع المؤلف في تأليفه المنهج الوصفي عما كان يشاهده من احداث، واستعماله
للكثير من المحسنات اللفظية، وميله الى الشعر اكثر من الكتابة التاريخية، كما اعتمد
على النقل، من السابقين من العلماء والشعراء والادباء وحتى الاطباء، لما كان
ذلك سائداً في عصره .

استعمل بعض الكلمات العامية الشائعة، على الرغم من ادخاله المحسنات
البديعية في الشعر، الا اننا لمسنا ادخاله لبعض منها، لعله بذلك اراد مناغمة عقول
جميع من يقرأ كتابه حتى البسطاء منهم، او لعل ذلك راجعاً الى تأثره بالموارد التي
استقى منها مواضيعه، او لربما انطلق ذلك من احساسه بالبساطة التي يطرح بها تلك

المواضيع، كما تخللت الكتاب بعض اللطائف والظرائف التي كتبها المؤرخ او نقلها عن مؤرخين اخرين.

يمكن اعتبار كتاب النزهة من المصادر الادبية لاحتوائه على الكثير من الاشعار والقصائد، لعل ذلك كان سائداً في عصره، او كما يقال اقرب الى العقول عند العرب فهم الشعر واسرع للحفظ فالشعر ديوان العرب، مما يفهم منها ميله الى الشعر والادب اكثر من التواريخ، ويجعله مصدراً لها الى جانب كونه احد كتب التاريخ، كما نراه مصدراً هاماً لاسماء الكتب والمؤلفات، التي نقل عن اصحابها من اشعارهم وتواريخهم.

تحدث الكتاب عن بعض الروايات التاريخية التي تعود الى العصرين الاموي والعباسي والزنكي، على الرغم من ان مؤلفه عاش في العصر المملوكي الجركسي، فأنا لم نجد الكثير من المصطلحات التركية والمملوكية التي كانت سائدة في عصره، كالاتابك والسلاح خانة، والطشت دار والباشنكيروغيرها مما نقرأها في المصادر التي عاش مؤرخوها في مثل عصره.

عرّف المؤلف في كتابه عن احوال دمشق الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، والتي ازدهرت بسبب موقع دمشق الجغرافي، الذي تحف به الانهار والمروج الخضراء، وتوسطها العالم الاسلامي اسوة ببغداد درة الدنيا، فضلاً عن وقوعها في طريق الحج الى مكة المكرمة ومرور القوافل التجارية بها، والتي اصبحت بفضلها ذات شهرة عالمية، لتوافر المواد الاولية الخام للصناعة ونتاجها للعقاقير الطبية، فضلاً عن المواد الغذائية والزيت العطرية وغيرها.

المصادر

- (١) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٥ هـ)، ج ١١، ص ٤١.
- (٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١؛ الجبوري، كامل سلمان، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ م، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م)، ج ١، ص ٤٧٧؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط ١٥، (دار العلم للملايين، القاهرة، د.ت)، ج ٢، ص ٦٦.
- (٣) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
- (٤) البدري، نزهة الانام، ص ٧.
- (٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
- (٦) البدري، نزهة الانام، ص ٨.
- (٧) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
- (٨) بني الشحنة هم احد بيوتات دمشق والاعيان المعروفة آنذاك فيها تولوا المناصب الادارية واكثرهم من عمل في القضاء. للمزيد ينظر: الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت)، ج ٢، ص ٢٦٣-٢٦٥.
- (٩) البدري، نزهة الانام، ص ٧.
- (١٠) وهم عنصر قوقازي الجنس، موطنهم مرتفعات جبل قبحاق بين البحر الاسود وبحر قزوين، سمو بهذا الاسم نسبة الى التاجر جركس الذي جلب المملوك برقوق مؤسس دولتهم، التي انتهت بمقتل آخر سلاطينهم طومان باي وتعليقه على باب زويلة. للمزيد ينظر: الصيرفي، علي بن داود (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م) نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، (دار الكتب، المملكة المتحدة، ١٩٧٠ م)، ص ٣٣؛ السيوطي، جلال الدين عبد = الرحمن (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠ م)، ص ٤٣١؛ العريني، السيد الباز، الماليك، (دار النهضة العربية، بيروت، د.ت)، ص ٦٣.
- (١١) ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٩٦ م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢ م)، ج ١١، ص ١٨١؛ الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت ١١٨٥ هـ / ١٧٦٩ م) عجائب الآثار في التراجم والاخبار تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن وعبد العظيم رمضان، ط ٦، (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧ م)، ج ١، ص ٣٦؛ الانصاري، ناصر، المجلد في تاريخ مصر، ط ٢، (دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧ م)، ص ١٦٨.
- (١٢) من الوظائف المهمة في الدولة المملوكية ويطلق عليه ملك الامراء او كافل المملكة الشريفة وله صلاحيات كبيرة كمنح لقب الامارة وتوزيع الاقطاعات وتعيين الموظفين. للمزيد ينظر: المقرئ، تقى الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٤ م)، الخطط المقرئية، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب ومديحة الشرقاوي، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨ م)، ج ٣، ص ٢١٥؛ الانصاري، المجلد في تاريخ مصر، ص ١٧٩.
- (١٣) هو ابوسعيد بن عبدالله العلاني الظاهري سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وهو العاشر من ملوك الترك الجراكسة. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٩٦ م) حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين (عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠ م)، ج ١، ص ٨٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٧١؛ السيوطي، جلال

الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)، نظم العقيان في اعيان الاعيان (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٠ م)، ص ٦٧.

(١٤) ابن طولون، شمس الدين محمد بن (ت ٨٥٣ هـ / ١٤٧٦ م)، اعلام الوري بمن ولي نائباً من الاتراك على دمشق الكبرى، تحقيق: محمد احمد دهمان، (دار الفكر، دمشق، ١٩٦٤ م)، ج ١، ص ٧٢؛ ابن سباط، حمزة بن احمد بن عمر (ت ٩٢٦ هـ / ١٩٢٠ م)، صدق الاخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (مطبعة جرس برس، لبنان، ١٩٩٣ م)، ج ٢، ص ٧٩٣.

(١٥) البدرى، نزهة الانام، ص ٦.

(١٦) المنصور عثمان بن السلطان الظاهر جقمق تسلطن بعد وفاة والده، ولم تدم مدته فخلع. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٤٤؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، بيروت، ١٩٦٧ م)، ج ٢، ص ٨٠.

(١٧) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ٢، ص ٣٩٨؛ ابن سباط، صدق الاخبار، ج ٢، ص ٨٠١.

(١٨) اينال العلاني: هو السلطان الملك الاشرف الظاهري، ابو النصر كان حكمه كله جوراً وانقاد في اموره كلها الى زوجته فزاد البلاء وعم الغلاء والضرر على الفقراء، انشا المدرسة والتربة المقابلة لها التي دفن بها للمزيد ينظر:

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م)، وجيز الكلام في الذيل على دول الاسلام، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥ م)، ج ٢، ص ٦٧٤؛ السيوطي، نظم العقيان، ص ٦٠.

(١٩) ابن اياس، ابو البركات محمد بن احمد (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، (مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٦٠ م)، ص ٣٤٤.

(٢٠) ابن سباط، صدق الاخبار، ج ٢، ص ٨٠٣.

(٢١) جلبان المؤيدي: اصله من البهنسا لم يمسه الرق انتقلت به الاحوال الى ان صار نائب الشام، وكان قد ولي قبله نيابة حماة والتي استمر بها نحو خمسة عشر سنة، ثم انتقل الى نيابة طرابلس وحلب ثم الى الشام. للمزيد ينظر: ابن طولون، اعلام الوري، ص ٧٤؛

(٢٢) قانباوي الحمزاوي: ولي نيابة بعد جلبان المؤيدي، وكان نائب حلب حضر منها الى دمشق وكان دخوله اليها يوماً مشهوداً. للمزيد ينظر: ابن طولون، اعلام الوري، ص ٧٥.

(٢٣) هي دار العدل التي انشاها نور الدين زنكي ثم صارت تسمى دار السعادة، وفي العصر المملوكي اصبحت مقراً للنواب وهي مجاورة للمدرسة العذراوية وبقر باب النصر الذي يقع مجاور لبرج القلعة القائم في الزاوية الجنوبية الغربية. ينظر: ابن عبد الهادي، يوسف ابي عبد الله بن الحسن بن أحمد (ت ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م)، ثمار المقاصد في ذكر المساجد وذيله، تحقيق: محمد اسعد طلس، (بيروت، لبنان، ١٩٤٣ م)، ص ١٤٢؛ النعمي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٣٧ هـ / ١٥٣٧ م) دور القرآن في دمشق، تعليق: صلاح الدين المنجد، (دمط، دمشق، ١٩٤٦ م)، ص ٧١؛ ابن كنان، محمد بن عيسى (١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ م)، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عباس صباغ، (دار النفائس، بيروت، ١٩٩١ م)، ص ١٩١.

(٢٤) ابن طولون، اعلام الوري، ص ٧٤؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ص ٣٦٩.

(٢٥) المؤيد هوايو الفتح شهاب الدين احمد بن الملك الاشرف اينال العلاني الناصري السابع والثلاثين من ملوك الترك بالديار المصرية، بويع بالسلطة في حياة والده. للمزيد ينظر: السيوطي، نظم العقيان، ص ٢٠؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ص ٣٧١.

(٢٦) خشقدم: هو ابوسعيد سيف الدين الناصري، اصله رومي جلبه الخواجا ناصر الدين، واشتراه الملك المؤيد وصار جمدار، ثم صار رأس نوبة، وترقى في المراتب الى ان تملك، وهو اول ملوك

الروم بمصر. للمزيد ينظر: ابن طولون، اعلام الوري، ص ٨٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٠.

(٢٧) قاتيباي: هو الملك الاشرف قاتيباي بن عبدالله الشركسي المحمودي آخر الملوك العادلة، ترقى في المراتب حتى تسلطن كان محباً لأفعال الخير مقرباً العلماء والصالحين محباً للفقراء كثير العباد، كسر عساكر الروم دفعتين ومهد الممالك. للمزيد ينظر: ابن سباط، صدق الاخبار، ج ٢، ص ٩٠٩؛ الشوكاني البدر الطالع، ج ٢، ص ٥٦.

(٢٨) هو ابن السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين ابو الفتح قلاوون الصالحي اعتلى العرش بعد وفاة اخيه السلطان الاشرف خليل واغتصب منه عرشه لأكثر من مرة وعاد اليه، انتصر على المغول والاعراب وقضى على الصليبيين وظل الحكم في اعقابيه من اولاده واحفاده لأكثر من اربعين عاماً. للمزيد ينظر: ابن الجزري، شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ابي بكر القرشي (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٩م)، تاريخ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائه، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م)، ج ١، ص ٥٥-٥٦؛ المقرئ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٤م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)، ج ٣، ص ٢٨٩-٣٢٢.

(٢٩) مقدمي الألوف: وهم امرأ من اعلی الممالك قدر أعدة كل منهم مائة فارس، ومنهم من يكون من اصحاب الوظائف الكبرى. للمزيد ينظر: القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٥٥م) صبح الاعشى في صناعة الانشاء، (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م)، ج ٤، ص ١٤-٣٧؛ قاسم، قاسم عبده، عصر سلاطين الممالك التاريخية السياسي والاجتماعي، مؤسسة عين للدراسات، القاهرة، ١٩٦٦م)، ص ٣٤.

(٣٠) تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٠.

(٣١) الشهادة: او الشهود موظفين لدى قاضي القضاة يعينهم في المحاكم ويعزلهم متى شاء، ومع تقدم الزمن اصبح هؤلاء على اطلاع واسع في امور القضاء. للمزيد ينظر: ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣هـ / ١٥٧٦م)، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد احمد دهمان، (مطبعة مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٤٩م)، ص ٢٢.

(٣٢) الانصاري، شرف الدين موسى بن يوسف (ت ١٠٠٢هـ / ١٥٩٣م)، نزهة الخاطر وبهجة الناظر، تحقيق: عدنان محمد ابراهيم، مراجعة عدنان درويش، (دار احياء التراث العربي، سورية، ١٩٩١م)، ص ١٠.

(٣٣) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.

(٣٤) الامشاطي: هو الشهاب العنتابي احمد بن حسن بن اسماعيل بن يعقوب بن اسماعيل وعرف هو وكل من ولديه محمد ومحمود بالامشاطي. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٧٣؛ ابن القاضي، ابي العباس احمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م)، درة الحجال في اسماء الرجال، تحقيق: محمد الاحمدي ابو النور، (المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠م)، ج ١، ص ٨.

(٣٥) هو عبد الرزاق بن محمد بن يوسف بن عبد الرزاق القبطي الاصل القاهري الشاذلي الحنفي ويعرف بابن عجين امه نشأ في القاهرة فحفظ القرآن ولازم شيخ الحنفية ابا العباس المرسي وكان للمناوي والامشاطي لهم فيه اعتقاد بحيث اسكنه الاخير في البرقوقية وكان كثير الحفظ للشعر والتاريخ والادب. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٩٦-١٩٧.

(٣٦) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.

(٣٧) هي المدرسة التي انشأها السلطان الظاهر برقوق اول سلاطين الجراكسة سنة ٧٨٧هـ وتسمى ايضا الظاهرية كانت مدة العمل فيها سنة كاملة، وكان المباشر للعمل بها الامير جركس

الخليلي. للمزيد ينظر: ابن كنان، حقائق الياسمين، ص ١١٦؛ مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، (المطبعة الاميرية، بولاق، ١٣٠٦هـ)، ج ١، ص ٤١.
(٣٨) النسخ: من نسخ الشيء نسخاً وانتسخه واستنسخه: اكتبته اي نقله عن الاصل حرفاً بحرف، والكاتب ناسخ. للمزيد ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافغاني المصري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم الشاذلي، (دار المعارف، القاهرة، د.ت)، مج ٦، ص ٤٤٠٧.
(٣٩)

(٤٠) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
(٤١) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
(٤٢) البدر، نزهة الانام، ص ٨-٩.
(٤٣) البدر، نزهة الانام، ص ٥.
(٤٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
(٤٥) ومراجعة محمد الهجاء: من هجا يهجو وقع فيه بالشعر وسبه وعابه، وهو غرض من اغراض الشعر وهو نقيض المديح الذي هو حسن الثناء، بما فيه من الصفات الجميلة. للمزيد ينظر: الازهرى، ابي منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م) تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي علي النجار، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م) ج ٤، ص ٤٣٤؛ ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص ٤١٥٦؛ الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م) المصباح المنير، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٢١٦، ص ٢٤٣.

(٤٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
(٤٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
(٤٨) التقرير: هو البحث عن احوال الكلمات الشعرية من حيث حسنها وقبحها، وغايته الاحتراز من الوقوع في الخطأ عند الايراد. طاش كبري زادة، احمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م)، ج ١، ص ٢٠٤.

(٤٩) الباعوني: هو ابراهيم بن احمد بن ناصر بن خليفة بن فرج قاضي قضاة دمشق سمع من ابي الفضل العراقي وغيره ومن والده شهاب الدين القاضي، وبرع في النظم والنثر واختصر الصحاح وله ديوان شعر وديوان خطب توفي سنة ٨٧٠هـ. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٩٦م)، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: محمد فهيم شلتوت، ط ٢، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م)، ج ١، ص ٧؛ ابن العماد، ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣م)، ج ٩، ص ٤٥٨؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ص ٨.

(٥٠) الشهاب الحجازي: هو ابو العباس وابو الطيب احمد بن محمد بن ابراهيم الزكي الانصاري الخزرجي اوجد ائمة عصره في الادب قرأ القرآن والعمدة والتنبيه وغيرها، كان طلو المجالسة والكلام سريع الحفظ. للمزيد ينظر: السخاوي، وجيز الكلام، ج ٢، ص ٨٤٢ وال ضوء اللامع، ج ٢، ص ١٤٧؛ السيوطي، نظم العقيان، ص ٣٨.

(٥١) المنصوري: هو ابو العباس احمد بن محمد بن علي بن محمد السلمي الشافعي ثم الحنبلي ويعرف بابن الهائم وبالقائم برع في الشعر وفنونه وتفرّد في آخر عمره وله ديوان كبير. للمزيد ينظر: السخاوي، وجيز الكلام، ج ٢، ص ٢١٠؛ السيوطي، نظم العقيان، ص ٤٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٩، ص ٥١٨.

(٥٢) نزهة الانام، ص ٣٠١.

(٥٣) ابن قرقماس: هوناصرالدين محمد شيخ الحنفية اشتغل على الشيخ عبد السلام البغدادي وغيره، ومال الى الادب وعلم الحرف له مجاميع من الكتب منها زهر الربيع في البديع وغيره توفي سنة ٨٨٢هـ. للمزيد ينظر: السيوطي، نظم العقيان، ص ١٠٤.

(٥٤) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.

(٥٥) الاجازة: لغة من جاز يجيزوهي التمكين والكفاية او الاذن، وفي المصطلح: ان يمنح عالم موافقته لطالبه بتدريس علم او كتاب، او يأذن له برواية مسموعاتها و مؤلفاته وان لم يسمعها منهاو يقرأها عليه. للمزيد ينظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م) العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ج ١، ص ٢٣٦؛ ابن منظور، لسان العرب، مج ٧، ص ٥٢٩؛ الصالح، صبحي ابراهيم مصطفى، علوم الحديث ومصطلحه، (دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩م) ص ٩٢.

(٥٦) السهمودي: علي بن عبدالله بن ابي الحسن علي بن عيسى الشافعي المتوفى (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) نزيل الحرمين كان والده من اعيان سمهود وعدولها فنشأ بها وحفظ القرآن والمنهاج وسمع على والده وجاور بالحرمين واستقر بالمدينة حتى صار شيخها، وقل ان لا يكون احد من اهلها لم يأخذ عنه، الف كتابه المشهور وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى سنة ٨٨٦هـ. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٤٥-٢٤٧؛ كتابه، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: قاسم السامرائي، (مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، مكة المكرمة، ٢٠٠١م)، ج ١، ص ٩. (٥٧) الرواية: من روى يروي وهي نقل الاحاديث النبوية الشريفة بالاسناد، اورواية الشعر، والراوي هو من يروي الحديث والشعر. للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج ٣، ص ١٧٨٦؛ البستاني، بدرس، محيط المحيط، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٣٦١.

(٥٨) الدراية: هي علم اصول الحديث، وهي مجموعة من المباحث والمسائل يعرف بها حال الراوي من حيث القبول والرد. للمزيد ينظر: الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص ١٠٧.

(٥٩) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤٢.

(٦٠) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.

(٦١) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤٢.

(٦٢) ابن الجيعان: هوابو البركات احمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني القاهري عرف هو والده بابن الجيعان ووالده (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) صاحب كتاب التحفة السنية باخبار البلاد المصرية، كما كتب والده الروك الناصري آخر روك بمصر.

(٦٣) ابن الجيعان، ابو البركات احمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني القاهري (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) القول المستظرف في سفر الملك الاشرف قاتيباي، تحقيق: محمد زينهم عزب، (دار الثقافة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م)، ص ٦.

(٦٤) البديري، نزهة الانام، ينظر: مثلاً ص ٣٣، ص ٧٩، ص ١٧٢، ص ٢٨٧.

(٦٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١؛ الجبوري، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٧٧؛ الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ٦٦.

(٦٦) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م)، ج ٢، ص ١٨١.

(٦٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١١٩٨.

(٦٨) البديري، نزهة الانام، ص ٦٢.

(٦٩) الجبوري، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٧٧؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٨٩٢؛ الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ٦٦.

(٧٠) نزهة الانام، الغلاف؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٨٩.

- (٧١) الطور في كلام العرب الجبل، واهل اللغة لا يسمونه طوراً حتى يكون ذا شجر، ويقال لجميع بلاد الشام الطور، والطور كورة تشتمل عدة قرى تعرف بهذا الاسم بأرض مصر القبلية بالقرب من جبل فاران، ولا خلاف في ان الشام يسمى طور سيناء. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، ابي عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م)، مج ٤، ص ٤٧؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٥٠٠م)، الروض المعطار في خير الاقطار، تحقيق: احسان عباس، (دار القلم للطباعة، بيروت، ١٩٨٦م)، ص ٣٩٧.
- (٧٢) غزة مدينة أقصى الشام من ناحية مصريينها وبين عسقلان فرسخان او اقل، وهي من نواحي فلسطين. للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، مج ٤، ص ٢٠٢؛ الادريسي، محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٣م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، (مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت)، مج ١، ص ٣٥٦-٣٥٧.
- (٧٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤٢؛ الجبوري، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٧٧.
- (٧٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤٢؛ الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ٦٦.
- (٧٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤٢.
- (٧٦) نزهة الانام، ص ٣ مقدمة الناشر.
- (٧٧) نزهة الانام، ص ٧.
- (٧٨) الغوطة: إحدى كور دمشق، جنة الله في ارضه، وهي متصلة بباب الفراديس، وهي مجتمع النباتات تسقيها الانهار التي تمتد عبرها وتسقي بساتينها وزروعها. للمزيد ينظر: البكري، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٥م)، ج ٣، ص ١٠٠٩؛ ياقوت، معجم البلدان، مج ٤، ص ٢١٩.
- (٧٩) البيت من الشُعرا والخيمة وجمعها فساطيط وعرف المسلمون مصر قديماً بالفسطاط. ابن منظور، لسان العرب، مج ٥، ص ٤١٣؛ الفيومي، المصباح المنير، ص ١٨٠.
- (٨٠) نزهة الانام، ص ١١.
- (٨١) نزهة الانام، ص ٣٦١-٣٥٦.
- (٨٢) هو الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك بن مروان كان دميماً يتبخر في مشيته ناقص في ادبه، انشأ جامع دمشق، افتتحت في ايامه الهند والترك والاندلس. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ١، ص ٨٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ١، ص ٣٨٨.
- (٨٣) نزهة الانام، ص ٥١.
- (٨٤) نزهة الانام، ص ٥٢.
- (٨٥) الرُبوة: يضم أوله وفتح وكسره، واصلها ما ارتفع من الارض وجمعها رُبى، وقال الله عز وجل "واوبناهما الى رُبوة ذات قرار ومعين، وقال المفسرون انها دمشق، وذات قرار اي قرار من العيش. للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، مج ٣، ص ٢٦.
- (٨٦) نزهة الانام، ص ٨٢.
- (٨٧) الزيداني: وصفها البديري بأنها قلعة الورد ويستخرجون منه ماء الورد الذي يرسلونه الى القاهرة ومكة المشرفة، وكذا فاكهتها. للمزيد ينظر: نزهة الانام، ص ١١٨.
- (٨٨) نزهة الانام، ص ٩١-١٠٢.
- (٨٩) الحواكير شبيهها البديري بأنها كالحقائق، تقع في سفح قاسيون. نزهة الانام، ص ١٠٢.
- (٩٠) نزهة الانام، ص ١٢١-١٣٣.
- (٩١) المزة: المزة بالكسر والتشديد، اسم اعجمي لم يعرف له في العربية معنى، و هي قرية كبيرة غناء وسط دمشق من اعظم قراها، بينها وبين دمشق فرسخ واحد، وينسب اليها الشيخ جمال الدين يوسف بن الزكي الكلبى المزي وكثير سواه من العلماء. للمزيد ينظر: البكري، معجم

مااستعجم، ج ٤، ص ١٢٢٢؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، آثار البلاد واخبار العباد، ط ٣، (دار صادر، بيروت، ٢٠١١م)، ص ٢٦٣.

(٩٢) داريا: قرية من قرى دمشق بالغوطة، قال البدرى بها قبر السيدان الجليلان ابو سليمان الداراني وابو مسلم الخولاني. للمزيد ينظر: نزهة الانام، ص ٢١٩؛ ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ١٥٧.

(٩٣) بيت لاهيا قال عنه البدرى: انه مكان مبارك يزار، ويقال: ان حواء (ع) كانت مقيمة بهذا المكان ومن الناس من يسميه بيت الالهة. للمزيد ينظر: نزهة الانام، ص ٢٦٨؛ ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ١٥٤.

(٩٤) الصالحية تعرف بعروس الشام احدى مناطق دمشق الجميلة وسميت بهذا الاسم لسكنى جماعة من الصالحين من اهل بيت المقدس بها لعلمهم وتقواهم وهي ممتدة من سفح الجبل بالقرب من نهر يزید وهي ذات بيوت ومدارس وربط وخانقوات واسواق عظيمة وجامع وبها الكثير من قبور الصالحين وجل سكانها من الحنابلة. للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٩٠؛ ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، تحفة النظار في عجائب الامصار المعروف برحلة ابن بطوطة، ط ٣، (دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩م)، ص ٦٠؛ ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ص ٨؛ وينظر ما ذكره البدرى، نزهة الانام، ص ٣٢٠.

(٩٥) قاسيون قال عنه البدرى: هو جبل مبارك به آثار الانبياء والصحابه والاولياء، وبه الكهف يقال: انه كهف اصحاب القصة، وبه مغارة الدم. للمزيد ينظر: نزهة الانام، ص ٣٣٩.

(٩٦) نزهة الانام، ص ٣٦٢.

(٩٧) نزهة الانام، ص ٣٧٤-٣٨٥.

(٩٨) ذكر المؤلف ان بها ثلاثة ابواب هي باب جيرون، وباب البريد، وباب الفراديس، وان هذه الابواب اذا اغلقت تحصنت المدينة. نزهة الانام، ص ٢١.

(٩٩) نزهة الانام، ص ١٥-١٩.

(١٠٠) باب كيسان هو الباب الشمالي لدمشق وينسب الى كيسان مولى معاوية بن ابي سفيان لانه اول من نزل بقربها. ينظر: الصفدي، تحفة ذوي الالباب، ج ١، ص ٢١٨؛ البدرى، نزهة الانام، ص ٢٤.

(١٠١) باب توما: هي احدى ابواب دمشق قال عنها البدرى: انها من شام البلد ينسب الى عظيم من عظماء الروم، وسمي بأسمه وكان له عليها كنيسة. للمزيد ينظر: نزهة الانام، ص ٢٤-٢٥.

(١٠٢) نزهة الانام، ص ٢٥.

(١٠٣) نزهة الانام، ص ٢٧.

(١٠٤) نزهة الانام، ص ٢٩.

(١٠٥) نزهة الانام، ص ٦٦، ص ٧٣، ص ٨٠، ص ٩٦.

(١٠٦) نزهة الانام، ص ٣٦٦.

(١٠٧) نزهة الانام، ص ١٠.

(١٠٨) الجبوري، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٧٧.

(١٠٩) باب جيرون: بناها جيرون بن عاد، الروض المعطار، ص ١٨٦.

(١١٠) الباب الصغير: هو اقدم ابواب دمشق الاصلية السبعة التي اختطها اليونان واطلق عليه اسم الباب الصغير بعد الفتح الاسلامي لمدينة دمشق لكونه اصغر ابواب المدينة، وفي العهد الايوبي قام الملك المعظم عيسى بتجديده ومن اسمائه الاخرى الباب القيلي وباب الحديد. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ٨٥، ١٥٨؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ٢٦، ج ٢، ص ٢١٣.

قال البدرى: وهو الذي نزل عليه يزيد بن ابي سفيان في حصار المسلمين للروم ودخل منه وسمي بذلك لانه اصغر ابوابها حين بنيت. للمزيد ينظر: نزهة الانام، ص ٢٤.

(١١١) احد خلفاء بني امية عقد له ابوه بولاية العهد من بعده، وتسلم الملك عند موت ابيه وله ثلاث وثلاثين سنة وبقيت دولته اقل من اربع سنوات غزا خلالها القسطنطينية توفي سنة اربع وستين للهجرة. للمزيد ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م)، ج ٤، ص ٣٥-٤٠.

(١١٢) نزهة الانام، ص ٢٤.

(١١٣) قال البدرى: ان من افتتحها هو المرحوم نور الدين محمود بن زنكي الشهيد. نزهة الانام، ص ٢٦.

(١١٤) محمود بن زنكي: هو الملك العادل نور الدين صاحب حلب تملك بعد ابيه، وكان شديد المهابة حسن التواضع، كامل العقل هزم الفرنجة اكثر من مرة توفي سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (دار صادر، بيروت، د.ت)، ج ٢، ص ٨٧؛ الذهبي، العبر في خبر من عبر وذيله، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بسيوني بن زغلول، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م)، ج ٣، ص ٥٨.

(١١٥) نزهة الانام، ص ٢٦.

(١١٦) قال البدرى: ان من فتحه هو الملك الناصر بن ايوب. نزهة الانام، ص ٢٨.

(١١٧) الناصر بن ايوب: هو السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي ولد في قلعة تكريت في العراق من ابوين كرديين تقدم في المناصب مع عمه اسد الدين شيركوه الى ان تولى السلطنة وخاض المعارك العظام وهزم الفرنجة والصليبيين واشهر معركة هي معركة حطين سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٧، ص ١٣٩-١٥٥؛ الياقعي، عفيف الدين ابي محمد عبد الله بن اسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)، ج ٣، ص ٣٣٣-٣٥٢.

(١١٨) نزهة الانام، ص ٢٨.

(١١٩) هو القائد عامر بن عبد الله بن الجراح عرف بأمين الامة احد العشرة الذين شهد لهم الرسول (ص) بالجنة. للمزيد ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ٤٣٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ١، ص ١٦٦.

(١٢٠) نزهة الانام، ص ٣٠.

(١٢١) قبة النسر: هي اكبر قباب الجامع الاموي وعرفت بهذا الاسم لان رواقاتها التي على يمينها ويسارها تشبه اجنحة النسر. للمزيد ينظر: ابن طولون، اعلام الورى، ص ١٠٧؛ ابن كنان، حدائق الياسمين، ص ٩٨.

(١٢٢) نزهة الانام، ص ٣٤-٤٥.

(١٢٣) هو الجامع الذي انشأه نائب الشام تنكز وعرف باسمه ويقع بالقرب من باب النصر باتجاه حكر السماق على نهر بانياس بدمشق استمر ببناءه مدة سنة كاملة وجعل فيه ماذنة من اجمل ماذن العهد المملوكي، كان افتتحه يوما مشهودا. ينظر: ابن بن عبد الهادي، نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق بدمشق، (نشر حبيب الزيات، د.ت)، ص ١٩؛ طلس، ذيل ثمار المقاصد، ص ٢٠٢.

(١٢٤) تنكز الحسامي هو الامير الكبير المهيب العادل ابو سعيد سيف الدين الاشرفي الناصري، نائب السلطة بدمشق، جلب إلى مصر وهو صغير فاشتراه الملك الأشرف ثم صار إلى الناصر فجعله أمير عسكره أصبح نائباً على الشام وقام بفتح ملطية ورجع بأسرى وغنائم ومال كثير فعظم شأنه

- وهابة الأمراء والنواب، ومكث في نيابتها الى وفاته للمزيد عنه ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١١٧؛ ابن طولون، اعلام الوري، ص ٣٨-٤١.
- (١٢٥) ميدان القلعة: وعرف بالميدان الاخضر ويقع الى جانب القصر الابلق وتطل عليه قلعة دمشق. للمزيد ينظر: ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٢٣.
- (١٢٦) نزهة الانام، ص ٦.
- (١٢٧) نزهة الانام، ص ٦٠.
- (١٢٨) نزهة الانام، ص ١٢٥، ص ٣٣٤، ص ٣٣٧.
- (١٢٩) نزهة الانام، ص ٦.
- (١٣٠) نزهة الانام، ص ١١٨.
- (١٣١) نزهة الانام، ص ٦.
- (١٣٢) نزهة الانام، ص ١١.
- (١٣٣) هو السلطان ركن الدين ابو الفتوح الصالح النجمي تسلطن بعد مقتل المظفر قطز اصله تركي أخذ من بلاده، عرف بالبنقداري ترقى في المناصب تسلطن بعد مقتل قطز ولقب بالملك الظاهر ووضع الاساس القوي لبناء دولة المماليك ويعد المؤسس الحقيقي لها، للمزيد ينظر: بيبيرس المنصوري، ركن الدين بن عبد الله الخطائي (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) مختار الاخبار تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م)، ص ١٢؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٥٢٠-٥٢٢.
- (١٣٤) نهر بردى: احد انهار بلاد الشام قال عنه البدرى: يمر على قرية الزبداني كالبحر الى ان يلتقي على قرية الفيحة. نزهة الانام، ص ٩١-٩٤.
- (١٣٥) نزهة الانام، ص ٧٤.
- (١٣٦) جامع الافرم يقع هذا الجامع في حارة الفواخير انشأه الامير جمال الدين نائب السلطان الافرم نائب السلطنة بالصالحية واول من خطب به هو شمس الدين ابي البركات محمد بن ابي العز الحنفى. للمزيد ينظر: ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٥٧؛ النعيمي، الدارس، ص ٥٦٦.
- (١٣٧) المدرسة الناصرية: هي من احسن المدارس في بنيانها تقع مقابل الجامع الافرم وقديمت قبله بناها السلطان الناصر صلاح الدين. للمزيد ينظر: ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٥٧؛ النعيمي، الدارس، ص ٥٧٠.
- (١٣٨) نزهة الانام، ص ٢٢١.
- (١٣٩) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
- (١٤٠) هو شرف الدين محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسين بن عنين شاعر دمشقي واحد شعراء العصر العباسي نفاة السلطان صلاح الدين فتنقل في البلاد أمتدح الملك العادل وتقرب منه فولاه الكتابه والوزارة ثم للملك المعظم بدمشق آخر دولته، ولم يكن من هو في جودة شعره، ولم يسلم أحد من هجائه. للمزيد ينظر: الغساني، ابو العباس اسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠١م) العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، (دار التراث العربي، بيروت، د.ت)، ج ٥، ص ٤٥٦؛ الدلجي، احمد بن علي (ت ٨٣٨هـ / ١٤٢٤م)، الفلاحة والمفلكون، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م)، ص ٩٨.
- (١٤١) ابن نباته: هو الشاعر جمال الدين محمد بن نباته المصري المولد والنشأة والوفاة اخذ العلم عن شيوخ عصره وبرع فيه وفاق اهل زمانه ونبغ على اقرانه حتى اصبح امام زمانه في العلم والادب. للمزيد ينظر: ابن العراقي، ولي الدين ابي زرعة احمد بن الحسين بن عبد الرحيم (ت ٨٢٦هـ / ١٤٢٩م)، الذيل على العبر، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م)، ج ١، ص ٢١٩-٢٢٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢١٦-٢٢٣.

(١٤٢) ابن رشيق: هو ابو علي الحسن بن رشيق احد الافاضل البلغاء له تصانيف عديدة منها كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده وعيوبه وكتاب الانموذج والرسائل الفائقة والنظم الجيد. للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ص ٨٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢٣٧.

(١٤٣) الصفدي: هو صلاح الدين خليل بن ابيك باشر كتابة الانشاء بمصر وكتابة السر بحلب ووكالة بيت المال بدمشق وتوقيع الدست فيها قرأ الحديث وكتب الطباق ودرس الفقه واخذ الادب عن ابن نباته والنحو عن ابي حيان وكتب الخط المليح وبرع في النظم والف في التاريخ واللغة والادب. للمزيد ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٨٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٠٣؛ ابن العراقي، الذيل على العبر، ج ١، ص ١٣٤.

(١٤٤) نزهة الانام، ص ٤٦.

(١٤٥) هو محي الدين عبد الله بن رشيد بن عبد الظاهر بن نشوان بن علي بن نجدة السعدي الروحي الزنباعي، كاتب الإنشاء بالديار المصرية، من ارباب المروءات وساداتها، كثير الاحسان إلى الناس وهو او لمن سمي بصاحب ديوان الانشاء مولده بالقاهرة وتوفي بها ودفن بترتبته التي أنشأها لنفسه بالقرافة. للمزيد ينظر: ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ١٧٥؛ الصقاعي، فضل الله بن ابي الفخر (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٨م)، تالي وفيات الاعيان، تحقيق: جاكين سويله، (مطبعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٤م)، ص ١١٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٦٦٢؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٢٤٢.

(١٤٦) نزهة الانام، ص ٧٥.

(١٤٧) ابن سناء الملك: هو الشاعر ابو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد ابي الفضل جعفر بن المعتمد صاحب الشعر البديع والنظم الرائق، احد الفضلاء النبلاء كثير التخصص اختصر كتاب الحيوان للجاحظ وله ديوان جميعه موشحات سماه دار الطراز جمع فيه الرسائل التي بين القاضي الفضل وبينه توفي سنة (٦٠٨هـ / ١٢١١م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٦، ص ٦١؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ١٤٩.

(١٤٨) نزهة الانام، ص ٢٢٣.

(١٤٩) هو الشيخ ابراهيم بن شرف الدين بن عبد الله، لازم علماء عصره في الفنون وبرع بها وفاق في النظم والشعر له ديوان مات بمكة سنة (٨٨١هـ / ١٤٧٦م) للمزيد ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٧٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٢، ص ٢٦٩.

(١٥٠) نزهة الانام، ص ٨٩، ص ٩١، ص ٩٢، ص ١١٠.

(١٥١) هو تقي الدين ابو بكر بن علي الحموي رأس ادباء العصر نزيل القاهرة، صاحب البديعية المشهورة وثمار الاوراق مات سنة (٨٣٧هـ / ١٤٣٣م). للمزيد ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٧٣.

(١٥٢) نزهة الانام، ص ١١١، ص ١١٤، ص ١٢٦.

(١٥٣) ابن عساكر ابن عساكر: هو ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين بن عساكر وليس في اجداده اسم عساكر وانما لقب اشتهروا فيه وهومن بيت القضاء والحديث والفقه صاحب المؤلف الكبير تاريخ دمشق للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٦٠؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٩٧.

(١٥٤) هو العلامة ابو الفرج عبد الرحمن بن علي سمي الجوزي نسبة الى محلة الجوز بالبصرة التي ينتسب اليها اجداده صنف العديد من التصانيف المفيدة منها المنتظم في اخبار الملوك والامم وتنقيح فهوم الاثر ومختصر الفنون عاش في ظل الخلافة العباسية. للمزيد عنه ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٣٦٥؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٦٠.

(١٥٥) هو احمد بن علي الكناني العسقلاني حفظ القرآن في صغره وتولع بالنظم، وقال الشعر المليح وحبب اليه طلب الحديث فأقبل عليه الى ان اصبح علامة وقته وانتفع به الطلبة وتولى قضاء

- الشافعية بالديار المصرية. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٦٤؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج ١، ص ٦٤.
- (١٥٦) نزهة الانام، ص ٣٣، صص ٣١٥.
- (١٥٧) بيمارستان: لفظ فارسي من مقطعين، بيمار وتعني المريض، وستان وتعني ارض او موضع والكلمة مجتمعة تعني موضع معالجة المرض وهو المستشفى. دهمان، محمد احمد، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (دار الفكر، سورية، ١٩٩٠م)، ص ٤١؛ شير، ادي، الالفاظ الفارسية المعربة، (مطبعة الالباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م) ص ٣٣.
- (١٥٨) نزهة الانام، ص ١١٤.
- (١٥٩) نزهة الانام، ص ١٩.
- (١٦٠) ويقصد به المؤرخ الدمشقي محمد بن شاكر الكتبي المتوفى (٧٦٤م/١٣٦٤م)، نزهة الانام، ص ٧٥؛ المنجد، المؤرخون الدمشقيون، ص ١٠٦.
- (١٦١) ابن سينا: ابو علي الحسين بن علي بن سينا اصله من بلخ عاش بها في ظل الدولة السامانية، اشتغل بالعلوم وبرع بها وقربة الامير نوح الساماني منه وادخله مكتبته التي استفاد منها ترك العديد من المصنفات في الطب وغيره من العلوم. الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٢٥٨؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٣٧.
- (١٦٢) نزهة الانام، ص ١٠٤، ص ١٢٠.
- (١٦٣) نزهة الانام، ص ١٣.
- (١٦٤) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٥٠٧.
- (١٦٥) ابن طولون، القلائد الجهرية، ص ٣٧.
- (١٦٦) ابن عبد الحق صفى الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، مرصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٥٤.
- (١٦٧) نزهة الانام، ص ٩١-٩٢.
- (١٦٨) احسن التقاسيم، ص ١٤٠.
- (١٦٩) نزهة الانام، ص ٢٢٠-٢٢٣.
- (١٧٠) نزهة الانام، ص ٢٢٤.
- (١٧١) نزهة الانام، ص ٢٣٥.
- (١٧٢) نزهة الانام، ص ٢١٤.
- (١٧٣) نزهة الانام، ص ١٨٧.
- (١٧٤) نزهة الانام، ص ٢١٢.
- (١٧٥) نزهة الانام، ص ١٩٥.
- (١٧٦) نزهة الانام، ص ٢٠١.
- (١٧٧) نزهة الانام، ص ٣٢٠.
- (١٧٨) نزهة الانام، ص ٣٤٥، ص ٣١٤، ص ٣١٨.
- (١٧٩) نزهة الانام، ص ٢٨٣-٣٠٦.
- (١٨٠) نزهة الانام، ص ٣٠٨.
- (١٨١) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٢٨٥.
- (١٨٢) نزهة الانام، ص ٩١.
- (١٨٣) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٧٧، ص ١٨٠، ص ٥٢١.
- (١٨٤) نزهة الانام، ص ٣٧١.
- (١٨٥) الذهبي، ذيل العبر، ج ٤، ص ٥٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٠٤.

- (١٨٦) نزهة الانام، ص ٣٦٠.
- (١٨٧) نزهة الانام، ص ٨٣.
- (١٨٨) صبح الاعشى، ج ٤، ص ٨٨.
- (١٨٩) يقع هذا السوق بالقرب من مسجد عند رأس درب الحبالين وقد عرف المسجد بأسمه مسجد سوق الطير. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ٦٩.
- (١٩٠) من اهم الاسواق في العصر المملوكي ومن الركائز التي يعتمد عليها الجيش ويقع شمال غرب القلعة بالقرب من جامع يلغا ويعرف مع المنطقة المجاورة له بتحت القلعة ينظر: ابن عبد الهادي ثمار المقاصد، ص ١٣٣، ص ٣٦٦؛
- (١٩١) الصفي صلاح الدين خليل بن ايبك (٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، تحفة ذوي الالباب، (دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م)، ج ٢، ص ٢٧١؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٩، ص ٣٢.
- (١٩٢) وهو يقع تحت القلعة بينه وبين سوق السقط مدرسة. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٢٠، ص ٣٦٦.
- (١٩٣) يقع هذا السوق خارج الباب الصغير بالقرب من جامع جراح. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٠٥، ص ٢٠٥؛ النعيمي، الدارس، ص ٥٥٧.
- (١٩٤) نزهة الانام، ص ٦٣.
- (١٩٥) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ١٩٩.
- (١٩٦) الروض المعطار، ص ٢٤٠.
- (١٩٧) نزهة الانام، ص ٧٦.
- (١٩٨) نزهة الانام، ص ١٨٧.
- (١٩٩) نزهة الانام، ص ٢٣٥.
- (٢٠٠) نزهة الانام، ص ٢١٣.
- (٢٠١) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ١٩٠.
- (٢٠٢) نزهة الانام، ص ٢١٢.
- (٢٠٣) نزهة الانام، ص ٣٤٠.
- (٢٠٤) نزهة الانام، ص ٣٦٤.
- (٢٠٥) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٢١٥.
- (٢٠٦) نزهة الانام، ص ٣٦٣.
- (٢٠٧) ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ٨٥؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٤٢-٤٣.
- (٢٠٨) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٢٦-٢٢٤.
- (٢٠٩) نزهة الانام، ص ٣٦٣.
- (٢١٠) سك النقود او ضربها تعني طبعها على حديدة تنقش او تختتم بها تلك النقود وهي ضرورية للتمييز بين الجيد والردى منها. الفراهيدي، العين، ج ٢، ص ٢٦٠؛ ابن سيدة، المخصص، ج ٤، ص ٨٢.
- (٢١١) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٢٦-٢٢٤.
- (٢١٢) نزهة الانام، ص ٦٠.
- (٢١٣) نزهة الانام، ص ٣٦٣.
- (٢١٤) ومعناها بيت السلاح وربما قيل الزردخانه وتعني بيت الزرد او الدروع لما فيه من انواع الاسلحة. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ١٣؛ ابن كنان، حقائق الياسمين، ص ١٣٢؛ دهمان، معجم الالفاظ، ص ٨٦.

- (٢١٥) جمع لكلمة جوشن وهو ضرب من الدروع كانت سائدة في العصر المملوكي يلبس في الحروب للوقاية من ضربات السيوف والرماح. للمزيد ينظر: دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ٥٧؛
- (٢١٦) يقع هذا السوق جنوب الجامع الاموي بين سوق الصاغة في طريق سوق البزوربين وهو مختص ببيع انواع السلاح. للمزيد ينظر: الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٣٩.
- (٢١٧) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٠٦.
- (٢١٨) يقع هذا السوق قرب سوق القلانسيين وبجوار باب الخواصين. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ٦٣؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٣٧.
- (٢١٩) يقع هذا السوق بالقرب من سوق النحاسين. الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٢٩.
- (٢٢٠) وهو سوق قديم ملاصق لحصن جيرون بالقرب من باب الحديد وهو في منطقة تحت القلعة. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ٨٥؛ نزهة الانام، ص ٢٧.
- (٢٢١) نزهة الانام، ص ٣٦٣.
- (٢٢٢) نزهة الانام، ص ٣٤١.
- (٢٢٣) نزهة الانام، ص ٣٦٣.
- (٢٢٤) نزهة الانام، ص ٣٤٥.
- (٢٢٥) نزهة الانام، ص ٣٤٧.
- (٢٢٦) وينسب الى سابور احدى كور بلاد فارس، والتي بناها سابور بن اردشيراك ملك فارس والتي تشتهر ببساتينها التي تشبه بساتين الشام وتجتمع فيها الاضداد من الثمار والكروم والعسل والزيتون. البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٦٣؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٢٠٠.
- (٢٢٧) نزهة الانام، ص ٣٦٢.
- (٢٢٨) قرية من نواحي غوطة دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٩؛ ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ١٥٥.
- (٢٢٩) جمع ازار وهو نوع من اللباس استعمل في العصور الاسلامية وهي رداء واسع منها المورد والموشى وهو خاص بالخلفاء والقضاة لاضفاء الهيبة والوقار. دوزي، معجم الملابس، ص ٣٧؛ العبيدي، الملابس العربية، ص ١٨٣.
- (٢٣٠) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٠٤.
- (٢٣١) نزهة الانام، ص ٣٦٣.
- (٢٣٢) نزهة الانام، ص ٣٦٣.
- (٢٣٣) يقع هذا السوق في شمال الشرق من جامع محي الدين وجنوب المدرسة البزورية التي بسفح قاسيون وهذه الاسواق تختص ببيع القطن. ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ص ٣١٠؛ الشهابي معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٤٩.
- (٢٣٤) نزهة الانام، ص ٦٢.
- (٢٣٥) عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، (مشورات وزارة الثقافة، سورية، ١٩٩١م)، ج ١، ق ١، ص ٣٧.
- (٢٣٦) كرد، خطط الشام، ص ٢٢٠.
- (٢٣٧) كرد، خطط الشام، ص ٢٢٢.
- (٢٣٨) نزهة الانام، ص ٣٦٣.
- (٢٣٩) القلائد الجوهريّة، ص ٣٧٦.
- (٢٤٠) نزهة الانام، ص ٣٦٤.
- (٢٤١) نزهة الانام، ص ٣٦٦.
- (٢٤٢) نزهة الانام، ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٢٤٣) الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (كان حياً في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، الجُغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، (مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت)، ص ٣١، ص ٣٦.

(٢٤٤) نزهة الانام، ص ٣٦٦.

(٢٤٥) معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٥.

(٢٤٦) نزهة الانام، ص ٨٤.

(٢٤٧) نزهة الانام، ص ١٠٥، ص ١١١، ص ١١٨.

(٢٤٨) الروض المعطار، ص ٢٤٠.

(٢٤٩) نزهة الانام، ص ٣٦٤.

(٢٥٠) نزهة الانام، ص ٣٤٧.

مراكز الحركة الفكرية والعلمية في العراق

في العصر البويهي

إيمان عبد الجبار محمود التميمي

أولاً : الكتاتيب

ثانياً : المساجد والجوامع

ثالثاً : منازل العلماء

رابعاً : خزائن الكتب والمكتبات العامة والخاصة

خامساً : حوانيت الوراقين

سادساً : الأسواق

سابعاً : البيمارستانات

الملخص

شغلت مراكز الحركة الفكرية في العراق في عصر التسلط البويهى حيزاً ملموساً على أرض الواقع، فقد سعى ارباب الدولة واكابرها وعلمائها لابرار ادوار هذه المراكز وتطويرها من خلال جهودهم التي ما انفكت تستمر في التطور ليخدم أرض الواقع التي نشأت عليه، وكانت الكتاتيب أولى هذه الأماكن، وعلى الرغم من أن بداياتها الأولى كانت بسيطة، حيث كانت تختص بتعليم الصغار المراحل الأولى للقراءة والكتابة، إلا أنها تطورت وتوسعت لتنتقل إلى زوايا المسجد لتحتل حيزاً أكبر وتنتشر في الأماكن الأخرى كالمساجد والجوامع التي كان يتزاحم فيها الطلبة، فضلاً عن حلقات العلم التي كان يديرها العلماء في هذه المساجد والجوامع، كما كانت منازل العلماء التي ويحضرها الطلبة وتعد فيها المناظرات إحدى هذه المراكز التي شجعت على نشر العلم والمعرفة آنذاك، فضلاً عن الأماكن الأخرى التي كان يؤمها العلماء والأدباء على مختلف مراحل دراساتهم وأبحاثهم كالاسواق وحوانيت الوراقين والمكتبات العامة والخاصة، والتي كانت من الملتقيات الكبرى والتي تمثل منتديات ثقافية لهؤلاء حيث تتم حينها تبادل الثقافات المختلفة بين هؤلاء والتي كانت تعج بنفائس الكتب التي تنقل إليها من كل حدب وصوب والتي يكون بعضها بخطوط مؤلفيها أو بخط النساخين في حوانيت الوراقين أو على أيدي طلبة الشيوخ، الذين يقومون بتأليفها، وهذه الكتب لاقت رواجاً كبيراً من قبل مقتنيها خاصة في اسواق بيع وشراء هذه الكتب، فضلاً عن وجود المكتبات الضخمة التي كان ينشئها الخاصة والعامة وتكون متاحة للجميع للتزود بالعلم والمعرفة، وتشجيع السلاطين والأمراء والوزراء البويهيين على الحركة العلمية في هذا العصر.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد النبي صلى الله عليه وسلم وآله اجمعين، وبعد..

شهدت بغداد في عصر التسلط البويهي نهضة علمية شاملة في كل ميادين الحياة، حيث ارتكزت سياسة البويهيين على بناء حضارة اسلامية قائمة على تشجيع العلم والثقافة وينشرهما كدعامة اساسية للدولة، حيث أولى بني بويه اهتماماً كبيراً بهما فأسسوا المكتبات الضخمة واستقطبوا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والمفكرين من الفلاسفة والفلكيين والأطباء وغيرهم، مما جعل بغداد غاية لكل ما يتمناه المثقفون في كل الانحاء.

كان من أهم عوامل ازدهار الحركة العلمية والفكرية في هذا العصر هو وجود مراكز لهذه الحركة يؤمها القاصي والداني من مختلف الاجناس والطبقات من الطلبة والمثقفين والعلماء، فضلاً عن اهتمام السلاطين والأمراء البويهيين بهذه الطبقة وتقريبها من البلاط البويهي واغداق الهدايا والعطايا على المتميزين منهم، وكان من نتاج هذا الاهتمام نشوء المكتبات الضخمة واحتوائها على نفائس الكتب بعضها بخطوط مؤلفيها، وتشجيع المؤلفين على التأليف، كما انشرت عادة اهداء الكتب إلى الأمراء والوزراء من قبل مؤلفيها، أو تكليف المؤلفين من قبل الأمراء والوزراء بتأليف هذه المؤلفات، إما طمعاً في المال من قبل المؤلفين وكذلك لنيل الخطوة لديهم، أو لنيل الشهرة، كما زخرت الاسواق بالكتب النفسية التي كانت تجلب إلى اسواق بغداد من كل حذب وصوب، ولاقت رواجاً كبيراً من قبل مقتنيها من الفئات المثقفة وطالبي العالم.

اهتم بني بويه بنشر العلم وتقريب الأطباء والفلاسفة والمفكرين والفلكيين فكان انشاءهم للبيمارستانات كجانب من اهتمامهم بنبوغ الطب وتشجيع الطلبة على الاهتمام بهذا العلم، وانشاء العمائر الطبية التي كانت تخدم بالدرجة الأولى منشئها وحاشيتهم ومن ثم المرضى من العامة، وكذلك لنيل الشهرة، ولعلنا لا نبالغ لوقلنا ان ثمرة ازدهار هذه الحركة العلمية والفكرية في هذا العصر، والذي تغلغت فيه الثقافة والمعرفة في جميع اوساط وفئات المجتمع العباسي، وبروز صفوة من العلماء والادباء والمفكرين قادت هذه الحركة بما يدعم حضارتنا الانسانية العريقة، وما احدثه هؤلاء من علوم وكتبه من مؤلفات وما نظموه من اشعار خلدت تاريخهم عبر العصور.

أولاً : الكتاتيب :

الكتاتيب هي جمع كُتَّاب ومفردھا المکتب، وهي موضع تعلم الكتابة والمكتب موضع التعليم، والمكتب : المعلم، والکتاب : الصبيان.^(١)

تعد الكتاتيب من أقدم واول المراكز التعليمية عند المسلمين، وقد عرفه العصر قبل الإسلام منذ العصر الجاهلي، وأنه كان يهدف إلى تعليم الصبية القراءة والكتابة^(٢). لما جاء الإسلام داعياً إلى طلب العلم في أول آية نزلت على رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم : ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))^(٣).

كان الغرض الاساسي من الكتاب هو تعليم الصبيان القرآن الكريم، وما يتصل به من علوم اللغة والادب،^(٤) الا ان الناشئ عادة يبدأ بالتعلم في هذه الكتاتيب، مبادئ القراءة والكتابة وبعض السور القرآنية، وشيئاً من الحساب وبعض الاشعار والأمثال،^(٥) الا ان بعض معلمي هذه الكتاتيب يعلمون الناشئة أيضاً بعض السنن والفرائض والنحو والعروض غيرها،^(٦) كما كانوا يؤثرون تعليم البنات وتحفيظهن القرآن الكريم وخاصة سورة النور.^(٧)

كان هؤلاء الطلبة الناشئين يكتبون على ألواح من خشب الابنوس أو الخشب العادي، وكلما فرغو من درس محوه، وأثبتوا مكانه درساً آخرًا،^(٨) وكان على معلمهم ان يرفقوا بهم وان يقدموا لهم النصح والمشورة، غير ان الرفق بهم ليس معناه الميوعة والاستسلام، فالتربية الحق هي التي تبني الشخصية، وتنشط الذهن، وتمكنه من الابداع بدون حرية مطلقة، لأن الحرية المفرطة تؤدي الى الفوضى، فلا بد من الترهيب ان لم ينفع الترغيب،^(٩) لذا كان المعلمين يؤدبونهم بالجلد والضرب والحبس أحياناً،^(١٠) وهذ العقاب يكون اذا تناقل التلميذ عن الاقبال الى المعلم، او تباطأ في حفظه، او اكثر من الخطأ، وغيرها من الاخطاء، فعليه ان ينبهه اكثر من مرة قبل توجيه العقاب له، فان تغافل يؤنب بالعقاب بالضرب الذي يجب ان لايزيد عن ثلاث ضربات.^(١١)

كان الالباء يتشددون في اختيار أولئك المعلمين لأبنائهم،^(١٢)الذين كانوا يتقاضون اجوراً زهيدة، لا تتجاوز أحياناً بعض رغفان الخبز التي كانت تختلف

احجامها وانواعها باختلاف احوال ابناء طلابهم المعيشية من غنى وفقر، ^(١٣) بيد أنه يجب عليهم ان لا يفرقوا في التعليم بين غني وفقير، على حد قول ابن سحنون: ((يجب العدل في التعليم، ولا يفضل بعضهم على بعض ولوتفاضلوا في الجُعل...)) ^(١٤)، وان كان بعضهم يكرم بالهدايا. ^(١٥)

بجانب معلمي اولاد العامة في هذه الكتاتيب معلمون لأبناء الخاصة، كان منهم اللغوي والاخباري والفقيه والمحدث والمقرئ، وكان هؤلاء أحسن حالاً من معلمي العامة، ^(١٦) الا أن البعض من هؤلاء المعلمين لم يكونوا يتقاضون أي اجور، وكان تدريسهم لهؤلاء الطلبة احتساباً لله تعالى وطلباً للأجر، ^(١٧) في حين إذا كان المعلم قاصراً ولم يستقد منه الطلبة او المتعلمون مما اشترط عليه الاءاء أو الأولياء فإنه لا يعطى من الأجرة المتفق عليها معه، ^(١٨) أما من يعلم ابناء الخلفاء والوزراء في البيت العباسي والقادة فقد عرفوا (بالمؤدبين)، ^(١٩) وكانت تصرف لهم رواتب كبيرة، جعلهم يعيشون في خفض من العيش وسعة من الرزق، ومنهم المفضل الضبي ^(٢٠)، معلم الخليفة المهدي العباسي، ^(٢١) والكسائي ^(٢٢)، معلم الخليفة الرشيد وابنيه الأمين والمأمون. ^(٢٣)

فلا غرو أن كانت تلك الكتاتيب محل العناية من الكبراء والاعيان والاغنياء، فهي المرحلة التمهيدية الأولى التي تهيء الصبيان لمرحلة الدراسة في المسجد، ^(٢٤) والتي لم يكن لها سن معين في الدخول اليها، بل كان الامر متروكاً الى اباء هؤلاء التلاميذ، بيد انهم غالباً ما يرسلون في سن (٥-٧) سنوات. ^(٢٥)

كان الكُتّاب على مدى العصر عبارة عن بناء بسيط في الغالب على هيئة البيت مربع أو مستطيل، لم يكن يُعتنى بتأثيثه عناية كبيرة، ويكون مفروشاً بحصير عادية يجلس عليها الصبيان متربعين حول المعلم الذي يجلس على كرسي مرتفع أو ربما دكة عريضة أو سرير ليس عليها سوى فراش بسيط، ^(٢٦) وكان بعضها يبنى على الاغلب بجانب المسجد، وبعضها الاخر مفصلاً عنها، وربما كانت في بيوت المؤدبين حرصاً على النظافة وابعاد التلاميذ الصغار عن المساجد كون الصبيان لا يتحرزون من النجاسات. ^(٢٧)

ومما تقدم دليل على ان للكتاب دور عملي مهم، حيث كانت شاملة التربية والتعليم في الوقت ذاته، وإن الدولة تبنت قيام الكتاتيب عبر العصور وأدامت الانفاق عليها، فانشرت في المحلات والارباع في المدن لتقدم خدماتها لأبناء المسلمين عامة دون تمييز، وقد قدمت كتب الحسبة^(٢٨)، صورة واضحة عما ينبغي ان يقدم للناشئة من مبادئ العلوم في هذه الكتاتيب، والتي كانت تحت رقابة المحتسب وعرفاءه، الذي يتولى مسؤولية الاشراف على ما يقدم إلى هؤلاء الصبيان والفتيات في هذه الكتاتيب،^(٢٩) كما يظهر ذلك جلياً من اهتمام الخلفاء بالمعلمين والمؤدبين، ومدى تأثير الحسبة في أعمال الرقابة على مؤدبي الصبيان، بيد أن البعض ينكر مهمة هذه الكتاتيب وينعتها بأنها طريقة أدت إلى جمود التعليم وعدم تطوره،^(٣٠) بحجة أن العاملين في هذه الكتاتيب اقتصروا في غايتهم على تحفيظ القرآن للنشء وتلقينهم اصول الدين والبعد عن المسائل الدنيوية مما ادى الى الجمود وعدم قدرة المتعلمين على الخوض في العلوم العقلية التي تدور أحياناً حول الأمور الدينية.^(٣١)

ولعلنا بذلك نظلم معلمي هذه الكتاتيب الذين تخرج على أيديهم اغلب علماء المسلمين الذين نالوا شهرة كبيرة وخاضوا في العلوم العقلية والذين كانوا قد درسوا بدءاً في هذه الكتاتيب.

ثانياً : المساجد والجوامع :

تعد المساجد من اكبر معاهدة الدراسة، ولم تكن للعبادة وحدها، ولكن كانت تؤدي فيها اعمال مختلفة، فهي مكان للعبادة تقام فيها الصلوات الخمسة، وتخطب فيها الخطب، ومحكمة للتقاضي،^(٣٢) وإذا اقيمت فيها صلاة الجمعة اطلق عليه اسم مسجد جامع.^(٣٣)

كانت تلك المساجد معاهد للثقافة ولدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه واللغة وغيرها من العلوم، فقد قامت هذه المساجد بعمل حيوي وكبير في الحياة الثقافية، وكانت ساحات تلك المساجد هي ساحات العلم الكبرى، فهي لم تكن بيوتاً للعبادة فحسب، بل من اكبر الاماكن لتعليم الشباب،^(٣٤) فاذا ما أتم الطفل دراسته في الكتاب ينتقل الى المرحلة الثانية من الدراسة، وهي الحلقة في المسجد،^(٣٥) حيث يتحلقون فيه حول الاساتذة يكتبون ما يقولونه هؤلاء الشيوخ أو ما يملونه على طلبتهم، حيث كان الاستاذ يستند إلى اسطوانة في المسجد ثم يأخذ في القاء محاضراته أو املائها،^(٣٦) في حين كان بعض العلماء يعرف بأحد المساجد باسمه،^(٣٧) كمسجد عبدالله بن المبارك^(٣٨)، الذي يأتيه القاصي والداني ليقراً عليه.^(٣٩)

برزت في هذه المساجد ظاهرة نشوء طائفة من العلماء والادباء الذين تنوعت معارفهم تنوعاً واسعاً، ولم يكتبوا بالانضمام إلى حلقة واحدة بل مضوا يختلفون إلى جميع الحلقات آخذين بطرف من كل لون من ألوان المعرفة،^(٤٠) لعل ذلك ما يدعنا إلى تسميتهم بالموسوعيين، الا أنه كان يطلق عليهم اسم المسجديين، حيث كانت لهم حلقات خاصة بهم في المساجد يسوقون بها فنونا من الجدل والحوار في أي شيء يعرض لهم،^(٤١) وفي ظل هذه الظروف كانت المساجد مكاناً رائعاً لعقد المناظرات^(٤٢) التي يحضرها خلق كثير من علية القوم واکابرهم، والتي لم تكن مقتصرة على علوم الدين بل كانت في علم الكلام وعلوم اللغة وغيرها،^(٤٣) وكان يشد ازر تلك المناظرات الشغف بالعلم وعطايا الخلفاء والامراء، الذين يشتركون في الرأي، وكان العلماء يستعدون لهذه المناظرات، ويتسلحون لها رغبة في الشهرة وذیوع الصيت،^(٤٤) ولعل ذلك السبب ما دعى خلفاء بني العباس إلى الحرص على مراقبة تلك المساجد، للوقوف

على الافكار المعارضة لهم ومكافحتها، وهو أيضاً ما دفعهم لتعزيز سلطتهم واشرفهم على المساجد، فيذكر التنوخي: انهم منعوا التدريس بها الا بعد موافقة الخليفة،^(٤٦) فلا غرو من قولنا أن هذه المساجد كانت وسيلة لتبليغ الافراد اوامر الدولة وتعليماتها وانظمتها، واطهار شرعية الولاة والموظفين وتبعيتهم وطاعتهم للخلافة العباسية، فهي فضلاً عن معاهد الدراسة وتلقي العلم هي مراكز للعبادة، والمكان الذي يؤمه الخليفة لاقامة الصلاة، ويلقي فيه خطبته الأولى، التي يبين فيها سياسة حكمه.

اتخذ العلماء من المساجد مقراً لهم،^(٤٧) وشكلت علوم الشريعة الاسلامية اساس مواد الدراسة في تلك المساجد، خاصة علوم القرآن كالتفسير، والقراءات، وعلوم الحديث، والفقه والكلام، بالاضافة الى العلوم الاخرى المختلفة كاللغة والادب وبعض علوم الطب والفلسفة والمنطق،^(٤٨) في حين اختصت بعض هذه الحلقات بموضوع واحد،^(٤٩) كما ضمت هذه المساجد حلقات التدريس ضمت حلقات الفتوى للمذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي،^(٥٠) وقد تعاقب على هذه الحلقات كبار علماء كل مذهب من هذه المذاهب، وتنوعت اساليب التدريس في هذه الحلقات واشكال النقاش فيها، اما بالشرح والمناقشة او بالاملاء، والتي كانت تفيد الطالب في التعلم وتعوده على التفكير والاستنتاج،^(٥١) وكانت تعقد حلقات للحديث النبوي الشريف، ومجالس الوعظ،^(٥٢) وكان الفقهاء فيها يملون على تلاميذهم من علوم القرآن والحديث والفقه واللغة، وقد عرف عن ابي حامد الاسفراييني^(٥٣) أنه كان يحاضر بعلوم الفقه الشافعي في مسجد عبد الله بن المبارك ببغداد، وكان يحضر مجلسه ما بين (٣٠٠-٧٠٠) فقيه وطالب علم.^(٥٤)

شهدت بغداد في تلك الفترة نشاطاً صوفياً كبيراً، تحالف فيه كبار رجال التصوف مع الخلافة العباسية، وسمح لهم بعقد الحلقات العلمية والمناظرات في المساجد ليدافعوا عن السنة امام التشيع الذي كان منتشراً في عصر التسلط البويهية^(٥٥)، ونحن لسنا بصدد الخوض في موضوع التصوف المتشعب والواسع ومؤسساته التي تعد من ضمن المراكز العلمية والفكرية في ذلك العصر، كوننا افرزنا بحثاً خاصاً للتصوف تحدثنا به عن ذلك.

على أن لا يفوتنا أن نذكر ان التعلم في تلك المساجد كان حر حرية مطلقة فليس هناك موعد محدد لحضور الطلبة او لانصرافهم، وليس الطالب مقيداً بالاستماع إلى استاذ معين أو دراسة علم معين، كما ان الشيخ نفسه ليس مقيداً بمنهج ثابت،^(٥٦) ولم يكن يشترط للحضور في هذه حلقات الدرس هذه أي شرط سوى الرغبة في الاسماع، والتي كانت مباحة للجميع، مماهياً لهذه الظاهرة كثرة العلماء المتخصصين في كل علم وفن،^(٥٧) وكان لكل فرع من المعرفة حلقة الخاصة به وكان الكثيرون يتحلّقون حول حلقات اللغويين والنحاة، ويقال أنه بلغت حلقات أحدهم مائة شخص،^(٥٨) كما كانت هناك حلقات أخرى علمية غير تخصصية يحضرها من شاء من الناس.
(٥٩)

بمرور الزمن ازداد عدد المساجد والجوامع زيادة كبيرة وتطورت وظيفته، ولعلنا لا نبالغ لو قلنا انه نتيجة لتلك الحرية المطلقة في التعليم في المساجد وازدياد اعدادها كانت هناك حلقات خاصة للشعراء ينشدون فيها اشعارهم،^(٦٠) بيد ان كل مسجد احتفظ بدوره كمركز علمي، وكان الجامع المعروف بجامع المنصور^(٦١)، الذي شيده الخليفة وعرف باسمه بجانب قصره في المدينة المدورة، اصبح من اشهر مراكز التعليم والحركة الفكرية في العصر العباسي،^(٦٢) والذي كان قبلة انظار الاساتذة والمدرسين،^(٦٣) والذي احتوى مكتبة كبيرة تحوي الالاف الكتب المتنوعة في كل العلوم والفنون والتي كانت في متناول يد الجميع،^(٦٤) وتنوعت فيه حلقات النحو والشعر المختلفة،^(٦٥) حتى إن احدى قباب جامع المنصور كان يطلق عليها قبة الشعراء، يجتمعون تحتها يتداولون الشعر.
(٦٦)

خلاصة القول ان وجود تلك الحرية في التعلم التي اتاحتها المساجد والجوامع للمتعلمين من حيث عدم اقتصاره على اداء الصلاة والعبادة، وقراءة القرآن الكريم وحفظه، وتطور دورها في عقد الحلقات الدراسية العلمية والفكرية والمناظرات العقائدية، فليس من شك ان هذا الصنيع هو احد اسباب ازدهار الحركة العلمية في العصر البويهى.

ثالثاً: منازل العلماء

لجأ بعض العلماء عند الضرورة الى التعليم في منازلهم، مع ان المسلمين اعتبروها لاتصلح للتعليم لافتقارها لابسط مستلزمات الراحة والسكون، الا انها كانت منذ وقت مبكر مكانا لالتقاء المسلمين، وحتى قبل وجود المسجد، ^(٦٧) فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يلتقي بالمسلمين في بيته بمكة.

اتخذ بعض علماء المسلمين من بيوتهم مكانا للتعليم، ومنها منزل الشيخ الرئيس ابن سينا^(٦٨)، الذي كان يجلس فيه للتدريس في الليل، ^(٦٩) ومن المنازل المشهورة في العصر البويهي والتي كان العلماء يتزاحمون فيها هي دار المرزباني^(٧٠)، والتي يذكر ان عضد الدولة البويهي كان يقف ببابه الى ان ينزل ويسلم عليه. ^(٧١) لعلنا بذلك يمكننا القول ان بيوت العلماء كانت احدى مراكز الحركة الفكرية في العصر البويهي.

رابعاً: خزائن الكتب والمكتبات العامة والخاصة :

الخزانة كلمة معروفة، وهي اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء، ^(٧٢) وفي قوله تعالى : ((قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ))^(٧٣)، فقد استعملت هذه الكلمة للدلالة على المكان الذي تخزن فيه الكتب، ^(٧٤) فقد كان للكتب دور كبير في الحياة العلمية، وقد اعتنى بها المسلمون عناية كبيرة، وكان لها أثر واضح في نشر الثقافة والتعلم وتشجيع الطلاب على استمرار الدراسة والبحث العلمي، ^(٧٥) فكثر المكتبات التي تزرع بالكتب الدينية والعلمية والأدبية، واصبحت فيما بعد هذه المكتبات من أهم مراكز الثقافة الإسلامية، ^(٧٦) وتشير المصادر التاريخية إلى أن خزانة بيت الحكمة التي أنشأها الخليفة العباسي الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ/ ٧٨٦-٨٠٩ م)، ^(٧٧) هي أولى الخزائن التي عرفت ببغداد والتي كان يعمل فيها علماء مختلفو الثقافات والألسن كاليونانية والفارسية والسريانية وغيرها. ^(٧٨)

ان من المفيد ان نذكر ان بيت الحكمة كان مؤثث بأفخر الاثاث من حيث الرفوف والسجاد والستائر، ^(٧٩) وهو يتكون من طابقين يضم الطابق السفلي منه قاعات خاصة بخزائن الكتب، واقسام الترجمة، والنسخ، والتأليف، والتجليد، والمطالعة، والدراسة

بكل مجالات المعرفة والعلوم، في حين خصص الطابق العلوي لاقامة المؤلفين والمترجمين والدارسين والعاملين وغيرهم.^(٨٠)

اما طرق الحصول على الكتب الى بيت الحكمة فكانت متنوعة، فهي اما عن طريق الكتب التي يجلبها المسلمين من البلاد المفتوحة، او عن طريق الشراء، او الهدايا، ولكن المصدر الرئيسي لها عن طريق التأليف والترجمة والنسخ داخل حدود الدولة الاسلامية بشكل عام وداخل المكتبة بشكل خاص،^(٨١) ولهذا كان فيها ما لا يعد ويحصى من الكتب، ويبدو جلياً أن ذلك أدى إلى تنوع موضوعات الكتب التي احتوتها، وقد بقيت خزانة بيت الحكمة حتى مجيء المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) إلى بغداد وخربت على ايديهم وأحرقوا كتبها يقول القلقشندي : ((لم تزل على ذلك إلى أن هاجم النتر بغداد وقتل... آخر الخلفاء... فذهبت خزانة الكتب بما فيها وذهبت معالمها...))^(٨٢).

كان انتشار الكتب والمكتبات العامة والخاصة في هذا العصر ما يدعو للاعجاب، حيث كان لكل جامع من الجوامع مكتبة كبيرة، إذ كان من عادة العلماء ان يوقفوا كتبهم إلى الجوامع، وكان لكل امير مكتبة عظيمة يفتخر بها ويسعى إلى تتميتها، كما كان للوزراء مكتبات ضخمة حوت الالاف الكتب والمجلدات، وقد كانت كتب أحدهم تحمل على اربعمائة جمل أو أكثر، وتقع فهارسها في عشرة مجلدات هذا غير اهتمام العلماء بالكتب الذي فاق كل وصف،^(٨٣) حيث كانوا يتخذون في بيوتهم مكتبات تجمع مؤلفاتهم أو غيرها من المؤلفات^(٨٤).

يشير التنوخي إلى ان ابن المنجم^(٨٥) كانت له ضيعة نفيسة، وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها "خزانة الحكمة فكان يقصدها الناس من كل بلد يقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم مبذولة لهم في ذلك والصيانة مشتملة، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى"^(٨٦).

ومن المكتبات العجيبة التي عرفت في ذلك العصر هي مكتبة شيراز^(٨٧) التي أقامها عضد الدولة البويهى في قصره، والتي كان المقدسي يتردد عليها للإطلاع على الكتب والمخطوطات الموجودة فيها، وليس يبالغ المقدسي بوصفها حين قال أن عضد

الدولة : ((خرق فيها الانهار ونصب عليها القباب واحاطها بالبساتين والاشجار وحضر فيها الفياض وجمع فيها من المرافق والعدد، وكان فيها ثلاثمائة وستون حجرة وداراً، ولكل حجرة وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد، ولم يبقى كتاب في وقته من أنواع العلوم كلها الا حصله فيها، وكان يلصق على ابواب الخزائن اسماء الكتب التي فيها ومقسمة حسب موضوعاتها. (٨٨)

ويذكر التنوخي اسماء للكثير من الكتب المتنوعة بعلمومها والتي انتشرت في ذلك العصر، لعل اشهرها كتاب الأغاني لابي الفرج (٨٩) الاصبهاني الذي نال حظوة كبيرة مع مؤلفه عند عضد الدولة، ويذكر التنوخي أن الاصبهاني اجازة له أيضاً. (٩٠) أما مكتبة بهاء الدولة التي بشيراز أيضاً فقد كانت مكتبة كبيرة كان خازنها ابن البواب صاحب الخط الجيد المشهور، ولكبر حجمها استغرق ابن ابواب فترة طويلة للبحث فيها عن جزء مفقود للقرآن بخط الوزير، (٩١) ابن مقله (٩٢) كذلك الكاتب الوزير ابن العميد (٩٣)، الذي قال عنه ابن خلكان : " ان الكتابة ابتدأت بعبد الحميد وانتهت بابن العميد " (٩٤)، كانت له مكتبة رائعة اشرف عليها المؤرخ المشهور مسكويه، فيها من الكتب مايزيد على حمل مائة وقر. (٩٥)

ان من الجدير بالذكر انه لم يكن احد من علماء بغداد يخلو بيته من مكتبة أو خزانة لكتب، ولربما تكون في اكثر من موضع في العلم، وليس في نفس العلم، ويذكر الخطيب البغدادي: ان المؤرخ ابا بكر الصولي (٩٦) (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) كان يمتلك بيتاً كبيراً مملوء بالكتب، وكانت كلها من سماعه وقد رتبها صفوفاً بحسب لون جلودها ((كل صف من الكتب لون، صف أحمر، وآخر أخضر، وآخر أصفر، وغير ذلك)) (٩٧).

كما تمتع الوزراء والأمراء والوجهاء باقتناء مكتبات ضخمة في بيوتهم حوت الالاف الكتب والمجلدات فالوزير صاحب (٩٨) بن عباد (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) كان عنده من الكتب ما احتاج إلى نقلها حمل اربعمائة جمل. (٩٩)

ومن المكتبات العامة التي اشتهرت في هذا العصر هي دار العلم التي أنشأها الوزير سابور بن اردشير سنة (٣٨١هـ/ ٩٩١م) في محلة الكرخ، والتي تعتبر من اهم دور العلم، والتي حوت من كل علم وفن، (١٠٠) ويصفها ياقوت بانه: ((لم يكن في الدنيا

أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، وأصولهم المحررة^(١٠١)، وقد زارها الشاعر ابو العلاء المعري^(١٠٢) عندما قصد بغداد وتعرف على محتوياتها والعلماء والادباء الذين كانوا يرتادوها، وظل المعري يتردد عليها حتى صارت بينه وبين العاملين فيها صلبة وصداقة، وكان المشرف عليها انذاك الشريف المرتضى^(١٠٣)، لعل من المفيد ان نذكر ان دار العلم بقيت عامرة حتى شبت فيها نار احرقت الكتب سنة (١٠٤١م/١٠٤١م).^(١٠٤)

خامساً : حوانيت الوراقين :

كان أهم اسباب بلوغ الحركة العلمية ذروتها من النهضة الواسعة هو استخدام الورق، الذي أخذ يعم منذ مفتتح هذا العصر،^(١٠٥) ولما نشطت حركة الترجمة والتأليف، وتقدمت صناعة الورق، تبع ذلك ظهور الكثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب،^(١٠٦) فالوراق : هو ذلك الرجل الذي يمتهن حرفة الوراقة.^(١٠٧)

تمتعت هذه المهنة بازدهار كبير في هذا العصر نتيجة لهذه الحركة ولكثرة ما نقل ونسخ من الكتب والمؤلفات إلى جانب جودة النسخ والتصحيح والعناية بها،^(١٠٨) فيذكر ابن خلدون : «وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين...»^(١٠٩).

يبدو أن الحاجة دعت إلى ظهور عدد غير قليل من حوانيت الوراقين، وهذه الحوانيت هي الاماكن الخاصة ببيع الكتب، وقد فتحت اصلاً لأغراض تجارية، الا انها تحولت الى مسرح للثقافة والحوار العلمي، فلم يكن بائعوا الكتب هؤلاء مجرد تجار ينشدون الربح، وانما كانوا على

و يذكر اليعقوبي أنه بلغ عدد هذه الحوانيت في بغداد في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري أكثر من مئة حانوت،^(١١٠) بل ان اسواقاً كاملة في بغداد تخصصت بهذه المهنة، وتحولت هذه الدكاكين إلى مراكز للثقافة في حين شكل الوراقون جزء من الهيكل التنظيمي لمراكز الحركة الفكرية في بغداد في هذا العصر،^(١١١) فلاعجب أن يتخذها العلماء والأدباء اماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم والادب.

ومهنة الوراقة من المهن المهمة التي يصفها السبكي^(١١٢) : بأنها من أجود الصنائع، لما فيها من الاعانة على كتابة المصاحف والوثائق التي كتبت بين الناس^(١١٣)، فلا غرو حين يصفها ابن خلدون بأنها من امهات الصنائع الشريفة ويشبها بالطب بقوله : ((واما الشريفة بالموضوع كالتوليد والكتابة والوراقة ... والطب))^(١١٤). وكنتيجة للنهضة العلمية والفكرية في هذا العصر، مضى الكثير من العلماء يتخذون لأنفسهم وراقين ينقلون عنهم كتبهم، ويذيعونها بين الناس، وأخذ كثير من الأفراد يعنون باقتناء المكتبات ويوظفون فيها الوراقين للنسخ،^(١١٥) مما حدى ببعض الوراقين أن ينشأ لهم دكاكين كبيرة ملئوها بالكتب يتجرون فيها، وكان بعض المثقفين من الشباب وغيرهم يغدون إلى هذه الدكاكين لا ليشتري الكتب فحسب، بل ليقراً ما لذ وطاب من صنوف الآداب لقاء أجر بسيط يتقاضاه من صاحبها،^(١١٦) يبدو ذلك يشبه مبدأ استعارة الكتب من المكتبات الخاصة الآن، ولا يفوتنا أن نذكر ان البعض من هؤلاء الوراقين أو النساخين بلغ من عنايتهم بعملهم أن موه بعض كتاباته بالذهب.^(١١٧) لاجرم في قولنا أن ذلك يعلل ما ذكره ياقوت عن الجاحظ من أنه كان ملازماً لدكاكين الوراقين يبيت فيها ويكترها.^(١١٨)

كانت تجري في تلك الحوانيت المناظرات الادبية بين العلماء والادباء، الذين كانوا يتناقشون في العديد من الامور العلمية والادبية ولاهمية تلك اللقاءات يذكر ابن طباطبا: وصية المهلب^(١١٩) بن ابي صفرة لبنيه " يا بني اذا وقفتم في الاسواق، فلا تقفوا الاعلى من يبيع سلاح او يبيع كتب ".^(١٢٠)

أن من الملفت للنظر ولأهمية حوانيت الوراقة وفوائدها العلمية والثقافية أن الخليفة المنصور عند بناء اسواق بغداد جعل فيها سوقان للوراقة احدهما في الجانب الغربي، وهو الكرخ والذي ذكره اليعقوبي عندما تحدث عن بغداد بقوله : ((اسواق كثيرة وأكثر من فيه في هذا الوقت الوراقون، اصحاب الكتب فأن به أكثر من مئة حانوت للوراقين،^(١٢١) ويصف ابن الجوزي هذه الحوانيت بأنها : ((سوق كبيرة هي مجالس العلماء والشعراء....))،^(١٢٢) و دعيت هذه السوق بسوق الوراقين نسبة اليهم.^(١٢٣)

ويبدو واضحاً أن هذه الاسواق التي بينت خارج اسوار بغداد احتوت الكثير من الحوانيت الا ان اليعقوبي يذكر انهما سوقان للوراقة الاول الواقع في الجانب الغربي،^(١٢٤) في حين يذكر عنه ابن النديم أنه اقدم هذه الاسواق،^(١٢٥) ويشير التوحيدي إلى السوق الثاني للوراقين الذي يقع في الجانب الشرقي من الرصافة، والذي ذكر أنه التقى به ((بحمزة الوراق))،^(١٢٦) الذي يبدو أنه أحد كبار الوراقين المشهورين، على ان لايفوتنا ان نذكر ان اشهر من عمل في هذا المجال هو ابن النديم (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) صاحب كتاب الفهرست، وياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) صاحب المعجمين.

ولعلنا بذلك نستخلص اهتمام الدولة العباسية بأصحاب هذه المهنة وبناء اسواق فيها الحوانيت الكثيرة منها حوانيت للوراقين، لما لهذه المهنة واصحابها من تأثير كبير في الحياة الثقافية واعتبارها مراكز لتطور الحركة العلمية في العراق البويهية.

سادساً: الأسواق :

يذكر ابن منظور : ان السوق هو موضع البياعات، أي الذي تتم فيه عمليات البيع والشراء، وجمعه اسواق، ويقال : تسوق القوم إذا باعوا واشتروا،^(١٢٧) ولأهمية الاسواق فقد ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى : ((إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ))^(١٢٨).

ارتبط السوق بحياة الناس منذ القدم في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والدينية، ويمكن أن نعرف الوعي الثقافي لشعب ما في هذا العصر إذا ما نظرنا إلى حالة السوق من الناحية العمرانية،^(١٢٩) فلا غرو أن نرى أن الخليفة المنصور العباسي قد راعى عند بناءه مدينة بغداد، وكعاصمة للخلافة العباسية أن تكون اسواقها تتناسب مع طريقة بناء المدينة، الذي يعد آية من آيات الفن الإسلامي، والتي سجلها اجدادنا العراقيون القدماء بأيديهم،^(١٣٠) وكلنا يعرف كيف طلب الخليفة المنصور من الذين رسموا له خارطة المدينة أن يخططوها بالحجر، ليعرف الرسم قبل البناء، وكيف اختار موقعها واسباب اختياره وانشاؤها مدورة، وهذا ما فصله الخطيب البغدادي عندما تحدث عن بناء المنصور لمدينته المدورة.^(١٣١)

ان من المهم ان نذكر أن طريقة بناء الأسواق كانت أول الأمر داخل اسوار بغداد، الا أن الخليفة المنصور أخرجها خارج الاسوار بناء على انتقاد احد الموفدين الروم له في مكان وضعها. (١٣٢)

ان من المفيد أن نذكر انه على الرغم من كثرة الاسواق التي اختصت ببضائع معينة، فإن نشاط سوق الوراقين فاق الاسواق الأخرى في بغداد، لما كان يرتاده من صفوة القوم من المجتمع البغدادي والمتقنين، ومن العلماء والأدباء والشعراء من كل الارزاء، ويمكن للمرء أن يشاهد يومياً في هذه الأسواق هؤلاء الصفوة الذين يقفون عند أحد دكاكين الوراقين، أو إحدى الحلقات التي ينادى فيها على بيع الكتب، (١٣٣) فقد جرت العادة ان تباع كتب العالم بعد موته خاصة اذا كان اولاده او ورثته لايعرفون قيمة هذه الكتب، او لا يحبون الكتب او العلم فيستغلون جهل البائع بقيمة الكتاب فيشتريه بابخس الاثمان، على ان مايحدد اسعار تلك الكتب هو جودة خطها ونسبتها الى مؤلفها، وشهرة المؤلف. (١٣٤)

يذكر ياقوت ان من اشهر رواد هذه الاسواق هو علي بن يحيى المنجم صاحب الخزانة العظيمة التي بناها في ضيعته وسماها خزانة الحكمة، (١٣٥) والتي تطرقنا اليها مسبقاً.

ومن الرواد المشهورين في هذه الاسواق التي تحتوي على حوانيت الوراقين هو ابو الفرج الاصبهاني، والذي قيل عنه أنه كان شبه مقيم في هذا السوق، وله نوادر وحكايا فيه، (١٣٦) ولا نريد الخوض في الاسماء الكثيرة التي أوردها ابن النديم في فهرسه عن مرتادي هذا السوق، (١٣٧) بيد أننا نعرج على من جالسهم التوحيدي في اسواق الوراقية هذه كونه شاهد عصر، منهم الخوارزمي الكاتب، والنحوي أبو سعيد السيرافي، وابو محمد العروضي السمرقندي، وعلي بن عيسى الرماني، والطبيب نظيف الرومي (١٣٨)، وغيرهم، (١٣٩) وكلهم من مشاهير علماء ذلك العصر، على أن لا يفوتنا أن نذكر قول التوحيدي أنه وزملاءه من هؤلاء اللغويين والكتاب والنحويين والاطباء، كانوا يتناقشون في مختلف المواضيع التي كانت تشمل اغلب الفنون الأدبية والعلمية،

والتي لم تنحصر في الفلسفة وعلوم المنطق وحدها، بل كان لكل فرد صناعته الخاصة به.^(١٤٠)

ولما كانت هذه المواضيع العلمية والثقافية تطرح في هذه الاسواق المختصة بالوراقة ووجود تجمعات هؤلاء فيها لا غرو ان نقول ان ثقافة ذلك العصر كانت منهلاً من تلك الاسواق، وإن هذه الاسواق كانت أحد المراكز الثقافية الهامة التي انتشرت في هذا العصر والتي شجعت العلم والكتابة والتأليف لحضور هذه الفئات من الناس وغيرهم من الاجناس الأخرى من كل حذب وصوب لتبادل العلم والثقافات في بغدادنا الحبيبة حاضرة الخلافة العباسية.

سابعاً: البيمارستانات :

البيمارستانات كلمة فارسية مكونة من شقين الأول (بیمار) وتعني المريض، والثاني (ستان) وتعني الموضع أو المكان والكلمة مجتمعة تعني مكان المريض، أو دار المريض ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان،^(١٤١) وعلى الرغم من أصل هذه الكلمة الفارسي الا أن المسلمين اقتبسوا فكرة البيمارستان عن السريان الذين تفوقوا في مهنة الطب في العصر العباسي الأول.^(١٤٢)

كانت البيمارستانات إحدى المنشآت العلمية والعمائر كالمساجد والجوامع التي شيدها الخلفاء والسلاطين والامراء، وأهل الخير على العموم صدقة وخدمة للإنسانية، وتخليداً لذكراهم على الأخص، ولم تكن هذه البيمارستانات قاصرة على مداواة المرضى، بل كانت في الوقت نفسه معاهد علمية ومعاهد لتعلم الطب يتخرج منها المتطببون والجراحون (الجراحيون) والكحالين كما يتخرجون من مدارس الطب اليوم،^(١٤٣) فقد حرص العباسيون على نشر العلوم الطبية، ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي كان يجتمع فيها الأطباء من كل حذب وصوب.^(١٤٤)

أنشأت في العصر البويهي العديد من البيمارستانات،^(١٤٥) وكان الطلبة يتلقون العلوم الطبية على يد اساتذتهم في هذه البيمارستانات، والتي تهيأ لهم فيها ايوانات خاصة معدة، ومجهزة بالالات، والكتب احسن تجهيز، فيقعدون بين يدي معلمهم بعد

أن يتفقدوا الرضى، وينتهون من علاجهم، وأن بعضاً من مشايخ الطب وكبار رؤوسهم كان يجعل له مجلساً عاماً لتدريس صناعة الطب للمشتغلين عليه.^(١٤٦)

يذكر ابن أبي اصيبعة إن الفيلسوف أبي الفرج بن الطيب كان يقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي،^(١٤٧) الذي أنشاه عضد الدولة بن بويه وعرف باسمه سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م)^(١٤٨)، والذي يعد من اشهر بيمارستانات العهد البويهى، وعلى الرغم من اهتمام بني بويه بالبيمارستانات وبتجهيزها، الا انها لم تصل إلى شهرة البيمارستان العضدي،^(١٤٩) الذي يقع في الجانب الغربي ببغداد، وان عضد الدولة صرف عليه ما لا كثيراً لاعداده، وجهزه بالالات ما يقصر الشرح عن وصفه، ورتب فيه من الاطباء والخدم، ونقل اليه من الأدوية والاشربة والعقاقير شيء كثير،^(١٥٠) وكان يعالج فيه المرضى،^(١٥١) وان ابراهيم بن بكس الطيب كان يدرس صناعة الطب في هذا البيمارستان، وكان له منه ما يقوم بكفايته،^(١٥٢) فضلاً عن الاطباء الآخرين الذين عرفوا بشهرتهم ومهارتهم الطبية في ذلك العصر، ومنهم الطبيب جبرائيل^(١٥٣) بن بختشيوخ، ونظيف الرومي وغيرهم.^(١٥٤)

لعل من المفيد أن نذكر إلى جانب اهتمام البويهيين في انشاء هذه البيمارستانات، هواهتمامهم باختيار العلماء ومن يشرف ويقوم على امر هذه البيمارستانات فيذكر التوحيدي:

ما قاله له ابن سعدان^(١٥٥) الوزير البويهى في احدى لقاءاتهم: ((سألت عنك مرات شيخنا... نذكر أنك مُراعٍ لأمر البيمارستان من جهة، وانا أربأ بك عن ذلك، ولعلي اعرضك لشيء انبه من هذى واجدى...))^(١٥٦).

لعل تلك المحادثة تبين اهتمام اكابر دولة بني بويه بالاشخاص الذين يريدونهم ان يتولوا مسؤولية ادارة مرفق مهم من انشاءاتهم، كما يبدو جلياً تكرار اهتمام التوحيدي بالحضور إلى البيمارستان، بيد أن الوزير يرى أنه قد يرشحه لمكان اجدى وانفع.

ولاعجب من قولنا أنه كان على المتعلمين الحصول على اجازات لممارسة مهنة الطب، وكان أول من نظم ذلك، وقيدها بنظام خاص لمصلحة الناس هو الخليفة العباسي المقتدر بالله، ففرض على من يريد معاناة التطبيب تأدية امتحان للحصول

على اجازة تخوله هذا الحق بين الناس، وسبب ذلك أن الطبيب سنان^(١٥٧) بن ثابت، أخبر الخليفة عن حصول خطأ طبي من احد الأطباء، الذي اخطأ في تطبيب رجل من العامة أدت إلى موته، فأمر بمنع سائر المتطبيين من التصرف، الا بعد ان يتحنه الطبيب سنان بن ثابت، ويكتب له رقعة بذلك.^(١٥٨)

من الواضح الدور الفعال الذي قامت به البيمارستانات، كأحد مراكز الحركة العلمية، فضلاً عن تطبيب المرضى، كونها احدى المراكز المهمة لتعلم صناعة الطب وتخرج الاطباء في ذلك العصر.

المصادر

- (١) ابن منظور، محمد بن مكرم الخزرجي الانصاري (ت ٧١١هـ/١٣١٣م)، لسان العرب، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مج ٥، ص ٣٨١٧؛ أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط ٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٣م، ج ٢، ص ٥٠.
- (٢) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي، ط ٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج ٤، ص ٤٢٤؛ ينظر: محاسنة، محمد حسين، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، العين، ٢٠٠١م، ص ١٣٢.
- (٣) سورة العلق، الآيات : (١-٥).
- (٤) القابسي، ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين، تح وتعريب عن الفرنسية: احمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٦م، ص ٣١٢.
- (٥) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ١٨٠.
- (٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٢١٩.
- (٧) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ١٨١.
- (٨) ابن سحنون، ابو عبد الله محمد بن عبد السلام (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، آداب المعلمين، تح : محمد العروسي المطوي، مطبعة المنار، تونس، ١٩٧٢م، ص ٥٢-٥٣.
- (٩) القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين، ص ٤٣-٤٤.
- (١٠) ابن سحنون، آداب المعلمين، ص ٥٢-٥٣.
- (١١) القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين، ص ١٢٨.
- (١٢) ابن سحنون، آداب المعلمين، ص ٤٧.
- (١٣) القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين، ص ١٢٩.
- (١٤) آداب المعلمين، ص ٤٩.
- (١٥) القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين، ص ١٣١.
- (١٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٤٠٣.
- (١٧) أمين، ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٥٠.
- (١٨) ابن سحنون، آداب المعلمين، ص ٥٠.
- (١٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ١٤٠-١٤١.
- (٢٠) المفضل هو أبو عبد الرحمن بن محمد احد الادباء والنحاة كان من اكابر علماء الكوفة عالماً بالأخبار والشعر والعربية. للمزيد ينظر: ابن الانباري، نزهة الالباء، ص ٣٧.
- (٢١) ابن النديم، الفهرست، ص ٧٥.
- (٢٢) الكسائي هو علي بن حمزة بن عبد الله أحد أئمة القراءة والنحو واللغة واحد اشهر القراء السبعة اصحاب القراءات المشهورة وهو من اهل الكوفة استوطنه بغداد توفي سنة (١٨٩هـ/٩٠١م)، للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص ٧٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ١، ص ٤٠٣.
- (٢٣) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج ٣، ص ١٠٠.
- (٢٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ١٤٠-١٤١؛ الأهواني، أحمد فؤاد، التربية في الاسلام، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٨٣-٨٦.
- (٢٥) الاهواني، التربية في الاسلام، ص ٦٠.

- (٢٦) ابن سحنون، أَدَابُ الْمُعَلِّمِينَ، ص ٥٥.
- (٢٧) الشَّيْزُرِيُّ، أَبُو النَّجِيبِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٥م)، نَهَايَةُ الرُّتْبَةِ فِي طَلَبِ الْحِسْبَةِ، دَارُ الثَّقَافَةِ، بَيْرُوت، ١٩٦٩م، ص ١٠٤.
- (٢٨) هِيَ وَظِيفَةٌ جَلِيلَةٌ رَفِيعَةُ الشَّأْنِ، تَقُومُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْمَلُ عَلَى الْأَخْذِ عَلَى يَدِ الْخَارِجِ عَنْ طَرِيقِ الْإِصْلَاحِ فِي مَعِيشَتِهِ وَصَنَاعَتِهِ. يَنْظُرُ: الْفَلَقْشَنْدِيُّ، أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ (ت ٨٢١هـ/١٤٢٢م)، صَبْحُ الْأَعْشَى فِي صَنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ، الْمَطْبَعَةُ الْأَمِيرِيَّةُ، الْقَاهِرَةُ، ١٩١٤م، الْقَاهِرَةُ، ١٩٢٣م، ج ٤، ص ٣٧.
- (٢٩) شَلْبِي، أَحْمَدُ، التَّرْبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، ط ٤، مَكْتَبَةُ النَّهْضَةِ الْمَصْرِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ، ١٩٢٣م، ص ٢٦٠.
- (٣٠) أَمِين، ضَحَى الْإِسْلَام، ج ٢، ص ٥٠.
- (٣١) الْأَهْوَانِيُّ، التَّرْبِيَّةُ فِي الْإِسْلَام، ص ٨٣-٨٤.
- (٣٢) أَمِين، ضَحَى الْإِسْلَام، ج ٢، ص ٥٢.
- (٣٣) مَعْرُوف، بِشَارِعَوَاد، التَّرْبِيَّةُ وَالتَّعْلِيمُ، حُضَارَةُ الْعِرَاقِ، بَغْدَاد، ١٩٨٤م، ج ٨، ص ٣٥؛ الدَّرْدِيرِيُّ، فَاتِنُ أَدَمِ الزَّيْنِ، الْحَيَاةُ الثَّقَافِيَّةُ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، بَحْثٌ مَنَشُورٌ فِي جَامِعَةِ الْخَرْطُومِ، كَلِيَّةُ الْأَدَابِ، قَسَمُ التَّارِيخِ، ٢٠١٣م، ص ٢٥.
- (٣٤) حَسَنُ، تَارِيخُ الْإِسْلَام، ج ٤، ص ٤٢١-٤٢٢.
- (٣٥) ضَيْفُ، تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِي، ج ٣، ص ١٠٠.
- (٣٦) الْمَقْدِسِيُّ، أَحْسَنُ الثَّقَاسِيمِ، ص ١٧٩، مُحَاسِنَةُ، أَضْوَاء، ص ١٣٥.
- (٣٧) ضَيْفُ، تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِي، ج ٣، ص ١٠٠؛ شَلْبِي، التَّرْبِيَّةُ وَالتَّعْلِيمُ، ص ١١٢.
- (٣٨) ابْنُ الْجُوزِيِّ، الْمُنْتَظَمُ، ج ١٥، ص ١١٣.
- (٣٩) هُوَ أَحَدُ مَسَاجِدِ بَغْدَادِ الْمَهْمَةِ الْكَائِنِ فِي مَحَلَّةِ الرَّبِيعِ فِي مَنَاطِقِ الْكَرْخِ يَعُودُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَحَدِ أُمَمَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي عَاشَ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ وَكَانَ يَلْقَى فِي هَذَا الْجَامِعِ الدُّرُوسَ الَّتِي تَتَضَمَّنُ فِقْرَاتٍ عَدِيدَةٍ. لِلْمَزِيدِ عَنْهُ يَنْظُرُ: الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ، تَارِيخُ مَدِينَةِ السَّلَامِ، ج ٥، ص ١٣٢؛ الْيَاقَعِيُّ، أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْعَدَ بْنِ عَلِيٍّ (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٩م)، مَرَاةُ الْجَنَانِ وَعِبْرَةُ الْيَقْظَانِ فِي مَا يَعْتَبَرُ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ، تَح: خَلِيلُ الْمَنْصُورِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوت، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٩٤.
- (٤٠) التَّنُوخِيُّ، الْمُحْسَنُ بْنُ عَلِيٍّ (ت ٣٨٤هـ/٩٤٤م)، نَشْوَارُ الْمَحَاضِرَةِ وَآخِبَارُ الْمَذَاكِرَةِ، تَح: عِبُودُ الشَّالْجِيِّ، ط ٢، دَارُ صَادِرِ، بَيْرُوت، ١٩٩٥م، ج ٨، ص ١٨٦.
- (٤١) ضَيْفُ، تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِي، ج ٣، ص ١٠٢.
- (٤٢) الْجَاحِظُ، عَمْرُ بْنُ بَحْرٍ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، الْبُخْلَاءُ، تَح: طَهُ الْحَاجَرِيُّ، ط ٥، دَارُ الْمَعَارِفِ، الْقَاهِرَةُ، د.ت، ج ١، ص ٢٩.
- (٤٣) الْمَنَاطِرَاتُ: هِيَ الْمَقَابِلَاتُ وَيُقَالُ دُورُ فُلَانٍ يُقَابِلُ دُورَ آلِ فُلَانٍ أَيْ بِإِزَائِهَا وَمُقَابِلَةٌ لَهَا، وَالْمَنَاطِرَةُ: أَنْ تَنْظُرَ أَخَاكَ فِي أَمْرٍ مَا إِذَا نَظَرْتُمَا فِيهِ مَعَا كَيْفَ تَأْتِيَانِهِ. يَنْظُرُ: ابْنُ مَنظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَج ٦، ص ٤٤٦٥-٤٤٦٦.
- (٤٤) التَّنُوخِيُّ، نَشْوَارُ الْمَحَاضِرَةِ، ج ٨، ص ١٨٦.
- (٤٥) مُحَمَّدُ، حَسَنُ أَحْمَدُ وَاحْمَدُ ابْرَاهِيمَ الشَّرِيفِ، الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِي، دَارُ الْفِكْرِ، الْقَاهِرَةُ، ١٩٩٥م، ص ٢٠٤-٢٠٥.
- (٤٦) التَّنُوخِيُّ، نَشْوَارُ الْمَحَاضِرَةِ، ج ١، ص ١١١.
- (٤٧) حَسَنُ، تَارِيخُ الْإِسْلَام، ج ٤، ص ٤٢١-٤٢٤.
- (٤٨) مُحَاسِنَةُ، أَضْوَاء، ص ١٣٦.
- (٤٩) شَلْبِي، التَّرْبِيَّةُ وَالتَّعْلِيمُ، ص ٤٥؛ مُحَاسِنَةُ، أَضْوَاء، ص ١٣٦.

- (٥٠) ياقوت، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٦م)، ارشاد الاريب في معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج ١، ص ٣٩٥.
- (٥١) محاسنة، اضواء، ص ١٣٦.
- (٥٢) ياقوت، بمعجم الأدباء، ج ١، ص ٣٩٥.
- (٥٣) الاسفراييني هو أحد فقهاء الشافعية المشهورين ممن كان يحضر للتدريس في مسجد عبد الله بن المبارك عاش في بغداد ومات بها سنة (٤٠٦هـ/١٠١٦م). للمزيد عنه ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٥٨؛ الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٢١١.
- (٥٤) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م)، طبقات الشافعية، تح: محمد محمود الطناحي، دار احياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م، ج ٣، ص ٢٥.
- (٥٥) التتوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٩٩.
- (٥٦) الاهواني، التربية في الاسلام، ص ١٦-١٧.
- (٥٧) ياقوت، معجم الادباء، ج ٩، ص ٢٣٨.
- (٥٨) القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٢٤هـ/١٢٢٤م)، انباه الرواة على انباء النحاة، تح: محمد ابو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ج ٣، ص ١٣٠.
- (٥٩) شلبي، التربية والتعليم، ص ١١٢.
- (٦٠) ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج ٣، ص ١٠١.
- (٦١) جامع المنصور: هو من اكبر جوامع بغداد، واشهر مركز للتعليم في الدول الإسلامية في العصر العباسي. للمزيد ينظر: متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تح: عبد الهادي أبو ريذة، ط ٣، بيروت، ١٩٦٤م، ج ١، ص ٣١٤.
- (٦٢) متز، ج ١، ص ٣١٩.
- (٦٣) الكاشف، سيده اسماعيل، مصرفي عهد الاخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد الاول، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٣٠٦.
- (٦٤) متز، ج ١، ص ٣١٩.
- (٦٥) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ١، ص ١٠٨؛ ابن الانباري، نزهة الالباء، ص ٤٢-٤٣.
- (٦٦) التتوخي، نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ٣٠.
- (٦٧) محاسنة، اضواء، ص ١٤٤.
- (٦٨) هو ابو الحسن علي بن الحسين بن عبدالله عالم وطبيب وفيلسوف اتصف بالذكاء الخارق والعبقرية ساهم في نهضة العلوم في بلاده بشكل كبير وألف أكثر من ٢٤٠ مؤلف، سماه الغرب امير الاطباء وابو الطب وارسطو الاسلام اصله من بخارى ولد بها وتوفي في همدان سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٧م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ص ١٥٨؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص ٤٣٧-٤٥٨.
- (٦٩) محاسنة، اضواء، ص ١٤٤.
- (٧٠) هو محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله صاحب اخبار يستقبل الاشياخ ليتدارسوا في بيته روى عن البغوي وابن دريد توفي سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م). للمزيد ينظر: ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٦٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٣٥.
- (٧١) محاسنة، اضواء، ص ١٤٤.
- (٧٢) ابن منظور، لسان العرب، مج ٢، ص ١١٥٤.
- (٧٣) سورة الانعام، الآية: ٥٠.
- (٧٤) أمين، ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٦٤.
- (٧٥) متز، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٢٤٦.

- (٧٦) حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٣٠.
- (٧٧) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ١٤، ص ٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٢٤.
- (٧٨) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٣٣؛ القفطي، أخبار العلماء، ص ١٦٨-١٦٩.
- (٧٩) عليان، ربحي مصطفى، المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩م، ص ١٣٥.
- (٨٠) الدرديري، الحياة الثقافية في العصر العباسي الأول، ص ٣٠.
- (٨١) عليان، ربحي مصطفى، المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩م، ص ١٣٥.
- (٨٢) صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٦٦.
- (٨٣) منز، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٢٤٦.
- (٨٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ٣، ص ٢٨٩.
- (٨٥) هو أبو الحسن علي بن يحيى كان أبوه يحيى أول من خدم الخلفاء من آل المنجم نادم أبو الحسن هذا الخليفة المأمون ومن بعده إلى أيام المعتمد العباسي وكان شاعراً وروياً وعلامة توفي سنة (٢٧٥هـ/١٨٨٥م)، للمزيد ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ١٦٠؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج ٥، ص ٨٨.
- (٨٦) نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ٦٦.
- (٨٧) تقع هذه المدينة في بلاد فارس وهي من اعظم المدن فيها تحمل اليها البضائع من كل الجهات، وبها مدفن جماعة من التابعين. للمزيد عنها ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٠.
- (٨٨) المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٣٨٠هـ/٩٩٢م)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٤٤٩.
- (٨٩) هو علي بن الحسين بن محمد من الشعراء المخضرمين ويعتبر كتاب الاغاني من اشهر مؤلفاته واكثرها رواجاً قال انه جمعه في خمسين سنة، ولم يكتبه الامرة واحدة هي المرة التي اهداه فيها الى سيف الدولة الحمداني توفي سنة (٣٥٦هـ/٩٦٦م). للمزيد ينظر: الذهبي العبر، ج ٢، ص ٩٨؛ ابن الوردي، زين الدين عمرو بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، تاريخ ابن الوردي، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٨٤.
- (٩٠) الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٨٢.
- (٩١) ياقوت، معجم الأدباء، ج ٥، ص ٤٤٥-٤٤٦.
- (٩٢) هو ابو علي محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله من مشاهير الكُتّاب وخطه من اقوى الخطوط كان يتولى اعمال فارس وخراجها الى ان تولى الوزارة، استوزر لثلاثة خلفاء اولهم المقتدرو من بعده القاهر ثم الراضي وتعرض للتعذيب والمصادرة من قبلهم وقطع الاخير يده وحبسه ثم راضاه بالمال واعاده للوزارة الى ان توفي سنة (٣٢٠هـ/٩٣٠م). للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ١٢٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٩؛ ابن طباطبا، محمد بن علي بن الطفقي (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٤م، ص ٢٧٠.
- (٩٣) هو ابو الفضل محمد بن العميد وزير ركن الدولة البويهى والذي كانت له العديد من المؤلفات، وله ديوان في الرسائل اشهرها كتاب البلاغات في المذهب. للمزيد عنه ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ١٤٩؛ ياقوت، معجم الادباء، ج ٣، ص ١٠٣-١٠٩.
- (٩٤) وفيات الاعيان، ج ٥، ص ١٠٣-١٠٩.
- (٩٥) مسكويه، تجارب الامم، ج ٣،

(٩٦) هو محمد بن يحيى البغدادي الأديب الاخباري صاحب التصانيف أخذ الدب عن المبرد وثلعب عاصر العديد من الخلفاء وكان نديمهم وعرف بالصولي إلى جده الأعلى أصول نديم الخلفاء وعرف أيضاً بالشطرنجي الكاتب. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٥٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣٣٩.

(٩٧) تاريخ مدينة السلام، ج ٣، ص ٤٣١.
(٩٨) هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد وعرف بالصاحب لأنه كان يصاحب سلاطين بني بويه فخر الدولة ومؤيد الدولة، واحد وزرائهم الفضلاء، كان محباً للعلم والعلماء لم يجتمع بباب احد من الخلفاء والملوك مثلما كان يجتمع ببابه من العلماء والشعراء والفضلاء وكان يكرمهم ويغدق عليهم من العطايا والهدايا والخلع مالا توصف له العديد من المؤلفات. للمزيد ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ١٥٠؛ الثعالبي، ابي منصور عبد الملك النيسابوري (ت ٤٢٨ هـ/م)، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٣، ص ٢٢٥-٢٢٩.

(٩٩) ياقوت، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٥٩؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ١، ص ٢٣١.
(١٠٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ٤٧٨.
(١٠١) معجم البلدان، ج ١، ص ٥٣٤.
(١٠٢) هو احمد بن عبدالله بن سليمان القضاعي التنوخي شاعر وفيلسوف واديب ولغوي عاش في العصر العباسي

لقب برهين المحبسين لأنه كان اعمى واعتزل الناس في بيته بعد عودته من بغداد كانت ولادته في معرة النعمان ووفاته بها سنة (٤٤٩ هـ/١٠٥٧ م). للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٢٩٣؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٦٦.

(١٠٣) هو ابو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن ابراهيم ويرجع نسبه الى الامام علي بن ابي طالب عبر الامام موسى الكاظم عليهما السلام تولى نقابة اشراف الطالبين في العصر البويهي بعد اخيه الشريف الرضي، وكان لع العديد من المؤلفات في علم الكلام وعلوم كثيرة اخرى توفي سنة (٤٣٦ هـ/١٠٤٤ م). للمزيد ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ٢٩٢-٣٠٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٥٢٦.

(١٠٤) عليان، المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية، ص ١٣٩.

(١٠٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٨١؛ ضيف، تاريخ الأدبي العربي، ج ٣، ص ١٠٣.

(١٠٦) حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٣٠.

(١٠٧) ابن منظور، لسان العرب، مج ٢، ص ١٨٥.

(١٠٨) خير الله، سعيد، موسوعة الوراق، ص ٢٥٥.

(١٠٩) المقدمة، ص ٤٢٨.

(١١٠) البلدان، ص ٢٤٥.

(١١١) حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٣٠.

(١١٢) هو تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي مؤرخ عربي، وقاضي قضاة دمشق في وقته، وأحد فقهاء الشافعية فيها، انتقل إليها مع والده وعاش ومات فيها سنة (٧٧١ هـ/١٣٧٠ م)، للمزيد عنه ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٨٦؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٣٢٨.

(١١٣) معبد النعم ومبيد النقم، تح: محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربيين القاهرة، ١٩٤٨م، ص ١٣١.

(١١٤) المقدمة، ص ٤١٠.

(١١٥) ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج ٣، ص ١٠٣.

- (١١٦) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٥٥.
- (١١٧) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٥٦.
- (١١٨) معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٠٩ ترجمة الجاحظ.
- (١١٩) هو ابو سعيد المهلب بن ابي صفرة الازدي احد ولاة الامويين على خراسان قام بفتوحات كثيرة في بلاد ماوراء النهر وافتتح جرجان وطبرستان وفرض سيطرة بني امية على تلك الاقسام اصله من دبا ووفاته في مروسنة (٧٠٢/٥٨٢م) للمزيد ينظر: ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٠٧؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٧٠.
- (١٢٠) الفخري، ص ٦.
- (١٢١) البلدان، ص ٢٤٥.
- (١٢٢) ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٣م)، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام، ١٩٦٩م، ص ٢٦.
- (١٢٣) فهد، بدري محمد، العامة ببغداد في الفرات الرابع الهجري، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧م، ص ١٥٨.
- (١٢٤) البلدان، ص ٢٤٥.
- (١٢٥) الفهرست، ص ١٦٩.
- (١٢٦) ابي حيان علي بن محمد بن العباس (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، الامتاع والموانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٧م، ص ١٦٧.
- (١٢٧) لسان العرب، مج ٣، ص ٢١٥.
- (١٢٨) سورة الفرقان، الآية : ٢٠.
- (١٢٩) خير الله سعيد، موسوعة الوراق، ص ٣٦٨.
- (١٣٠) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، مطبعة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م، ص ١٠٣.
- (١٣١) تاريخ مدينة السلام، ج ١، ص ٧٧.
- (١٣٢) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ١، ص ٧٨.
- (١٣٣) فهد، بدري محمد، العامة ببغداد، ص ٧٨.
- (١٣٤) عليان، المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية، ص ١٦٩.
- (١٣٥) معجم الأدباء، ج ١٥، ص ١٤٤.
- (١٣٦) ياقوت، معجم الأدباء، ج ١٣، ص ٩٤.
- (١٣٧) ينظر : الفهرست، ص ١٧٠.
- (١٣٨) نظيف الرومي: كان طبيباً خبيراً باللغات وكان ينقل عن اليونانية إلى العربية ويعد من الفضلاء في صناعة الطب استخدمه عضد الدولة في بيمارستانه. للمزيد ينظر : ابن القفطي، أخبار العلماء باخبار الحكماء، ص ٢٥١.
- (١٣٩) الامتاع والموانسة، ج ١، ص ١٠٣.
- (١٤٠) الامتاع والموانسة، ج ١، ص ٥١-٥٠.
- (١٤١) دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٤١؛ شير، أدي، معجم الألفاظ الفارسية المصرية، ط ٢، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص ٣٣.
- (١٤٢) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٤، ص ٤٢٦.
- (١٤٣) عيسى، أحمد، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص ٣-٤.
- (١٤٤) حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٢٦.

-
- (١٤٥) احمد عيسى، تاريخ اليمارستانات في الإسلام، ص ١٩٢.
- (١٤٦) احمد عيسى، تاريخ اليمارستانات في الإسلام، ص ٣٨.
- (١٤٧) عيون الانباء في طبقات الأطباء، ج ١، ص ٢٣٩.
- (١٤٨) الذهبي، العبر، ج ٢، ص ١٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٤٠٩.
- (١٤٩) احمد عيسى، تاريخ اليمارستانات في الإسلام، ص ١٩٢.
- (١٥٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٤٠٩.
- (١٥١) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ج ١، ص ٢٥٣.
- (١٥٢) احمد عيسى، تاريخ اليمارستانات في الإسلام، ص ١٨٧.
- (١٥٣) جبرائيل بن بختشيوخ كان طبيباً عالمًا متقناً لصناعة الطب كان من اطباء المقتدر، ولامه في اليمارستان المقتدري، ثم بعد وفاة المقتدر انتقل إلى اليمارستان المعتضدي توفي في سنة (٣٩٦هـ/٩٩٧م)، للمزيد ينظر: ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص ١٨٧.
- (١٥٤) أحمد عيسى، تاريخ اليمارستانات في الإسلام، ص ١٩٤.
- (١٥٥) هو ابو عبدالله الحسين بن احمد وزير الأمير البويهى صمصام الدولة كانت له مجالس يجتمع فيها الكثير من العلماء والادباء وكتب مايدور في تلك المجالس ابوحيان التوحيدي والتي سميت الليالي توفي سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م). للمزيد عنه ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٣٠٦؛ الامتاع والمؤانسة، ج ١، ص ١٣٠.
- (١٥٦) الامتاع والمؤانسة، ج ١، ص ١٩.
- (١٥٧) ابو سعيد سنان بن ثابت بن قره الحراني، كان طبيباً مقدماً كأبيه عند الخليفة المقتدر العباسي وعظمت منزلته عنده وصار رئيساً على الأطباء في عصره توفي سنة (٣٣١هـ/٩٤١م)، للمزيد ينظر: القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٤٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ١٥٢.
- (١٥٨) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الأطباء، ج ١، ص ٢٢٢.

مجالس العلم في العصر البويهي

د. إيمان عبد الجبار محمود التميمي

المبحث الأول: مفهوم المجالس وأهميتها وأنواعها

المبحث الثاني: مجالس أرباب الدولة

المبحث الثالث: مجالس العلماء

الملخص :

تتوعدت مجالس العلم في عصر التسلط البويهى، وتباينت في أهدافها ومرتادىها، ضمنها ما كان يدعمه الخلفاء، ومنها من كان يدعو اليه السلاطين أو الأمراء البويهيين، ومنها من أشار عليهم بها الوزراء أو كبار رجال الدولة، كما حفز على بعضها الآخر العلماء، فضلاً عن وجود وانتشار المراكز العلمية والفكرية التي اتاحت لهذه المجالس النشاط والحيوية آنذاك.

تميزت مجالس الخلفاء والسلاطين والأمراء البويهيين عن مجالس العلماء، واهتم بها الخلفاء اهتماماً كبيراً حيث كانت تعقد في دار الخلافة، أو في قصور الخلفاء أو قصور السلاطين والأمراء البويهيين لذلك اختلفت في ترتيبها وتنظيمها وحضور مرتادىها وطريقة جلوسهم، وكانت تضم أكابر القوم من العلماء وأرباب المناصب في الدولة، وكان لكل منهم مكان مخصوص في هذه المجالس على مكانة صاحب العلم، في حين أن مجالس العلماء كانت تضم الطلبة والعامة من كل حذب وصوب والمشتاقون لسماع العلم وطالبه، فقد كانت متاحة للجميع بدون استثناء.

أما مجالس الحديث والفقه وقراءة القرآن التي كان يعقدها العلماء بادئ الأمر في المساجد والجوامع أو دور العلماء المشاهير منهم، كمسجد عبد الله بن المبارك، أو جامع المنصور، أو مسجد الرصافة، ومسجد بُراثا، وكان يحضر هذه المجالس العلماء والفقهاء من كل المذاهب وتعقد فيها المناظرات الدينية والمسائل الفقهية المختلفة التي يختص بها كل مذهب.

انتقل بعدها الاهتمام بهذه المجالس من الخلفاء إلى السلاطين أو أمراء الدولة البويهية ووزرائهم الذين اغدقوا العطايا الكثيرة على مرتادى هذه المجالس من العلماء والشعراء ممن كانوا يريدون الشهرة أو نيل الحظوة عند أمراء بني بويه.

كانت منازل العلماء حافلة بالمجالس التي يعقدها شيوخها لطلبة العلم في مختلف العلوم والفنون، والتي كان يقصدها بعض أرباب الدولة وأكابرها من الأمراء الوزراء البويهيين، في حين اختلفت مجالس الأملاء عن باقي مجالس العلم، والتي اقتصها الشيوخ لطلبتهم، فيقوم الشيخ فيها بأملاء ما يريد على طلبته، وهم يقومون بكتابة هذا الأملاء وعادة ما يكون هذا الأملاء، أما من كتاب من تأليفه، أو من كتاب لغيره أجزى له تدريسه، وتتم هذه المجالس

أما في سطح دار العالم أو مدرسته أو المسجد أو الجامع وتتميز ببساطتها، في حين كانت مجالس الخلفاء وأرباب الدولة وأكابرها لا تعقد إلا في دار الخلافة أو في قصورهم، وفيها من الأبهة والفخامة والبذخ.

أن من الملفت للنظر أن كل مجلس من هذه المجالس يدعو إلى هدف معين فمجالس الخلفاء والولاطين تدعو لنشر سياسة معينة أو تبني منهج أو فكر أو مذهب خاص بالخلفاء، في حين كانت بعض مجالس الأمراء والوزراء للتباري لنيل الحظوة والشهرة، وكما كانت مجالس الفقهاء تختص بالمناظرات لتبني فكر أو مذهب معين، ومن هذه المجالس ما كان خالصاً للعلم بحد ذاته ويختص بحضورها طلبة العلم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد النبي الأمي وآله أجمعين، وبعد.

على الرغم من الضعف السياسي الذي أصاب الأمة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، وظهور الكثير من الدويلات والإمارات التي استقلت عن الخلافة العباسية، ونتيجة لذلك الوهن الذي أصابها، في المقابل كان هناك رقي في الحياة العلمية والثقافية، وانتشار للعلوم المختلفة في هذا القرن، وكأن العلوم لا ترقى إلا في عصور الفوضى والاضطراب السياسي، فلم تتبع الحالة العلمية، الحالة السياسية في ضعفها وقوتها، وقد يحمل الضعف السياسي والتعسف الكثير من العلماء والمفكرين إلى الفرار من العمل الديني إلى العمل الفكري أو العلمي.

إن ما يهمننا إن النهضة الفكرية والأدبية في هذا القرن، وبالذات في عصر بني بويه، قد وصلت ذروتها في كافة مجالات الثقافة والمعرفة، وكانت نتيجة منطقية بلوغها ذلك نتيجة جملة من العوامل والظروف التي اسهمت في نموها وارتقاءها وكان في مقدمتها دعم الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء البويهيين لها وتبنيهم مجالس العلم التي اقيمت في عصرهم، فضلاً عن تشجيع الحكام للعلماء و الفقهاء في عقد المجالس العلمية التي كانت تقوم برعايتهم وتحت اشرافهم بل كان جلهم يشتركون فيها، فضلاً عن وجود مراكز علمية وفكرية ساهمت في نمو وتطور الحركة العلمية والفكرية وازدهارها في العصر البويهي، التي ما برحت أن نمت وتطورت إلى أن ظهرت المدارس كحاجة ملحة لتطور التعليم واستمراره في العراق.

المبحث الأول

مفهوم المجالس وأهميتها وأنواعها

أولاً : مفهوم المجالس :

أ- في اللغة :

المجالس: هي جمع كلمة مجلس وهي من الثلاثي جلس، والجلوس هو القعود، والجلسة هي الهيئة التي تجلس عليها أو الحال الذي يكون عليه الشخص الجالس، وهو حسن الجلسة والمجلس هو موضع الجلوس أي مكانه^(١)، وقد وردت كلمة المجلس في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ))^(٢).

ويذكر ابن منظور : ((فلان جلسي، وأنا جلسه، وفلانة جليستي، وجالسته فهو جالس وجليس، كما تقول خذني وخذييني وتجالسو في المجالس...))^(٣)، أما الفيروز آبادي يذكر ان : ((المجلس، موضعه كالمجلسة، والجلسة الحالة التي يكون عليها الجالس...))^(٤).

ويفصل المقرري الجلوس فيذكر أنها : ((الحالة التي يكون عليها كجلسة الاستراحة والتشهد، وجلسة الفصل بين السجدين لأنها من أنواع الجلوس، والنوع هو الذي يفهم منه معنى زائد على لفظ الفعل،.... والجلوس هو الانتقال من سفل إلى علو، والقعود هو الانتقال من علو إلى سفل، فعلى الأول يقال لمن هو نائم أو ساجد، اجلس، وعلى الثاني يقال لمن هو قائم : إقعد... والجلوس نقيض القيام، وهو أعم من القعود،... والجلوس من يجالسك.... والمجلس موضع الجلوس، والجمع المجالس، وقد يطلق على اهله مجازاً تسمية للحال باسم المحل يقال : إتفق المجلس))^(٥).

يبدو جلياً اتفاق أهل اللغة على كون المجلس هو من الجلوس وهي الهيئة التي يكون عليها حال الشخص من قيام أو قعود.

ب - المجالس اصطلاحاً :

هي تسجيل كامل لما كان يحدث في اجتماعات العلماء ففيها يلقي الشيخ ما يشاء من تلقاء نفسه وفيها كذلك يسأل فيجيب، ويسمى كل ذلك مجلساً وأن رواة هذه المجالس يستعينون بأثبات سائر ما يحدث في المجلس مما له صلة بأداء النص^(٦).

ثانياً : أهمية المجالس :

تعد المجالس من المنتديات العلمية والأدبية الكبيرة التي حرص عليها أكابر الدولة وأربابها في العصر البويهى، وعملوا على الاهتمام بها واستقطاب العلماء والأدباء والمفكرين والفلاسفة اليها، منها لنيل الحظوة لديهم، أو للحصول على الشهرة^(٧)، ومما يؤكد هذا المعنى ما ذكره ابن الأثير : ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))^(٨).

لعل ذلك يؤيد أهمية الاهتمام بالأدب في تلك المجالس، بيد أنه سرعان ما تطور مفهوم هذا الحديث الشريف والتأديب فيه إلى تعليم الدين والأخلاق والمروءة، وشمائل العرب وفضائلهم، وظهر هذا المعنى واضحاً في اتخاذ بني أمية المؤدبين لأولادهم، والذين كانوا يعلمونهم القرآن الكريم والحديث الشريف، وكلام العرب وأشعارهم وانسابهم وتاريخهم وقد اشتمل هذا المدلول على الثقافة العامة التي يؤديها المؤدبون^(٩).

ويذكر الدكتور شوقي ضيف إن كلمة التأديب هي من الأدب التي لم تقف عند هذا المعنى التعليمي الخاص بصناعتي النظم والنثر وما يتصل بهما بل اتسعت لتشمل كل المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان من جانبيه الثقافي والاجتماعي، وينقل ما ذكره الحسن^(١٠) بن سهل، " أن الآداب عشرة ثلاث شهرجانية، وثلاثة أنوشروانية^(١١)، وثلاثة عربية، وواحدة أربت عليهن والشهرجانية، هي ضرب العود ولعب الشطرنج والصوالج، وأما الأنوشروانية^(١٢) فهي الطب والهندسة والفروسية، وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس، وأما الواحدة التي أربت عليهم فمقطعات الحديث، وما يتلاقاه الناس بينهم في المجالس "^(١٣).

لعل هذا القول يوضح أسباب استقطاب العلماء والأدباء وغيرهم إلى هذه المجالس العلمية وأهميتها، والتي كانت تعقد في قصور الخلفاء وغيرها من الأماكن منذ زمن بني أمية، وتوارثها بني العباس عنهم.

ثالثاً : أنواع المجالس :

تقسم هذه المجالس التي كانت تقام في العصر البويهي إلى نوعين أولها: المجالس الدينية، وثانيها : المجالس العلمية، وكل منها يقسم بدوره الى انواع، بيد اننا لسنا بصدد حصر هذه الأنواع من المجالس بقدر الحاجة إلى التعريف بها، والتعرف على مرتاديها من المتقنين على اختلاف طبقاتهم، كالعلماء والشعراء والأدباء والنحويين فضلاً عن الفقهاء وطلبة العلم والعامة المتطلعين إلى كسب الثقافة من كل حذب وصوب، فضلاً عن الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وغيرهم الوافدين إلى بغداد قبله العلم آنذاك أو القاطنين بها.

١- المجالس الدينية :

وهذه تقسم الى نوعين : الاول مجالس الوعظ، وهذه تختص بتقديم النصح والتذكير بالعواقب، وكما يقول اهل العربية : وعظته وعظاً فاتعظ، ^(١٤) ويقال ايضاً: الوعظ هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وهو ايضاً التخويف. ^(١٥) وقد حث القرآن الكريم على سماع الوعظ لأهميته في سلوك المسلمين ولقوله تعالى : "ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم" ^(١٦)، وفي آية اخرى قال تعالى : "وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكر المؤمنين" ^(١٧) ولنا في رسولنا اسوة حسنة فقد كان صلى الله عليه وسلم خير الواعظين، وانه كان يعرض الناس المواعظ البليغة التي توجهل منها القلوب وتذرف منها دموع العيون، ^(١٨) وقد حث العلماء على حضور مجالس الوعظ لأهميتها في المجتمع، فضلاً عن كونها تساعد في تهذيب النفوس، فقال احدهم : "على الناس ان يعالجوا قساوة قلوبهم بحضور مجالس العلم والتذكر والتخويف والترغيب واخبار الصالحين فأن ذلك مما يلين القلوب وينصح فيها" ^(١٩). لعل من المفيد ان نذكر ان

هذه المجالس انقسمت بدورها الى مجالس للعامّة ومجالس لوعظ السلاطين وارباب الدولة.

اما النوع الثاني من المجالس الدينية فهذه تختص بقراءة القرآن الكريم، وتحفيظه وتفسيره والاهتمام بالحديث الشريف، وشروحه، وقد قامت الكتاتيب بتقديم هذا النوع من التعليم للصبيان الصغار، كما كان بعض معلمي هؤلاء يعلمونهم بعض السنن والفرائض وغيرها^(٢٠).

بذلك يمكننا القول أن تلك الحلقات الدينية هي أول المجالس التي كانت تعقد للصبيان لتعليمهم أمور دينهم اي مجالس دينية مصغرة، تطور بعدها مفهوم هذه المجالس الدينية إلى عقد مجالس مختصة بالعلماء والفقهاء، أما لنشر فكر مذهب معين أو القيام بمناظرات^(٢١) دينية أو مباريات في الفكر والعقيدة وهذه اختصت بها المساجد والجوامع، والتي كان يحضرها عليّة القوم واكابرهم،^(٢٢) والتي شد من أزرها العطايا التي كانت يغدقها الخلفاء والأمراء الذين كان بعضهم يشترك في الرأي، وكان العلماء يتسلحون لهذه المناظرات بالعلم رغبة في الشهرة، وذياح الصيت،^(٢٣) ومن أشهر هذه المساجد في بغداد هو مسجد الرصافة^(٢٤)، الذي كانت تقام فيه صلاة الجمعة.^(٢٥)

شكلت علوم الشريعة خاصة علوم القرآن كالتفسير والقراءات وعلوم الحديث والفقهاء الأساس الذي قامت عليه تلك المجالس التي تعقد في المساجد،^(٢٦) في حين كانت تختص بعض المجالس بموضوع واحد،^(٢٧) إلا أن بعض هذه المجالس التي كانت تعقد في المساجد ضمت حلقات الفتوى للمذهب الحنبلي، والشافعي والمالكي والحنبلي،^(٢٨) وقد تعاقب على هذه الحلقات كبار العلماء من كل مذهب وتنوعت اساليبهم في النقاش والتدريس،^(٢٩) لعل ذلك ما دعى خلفاء بني العباس للحرص على مراقبة تلك المساجد، للوقوف على الأفكار المعارضة لهم و مكافحتها، وهو أيضاً، ما دفعهم لتعزيز سلطتهم وأشرافهم على المساجد فيذكر التتوخي : " أنهم منعوا التدريس بها إلا بعد موافقة الخليفة " ^(٣٠).

فلا غرو من قولنا ان خلفاء بني العباس قاموا باستغلال العلماء والفقهاء لعقد تلك المجالس في المساجد لصالحهم وكوسيلة لتبليغ الأفراد أوامر الدولة وتعليماتها، وأنظمتها، واطهار شرعية الولاة والعمال وتبعيتهم وطاعتهم للخلافة اي توظيف العلماء والفقهاء دينياً لصالح الخلافة وانظمتها وتعليماتها.

٢- المجالس العلمية :

اختصت هذه المجالس بتعليم العلوم الغير دينية كالطب والفلسفة والهندسة وباقي العلوم الأخرى ومثل هذه المجالس كانت تعقد في أماكن مختلفة أولها الكتاتيب، التي كان يتعلم الصبيان في البعض منها إضافة إلى علوم القرآن، بعض الأشعار والأمثال وشيئاً من الحساب^(٣١).

أما المساجد والجوامع، فقد قامت بعمل حيوي في مجال الحياة الثقافية^(٣٢)، وكانت تعد أكبر ساحات العلم، حيث أنها لم تكن بيوتاً للعبادة فحسب بل هي أكبر أماكن لتعليم الشباب،^(٣٣) والتي كان فيها حرية التعليم المطلقة والعلم مباح للجميع،^(٣٤) مما هيا لهذه الظاهرة كثرة العلماء المتخصصين في كل علم وفن،^(٣٥) ولعلنا لا نبالغ لو قلنا أن من ضمن تلك الحرية المطلقة كانت هناك مجالس خاصة للشعراء في المساجد ينشدون فيها أشعارهم،^(٣٦) حتى أن جامع المنصور^(٣٧)، أشهر جوامع بغداد آنذاك في العصر البويهي، الذي كان احد المراكز العلمية والفكرية،^(٣٨) و قبله أنظار المعلمين والطلبة،^(٣٩) عرفت إحدى قبابه بقبة الشعراء يجتمعون تحتها ويتداولون الشعر.^(٤٠)

لعل من الجدير بالذكر أن بعض من هذه المجالس العلمية كانت تعقد في بيوت العلماء، ولعل أشهرها في العصر البويهي هي دار الطبيب ابن سينا^(٤١) التي كان يجلس للتدريس فيها ليلاً،^(٤٢) فضلاً عن عمله في البيمارستان^(٤٣) العضدي، الذي كان يعقد فيه الدروس العلمية في الطب والتشريح.^(٤٤)

تعد حوانيت الوراقين إحدى أهم المجالس التي يعقد فيها العلماء والادباء جلساتهم العلمية والتي يتناقشون فيها ويتبارون في الشعر والأدب ويصفها ابن الجوزي بانها : " سوق كبيرة هي مجالس العلماء والشعراء " ^(٤٥)، فهي ليست اماكن لبيع الكتب فقط بل كانت تجري فيها المحاورات العلمية والمناظرات الأدبية، و يلتقي فيها الشعراء

والأدباء والمفكرون، ولأهمية تلك اللقاءات يذكر ابن طباطبا وصية للمهلب^(٤٦) ابن أبي صفرة لبنيه : " يا بني إذا وقفت في الأسواق، فلا تقفوا إلا على من يبيع سلاح، أو يبيع كتب " (٤٧).

ويبدو واضحاً من وصية المهلب أهمية الكتب في اكتساب العلم والمعرفة، والتردد على الأماكن التي يقصدها العلماء والأدباء لأقامة مجالسهم العلمية التي ينهل فيها طالبوا العلم من علمهم.

المبحث الثاني

مجالس أرباب الدولة

يقصد بها المجالس التي كان يعقدها الخلفاء والأمراء والوزراء في قصورهم، حيث كان الخلفاء والأمراء والوزراء في القرن الرابع الهجري، يعدون أنفسهم حماة للعلم، ويرون أن هذه المجالس يجب أن تكون مركزاً تشع منه الثقافة والمعرفة، ومنازة يلتقي فيها العلماء والأدباء فكان الأمراء والوزراء يفاخرون أمراء الأقطار الأخرى في الثروة العلمية والأدبية، كما يتفاخرون بعظمة الجند والمباني،^(٤٨) ويتسابقون فيما بينهم على اجتذاب العلماء ورعايتهم لهم وأغداقهم المنح المالية والهداية العينية عليهم.^(٤٩)

كان لتلك المجالس طابع خاص، يختلف عن حلقات العلم التي كانت تقام في المساجد أو منازل العلماء أو حوانيت الوراقين أو في المراكز العلمية الأخرى، فليس لحاضرها شيئاً إلا ما يسأل عنه، وليس له أن يورد قولاً أو اختصاراً أو مطالعة، إلا استأذن فيه، وسبيله إلى ذلك أن يخفض صوته في حديثه أو محاورته، ولا يرفعه إلا بقدر السماع الذي لا يحتاج معه إلى استفهام أو استعادة، وأن يتجنب إيراد حكاية تستملح أو لفظ يسترذل.^(٥٠)

ويمكننا تقسيم مجالس أرباب الدولة إلى :

١- مجالس الخلفاء :

أهتم الخلفاء بإقامة تلك المجالس التي كانت تضم طائفة كبيرة من أكبر مفكري ذلك العصر من فقهاء ومحدثين ومفسرين ونحاة ومتكلمين وفلاسفة، وأدباء، وقد نقلت بعض الكتب التي دُوِّنت في القرن الرابع الهجري، ما كان يدور في تلك المجالس التي حفلت بها قصور الخلفاء وأرباب الدولة، والتي كانت مجعاً يفد إليه أولئك العلماء لعرض نتائجهم العلمي أو للمناقشة والمناظرة، مما أدى إلى إثراء الحياة العلمية في بغداد، ومدن العراق بصورة خاصة وبقيّة مراكز الدولة العباسية بصورة عامة، فقد كانت دار الخليفة المقتدر^(٥١)، مكاناً يتذاكر فيه العلماء الأدب والعلم وكان كل إنسان

يعرف مقامه ومجلسه، وينقل التتوخي عن من كان يرتادها فيقول : " كنت أرى في بعض المواكب فيمن يحضر بالسواد، فإذا رآه، عدل إلى موضعه فجلس عنده يتذاكران الشعر والأدب والعلم... " (٥٢).

ولعل مما يوضح اهتمام الخلفاء في العصر البويهي بالعلم والعلماء هو اهتمامهم بالمراكز العلمية والفكرية وعقد المجالس فيها سواء الدينية أو العلمية، فيذكر ابن الجوزي في حوادث سنة (٣٨٣هـ/٩٨٥م) ان " الخليفة القادر (٥٣) بالله قدم بعمارة مسجد الحربية وكسوته واجرائه مجرى الجوامع في الصلاة " (٥٤)، ويذكر أن هذا الجامع تم بناءه أيام الخليفة المطيع (٥٥) لله ليكون جامعاً يخطب فيه، فمنع المطيع من ذلك، ومكث المسجد على حالته حتى استخلف القادر بالله فاستفتى الفقهاء في أمره، واجمعوا على جواز الصلاة فيه، فرسم أن يعمر ويكسى، وينصب فيه منبر، ورتب اماماً يصلي فيه الجمعة. (٥٦)

على أننا لا نبالغ بالقول أن من ضمن اهتمام الخلفاء بالعلماء والفقهاء واهتمامهم بالمساجد وإدامة التعليم فيها، برزت في المساجد طائفة من العلماء والأدباء تنوعت معارفهم يمكننا أن نطلق عليهم اسم ((الموسوعيين))، كانت لهم حلقات خاصة بهم في المساجد يسوقون بها فنوناً من الجدل والحوار في أي شيء يعرض لهم، (٥٧) كان لهؤلاء سوق نافقة في مجالس الخلفاء والوزراء وعليه القوم، إذ كانوا يستطيعون أن يطرفوهم بالأحاديث ويرفوهون عنهم في ساعات صفوهم وغضبهم، بما يوردونه على مسامعهم من طرائق الأخبار والمعارف. (٥٨)

ولعل مما يعزز قولنا اهتمام خلفاء بني العباس بالمجالس الخليفية ما ذكره ابن الجوزي في حوادث سنة (٤٢٠هـ/١٠٤٢م) حيث قال: " جمع الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء في دار الخلافة وقرئ عليهم كتاب طويل عمله الخليفة القادر يتضمن الوعظ وتقضيل مذهب أهل السنة، والطعن في المعتزلة (٥٩)، وإيراد الأخبار الكثيرة في ذلك عن النبي (ص) والصحابة " (٦٠).

ويذكر ابن الجوزي أيضاً أنه بعد يومين من المجلس السابق " جمع الأشراف والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد إلى دار الخلافة، وقرأ عليهم... كتاباً طويلاً عمله

ال خليفة القادر بالله ذكر فيه أخباراً من أخبار النبي (ص) ووفاته، وما روي عنه في عدة أمور من الدين وشرائعه، وخرج من ذلك إلى الطعن على من يقول بخلق القرآن...، ثم ختم القول بالوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذت في آخر الكتاب خطوط الحاضرين وسماعهم بما سمعوه " (٦١)، وبعد عشرين يوماً من مجلس الوعظ السابق أيضاً " جمع القضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد إلى دار الخلافة، وقرأ عليهم كتاب طويل يتضمن ذكر أبي بكر وعمر وفضائلهما، و وفاة النبي (ص)، والطعن على من يقول بخلق القرآن، وأعيد فيه ما جرى... ويخرج من هذا الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الناس غلى بعد العتمة، حتى استوفيت قراءته، ثم أخذت خطوطهم في آخره بحضورهم وسماع ما سمعوه " (٦٢).

نستشف مما سبق أن مجالس الخلفاء بعضها كان يعقد في دار الخلافة، وبعضها في قصورهم، والبعض الآخر في المساجد والجوامع، وهو سبب اهتمام الخلفاء وأرباب الدولة بتعبير هذه المراكز العلمية، لأنهم يقومون بالحضور إليها لإمامة الصلاة وإقامة الخطبة التي توضح السياسة العامة لحكمهم، وأحياناً اعلان فتوى الجهاد، وتؤخذ خطوط الحاضرين على ما ذكر الخليفة كأنهم شهود لتبليغ العامة من أوامر.

كانت تعقد في مجالس الخلفاء الحوارات الدينية والعلمية أي أنها كانت مجالس متنوعة، ويورد المسعودي أطرافاً من تلك الحوارات التي كانوا يتفرعون بها، ويتشعبون في المسائل التي تمس العلوم المختلفة كالفلسفة، وعلم الكلام والمذاهب وغيرها، (٦٣)، وقد تحولت مجالس الخلفاء هذه إلى ما يشبه الندوات التي يتناظر فيها العلماء من كل صنف على نحو ما يرى من مناظرة. (٦٤)

على أن لا يفوتنا أن نذكر أن أول من استحدث هذه المجالس الخليفية، وجعلها تقليداً للدولة وُسنة هو الخليفة المهدي العباسي، واحتذى به من بعده أبنه الخليفة الرشيد، حيث كانوا يغدقون العطايا الكثيرة على مرتادي هذه المجالس وجارهم في ذلك الولاية وكبار القادة. (٦٥)

٢- مجالس السلاطين والأمراء البويهيين :

كان معز^(٦٦) الدولة البويهية أول سلاطين بني بويه الداخلين إلى بغداد، والذي لم يكن يمتلك مزاجاً ثقافياً يؤدي إلى عقده أي مجلس للعلم، ولم تكن له أي علاقات مع ذوي العلم والأدب، فقد كانت شخصيته ذو طابع عسكري بحت، كما أنه لم يكن يتقن العربية، لحظة دخوله بغداد^(٦٧).

وبمجيئ الأمير عضد الدولة^(٦٨) البويهية إلى السلطة، تحسنت الأوضاع الثقافية في العراق وزخر بلاط البويهيين بالمجالس العلمية والادبية، فقد كان محباً للعلوم، قال عنه ابن خلكان : " كان فاضلاً محباً للفضلاء مشاركاً في عدة فنون"^(٦٩)، وكان مجلس يعج بالعلماء والشعراء والأدباء، فقد أهتم عضد الدولة بهم، وأغدق عليهم العطاء والهبات، وأحاطهم بمظاهر التكريم، وكان مجلسه منتدى لهم، تدور فيه المناقشات الدقيقة في فروع العلوم المختلفة، وكان يشترك مع هؤلاء العلماء في هذه المناظرات، ويعارض في بعض المسائل، ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين كانوا يحضرون مجلسه أبو علي الفارسي^(٧٠)، الذي صنف له كتابي الايضاح وكتاب التكملة في النحو^(٧١)، وكان عضد الدولة يفخر ويتباهى بأنه تتلمذ على يده ويقول : " أنا غلام أبي علي في النحو"^(٧٢).

كان عضد الدولة يحب الشعر والشعراء ويطرب له، ويغمر الشعراء بفيض من كرمه وجزيل عطاءه، فقصده فحول الشعراء وكتبوا فيه أروع قصائد المديح، وفي مقدمة هؤلاء الشعراء المتنبّي^(٧٣)، والسماعي^(٧٤)، الذي كان يقول عنه عضد الدولة : " إذا رأيت السلامي في مجلسي ظننت أن عطارذ نزل من الفلك ووقف بين يدي " ^(٧٥).

كان السلامي من أبرز الشعراء الذين عاشوا على المديح ذلك العصر،^(٧٦) وما دما نتحدث عن الشعراء البارزين يجب أن لا يفوتنا أن نذكر الشاعر الببغاء^(٧٧)، الذي وصف بأنه : " كان شاعراً مجوداً و كاتباً مرسلأ " ^(٧٨)، والذي اشتهر بعلاقته مع أبو اسحاق الصابي^(٧٩)، وكانت بينهما مراسلات واستطراف عند عضد الدولة، وكان الأخير قد كلف الصابيء بكتابه كتاب له عن بني بويه، سماه التاجي^(٨٠) في أخبار بني بويه، وحدثت بينه وبين عضد الدولة أزمة أدت إلى أن يسجنه بسببها، ويذكر

الثعالبي: أن البغاء كان أحد أسباب إطلاق الصابي من حبسه عندما غضب عليه عضد الدولة وسجنه، ^(٨١) فضلاً عن علاقته بسيف الدولة الحمداني الذي كان أحد أسباب شهرته وحظوته عند عضد الدولة. ^(٨٢)

سار على نهج السلامي والبغاء ابن نباته ^(٨٣) السعدي، في امتداح عضد الدولة، وقيل أنه: " أحد الشعراء المجودين، مدح الملوك والوزراء، وله في سيف الدولة غرر القصائد، ونخب المدائح... " ^(٨٤)، على أن لا يفوتنا أن نذكر أن عضد الدولة نفسه كان شاعراً يقول الشعر ويحكم على معانيه، ^(٨٥) وقد اهتم بمجالس الفقه ومجالس الحديث الشريف كاهتمامه بمجالس الشعر والادب، فيذكر التنوخي: ^(٨٦) الذي كان مقرباً من مجلسه أنه كان يهتم بأخذ الفقه والحديث فقد أخذ الحديث عن الثمدي ^(٨٧) فقال: " حدثنا بالموصل، في مجلس عضد الدولة، وهو يسمع... المعروف بالثمدي... وكان عضد الدولة استدعاه منها لعلو اسناده وعمل له مجلساً بحضورته حدث فيه، وأحضرني وجماعة مخصوصين من أهل العلم، حتى سمع منه، وسمعنا منه... " ^(٨٨).

أن ما يمهدنا مما سبق أن مجلس عضد الدولة كان يعج بالعلماء من كل الفنون والحكماء والشعراء والاعيان، ويذكر أن مجلسه كان في موضع من قصره مرتباً ترتيباً بحسب أهمية مرتاديه فقد أفرد فيه " لأهل الخصوص والحكماء والفلاسفة... وهي الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضة أمنين من السفهاء، ورعا العامة، وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تتصل بهم، فعاشت هذه العلوم، وكانت موآتا، وتراجع أهلها وكانوا اشتاتاً، ورغب الأحداث في التأذب والشيوخ في التأديب، وانبعثت القرائح، ونفقت أسواق الفضل وكانت كاسدة، وأخرج من بيت المال أموال عظيمة صرفت في هذه الأبواب... " ^(٨٩).

ويبدو من النص واضحاً ما أنجزه عضد الدولة في مجال العلم والمعرفة واشاعة الروح الثقافية في العصر البويهى، وأن مجالسه كانت تشمل جميع فروع المعرفة كالمسائل الأدبية والنحوية، والمناظرات الشعرية، وفي الفلسفة والمنطق، وقضايا الفقه، ومسائل الحديث والتفسير من خلال تشجيع الأمراء لهؤلاء العلماء وتقريبهم واغداق الهبات عليهم والعطاء.

٣- مجالس الوزراء :

كان وزراء الدولة البويهية يتفاخرون بمجالسهم العلمية والأدبية، ويتسابقون فيما بينهم على اجتذاب العلماء، والشعراء إليها ورعايتهم لها، وإغداقهم المنح والهبات، والذين ساروا على نهج الخلفاء والسلاطين البويهيين في العناية بالعلوم والعلماء، فالوزير المهلبى^(٩٠)، وزير معز الدولة البويهى، تضمنت مجالسه العلمية كثيراً من العلماء والأدباء والكتاب، وأغدق عليهم من الهبات الكثير،^(٩١) ولعل من أشهر هؤلاء العلماء هو ابن المنجم^(٩٢) الذي كان نديم الوزير المهلبى، وأنفق عليه الأخير من ماله لسنين كثيرة^(٩٣)، وما دمننا بذكر الندماء لا يفوتنا أن نذكر أن القاضي التنوخي : " كان نديماً للوزير المهلبى "^(٩٤)، والذي امتدحه الثعالبي بقوله كان : "من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم والشيم...، كان الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون إليه..."^(٩٥)، وكذلك أبو الفرج^(٩٦) الاصبهاني صاحب كتاب الأغاني الذي جعله المهلبى نديمه وأكيله^(٩٧)، وكان يغدق هؤلاء بالأموال^(٩٨)، كما كان المهلبى نفسه متذوقاً للشعر ناظماً له، وكان شعره في مرتبة أرقى من مرتبة الطبقة الوسطى من الشعراء وكان مجلسه حافلاً بالأدباء، وكان يحب الطبيعة والتراب.^(٩٩)

لا يفوتنا أن نذكر أنه لشدة اهتمام المهلبى ومحبته للشعر حدثت بينه وبين الشاعر المتنبى عداوة كونه ترفع عن مدح الوزير المهلبى، وحضوره إلى مجلسه عندما قدم المتنبى إلى بغداد، فكان ذلك سبباً في تأجيج العداوة بين الطرفين.^(١٠٠) لعل ذلك يبين أهمية المدح بالنسبة لهؤلاء في مجالسهم وحضور كبار الشعراء إليها وللتباهي والتفاخر، ويبدو للباحثة أيضاً أنه لكسب العامة إلى صفوفهم كونهم من غير العرب ومحتلين.

ويورد التنوخي ذكراً لأحد مجالس الوزير المهلبى وما كان يدور فيه فيقول : " كان أبو محمد المهلبى، يكثر الحديث على طعامه، ويكون اطييب الحديث، وأكثرهم مذاكرة بالأدب وضروب الحديث على المائدة لكثرة من يجمعهم عليها من العلماء والكتاب والندماء، وكنت كثيراً ما أحضرها..."^(١٠١)

أما مجلس الوزير صاحب^(١٠٢) بن عباد فقد كان مجلساً يحفل بالعلماء والأدباء كغيره من وزراء بني بويه، والذين كانوا يتنافسون فيما بينهم مع وزراء وأمراء الدول الأخرى لاجتذاب العلماء والشعراء والكتاب اليهم، ولعلنا لا نخطئ حين نذكر : أن أبا الفرج الاصبهاني حين أهدى كتابه إلى سيف^(١٠٣) الدولة بن حمدان، وأعطاه ألف دينار هدية له عليه، وعندما سمع صاحب ابن عباد قال : " قصر سيف الدولة، وأنه يستاهل أضعافها " ^(١٠٤).

ويجتمع في مجلس الوزير ابن سعدان^(١٠٥) الكثير من العلماء والأدباء في مختلف العلوم والفنون، وقد قدم لنا التوحيدي في كتابه الامتاع والمؤانسة، صوراً كثيرة عن مجالسه، وأسماء كبار الرجال الذين كانوا يترددون اليه من شعراء وأدباء وفقهاء ومتكلمين وفلاسفة، ومن أشهر هؤلاء هو علي بن عيسى الرماني^(١٠٦) الذي قال عنه التوحيدي: أنه " عالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق... " ^(١٠٧).

وممن شجع العلم وعمل المجالس الكثيرة والحافلة من وزراء الأسرة البويهية هو الوزير ابن العميد^(١٠٨) وزير ركن الدولة^(١٠٩) الذي كان من ألمع الشخصيات في عصره علماً وأدباً وسياسة وكان عالماً بالفلسفة والنجوم، فضلاً عن الأدب، وكان يعقد مجالساً مختلفة يقصدها الفقهاء والعلماء، وجعل فيها يوماً مخصوصاً للفقهاء، ويوماً للعلماء، وآخر للفلاسفة، ^(١١٠) وكانت له حظوة عند أمراء بني بويه ووزرائهم، فيذكر أن الشاعر المتنبّي التجأ اليه عندما غادر من بغداد أثر خلافه مع الوزير المهلبّي، بعد أن ضيق الأخير عليه بسبب التخاصم الذي حصل بينهما، ويصفه مسكويه الذي كان خازناً لمكتبته، بأنه أكتب أهل عصره جميعاً، وإن شعره من أعلى درجات الشعر، " ولم يكن يجسر أحد على مجاراته في علوم الفلسفة والمنطق "، كما كانت له معرفة بالهندسة، وكان مجلسه الأدبي عامراً بكبار رجال الأدب في عصره. ^(١١١)

صفوة القول نتيجة لدعم بعض خلفاء بني العباس والسلاطين البويهيين ووزرائهم للعلم والعلماء، أصبحت بغداد ملتقى للثقافات ومركزاً مشعاً للعلوم، حتى أصبح يخيّل إلى الناس أن التزود من العلم والمعرفة ملقاة في كل مكان من أمصار العراق أو كأنها مطروحة في الطرقات وفي متناول أيادي الجميع، ولسنا نبالغ بذلك، فكل الواردين

إلى بغداد يستطيعون الذهاب إلى كل مركز من المراكز العلمية أو الفكرية في العراق البويهي، فضلاً عن اهتمام أرباب الدولة وأكابرها بإقامة المجالس العلمية التي شجعت ذلك.

المبحث الثالث

مجالس العلماء

١- المجالس العلمية :

أعتنى المسلمون في هذا العصر بالمناظرات لما لها من أثر في التمرين على سرعة التعبير، والتفوق بين المتناظرين، وتعويدهم على الثقة بالنفس والقدرة على الارتجال، وكان أحد أسباب بروز هذه الظاهرة، هو ازدهار الثقافة من خلال ظهور الفرق والملل وكثرة الترجمات، وقد كثر ولع العلماء المسلمين بهذه المناظرات، وكانوا يشجعون طلبتهم عليها، وقد يخالف الطالب استاذة في الرأي أحياناً، مع مراعاة التأدب والاحترام له^(١١٢).

كانت هذه المناظرات تهتم بمسائل متنوعة كالفقه والنحو والصرف، واللغة، والمسائل الدينية، وتعد هذه المجالس في أماكن مختلفة كالمساجد والمدارس^(١١٣)، التي كانت مقراً لهم لأقراء الحديث وتفسير القرآن^(١١٤)، كما ضمت هذه المساجد حلقات الفتوى للمذهب الحنفي، والشافعي والمالكي والحنبلي، وقد تعاقب على كل من هذه الحلقات كبار علماء كل مذهب من المذاهب^(١١٥).

وعدت هذه المناظرات نوعاً من أنواع البحث العلمي، وكان لها صدى واسع في المجالس العلمية التي كانت تسود بغداد، وما حولها من المدن الإسلامية، فهي الحجاج على العقائد، يرافقها الاثبات بالأدلة العقلية والشرعية، كما أصبح لها أصول ومبادئ وخاصة بعد أن توسع مداها بين الفرق الإسلامية، وأهل الفلسفة والكلام والنحو وغيره من العلوم^(١١٦)، ولعل من أشهر المتناظرين في علم الكلام في العصر البويهي هو أبو الهذيل^(١١٧) العلاف، الذي يُعد من أكبر العلماء الذين عاشوا في العصر البويهي،^(١١٨) بيد ان مجلس الفقيه الشافعي أبي حامد الأسفرائيني^(١١٩) المتوفى (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) كان من الأهمية من بين مجالس العلماء، بحيث أن الوزراء وأرباب الدولة كانوا يقصدونه للاستماع اليه^(١٢٠)، ولا نبالغ في القول: ان هذه المجالس أصبحت أندية ثقافية هامة لا يستغنى عنها، مما دفع الكثيرين من المهتمين باللغة والأدب لتدوينها، وقد شملت

كتابات الجاحظ الكثير منها في مؤلفاته لاسيما كتاب الحيوان، والبيان والتبيين، فيما خصص الزجاجي^(١٢١) كتابه مجالس العلماء لتدوين مثل هذه المناظرات والمجالس وأرشفتها لأنها اضافة لما تحتويه من أخبار وبلاغات وشعر ونشر، أصبحت من الشواهد على الحالة ذلك العصر من الدلائل المختلفة لأنواع العلوم مما لا يمكن وصفه^(١٢٢).

اختلفت هذه المجالس في طريقة تنظيمها وأماكن عقدها عن غيرها من مجالس العلم الذي كان تعقد في بلاطات الوزراء أو دور الخلافة أو قصور السلاطين، فهذه المجالس، كانت تعقد في الأماكن الخاصة لكل علم منها، ولم يكن يهتم بترتيب جلوسهم أو أماكن عقد هذه المجالس، فمجالس الأطباء المخصصة للتلامذة الذين يرومون دراسة الطب، ومنها ما كان يخصص للفلاسفة المتكلمين وهذه المجالس التي تختص بالطب تعقد أما في البيمارستانات أو في منازل العلماء أنفسهم^(١٢٣)، وقيل أن مجلس يوحنا بن ماسوية الطبيب أعمر مجلس بمدينة بغداد لمتطبيب أو متكلم أو متفلسف إذ كان يجتمع فيه كل صنف من الأصناف، كما كان يحضره الطلبة من تلاميذه يقرأون عليه في هذا المجلس كتب المنطق لأرسطو طاليس وكتب جالينوس في الطب^(١٢٤)، وكان على شاكلته مجلس الطبيب حنين^(١٢٥) بن اسحاق، الذي قيل عنه : أنه رسم له الخليفة العباسي المأمون على كل كتاب ينقله إلى العربية أن يأخذ وزنه ذهباً^(١٢٦).

طغت ظاهرة المجالس والمناظرات على الحياة العامة حتى صار ينظر إلى صاحب المجلس أنه من رعاة العلم والأدب ويبدو للباحثة أنه السبب الرئيسي وراء ذلك هو اهتمام أكابر الدولة وأربابها بها، في حين كانت شخصيات علمية كالاصمعي^(١٢٧)، كانت أغلب مجالسه تدور حول الشعر والشعراء وأخبارهم، حيث كان من أفطن أهل زمانه في رواية الشعر، وتعدج المؤلفات التاريخية بالمناظرات الشعرية التي كان يقوم بها، وعلى سبيل المثال لا الحصر والاكثار مناظرته مع الضبي^(١٢٨)، وهو أحد علماء اللغة والشعر والأخبار في أيام العرب^(١٢٩).

ومن مجالس العلماء المهمة والتي كان يعقده في منزله هو مجلس الكاتب المرزباني^(١٣٠) (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٦م) والذي كان يتجمع حول داره التلاميذ، حتى أن عضد الدولة نفسه الذي كان من أشهر الشخصيات في ذلك العصر من المهتمين بالعلم والثقافة يذهب اليه، ويقف ببابه إلى أن يخرج ويسلم عليه^(١٣١).

ويتحدث صاحب النجوم الزاهرة عن أحد المجالس التي يجتمع فيها جماعة من الشعراء والعلماء والفقهاء على اختلاف مذاهبهم ويقول أن أحدهم نصراني متكلم، والأخر مجوسي، وفيهم الحراني الصابئي واليهودي وغيرهم ويذكر : " فتتناشد الجماعة اشعاراً وأخباراً... " ^(١٣٢)، كما يتضح من النص اختلاف الملل والطوائف التي كانت تلتقي في هذه المجالس، وكيف كانوا يثيرون المسائل التي تتعلق بأهوائهم ونحلهم، ويتحاورون فيها حوارات طويلة ونقاشات عميقة على الرغم من اختلافهم في الدين والمذهب، كما لم يكن يراعى فيها غير الأدب والأخلاق والاحترام، ويسأل كل من فيها عما يحلو له من المسائل والعلوم إذا لم يكن المجلس مختصاً بعلم معين.

٢- مجالس الأملاء :

وهي ما يملئها الشيخ أو من ينوب عنه فينقلها الطلاب بالتأييد في دفاترهم، وفي هذا يكون الشيخ، قد أعد ما يملئه أو يلقي على طلبته ما يشاء من تلقاء نفسه، وفي الحلقات الكبيرة يردد مستملي الأملاء كلام الشيخ أو الاستاذ حتى يسمعه البعيدون عنه في الحلقة.^(١٣٤)

فالأملاء هو أن يقعد عالم من العلماء، وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بما فتح الله عليه، ويكتبه التلاميذ فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء والأمالي^(١٣٥)، وقد شكلت هذه الأمالي موسوعات علمية وأدبية في مختلف المجالات، منها في اللغة مثل أمالي ابن دريد^(١٣٦) في اللغة، وأمالي ابن الحاجب^(١٣٧)، وأمالي ابن عساكر^(١٣٨) في الحديث، وغيرها من الأمالي.^(١٣٩)

ومجالس الأملاء هذه قد تستمر عدة سنين، فقد عرف عن العالم محمد بن القاسم الانباري، أنه املأ كتابه (المشكل في معاني القرآن) عدة سنين^(١٤٠)، وقد يستمر

الموضوع الواحد عند المستملي عدة مجالس، على أن أكثر هذه المجالس كان العلماء يملونها على الطلبة العميان الذين كانوا أحوج من غيرهم لهذه العملية^(١٤١).

والمستملي، هو مصدر اشتق الفعل ملاً استملاه، أي سألته الأملاء^(١٤٢)، وتجمع مستملون، وهؤلاء كانت وظيفتهم في مجالس الأملاء : إعادة ألفاظ المحدث ونقلها عنه إلى الناس^(١٤٣)، وكانت هذه المهنة الشاقة معروفة آنذاك، وشائعة، وينتخب لها من ذوي الأصوات المسموعة وذوي الفصاحة في اللسان، والاصغاء الحسن، ووضوح العبارة، كي لا يُشكّل على الناس ما يؤخذ من فاهه من العبارات والألفاظ، في حين كان بعض المستمعين من الأدباء والعلماء لا يأخذون إلا من لسان المحدث نفسه، زيادة في التحوط للنقل وأكثر ثقة للنفس^(١٤٤).

أما المستملي فكان يجلس على مقعد مرتفع ليتصنت له الحاضرون وليعيد كلام المحدث، حتى يسمعه من كان بعيداً، وجرت العادة في مثل هذه المجالس أن يبدأ قارئ حسن الصوت بقراءة القرآن الكريم^(١٤٥)، يليه المحدث مباشرة بالحديث مستقفاً حديثه بالحمد لله، ثم الصلاة على النبي^(١٤٦).

ظهر الارتجال كصفة أساسية للعلماء والمحدثين في هذه المجالس، وقد شكل ذلك الأمر اشكالاً على النساخ من جهة وعلى المستمعين من جهة أخرى بسبب اختلاف لفظ الأملاء بهذا الارتجال إذا تكرر القاءه، فلذلك تختلف نسخ الكتاب، عن بعضها عند تكرار النسخ^(١٤٧).

إن من الملفت للنظر ازدياد عدد المستمليين وفق عدد المستمعين، ووفق انتشار الحلقات، وبعد المسافات، نتيجة الاقبال على حب المعرفة، الذي دفع الناس إلى التزامم والشغف وبالذهاب إلى تلك المجالس، بأعداد غفيرة، مما تجاوز في بدايته المئات، ثم زادت على الألوف الذي أخرجها من حياض المساجد الضيقة إلى أماكن أوسع كي تتسع هذه الجموع، وبالتالي احتاجوا إلى عدد أكثر من المستمليين، حيث أصبح المستملي الواحد لا يؤدي الغرض من وجوده^(١٤٨).

أن الناس كانوا يميزون أهل العلم وطالبي الحديث، فيذكر صاحب تاريخ بغداد: قول احدهم عن مجلس القاضي المحاملي^(١٤٩) " حضرت مجلس المحاملي، وكنت لا

اكتب في مجلس الأملاء، إلا ما أسمع من لفظ المحدث، فقامت قائماً لأنني كنت بعيداً عن المحاملي، بحيث لا اسمع لفظه، فلما رأي الناس، أفرجو لي وأجازوني حتى جلست مع المحاملي على السرير" (١٥٠).

لا عجب لو قلنا ان بغداد كانت أكثر من غيرها شهرة في احتضان العلماء والفقهاء، ومما يعزز قولنا مذكره صاحب تاريخ بغداد انه: لما جلس الفراء (١٥١) للأملاء النحو ازدحم الناس على مجلسه، وغص بالقضاة والعلماء، فلما بدأ الفراء باملاء كتاب المعاني لم يستطع الاخباريون المؤرخون من عد الناس الذين اجتمعوا للسماع عليه والأخذ منه (١٥٢)، حتى قيل ان مجلسه يحضره عشرة الالاف رجل. (١٥٣) يبدو للباحثة انه صيغة من صيغ المبالغة في القول، انما هو لجذب الانتباه لتعظيمه. و لعلنا بهذا نكون قد قدمنا عرضاً لمجالس العلم في العصر البويهى.

الخاتمة

عدت المجالس في العصر البويهي من المنتديات العلمية والأدبية الكبيرة التي حرص عليها أكابر الدولة وأربابها، وعملوا على الاهتمام بها واستقطاب العلماء والأدباء والمفكرين والفلاسفة اليها، منها لنيل الخطوة لديهم، أو للحصول على الشهرة.

تنوعت هذه المجالس الى نوعين : الاول مجالس علمية ومجالس دينية وكل منها تفرع بدوره الى فروع منها مجالس الوعظ، وهذه تختص بتقديم النصح والتذكير بالعواقب، والتي حث العلماء على حضورها لأهميتها في المجتمع، فضلاً عن كونها تساعد في تهذيب النفوس وهذه انقسمت بدورها الى مجالس للعامة ومجالس لوعظ السلاطين وارباب الدولة.

اما النوع الثاني من المجالس الدينية فهذه تختص بقراءة القرآن الكريم، وتحفيظه وتفسيره والاهتمام بالحديث الشريف، وشروحه، وأول هذه المجالس التي كانت تعقد للصبيان على شكل حلقات الدينية، لتعليمهم أمور دينهم اي مجالس دينية مصغرة. تطور بعدها مفهوم هذه المجالس الدينية إلى عقد مجالس مختصة بالعلماء والفقهاء، أما لنشر فكر مذهب معين أو القيام بمناظرات دينية أو مباريات في الفكر والعقيدة وهذه اقتصت بها المساجد والجوامع، والتي كان يحضرها عليّة القوم واکابرهم، والتي شد من أزرها العطايا التي كانت يصدقها الخلفاء والأمراء الذين كان بعضهم يشترك في الرأي، وكان العلماء يتسلحون لهذه المناظرات بالعلم رغبة في الشهرة، وذیاع الصيت، اما العلمية فمنها ما اقتص بعلم معين ومنها بعلوم مختلفة.

اختلفت هذه المجالس في طريقة تنظيمها وأماكن عقدها عن غيرها من مجالس العلم الذي كان تعقد في بلاطات الوزراء أو دور الخلافة او قصور السلاطين، فهذه المجالس، كانت تعقد في الأماكن الخاصة لكل علم منها، ولم يكن يهتم بترتيب جلوسهم أو أماكن عقد هذه المجالس، فمجالس الأطباء المخصصة للتلامذة الذين

يرومون دراسة الطب، ومنها ما كان يخصص للفلاسفة المتكلمين وهذه المجالس التي تختص بالطب تعقد أما في البيمارستانات أو في منازل العلماء أنفسهم نتيجة لدعم بعض خلفاء بني العباس والسلاطين البويهيين ووزرائهم للعلم والعلماء، أصبحت بغداد ملتقى للثقافات ومركزاً مشعاً للعلوم، حتى أصبح يخيّل إلى الناس أن التزود من العلم والمعرفة ملقاة في كل مكان من أمصار العراق أو كأنها مطروحة في الطرقات وفي متناول أيادي الجميع، ولسنا نبالغ بذلك، فكل الواردين إلى بغداد يستطيعون الذهاب إلى كل مركز من المراكز العلمية أو الفكرية في العراق البويهي، فضلاً عن اهتمام أرباب الدولة وأكابرها بإقامة المجالس العلمية التي شجعت ذلك.

إن النهضة الفكرية والأدبية في هذا القرن، وبالذات في عصر بني بويه، قد وصلت ذروتها في كافة مجالات الثقافة والمعرفة، وكانت نتيجة منطقية لبلوغها ذلك نتيجة تلك العوامل والظروف التي أسهمت في نموها وارتقاءها والتي كان في مقدمتها ذلك الدعم الذي قدمه الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء البويهيين لها وتبنيهم مجالس العلم التي أقيمت في عصرهم، فضلاً عن تشجيعهم للعلماء و الفقهاء في عقد المجالس العلمية التي كانت تقوم برعايتهم وتحت إشرافهم بل كان جلهم يشتركون فيها، فضلاً عن وجود مراكز علمية وفكرية ساهمت في نمو وتطور الحركة العلمية والفكرية وازدهارها في العصر البويهي، التي ما برحت أن نمت وتطورت إلى أن ظهرت المدارس كحاجة ملحة لتطور التعليم واستمراره في العراق.

المصادر

- (١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (ت ٧١١هـ/١٣١٣م)، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، مطبعة دار المعارف، القاهرة، دت، مج ١، ص ٦٥٧ باب الجيم.
- (٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.
- (٣) لسان العرب، مج ١، ص ٦٥٨.
- (٤) مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٨م)، القاموس المحيط، إعداد: محمد عبد الرحمن المرعشلي، مطبعة دار احياء التراث العربيين ط ٢، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٤٩٦.
- (٥) الفيومي، ابن العباس أحمد بن علي (ت ٧٧٠هـ/١٣٧١م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، شركة القدس للتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٠٧.
- (٦) ثعلب، أبا العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ/٩٩٣م) مجلس ثعلب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، دت، ص ٢٣.
- (٧) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/٩٨٧م) الكامل في اللغة والأدب، تح: عبد المحيد هنداوي، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٥.
- (٨) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣١م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، مطبعة القاهرة، ١٣١١هـ، ج ١، ص ٣.
- (٩) المبرد، الكامل، ج ١، ص ٦.
- (١٠) هو أبو محمد السرخسي فارسي المولد من وزراء الخليفة المأمون وأحد ولاته وقادته، وأخو الفضل بن سهل ذو الرئاستين وابنته بوران زوجة المأمون توفي في خلافة المتوكل، فأمر المتوكل بتجهيز جهازه في فراشه سنة (٢٣٦هـ/٨٥١م). للمزيد ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢١٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٤٦.
- (١١) الشهرجانية: نسبة إلى الشهارجة أو الشهارج، وهم أشرف الفرس. ينظر: كريستنين، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، تعريب: يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام، مطبعة دار النهضة العربية، القاهرة، دت، ص ٨٥.
- (١٢) الأنوشروانية: نسبة إلى كسرى أنوشيروان ملك الفرس من سنة (٥٣١-٥٧٩) مكان عصره من ازهى العصور للدولة الفارسية. كريستنين، إيران في عهد الساسانيين، ص ٣٤٨-٤٨٨.
- (١٣) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ص.
- (١٤) ينظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، مراجعة: عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ٢٠٠١م، ج ٥، ص ٢٦٦.
- (١٥) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت ١٧٠هـ/٧٩٢م)، العين، تح: تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ج ٢، ص ٢٢٨.
- (١٦) سورة النساء، الآية: ٦٦.
- (١٧) سورة هود، الآية: ١٢٠.
- (١٨) ينظر: ابو داود، سليمان بن الاشعث بن اسحق السجستاني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، السنن، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار احياء التراث، بيروت، ١٩٩٤م، ج ٤، ص ٢٠١.
- (١٩) ينظر: القرطبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن فرج الانصاري (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٢م)، التذكرة في احوال الموتى وامور الآخرة، دمط، القاهرة، دت، ص ١٢.
- (٢٠) القاسبي أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تح: وتعريب عن الفرنسية: أحمد خالد، الشركة

- التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٦م، ص ٣١٢؛ الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م، ج ٢، ص ١٨٠.
- (٢١) المناظرات : هي المقابلات التي يقوم بها العلماء فيما بينهم ويقال دور فلان، بازاء دور فلان أي تقابلها، والمناظرة : أن تقابل أخاك في أمر ما إذ نظرتما فيه معاً كيف تأتينا. ينظر : ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص ٤٤٦٥-٤٤٦٦.
- (٢٢) التتوخي، المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٤٤م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح : عبود الشالجي، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٨، ص ١٨٦.
- (٢٣) محمود، حسن احمد، وأحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٠٤-٢٠٥.
- (٢٤) مسجد الرصافة : يقع هذا المسجد في الجانب الشرقي وسمي بهذا الاسم نسبة إلى محلة الرصافة التي أنشأ فيها وهو من أهم جوامع بغداد شرع في تشييده سنة (١٥٩هـ/٧٧٥م)، وتقع بالقرب منه مقابر العباسيين. للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ١، ص ١٠٩؛ ناجي، عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن الإسلامية، ط ٢، مطبعة شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م، ص ٣٥٢-٣٥٣.
- (٢٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢، ص ٣٦٥.
- (٢٦) محاسنة، محمد حسين، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، العين، ٢٠٠١م، ص ١٣٦.
- (٢٧) شلبي، أحمد، التربية والتعليم في الإسلام، ط ٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٢٣م، ص ١٣٦.
- (٢٨) ياقوت، ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٦م)، ارشاد الأريب في معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج ١، ص ٣٩٥.
- (٢٩) محاسنة، أضواء، ص ١٣٦.
- (٣٠) نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١١١.
- (٣١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٨٠.
- (٣٢) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي، مطبعة النهضة المصرية، ط ٧، القاهرة، ١٩٥٧م، ج ٤، ص ٤٢١-٤٢٢.
- (٣٣) ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج ٣، ص ١٠٠.
- (٣٤) الاهواني، فؤاد، التربية في الإسلام، ص ١٦-١٧.
- (٣٥) ياقوت، معجم الأدياء، ج ٩، ص ٢٣٨.
- (٣٦) ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج ٣، ص ١٠١.
- (٣٧) يقع هذا الجامع بالقرب من قصر الخليفة المنصور والذي عرف بأسمه. متز، أدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تح : عبد الهادي أبو ريده، ط ٣، بيروت، ١٩٦٤م، ج ١، ص ٣١٤.
- (٣٨) متز، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٣١٩.
- (٣٩) الكاشف، سيده إسماعيل، مصر في عهد الأخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٣٠٦.
- (٤٠) التتوخي، نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ٣٠.
- (٤١) هو ابو الحسن علي بن الحسين بن عبد الله عالم وطبيب وفيلسوف أتصف بالذكاء الخارق والعبقرية ساهم في نهضة العلوم في بلاده بشكل كبير وعرف بالشيخ الرئيس، وألف أكثر من ٢٤٠ مؤلفاً سماه الغرب أمر الاطباء، وأبو الطب وأرسطو الإسلام، أصله من بخارى ولد

- وتوفي فيها سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٧م). للمزيد ينظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٨؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤٣٧-٤٥٨.
- (٤٢) محاسنة، أضواء، ص ١٤٤.
- (٤٣) وهو البيمارستان الذي انشاه عضد الدولة البويهى وعرف باسمه سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م)، ويعد من أشهر بيمارستانات العصر البويهى، وكانت تدرس فيه صناعة الطب. للمزيد ينظر : الذهبي، العبر، ج ٢، ص ١٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٤٠٩.
- (٤٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ١، ص ٢٣٩؛ احمد، عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص ١٩٢.
- (٤٥) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١١٧٣م)، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام، ١٩٦٩م، ص ٢٦.
- (٤٦) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي احد ولاية الأمويين على خراسان، قام بفتوحات كثيرة في بلاد ما وراء النهر وافتتح جرجان وطبرستان، وفرض سيطرة بني أمية على تلك الأقسام أصله من دبا ووفاته في مرو سنة (٨٢هـ/٧٠٢م). للمزيد ينظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ١٦٩-١٧٠.
- (٤٧) ابن الطقطقي محمد بن علي (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٤هـ، ص ٦.
- (٤٨) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م، ج ١، ص ٩٥.
- (٤٩) ياقوت، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٠٨.
- (٥٠) شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص ٧٤.
- (٥١) هو أبو الفضل جعفر بن الخليفة أحمد المعتضد بوبع بالخلافة وعمره ثلاثة عشر عاماً، وكانت أمه شغب هي التي تحكم بالسلطة في عهده، واستمرت خلافته أربع وعشرون عاماً توفي سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م). للمزيد عنه ينظر : ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٥٤؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢١٠.
- (٥٢) التتوخي، نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ١٥.
- (٥٣) هو أبو العباس أحمد بن المعتذر من أفاضل الناس، كثير الدين والعبادة، تزوج بنت بهاء الدولة بن عضد الدولة على صداق مبلغه ألف دينار، وفي عهده اعاد وقار الدولة العباسية، ونمى رونقها وأخذت أمورها في القوة، ومكث في الخلافة مدة طويلة إلى أن توفي سنة (٤٢٢هـ/١٠٢٠م). للمزيد ينظر : الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٢٤٧؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٣٣؛ ابن طباطبا، الفخري، ص ٢٩١.
- (٥٤) المنتظم، ج ١٥، ص ١٩٦.
- (٥٥) هو أبو القاسم افضل بن المعتذر بالله بوبع بالخلافة سنة (٣٣٤هـ/٩٥٦م) بعد المستكفي، وفي أيامه رد الحجر الأسود إلى مكانه في الكعبة المشرفة، وقد خلع نفسه عن الخلافة غير مكره لفالج أصابة أثقل لسانه ثم عقد الخلافة لوالده الطائع من بعده بعد تسعة وعشرين عاماً من الخلافة توفي سنة (٣٦٤هـ/٩٨٦م). للمزيد ينظر : الذهبي، العبر، ج ٢، ص ١١٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٣٤٥.
- (٥٦) ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ج ٣، ص ١٠٣.
- (٥٧) الجاحظ، البليات والتبيين، ج ١، ص ٢٩.
- (٥٨) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٦م)، إنباء الرواة على انباء النجاة، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٣٤.
- (٥٩) فرقة دينية عرضت في موضوعات علم الكلام على نسق مذهبي متكامل وعرفت باسماء مختلفة منها العدلية لأن العدل من أصولهم الخمسة وعقيدتهم التوحيد، والقول بالمنزلة بين المنزلتين،

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقدرية لأنهم يقولون بحرية الإنسان، وقد نشأت هذه الفرقة بسبب الخلاف الذي دار حول مر تكتب الكبيرة هل هو مسلم أم كافر، وكان أولم ن قال بهذا الأمر واصل بن عطاء المعتزلي، الذي انعزل عن مجلس شيوخه الحسن البصري. للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص ٢٠١؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح : عفيف نايف حاطوم، ط ٢، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ٣، ص ١٠٤.

(٦٠) المنتظم، ج ١٥، ص ١٩٦.

(٦١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ١٩٧.

(٦٢) المنتظم، ج ١٥، ص ١٩٨.

(٦٣) مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٨٦.

(٦٤) الزجاجي، مجالس العلماء، ص ٢٨٨.

(٦٥) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٣٢م)، تاريخ الرسول والملوك، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، د.ت، ج ٦، ص ٥٤١؛ ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج ٣، ص ١٠٢.

(٦٦) معز الدولة البويهية : هو أبو الحسين أحمد بن بويه، أحد أفراد الأسرة البويهية الذي ملكوا البلاد، واستولوا عليها، وكان مكروه إلى بغداد زمن الخليفة العباسي المستكفي ووفاته بها سنة (٣٥٦هـ/٩٧٨م). للمزيد عنه ينظر : ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ١٨٣؛ ابن خلكان، ابن العباس أحمد بن علي (ت ٦٨١هـ/١٢٩٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح : احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٥٦.

(٦٧) الياضي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٦٨) عضد الدولة البويهية : هو أبو شجاع فنا خسرو الحسن بن بويه ولقب عضد الدولة أبو علي لم يبلغ أحد من بني بويه ما بلغه هو من سعة الملك والاستيلاء على الملوك وممالكهم، ودانت له البلاد والعباد ودخل في طاعته كل صعب، وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام، وأول من خطب له على منابر بغداد ولقب تاج الملة توفي سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م). للمزيد ينظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٤٠٤؛ الذهبي، العبر، ج ٢، ص ١٣٨.

(٦٩) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٤، ص ٥٠-٥١.

(٧٠) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان النحوي، أحد أئمة العربية قدم إلى بغداد واستوطنها، وعلت منزلته في النحو، وكان له تلاميذ كثيرون، صنف التصانيف العجيبة التي لم يسبقها إليه أحد (ت ٣٧٧هـ/٩٨٧م). للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص ٦٩؛ ابن الانباري، أبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ/١١٧٩م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح : إبراهيم السامرائي، ط ٣، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ١٩٨٥م، ص ٢٣٢.

(٧١) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٩.

(٧٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ٤٣.

(٧٣) المتنبي : هو أحمد بن الحسين الكوفي المولد والنشأة، لقب أبو الطيب كان كثير السفر، اجتمع بسيف الدولة الحمداني وامتدحه كان من أبرع شعراء عصره، وكان لا يمتدح غير الملوك امتدح عضد الدولة بقلعة فتحها، لما قدم بغداد ترفع عن امتداح الوزير المهلب مما أوجج العداوة والبلغضاء بين الطرفين توفي سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م). للمزيد ينظر : الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ١، ص ١٣٩-١٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٢٩١.

(٧٤) السلامي : هو أبو الحسن محمد بن عبد الله من أشعر شعراء العراق قولاً، وشهادة بالاستحقاق عاصر بني بويه وكان يتردد إلى مجالسهم توفي سنة (٣٩٤هـ/١٠٠٤م). للمزيد ينظر : ياقوت، معجم الأدباء، ج ٧، ص ٢٥٤٦؛ الذهبي، العبر، ج ٢، ص ١٨٥.

- (٧٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٤٧٤.
- (٧٦) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٤٧٥.
- (٧٧) هو عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي من أهل نصيبين، لقل بالبيغاء قيل لفصاحته، وقيل للثغة في لسانه، عاصر ضد الدولة وكان له عنده حظوة، وكذلك عند سيف الدولة الحمداني الذي أمر له بكسوة وراتب وجاءت شهرته منه توفي سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٨م). للمزيد ينظر : التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ٣١٠؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ١، ص ٢٩٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٩٩-٢٠١.
- (٧٨) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ مدينة السلام، تح : بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م، ج ١٢، ص ١٢.
- (٧٩) هو أحد أفراد الأسرة الصابئية التي عاشت في العصر البويهي، وامتازت بالعلم، كان أبو اسحاق كاتب وأديب مشهور، وكان يعاشر المسلمين عشرة حسنة، تقلد ديوان الرسائل فكانت تصدر الرسائل عنه والمكاتبات إلى عضد الدولة من الخليفة توفي سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م). للمزيد عنه ينظر : الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٩٨؛ مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ١٠٦؛ العزاوي، عبد الرحمن حسين، التاريخ والمؤرخون في العراق، جامعة بغداد، كلية التربية، دت، ص ٥٠.
- (٨٠) هو كتاب بلغ سهل العبارة الفه ابو اسحق الصابي سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م) بأمر من عضد الدولة البويهي وسماه نسبة الى لقبه تاج الملة بالتاجي. ينظر: حاجي خليفة، كشف الضنون، مج ١، ص ٢٧٠.
- (٨١) يتيمة الدهر، ج ١، ص ٢٩٥.
- (٨٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٠٢.
- (٨٣) هو عبد العزيز بن محمد من فحول الشعراء وأحادهم، قصد بلاط سيف الدولة وامتدحه ونال شهرته منه، وسار على نفس نهج السلامي والبيغاء والمنتبي في مدح عضد الدولة البويهي ووزيره المهلب (ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م). للمزيد ينظر : الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٤٤٧؛ اليافعي، ابي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٨٦٨هـ/١٣٦٧م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٣، ص ١٠.
- (٨٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، حوادث ووفيات (٤٠١-٤١٠هـ)، تح : عبد السلام تدمري، دار الكتب العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٢٨، ص ١١٦-١١٧.
- (٨٥) متز، الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٦٥.
- (٨٦) هو أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن داود بن إبراهيم بن ميثم عاش في العصر العباسي وعاصر خمسة من خلفاء بني العباس وهم المتقي والمستكفي والمطيع والطائع والقادر والذي انتهت حياة التنوخي في عصره سنة (٣٨٤هـ/٩٤٤م). للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ١٣، ص ٥٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٣٧٣؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٦٣-٢٠١.
- (٨٧) هو القاضي إبراهيم بن محمد كان يخلف التنوخي القاضي في بعض أعماله في القضاء على جزيرة ابن عمر وعمره أكثر من تسعين عاما. للمزيد ينظر : التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٣٤.
- (٨٨) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٣٤.
- (٨٩) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩١٤م، ج ٢، ص ٤٠٨.
- (٩٠) هو الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون وزير معز الدولة البويهي يرجع نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة الأزدي، تولى الوزارة ببغداد وكان من كبار رجال العز والعزم والعقل، لقب بذي

الوزارتين، وكان جواداً بليغاً توفي سنة (٣٥٢هـ/٩٧٤م). للمزيد ينظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص١٢٤؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص٢٦٠.

(٩١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٢٤-١٢٥.

(٩٢) هو أبو علي يحيى بن علي بن أبي منصور ويعرف بابن المنجم وابنه كذلك يعرف بابن المنجم، كان أديباً شاعراً نادماً للخلفاء، أخذ عنه أبو بكر الصولي وغيره توفي سنة (٣٠٠هـ/٩٢٢م).

للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص١٤٣؛ الخطيب البغدادي تاريخ مدينة السلام، ج١٤، ص٢٣٠؛ ابن الانباري، نزهة الالباء في طبقات الأدباء، ص١٧٨.

(٩٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص١٥؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص٢٣-٢٤.

(٩٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥، ص٢٧٧.

(٩٥) يتيمة الدهر، ج٢، ص٣٩٢.

(٩٦) هو علي بن الحسين بن محد اخباري نسابه جمع بين سعة الرواية والحدق، يعتبر من الشعراء المخضرمين، عاش في العصرين البويهى والسلجوقي، ويعتبر كتابه الأغاني من أشهر مصنفاته وأكثره رواجاً تلك الفترة وقيل أنه صحبه في خمسين عاماً، ولم يكتبه إلا مرة واحدة هي التي أهداها إلى سيف الدولة الحمداني (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م). للمزيد عنه ينظر : ياقوت، معجم الأدباء، ج٤، ص١٧٠٧؛ الذهبي، العبر، ج٢، ص٩٨.

(٩٧) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٤، ص٥٦.

(٩٨) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص١٥٨.

(٩٩) ياقوت، معجم الأدباء، ج٣، ص١٨٣؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٩١.

(١٠٠) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج١، ص١٥٠.

(١٠١) نشوار المحاضرة، ج٣، ص٢٠٨.

(١٠٢) هو أبا القاسم اسماعيل بن عباد أحد الوزراء الفضلاء، وزر لفخر الدولة البويهى، ومؤيد الدولة وكان محباً للعلم والعلماء، لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثلما اجتمع ببابه من العلماء والشعراء والفضلاء الذين كانوا يكرمهم ويخلع عليه ما لا توصف من الخلع، له العديد من المؤلفات منها كتاب في تفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (ت٣٨٥هـ/٩٩٧م). للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص١٥٠؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص٢٢٥-٢٢٩؛

(١٠٣) هو علي بن عبد الله التغلبي الجزري صاحب الشام وأميرها، كان كثير الجهاد، جيد الرأي عارفاً بالأدب والشعر، وكان جواداً كريماً وهو من أشهر حكام الدولة الحمدانية ومؤسسها التي امتدت من (٣٣٣-٥٨٢هـ) توفي سيف الدولة في حلب وحمل تابوته إلى ميفارقين ودفن بها سنة (٣٥٦هـ/٩٦٦م). للمزيد ينظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٠١؛ ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٩م)، تاريخ ابن خلدون، تح : خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م ج٣، ص٥٤٥.

(١٠٤) ياقوت، معجم الأدباء، ج٤، ص١٧٠٨.

(١٠٥) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان أحد وزراء العصر البويهى ووزير صمصام الدولة البويهى، كانت له مجالس يجتمع فيها الكثير من العلماء والدباء وقد سميت تلك المجالس بالليالي توفي سنة (٣٧٤هـ/٩٩٦م). للمزيد ينظر : ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٣٠٦؛ التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، ج١، ص١٣٠.

(١٠٦) هو ابو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله المعروف بالرماني من اكابر النحويين اخذ عن شيوخ كبار مثل ابن دريد واخذ عنه ابو القاسم الدقيقي كان متفناً في علوم النحو والفقه واللغة على مذهب المعتزلة وكان يمزج كلامه بالمنطق، صنف التصانيف الكثيرة في التفسير وله كتاب الممدود الاكبر والاصغر وكتاب معاني الحروف توفي في خلافة القادر بالله العباسي سنة (٣٨٤هـ/٩٩٦م) للمزيد ينظر: ابن الانباري، ابي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد

- (ت ٥٧٧هـ/ ١١٧٩م)، نزهة الالباء في طبقات الأدباء، تح : إبراهيم السامرائي، ط ٣، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ١٩٨٥م، ص ٢٣٣-٢٣٤.
- (١٠٧) الامتاع والموانسة، ج ١، ص ١٠٣.
- (١٠٨) هو أبو الفضل محمد بن العميد الكاتب وزر لركن الدولة بن بويه، وكان له العديد من الكتب والمؤلفات، وله ديوان الرسائل، ويعد كتابه، المذهب في البلاغات من أشهر كتبه، وقيل عنه أن الكتابة ابتدأت بعبد الحميد وانتهدت بابن العميد. للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص ١٤٩؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٨٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٠٣-١٠٩.
- (١٠٩) هو الحسن بن بويه صاحب اصفهان والري وهمدان وهو والد عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة كان ملكا جليلا عالي الهمة وزيره ابو الفضل بن العميد والصاحب توفي سنة (٥٤٦٦هـ/ ١٠٨٨م). للمزيد عنه ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١١٨؛ الياضي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٧٢.
- (١١٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ١٧٠.
- (١١١) تجارب الأمم، ج ٢، ص ٢٧٧.
- (١١٢) عبد العال، حسن، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١م، ص ١٥٤.
- (١١٣) أمين، ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٥٤؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٢١-٤٢٢.
- (١١٤) حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٢١-٤٢٢.
- (١١٥) ياقوت، معجم الأدباء، ج ١، ص ٣٩٥.
- (١١٦) حسين، طه وآخرون، التوجيه الأدبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م، ص ٣٤٠.
- (١١٧) هو محمد بن عبيد الله بنم كحول العبدي مولى بني عبد القيس، كان شيخ البصريين في الاعتزال، ومن أكبر علمائهم، وهو صاحب مقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات، توفي أول خلافة المتوكل سنة (٢٣٥هـ/ ٧٥٧م) وله مائة عام. للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص ٢٠٤.
- (١١٨) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٠٤.
- (١١٩) أبو حامد الأسفراييني : أحد الفقهاء الشافعية الذي كان يتمتع بمكانة مرموقة في العصر البويهي وكان يحضر مجلسه بين (٣٠٠-٧٠٠) فقيه في مسجد عبد الله بن المبارك ببغداد. للمزيد ينظر : ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٥٨؛ الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٢١١.
- (١٢٠) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي (ت ٧١١هـ/ ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح : محمد محمود الطناحي، دار احياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م، ج ٣، ص ٢٥.
- (١٢١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق، كان من أفاضل أهل النحو أخذ عن أبيه، وعن أبي بكر بن السراج وغيرهم، وألف كتاب الجمل وكتاب الايضاح، وكان من طبقة أبو سعيد السيرافي وأبي علي النحو توفي سنة (٣٧٧هـ/ ٩٩٩م). للمزيد ينظر : ابن الاثير، اللباب، ج ١، ص ٤٩٧؛ ابن الانباري، نزهة الألباء، ص ٢٢٧.
- (١٢٢) الزجاجي، مجالس الزجاجي، تح : عبد السلام هارون، الكويت، ١٩٨٢م، ص ٣٤٥ مجلس رقم ١٥٤.
- (١٢٣) محاسنة، أضواء، ص ١٤٤.
- (١٢٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ١٢٤.

- (١٢٥) كان طبيباً مسيحياً نسطورياً من مدرسة جند سابور، رحل إلى بلاد الروم وتعلم اليونانية وكان يجيد إلى جانبها السريانية والفارسية والعربية هو وأبنة اسحق توفي سنة (٢٦٤/٨٨٦م). للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص ١٢٣؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٤٥.
- (١٢٦) ابن الجوزي، المنظم، ج ١٥، ص ١٧٠.
- (١٢٧) الأصمعي : هو ابو سعيد عبد الملك بن قريب، وقيل عبد الملك بن عاصم صاحب النحو واللغة كان الخلفية الرشيد يسميه شيطان الشعر، قيل عنه: ماعبر احد من العرب بأحسن عبارة من الاصمعي توفي سنة (٢١٣/٧٣٥م). للمزيد ينظر: ابن الانباري، نزهة الألباء، ص ٩٠-١٠٠؛ ابن الاثير، اللباب، ج ١، ص ٥٦، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ١، ص ٢٨٨.
- (١٢٨) الضبي : هو أبو المفضل عبد الرحمن بن محمد أحد الأدباء والنحاة من أكابر العلماء في الكوفة كان عالماً بالأخبار والشعر والعربية. للمزيد ينظر : ابن الانباري، نزهة الألباء، ص ٣٧.
- (١٢٩) خير الله، سعيد، الوراقاة والوراقون، ص ١٢٠.
- (١٣٠) هو محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله، صاحب أخبار يستقبل الأشياخ ليتدارسوا في بيته روى عن الغوي وابن دريد. للمزيد ينظر : ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٤٦٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٣٥.
- (١٣١) التتوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٧٩.
- (١٣٢) ابن تغري بردي، ج ٢، ص ٢٩.
- (١٣٣) ثعلب، مجلس ثعلب، ص ٢٣.
- (١٣٤) ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج ٣، ص ١٠٠.
- (١٣٥) حاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب، ج ١، ص ١٦١.
- (١٣٦) ابن دريد : هو ابو بكر محمد بن الحسن الازدي ولد بالبصرة و نشأ بعمان و طلب علم النحو فأخذ من ابي حاتم السجستاني و ابي الفضل بن الرياش وابن اخي الاصمعي وكان من اكابر علماء العربية وأعلم الشعراء له العديد من الكتب في اللغة اشهرها كتاب الجمهرة مات ببغداد سنة (٣٢١/٩٥٣م). للمزيد ينظر: ابن الانباري، نزهة الألباء، ص ١٩١-١٩٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ١، ص ١٩٧.
- (١٣٧) ابن الحاجب : هو ابو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن يونس عرف بأبن الحاجب لان والده كان حاجباً للامير موسنك الصلاحي كان متقناً و غلب عليه النحو واصول الفقه درس بجامع دمشق في زاوية المالكية توفي سنة (٦٤٦/١٢٤٦م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ٢٤٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ١٧٤.
- (١٣٨) ابن عساكر : هو الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسن الدمشقي صاحب تاريخ دمشق رحل الى بغداد ودرس في النظامية وتفقه بها ثم ذهب الى خراسان واخذ من علمائها تولى الكثير من المناصب والفتاوى الكبيرة توفي سنة (٥٧١/١١٧٢م) وحضر السلطان صلاح الدين جنازته. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٦٠؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٩٥.
- (١٣٩) سعيد، موسوعة الوراقاة والوراقين، ص ٢٦٤.
- (١٤٠) ياقوت، معجم الأدياء، ج ١٨، ص ٣١٢ ترجمة ٩١.
- (١٤١) سعيد، موسوعة الوراقاة والوراقين، ص ٢٦٤.
- (١٤٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، حس مادة ملا.
- (١٤٣) سعدي، موسوعة الوراقاة والوراقين، ص ٢٧٥.
- (١٤٤) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ١٤، ص ٣٢٨.
- (١٤٥) متز، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٣٤٣.
- (١٤٦) متز، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٣١٩.

-
- (١٤٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٩١.
- (١٤٨) سعيد، خير الله، موسوعة الوراق والوراقين، ص ٢٦٦.
- (١٤٩) المحاملي: هو الفقيه الشافعي القاضي ابو عبد الله الحسين بن اسماعيل البغدادي الشهير وسمي المحاملي نسبة الى بيع المحامل التي يركب فيها في السفر عاش خمسا وتسعين عاما وكان مجلسه يعج بالعلماء وطالبي العلم توفي سنة (٩٨٣/٥٣٣٠م) للمزيد ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٦٥؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٢٢٤؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٢٠٤.
- (١٥٠) الخطيب البغدادي، ج ١٤، ص ٣٢٦. ترجمة القواس رقم ٧٦٥.
- (١٥١) ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الاسلمي البغدادي شيخ النحويين زمن الخليفة الرشيد اخذ النحو عن الكسائي واخرين امره الخليفة المأمون ان يؤلف ويجمع مابه اصول النحو وماسمع من العربية حتى قيل: لولا الفراء لما كانت العربية. للمزيد ينظر: ابن الانباري، نزهة الالباء، ص ٦٥؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٣٨.
- (١٥٢) الخطيب البغدادي، ج ١٤، ص ١٥٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٦٥.
- (١٥٣) الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٢٠٤.

المؤلفة في سطور

الكاتبة عراقية بغدادية الاصل من مواليد عام ١٩٦٨ م ، من اسرة ميسورة الحال، اكلت الدراسة الاعادادية الفرع العلمي بتفوق عام ١٩٨٨ م ، متزوجة ولديها ثلاث ابناء ،دعتها ظروفها العائلية بعد زواجها المبكر الى ترك الدراسة الجامعية والتفرغ لأسرتها ،لكن ظل حلم الحصول على الشهادة الجامعية يراودها حتى انها لم تنقطع عن الدراسة والمطالعة في المجالات كافة ، حتى جاءت الفرصة ونالت مرادها عام ٢٠٠٨ م ،إذ دخلت الى الجامعة ، والى قسم اللغة الانكليزية كونها خريجة الفرع العلمي ،الا ان الاقدار شاعت ان تتحول الى قسم التاريخ لتحصل على البكالوريوس للعام الدراسي (٢٠١١-٢٠١٢) م ولتكون الثانية على قسمها قسم التاريخ للدراسة المسائية .

استهوتها دراسة التاريخ فاستمرت بالعمل والمثابرة ،وبتشجيع من اساتذتها الافاضل في قسم التاريخ، لما وجدوه فيها من المقدرة والقابلية على اكمال دراستها رغم اختلاف عمرها عن طلاب المرحلة ، فقبلت في الدراسات العليا ،وانتقلت من الدراسة المسائية الى الدراسة الصباحية لتحصل على شهادة الماجستير آداب في فلسفة التاريخ بدرجة جيد جداً عام ٢٠١٥ م ، عن رسالتها الموسومة (المرويات التاريخية عن العراق وبلاد الشام في كتاب تاريخ حوادث الزمان وانبياءه ووفيات الاكابر والاعيان من ابناءه لآين الجزري المتوفى ١٣٣٩/٥٧٣٩ م) .

اصبح الطريق بعدها سالكا لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي ،لتكون احد طلبة الدكتوراه للعام الدراسي (٢٠١٧-٢٠١٨)م لتكمل مسيرتها العلمية لتحصل على الدكتوراه عام ٢٠٢٠م عن اطروحتها الموسومة (العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك ٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م).

الشهادات الاكاديمية التي حصلت عليها :

- شهادة في طرائق التدريس من جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد عام ٢٠١٥
- شهادة صلاحية اللغة العربية وضبط القرآن الكريم من جامعة بغداد كلية الآداب
- شهادة قيادة الحاسوب بدرجة جيد جدا من جامعة بغداد.
- شهادة مدرب دولي TOT صادرة من مؤسسة الخليج للتدريب والاستشارات المسجلة في لندن برقم ١٢١٤٢٠٠٥.

الوسمة والميداليات وكتب الشكر

- حصلت على العديد من الوسمة وقلاند الابداع والتميز من عدة منظمات من منظمات المجتمع المدني .
- حصلت على العديد من كتب الشكر من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية،
- حصلت على العديد من الشهادات التقديرية من مؤسسات حكومية وغير حكومية .

الخبرات والمشاركات

- اللقاء محاضرات ضمن وزارة التربية في المدارس الاهلية والحكومية من عام ٢٠١٥م
- محكم علمي (خبير) لالبحاث المؤتمرات .
- حضور ما يزيد على ١٠٠-١٢٠ من الندوات والمؤتمرات العلمية المحلية والدولية حضوريا والكترونيا والحصول على شهادات مشاركة بها.
- عضوية عدد من المؤتمرات الدولية والمحلية ضمن اللجان التحضيرية واللجان العلمية .
- عضوية عدد من المؤسسات العلمية بموجب امر اداري صادر منها، منها مؤسسة بدن أكاديمي ومؤسسة الغسق ومركز كربلاء للدراسات والبحوث ودار الرسول الاعظم التابع الى مركز العميد للدراسات والبحوث التابع للعتبة العباسية المطهرة وغيرها .

- و عضوية اكااديمية اثرء المعرفة التابعة لمؤسسة الصداقة الدولية لجامعة لوند السويدية .
- عضو مؤسس لمركز ابن خلدون للدراسات التاريخية التابع لمؤسسة الصداقة الدولية في جامعة لوند السويدية.
- عضو في المركز الدولي لتمكين الشباب وتأهيل القادة .
- عضو مؤسس لفريق معكم للتكافل الاجتماعي التابع الى المنظمة السويدية ونائب المدير التنفيذي لفرع العراق للمنظمة.
- عضو في فريق لهن للتنمية والاعاثة .
- عضو في مؤسسة اسناد الدولية للتنمية المتكاملة.
- عضو في اكااديمية الرونق للتنمية والتطوير .
- اختيرت للدخول الى موسوعة الشخصيات النسائية العربية الرائدة ضمن شبكة اعلام المرأة العربية في جمهورية مصر العربية.

الاسهامات العلمية ضمن الاختصاص

اولاً : المؤلفات المنجزة

- ١- كتاب بعنوان (المؤرخ ابن الجزري دراسة في حياته ومؤلفاته) صدر عن المركز الاكاديمي للكتاب عام ٢٠١٩م. برقم معياري دولي ، وبرقم ٢٩٢ ايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ، استقت مادته من رسالة الماجستير الخاصة بها.
- ٢- عصر سلاطين المماليك) وهويتحدث عن التصوف منذ نشأته وتطوره الى وصوله الى مصر وبلاد الشام وطرائقه الوافدة من البلاد الاخرى كالعراق والمغرب ، والطرق الناشئة في مصر الباقية والمنشرة او التي انتقلت الى بلاد اخرى وانتشرت واستمرت بها صدر عن دار الورشة الثقافية برقم معياري دولي وبرقم ١٦١١ ايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد
- ٣- كتاب (العلاقات بين الفقهاء والمتصوفة في مصر وبلاد الشام عصر سلاطين المماليك). استقت مادته من اطروحتها الجامعية التي نالت بها درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ صدر عن دار الرفاه برعاية كلية الكوت الجامعة الاهلية برقم معياري دولي ومسجل برقم ايداع (٢٧٠١) بدار الكتب والوثائق ببغداد .
- ٤- كتاب (المذاهب الفقهية ظهورها وانتشارها في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك) صدر عن دار الورشة الثقافية برقم معياري دولي ومسجل برقم ايداع(٢٧٥٧) بدار الكتب والوثائق ببغداد .
- ٥- هذا الكتاب (بحوث ودراسات في التاريخ الاسلامي) مجموعة بحوث عن حقبة مختلفة وجوانب مختلفة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والديني والثقافي.

ثانياً: البحوث المنشورة ضمن المجالات العلمية المحكمة

- ١- بحث منشور في مجلة الدراسات والتاريخ والاثار في جامعة بغداد كلية الآداب عام ٢٠١٥م بعنوان (منهج ابن الجزري وموارده في كتاب تاريخ حوادث الزمان).
- ٢- بحث منشور في مجلة الدراسات والتاريخ والاثار في جامعة بغداد كلية الآداب بعنوان (التجارة الداخلية والخارجية في الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي ١٢٣-٦٥٦هـ/ ٧٤٩-١٢٥٨م) العدد ٥٧ لسنة ٢٠١٧م.
- ٣- بحث منشور في مجلة الدراسات والتاريخ والاثار في جامعة بغداد كلية الآداب بعنوان (دور الاغلبية في فتح صقلية) العدد ٥٨ لسنة ٢٠١٧م.
- ٤- بحث منشور في مجلة مداد الآداب في الجامعة العراقية بعنوان (الملاحم الاقتصادية في كتاب نزهة الانام في محاسن الشام لابي البقاء البكري المتوفى سنة ٨٩٤هـ /١٤٨٨م) العدد ١٤ لسنة ٢٠١٧م.

- ٥- بحث منشور في مجلة التاريخ والآثار كلية الآداب جامعة بغداد العدد ٧٢ لسنة ٢٠١٩م بعنوان (مراكز الحركة الفكرية والعلمية في العراق في العصر البويهى).
- ٦- بحث منشور في مجلة التاريخ والآثار كلية الآداب جامعة بغداد عام ٢٠٢٠م بعنوان (الجغرافية التاريخية للتصوف في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك) (١٣٨٢/٥٧٤٨م) - (١٢٥٠/٥٦٤٨م).
- ٧- بحث منشور في مجلة الاستاذ كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية جامعة بغداد عام ٢٠٢٠م بعنوان (مواقف المتصوفة من الفقهاء في عصر سلاطين المماليك).
- ٨- بحث منشور في مجلة مداد الآداب بعنوان (الملاحم الاقتصادية في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤هـ / ٩٤٤م) دراسة تاريخية، الجامعة العراقية، كلية الآداب، العدد ٢٦ لسنة ٢٠٢٢م.
- ٩- بحث بعنوان (مجالس العلم في العصر البويهى) مقبول النشر في مجلة الضاد العدد الاول لعام ٢٠٢٢م.
- ١٠- بحث بعنوان (بنو وفا ودورهم في التصوف في مصر في عصر سلاطين المماليك) قيد الإنجاز.

ثالثاً : مجموعة متنوعة من المقالات في التاريخ الاسلامى نشرت في الجرائد المحلية والعربية منها:

- ١- بهو السباع ونافورة الاسود في قصر الحمراء .
- ٢- باب زويلة احدى ابواب القاهرة القديمة .
- ٣- المدرسة الصالحية أطلال باقية عبر الزمن.
- ٤- دار مائك وأوراق الجنيزة.
- ٥- قصر الحمراء في الاندلس
- ٦- الحسين ع والمسير الى كربلاء كرونولوجيا الخروج
- ٧- الثورة الحسينية اهداف وابعاد تاريخية خالدة عبر القرون
- ٨- زقورة اور.
- ٩- من اثار اشبيلية قصر الجعفرية في سرقسطة شاهدا على الارث العربي العظيم في الاندلس.
- ١٠- المدرسة المستنصرية في بغداد
